

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد ملين دباغين. سطيف2

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:



أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة دكتوراه علوم في فرع علم النفس

تخصص: علم النفس العيادي

بعنوان:

مساهمة في دراسة سياقات المرور إلى الفعل من خلال الرورشاخ عند المراهق الجانح

إعداد الطالبة:

بومعزة فتيحة.

لجنة المناقشة:

الصفة	مؤسسة الانتساب	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة سطيف -2-	أستاذ محاضر أ	أ. حافري زهية-غنية
مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر 3-بوزريعة-	أستاذ	أ.د حدادي-سامعي-دليلة
عضوا ممتحنا	جامعة سطيف-2-	أستاذ محاضر أ	أ. عزيز غنية
عضوا ممتحنا	جامعة الجزائر 3-بوزريعة-	أستاذ محاضر أ	أ.قهار صبرينة
عضوا ممتحنا	جامعة سطيف-2-	أستاذ محاضر أ	أ. عزوز إسمهان

السنة الجامعية: 2018 / 2019 م



والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. حمدا يساق تعبدا وإجلالا
يارب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا. ومن تمام شكره
-عز وجل- شكر ذوي الفضل. وأولى الناس بالشكر

الأستاذة المشرفة: الأستاذة الدكتورة **دليلة سامعي حدادي**

جامعة الجزائر

على كل المواقف التي كانت فيها إلى جانبي حتى يكتمل هذا العمل. كل الملاحظات التي
سددت بها خطاي فشكرا جزيلا يليق بمقامك كأستاذة مشرفة.

أتقدم بالشكر إلى كل **المراهقين** وإلى **أولياءهم** الذين سمحوا لي باستكمال هذه الدراسة
أتقدم بالشكر إلى الأستاذة: **أمقران عبد الرزاق**، **عمار جية نصر الدين**، **حافري زهية**، **عزيز
غنية**، **عزوز اسمهان**، **قهار صبرينة**، **سفاري لبنى**....

وأقدم كل الشكر والاحترام والتقدير إلى: **الدكتورة لكحل إيمان** بالمركز الوسيط لعلاج
الإدمان بلبير، **الدكتورة: فايدي**، **الأخصائية النفسانية: بوسنة شهرة**، **سعاد ونادية** على
كل الدعم الذي قدموه لي خلال فترة القيام بالإجراءات التطبيقية للبحث.

الشكر الجزيل للسيد: **درار جة صلاح الدين** بالمعهد الوطني للإجرام والأدلة

الجنايئة بوشاوي الجزائر العاصمة، شكر موصول على كونه من وضعني على الدرب الصحيح للبحث في علم النفس الإجرامي.

وأقدم كل الشكر والاحترام إلى: السيد مدير المركز المتخصص في إعادة التربية، إلى منيرة، محتون، بوشارب، نظيرة. وكل العمال.

إلى السيدة: **راجحي نجاة** قاضي الأحداث بمحكمة سطيف.

إلى البروفيسور **بوشناق** رئيس مصلحة الاستعجالات الطبية بالمستشفى الجامعي سعادنة عبد النور بسطيف.

إلى الأخصائيات: **غضبان حسنة وبكاكشي مريم وخليفة ريحة** على كل التسهيلات المقدمة.

إلى الأخصائي: **علواني محمد الأمين** رئيس مصلحة الطب العقلي بالمستشفى الجامعي سطيف. وبروفيسور الطب العقلي بمستشفى الطب العقلي بعين عباسة.

إلى زملاء العمل....

إلى كل من ساندي في طريقي لاستكمل هذا العمل. شكرا جزيلا لكم.

Remerciements

Le Professeur : Catherine Azoulay

(Université Paris Descartes Laboratoire PCPP)

* Pour avoir été Attentif, disponible
et Rigoureux. Je la remercie d'être
L'espoir de mes pensées et mes réflexions

Je remercie également :

Le professeur : **Ahmed Mohamed**

Le professeur : **Malika Mansouri**

Pour tous leurs conseils

(Université Paris Descartes)

ملخص الدراسة

تولدت الرغبة في الكشف عن سياقات المرور إلى الفعل من خلال الرورشاخ عن الاحتكاك المباشر على مدار سنوات (الممارسة والبحث) بالمرهقين المنحرفين. لبلوغ هذا الهدف بالاستعانة بعمليات الفهم، التحليل والتأويل المعتمدة في المنهج العياديتيم تسليط الضوء على واقع داخلي يتموضع ضمن مقاربة تحليلية-إجرامية تعمل على استقراء عوامل دينامية كامنة مستوحاة من المقابلة العيادية النصف موجهة ونتائج اختبار الرورشاخ لـ 15 مراهق ذكر يتراوح سنهم بين 15 و 22 سنة تقريبا. الالتقاء بهم احتواه فضاء متعدد ومختلف (المركز المتخصص في إعادة التربية، المركز الوسيط في علاج الإدمان، المؤسسة الاستشفائية، المؤسسة الاستشفائية للصحة العقلية).

سمحت هذه الإجراءات بالوقوف على التاريخ الشخصي لكل واحد منهم بصفة فردية لفهم الدينامية الداخلية التي تجلى من خلالها تأثير المعاش العلائقي المبكر والاشكاليات المصاحبة للبلوغ على سيرورة الفعل المنحرف؛ إعادة احياء كل ذلك في مرحلة المراهقة وفي ظروف معينة (المواجهة مع الموضوع الاجرامي) شكل مصدرا لسياق داخلي من المرجح أنه عجل بالمرور إلى الفعل؛ هذا الأخير أخذ اتجاهين رئيسيين: نحو الذات ونحو الآخر، على إثرهما تم اخضاع أنواع منه للدراسة (السرقه، العنف، القتل، الاعتداء الجنسي، الإدمان، الانتحار). جاءت النتائج ضمن طرحين أساسيين:

يتعلق الأول بفرضيات الدراسة والمتمثلة في وجود مستويات ثلاث لسياق المرور إلى الفعل، متداخلة، متفاعلة ومتكاملة من خلال اختبار الرورشاخ. حيث كشفت الدراسة عن وجود اختلاف في شكل السياق ينطلق من الطبيعة العلائقية بالموضوع (الأولي-الإجرامي) الذي يحتل مكانة أساسية في تبلور مساره وخصائصه. تُلعب العلاقة في سجلات متنوعة (انعكاسية، تملكية، تبعية، شبه موضوعية)، ترتبط ارتباط وثيق بطبيعة الحدود ووظيفتها، ويتحدد من خلالها اتجاه تفرغ العدوانية (نحو الذات ونحو الآخر). أما الثاني فيتعلق بأهمية اختبار الرورشاخ في مجال علم النفس الاجرامي الاسقاطي، المتمثلة في قدرته على الكشف عن سياق المرور إلى الفعل عن طريق دفع المراهق المنحرف إلى إزاحة تجربة الفعل نحو فضاء اسقاطي، حتى وان حدث ذلك بسبب خصائصه العلاجية التي تأثرت بواقع مزدوج (عوامل النمو، محاولة ارضان تجربة الفعل). يتجسد هذا الواقع ببروز الموضوع الاجرامي في استجابات الرورشاخ للمبحوثين مع الفعل الجنسي، القتل.

الكلمات المفتاحية: المرور إلى الفعل، المراهق، الجنوح، الرورشاخ، السياق.

Resumé :

Dévoiler les contextes de passage à l'acte à travers le test de Rorschach est un désir généré au fil des années de pratique et de recherche auprès des adolescents délinquants. Sur la base d'une méthode clinique se croisent des processus de compréhension, d'analyse et d'interprétation pour mettre en évidence une réalité interne positionnée au sein d'une approche psycho-criminino-analytique qui sert à extrapoler les facteurs psycho-dynamiques sous-jacents inspirés des résultats des entretiens cliniques semi-directif et du test projectif de 15 adolescents âgés de 15 à 22 ans. Cette rencontre était contenue dans un espace institutionnel. (Le centre spécialisé de rééducation ; le centre intermédiaire de soin en addictologie ; Centre hospitalo-universitaire ; Établissement hospitalier spécialisé de psychiatrie).

Ces mesures ont permis d'examiner l'histoire de vie de chacun d'entre eux de façon individuelle pour comprendre la dynamique interne à travers laquelle se manifeste l'impact du vécu relationnel précoce et les problématiques associées au pubertaire sur le processus de l'acte délinquant. La réactivation ces problématiques à l'adolescence et dans certaines circonstances consistant en une source du contexte interne susceptible de précipiter le passage à l'acte ; ce dernier prend deux formes : autocentrée (suicide et toxicomanie), hétérocentrée (le vol, la violence, l'agression sexuelle, l'homicide) .

Les résultats ont été abordés sur deux propositions fondamentales : La première concerne les hypothèses, selon lesquelles le contexte de passage à l'acte à travers le test d Rorschach est provoqué par trois niveaux suscités, intégrés et interagis ; les résultats montrent l'existence d'une différence dans la structuration du contexte à partir de la nature de la relation objectale (primaire-crime) qui occupe une place primordiale dans l'élaboration de parcours de l'acte et de ses caractéristiques. La relation se joue dans divers registres (spéculaire, possession, dépendance, préobjectale), étroitement liés à la nature des limites à travers lesquels se détermine la direction de la décharge de l'agressivité.

La seconde concerne l'importance du test de Rorschach dans le domaine de la psychocriminologie projective par leur capacité de révéler le contexte de passage à l'acte en poussant l'adolescent délinquant a déplacé l'expérience de l'acte sur la scène projective ; même si elle est le résultat de ses propriétés thérapeutiques influencées par la double réalité (les facteurs de développement, la tentative d'élaboration de l'expérience de l'acte). Ce fait est réalisé par l'émergence de l'objet-crime dans les réponses Rorschach de deux sujets représentant l'acte sexuel et l'homicide.

Mots clés : Le passage à l'acte, L'adolescent, La délinquance, Le rorschach, Le contexte.

Abstract:

Unveiling the contexts of acting out via the Rorschach test is a desire generated over years of practice and research among of juvenile delinquents. To reach this objective and On the basis of a clinical method, processes of comprehension, analysis and interpretation intersect to highlight internal reality positioned within a psycho-criminino-analytical approach used to extrapolate the psychodynamic factors underlying-inspired results of semi-structured clinical interviews and projective testing of 15 male teenagers aged 15 to 22 years. This meeting was contained in an institutional space (The Specialized Rehabilitation Center; the Intermediate Addiction Care Center; The University Hospital and The Psychiatric Hospital).

These procedures allowed examining the life history of each of them individually to understand the internal dynamics through which manifest the impact of early relational experience and the problems associated within the pubertal process of offender act. Reactivating these problems in adolescence and in certain circumstances consisted a source of internal context to precipitate the acting out; this latter takes two forms: acting-out against the self (suicide and substance abuse), and against others (theft, violence, sexual assault, murder).

The results were discussed on two fundamental proposals: the first concerns the hypotheses, according to which the context of the act through the Rorschach test is caused by three levels raised, integrated and interacted; the results show the existence of a difference in the structuring of the context from the nature of the object relationship (primary-crime) which occupies a primary role in the development of the course of the act and its characteristics. The relationship is played out in various registers (speculative, possessive, dependent, pre-object), closely related to the nature of the limits through which the direction of aggressive discharge.

The second concerns the importance of the Rorschach test in the field of projective psycho-criminology by its ability to reveal the context of the act by pushing the delinquent adolescent to displace the experience of the act to the projective scene even if it is the result of its therapeutic properties influenced by the dual reality (development factors, the attempt to working out of the experience of the act). This fact is realized by the emergence of object-crime in Rorschach responses of two subjects representing the sexual act and murder.

Keywords: Acting-out, Adolescent , Délinquance, Rorschach Test, Context.

فهرسة المحتويات

شكر وتقدير

ملخص الدراسة

فهرسة المحتويات

قائمة الجداول

قائمة المخططات

قائمة الملاحق

1 مقدمة:

الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة

1 الفصل الأول: الإطار العام للدراسة والدراسات السابقة

5 1- إشكالية الدراسة:

11 2- فرضيات الدراسة

12 3- دوافع إجراء الدراسة:

13 4- أهمية الدراسة:

14 5- أهداف الدراسة:

16 6- تحديد مفاهيم الدراسة:

24 7- الدراسات السابقة

1-7- المحور الأول: دراسات تناولت متغير المرور إلى الفعل: أشكال من الفعل بمقاربة نفسية -

24 دينامية - إجرامية

2-7- المحور الثاني: دراسات تناولت الفعل المنحرف - خلال المراهقة - وبعض المؤشرات

النفسية الدالة عليهم خلال الروشاخ (العقلنة، الانشطار، العلاقة بالموضوع، تنظيم الشخصية،

37 العنف، العدوانية، المستقبل الإجرامي).

47 3-7- إستفادة الدراسة الحالية من الدراسات السابقة:

48	الفصل الثاني: أحجية المرور إلى الفعل
109	تمهيد
110	1-المرور إلى الفعل محاولة لتحديد المفهوم:
112	1-1-المرور إلى الفعل والتفعيل
115	1-2-الفعل النوعي Action spécifique (الفعل، التصرف، الحركة، الفعل النوعي، الهفوة):
116	1-3-المرور إلى الفعل والرجوع إلى الفعل:
117	2-تفسير المرور إلى الفعل تبعا لبعض الآليات النفسية:
117	1-2-المرور إلى الفعل كبديل لعمل العقلنة:
125	2-2-المرور إلى الفعل كتفريغ للقلق:
131	2-3-حتمية القصور في الارصان النفسي:
133	3-المرور إلى الفعل ضمن سياقات نفسية مختلفة
133	1-3-سياق الفعل بين العنف والعدوانية:
140	2-3-الفعل والصورورة النزوية؛ ما بين اللذة/الألم، الشحن/التفريغ:
142	3-3-المرور إلى الفعل بمعنى التعدي:
144	3-4-المرور إلى الفعل كسياق نفس-مرضي
154	3-5-الفعل في مجال الطب العقلي:
155	3-6-الفعل ضمن السياق وجودي:
156	4-خصوصية الفعل عند المراهق المنحرف
156	4-1-خصائص الأغلفة النفسية.
162	4-2-العلاقة بالموضوع:
163	5-مميزات المرور إلى الفعل:
165	6-محاولة لاستقصاء السياق من خلال بعض الدراسات النفسية:
169	خلاصة:
170	الفصل الثالث: أشكال من الفعل المنحرف عند المراهق
170	تمهيد:
171	المبحث الأول: المرور إلى الفعل نحو الذات:

- 1-المرور إلى فعل الانتحار : 171
- 1-الانتحار المقدس والطابو:..... 173
- 2-هوام الموت وهوام الانتحار:..... 175
- 3-هل يعتبر الانتحار: مرور إلى الفعل أم تفعيل؟..... 176
- 4-عدم القدرة على وصف المحاولة الانتحارية:..... 176
- 5-سياقات الفعل الانتحاري:..... 177
- 6-خصائص التنظيم النفسي للمراهق المنتحر:..... 183
- 7-أنماط الإجرائية للانتحار بمقابل أنماط العلاقة بالموضوع:..... 184
- II-المرور إلى فعل الإدمان : 185
- 1-السياقات النفسية لفعل الإدمان:..... 186
- 2-الاقتصادية النفسية للإدمان:..... 188
- 3-العلاقة المرضية بموضوع الاعتماد:..... 189
- 4-وظيفة الإدمان:..... 191
- 5-خصائص التنظيم النفسي للمراهق المدمن:..... 192
- 6-الإدمان وإشكالية التكتّم أو الالكستيميا:..... 193
- المبحث الثاني: المرور إلى الفعل نحو الآخر:..... 197
- I-الاعتداء الجنسي : 198
- 1-منشأ الفعل الإجرامي الجنسي:..... 200
- 2-تعريف الاعتداء الجنسي:..... 200
- 3-سببية المرور إلى الفعل الجنسي عند المراهق:..... 202
- 4-سيكودينامية الاعتداء الجنسي:..... 204
- 5-السياقات النفسية في خدمة المرور إلى الفعل الجنسي:..... 207
- 6-السياق النفسي للفعل الجنسي:..... 211
- 7-خصائص التنظيم النفسي للمراهق المعتدي جنسيا:..... 219
- II-المرور إلى فعل القتل : 222
- 1-الجريمة: القتل، الموت:..... 223

- 2-فعل القتل والكوكبة المفاهيمية:.....223
- 3-الفهم الدينامي للمرور إلى الفعل:225
- 4-التنظيم النفسي للمراهق القاتل:228
- 7-العلاقة بالموضوع في حالة العود:231
- III-جريمة السرقة:231
- 1-انحراف مسار النمو وتفسير الفعل:.....232
- 2-منشأ فعل السرقة:.....235
- 3-أشكال من الفعل:.....237
- خلاصة:.....240

الإطار الميداني: إجراءات الدراسة ونتائجها

- الفصل الرابع: الدراسة الميدانية وإجراءاتها242
- تمهيد:.....241
- 1-منهجية الدراسة:.....241
- 1-1-المنهج العيادي:.....243
- 1-2-استقراء النتائج:.....244
- 2-أدوات الدراسة:.....245
- 1-2-المقابلة نصف الموجهة:.....245
- 1-1-2-محاوور المقابلة:.....247
- 2-1-2-تبرير اختيار المقابلة نصف الموجهة:.....249
- 2-2-اختبار الرورشاخ:.....252
- 1-2-2-تبرير أسباب اختيار الرورشاخ:.....254
- 2-2-2-المرجعية المعتمدة لتمير اختبار الرورشاخ:.....254
- 2-2-3-طريقة التعاطي مع نتائج الاختبار:.....255
- 3 - مجموعة البحث:.....

Erreur ! Signet non défini.....

- 1-3-معايير انتقاء مجموعة البحث:.....256

259	3-2- خصائص مجموعة البحث:
261	4- الضبط الإجرائي للفرضيات:
270	5- إجراءات الدراسة:
271	5-1 اختيار أماكن إجراء البحث:
273	5-2 أخلاقيات البحث (تمرير صيغة الموافقة المستنيرة):
275	5-3 جمع المعطيات من خلال المقابلة:
276	5-4 تمرير الاختبار:
277	خلاصة:
278	الفصل الخامس: مناقشة النتائج على ضوء فرضيات البحث.
278	تمهيد:
279	1- مناقشة فرضيات البحث:
282	1-1 مناقشة نتائج الفرضية الأولى:
289	1-2 مناقشة نتائج الفرضية الثانية:
295	1-3 مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:
299	1-4 مناقشة نتائج الفرضية العامة:
302	2- نتائج البحث:
310	خاتمة:
312	توصيات
315	المراجع المعتمدة
332	الملاحق

قائمة الجداول

- جدول رقم 1: أنواع القلق وتوجهاته حسب الرغبة..... 129
- جدول رقم 2: الاختلاف بين العدوانية والعنف 138
- جدول رقم 3: العلاقات بين الألم/اللذة، الشحن/التفريغ..... 141
- جدول رقم 4: تطور وظيفة الاحتواء حسب العلماء 157
- جدول رقم 5: الأنماط الإجرائية والمواضيع النزوية 184
- جدول رقم 6: مميزات الهوامات الجنسية حسب درجة الارصان 216
- جدول رقم 7: تصنيف المرور إلى الفعل 229
- جدول رقم 8: الخصائص الفردية لأفراد مجموعة البحث..... 259
- جدول رقم 9: ترميز مجموعة البحث..... 274
- جدول رقم 10: محددات الرورشاخ لأفراد مجموعة البحث مقارنة مع المعايير 279
- جدول رقم 11: محددات الرورشاخ المرتبطة بأشكال القلق لدى أفراد مجموعة البحث بالمقارنة مع معايير
الرورشاخ لعينة فرنسية 283
- جدول رقم 12: محددات الرورشاخ المرتبطة بمستوى الحدود النفسية الداخل/الخارج لدى أفراد مجموعة
البحث..... 290
- جدول رقم 13: العلاقة بالباحثة خلال تمرير الاختبار 299

قائمة المخططات

- 127 مخطط رقم 1: القلق الاضطهادي والمتغيرات المرتبطة به
- 140 مخطط رقم 2: العلاقات الموضوعية والعالم النزوي
- 147 مخطط رقم 3: العلاقة بالموضوع
- 179 مخطط رقم 4: الأزمة الانتحارية حسب Terra & Séguin
- 180 مخطط رقم 5: سياق الفعل الانتحاري خلال المراقبة
- 196 مخطط رقم 6: السلوك الإدماني (العمليات النفس داخلية - جسدية)
- 245 مخطط رقم 7: المنهجية البحثية
- 252 مخطط رقم 8: محددات تحليل الفعل

قائمة الملاحق

- 333 الملحق رقم 1: اللوائح والمواد الخاصة بقانون الأحداث
- 351 الملحق رقم 2: معايير تقدير الاستجابات حاجز/اختراق
- الملحق رقم 3: نسخ عن الطلبات (التصريح بإجراء بحث ميداني) مؤشر عليها بالموافقة والمقدمة للمصالح الإدارية المسؤولة عن المؤسسات والمراكز التي أجريت بها الدراسة.....
- 355 الملحق رقم 4: صيغة الموافقة المستنيرة
- 362 الملحق رقم 5: معايير الرورشاخ المستخلصة من عينة فرنسية للمراقبين والشباب من 13 إلى 24 سنة
- 372

مقدمة:

ينظر إلى المراهقة على أنها المرحلة التي يضطر خلالها الإنسان للقيام بعملية تكيف كبيرة مع جملة التغيرات الفسيولوجية، النفسية، الاجتماعية. يتم معايشة هذه التغيرات لدى بعض المراهقين بصعوبة بالغة؛ حيث تؤثر هذه العمليات الحتمية على مجالات الحياة بصورة عامة. الأمر الذي يؤدي إلى تغيير عميق وجذري فيما يتعلق بإدراك المراهق لنفسه (جسمه) بالدرجة الأولى؛ وللمحيط الذي يعيش فيه (الآخرين).

لا يمكن لأي باحث في مجال علم النفس حول هذه المرحلة العمرية إهمال هذه الحقيقة وبالتالي العمل على تهميشها عند الالتقاء المباشر مع المراهق. بل تفرض نفسها من خلال التقاطب الذي يظهر في العلاقة البحثية. علاقة تأخذ طابع عيادي بالدرجة الأولى تستدعي بروز بعض الديناميات النفسية ذات الجذور العلائقية المبكرة. مما يدفع للاعتراف بصعوبة الالتقاء مع المراهق وبالأخص مع المراهق الذي يعاني من مشكلات سلوكية.

عندما تكون المشكلة السلوكية لدى هذا الأخير ذات انعكاس غير مقبول اجتماعيا، خاضع للوصم، والعقاب؛ تتقلص الاحتمالات المتاحة لمواجهة جملة التغيرات والإشكالات المصاحبة لها بنجاح. في ذات السياق يُدرك الأخصائي الباحث تحت طائلة التقاطب العلائقي من زاويتين: باعتباره سند يرغب المراهق في مشاركته معاشه النفسي اليومي، ومن جهة أخرى باعتباره تهديد رمزي (النقطة) يجسد معنى العلاقات المبكرة التي تحمل لديه طابع "السُمية" كما عبر عن ذلك Roman (2003).

إن الالتقاء مع المراهق المنحرف وبالرغم من اختلاف أشكال الأفعال التي قد يقدم عليها ويندمج ضمنها وفي بعض الأحيان يتخذها نمط حياة؛ يتطلب التسلح بأدوات عيادية على درجة واسعة من الشمولية والدقة؛ أدوات تسمح بالوقوف على طبيعة الدوافع والمحركات الأساسية النفسية والدينامية على وجه الخصوص التي يتشكل من خلالها المشهد الخلفي للفعل.

في الحقيقة تدفع إشكالية الفعل لدى المراهقة إلى العديد من الأسئلة، أسئلة على درجة من الغرابة تصاغ ضمن أبعاد متعددة، قد يتمثل بعضها في: كيف للمراهق وهو في هذا السن أن يقدم على ارتكاب فعل معين؟ كيف يتبلور الفعل في المشهد النفسي الداخلي، بالنسبة للمستوى اللاشعوري الذي لا يخضع لمبادئ محددة تحكم دينامية مكوناته؟ ثم كيف يتجسد مخطط الفعل عند مستوى عقلي من خلال تمثيلات تتطلب محتويات عقلية على درجة من الارصان والعقلنة؟ كيف لعمليتان كهذه اتفق أغلب الباحثون على

مقدمة

إصابتها بالقصور لدى المراهق المنحرف على تجسيد مخطط الفعل؟ وأمثلة الفعل عديدة تنفذ بدرجة من الدقة والذكاء (السرقه، القتل... إلخ). هل يكمن الخلل في اضطراب يحدث أثناء تبلور التنظيم النفسي؟ أم هل ينبغي النظر إلى النظام العلائقي الذي تفاعل ضمنه المراهق في السابق ويتفاعل معه حالياً؟ ما هي مكانة الموضوع الذي يتحقق من خلاله الفعل بالنسبة للمراهق؟ أي رمزية يأخذها في الحياة النفسية؟ فيما تكمن طبيعة العائد النفسي للفعل بعد ارتكابه؟ أي قيمة يحملها هذا الأخير بالنسبة للتحقيق الموازنة في حياة المراهق بين حتمية التغيرات الجسدية، النفسية، والاجتماعية والصراعات الداخلية التي يعاد إحيائها في هذه الفترة؟ هل هناك عتبة نفسية محددة نستطيع التنبؤ بالاستناد إليها على احتمال المرور إلى الفعل من عدمه لدى المراهق؟ وننتقل بعد هذا السؤال إلى البحث في الواقع الإجرامي للمراهق؛ هل لديه مركبات إجرامية نفسية تتيح لنا تفريق المجرم عن غيره؟ هذا السؤال يطرح من منطلق مبدأ السببية الحتمية. وكذا البحث في أساليب التدخل المناسبة.

كل هذه الأسئلة المطروحة تعكس مدى غموض مفهوم المرور إلى الفعل من وجهة نظرنا في المقاربة التحليلية والتحليلية الإجرامية، التي لا تتوقف عن مفاجئتنا في كل مرة تتوسع دائرتها المفاهيمية. وعلى الرغم من هذا الزخم الكبير من التجديد والغوص أكثر في تأويل المفاهيم التحليلية إلا أننا لا نزال نقف عند عتبة تقديم فهم شامل، واضح، ومحدد للفعل المنحرف وارتباطه بمرحلة المراهق.

يمكن الإشارة إلى وجود اتجاهين أساسيين للفعل، يتمثل الأول في الفعل نحو الذات والأمثلة على هذا النوع عديدة تمتد من إيذاء الذات إلى الإدمان ثم الانتحار. لا يأخذ هذا النوع طابع إجرامي، كون الإجراء القانوني الخاص والذي يطبق في هذه الحالة مبني على طابع مرضي. أين يصنف القائم بالفعل تصنيف الشخص غير العادي الذي يحتاج إلى تكفل مستعجل. تصنيف تسد بسببه كل الطرق التي تبحث في مجال علم النفس الإجرامي عن مركبات إجرامية يتم تعويضها حتماً بمركبات مرضية. أشكال الانتحار مثلاً التي نصادفها تفصح عن سيناريو إجرامي فضيع يقدم عليه الفاعل، المغامرة والتحدي في استعمال المخدر بطريقة لاعقلانية عدائية ضد الذات تثير الدهشة. الأطروحات التي قدمتها المقاربة التحليلية حول هذا الاتجاه من الفعل تساءلت عن الكيفية التي يستطيع المراهق التعامل وبلغة نرجسية شاذة مع التغيرات التي تطرأ على الجسم حتى يبلغ درجة من الإحساس بالوجود، بالهوية، والتفرد. إحساس يتغذى على هوام التدمير الذي يجد جذوره في نزوة الموت. يتواجد المراهق القائم بالفعل في هذه الحالة خارج المشهد النفسي؛ بعد الواقعة مباشرة نتحدث عن غرابة مقلقة تمنع الشخص من إعطاء تمثيل للحظة الفعل لأنها على درجة من الخطورة والغموض. يتجنب الجهاز النفسي للمراهق الذي لا يزال هشاً هذا التصور إلى

مقدمة

حين إيجاد فضاء نفسي حاوي للعواطف التي صاحبت تلك اللحظة. نشير هنا إلى تموضع دفاعات أولية من نوع الانشطار يستعين بها المراهق للإبقاء على الإحساس بوجوده النفسي، أين يتم إزاحة العاطفة نحو طبقة عميقة من النفس بمقابل إرصان تمثيل عقلي للفعل.

لا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لفعل الإدمان عن هذه الصيرورة، يختار المراهق التضحية بالجسم بطريقة تدريجية، وبسرعة أقل عن تلك التي نراها مع قرار الانتحار، يتجنب هذا الأخير التدمير المباشر والآني للجسم، لكن يضطر إلى استثماره بطريقة تعويضية مؤلمة في بعض الأحيان ناتجة عن هلوسة سلبية حسب رأي Green (1983). يلتقي كل من الإدمان والانتحار عند هدف محدد وهو: وضع الأنا خارج نطاق الواقع والمجال التصوري تجنباً لأي عمل للتفكير (Aulagnier, 1979)؛ للاستحواذ على الجسم وتدميره عن طريق المرور إلى الفعل.

يشكل المرور الفعل نحو الخارج النوع الثاني من الفعل، غالبا ما يأخذ طابعا عنيفا وعدوانيا الغرض منه إبادة الآخر سواء بصورة رمزية (السرقه) أو بصورة حقيقة (الاعتداء الجنسي، العنف، القتل). يلجأ المراهق إلى التفريغ الخارجي للإثارة الداخلية، إثارة تتفرع عن عمليات البلوغ وما يصاحبها، وكذلك عن الدوافع العدوانية. إثارة مزدوجة تتداخل ضمنها مركبات نزوية غريزية وليبديية. البحوث حول هذا النوع من الفعل تؤكد على طبيعة وتركيبية المواضيع الداخلية المستدخلة كونها المحدد الأساسي الذي تظهر من خلاله الواقع الإجرائي للفعل.

يتعين على الباحث في علم النفس أمام حقيقة مماثلة التسلح بأدوات نفسية تسمح له بصبر أغورا هذه الظاهرة، ويبدو أن اختبار الرورشاخ يستجيب لهذه الخصائص، فعندما نستند إليه نكون بصدد تتبع السياق النفسي بأبعاده الداخلية والخارجية التي حدثت من خلالها الفعل. حقيقة تحتسب لصالح الباحث في علم النفس العيادي والباحث الإسقاطي.

يتميز الرورشاخ بطابع الغموض في مادة الاختبار وحرية الاستجابة. واقع مزدوج يتم فيه استثمار جوانب الإدراك والإسقاط معا في حركة تقاطبية تغذيها المكونات العميقة ودرجة تشكل البنى العقلية. من خلال 10 بطاقات ذات مثير مبهم نوعا ما متسلسل يغطي تفرعات التنظيم النفسي والبنية الداخلية للفرد. عند استخدام هذا النوع من المثيرات مع المراهق ولتقصي سياق الفعل يكون الهدف مزدوج من ناحية تتبع مسار النمو النفسي والجنسي، مراحل تشكل الهوية والمعاش الصدمي؛ بالمقابل رسم الآليات الدينامية والمراحل التي حققت التفعيل على مستوى السجل السلوكي.

مقدمة

يتحدد سياق الفعل مرة أخرى من خلال نظام اسقاطي تمنحه الخصائص التي يمكن أن تكشف عنها بقع الحبر. نحن إذن أمام إدراك جديد لاستخدام هذا النوع من الاختبارات في مجال علم النفس الإجرامي الاسقاطي، خصوصا عندما يمنح هذا الاستخدام قراءة تحليلية تتجسد في طبيعة العلاقة بالموضوع انطلاقا من المواضيع الأولية وصولا إلى المواضيع الإجرامية التي تتيح تفعيل القلق في وضعية المرور إلى الفعل. ندرك تماما أن وجود حالة نفسية يطلق عليها مسمى القلق يضاف إليها واقع مراهقي بلوغي أين تبلغ الإثارة درجة عالية؛ في هذا الجو المشحون يتدخل الموضوع الإجرامي لاستقطاب هذه الطاقة، يعمل هذا الاستقطاب على تجاوز الحدود النفسية ذات النوعية السيئة، وبالتالي يظهر الفعل في هذه اللحظة بالذات.

يشكل النموذج التحليلي الاسقاطي بالنسبة للبحث في سياق الفعل قاعدة علمية تتيح قراءات متعددة للظاهرة الإجرامية بصورة عامة والجريمة خلال مرحلة المراهقة بصورة خاصة. ويصب هذا النموذج في هذه الدراسة في: **جانب نظري** يتضمن مفهوم المرور إلى الفعل والكوكبة المفاهيمية التحليلية والاجرامية المتصلة به. أشكال الفعل التي تم اختيارها لتكون نموذج للدراسة (العنف، القتل، السرقة، الاعتداء الجنسي، الانتحار، الإدمان) مع الحرص على تقديم الديناميات الفاعلة بداخل كل نوع بالتحديد في مرحلة المراهقة. **وجانب تطبيقي** ينطوي على: منهجية عيادية تتجه بواسطة التحليل والاستقراء إلى الوقوف على واقع مزدوج (داخلي وخارجي)، وبالاستعانة بالمقابلة العيادية النصف موجهة واختبار الرورشاخ لتحقيق المزوجة بين هذين الواقعيين. مزوجة تسمح ببناء سياق المرور إلى الفعل في ظل رؤية مشتركة بين علم النفس التحليلي وعلم الاجرام؛ الغاية من ذلك التأكيد على ضرورة بناء برامج تكفل وتدخل تتماشى والخصوصية الفردية للمراهق.

الحمد لله

الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة والدراسات السابقة

1- إشكالية

2- فرضيات الدراسة

3- دوافع إجراء الدراسة

4- أهمية الدراسة

5- أهداف الدراسة

6- التحديد الإجرائي لمفاهيم الدراسة

7- الدراسات السابقة

7-1- المحور الأول: الدراسات التي تناولت متغير المرور إلى الفعل: أشكال من الفعل

بمقاربة نفسية-تحليلية-إجرامية

7-2- المحور الثاني: الدراسات التي تناولت الفعل المنحرف -خلال المراهقة-

وبعض المؤشرات النفسية الدالة عليه من خلال الورشاخ(العقلنة، الانشطار،

العلاقة بالموضوع، تنظيم الشخصية، العنف، العدوانية والمستقبل الإجرامي)

7-3- إفادة الدراسة الحالية من الدراسات السابقة

1- إشكالية الدراسة:

إن تناول الفعل المنحرف من خلال مرحلة المراهقة يشكل تحدياً كبيراً مقارنةً والزخم الدينامي للنمو الذي تشهده هذه الفترة من الحياة؛ باعتبارها مرحلة انتقالية بين الطفولة والرشد، وظهور النمو الجنسي كخاصية بارزة، بالإضافة إلى التداخل، التفاعل والتكامل بين مختلف مجالات النمو: النفسي، الاجتماعي، العقلي، الفسيولوجي... الخ؛ وحتمية استمرارية النمو.

الفعل أيضاً بتوجهه المنحرف، المرفوض اجتماعياً، المبهم. يسعى ومنذ بروزه في المشهد النفسي إلى البحث عن إجابة واضحة، مقنعة، باعتباره تجربة فردية؛ حتى وإن تشابهت السياقات التي يحدث من خلالها، تجربة فريدة من نوعها تعكس درجة عالية من الدهشة والغربة التي تشكل جوهره ومعناه، وحتى الشعور بالحزن في كثير من الأحيان حيث يترتب عنه معاناة شديدة تتكبدتها الضحية. هنا يغيب عن الفكر القدرة على ترميز هذه الأحجية، تمثيلها، وإعطاءها مسميات محددة.

هل تطرح هذه الإشكالية حول الفعل بسبب تداخل المجالات العلمية التي سعت إلى إيجاد تفسير لها؟ أم بسبب التصورات الاجتماعية التي زادت من درجة التوتر الداخلي عند مستوى الحكم العلمي والفكري الذي يصدر في حق المراهق المنحرف؟ كلا وأبداً لم يقف الإشكال عند هذا المنعرج. بل يقبع في مستوى نفسي أعمق يدور حول خصوصية التجربة الفردية للمراهق مع الفعل. حول طرفي معادلة (المراهق/الفعل) يتساوى كلاهما في درجة الغموض والغربة، حول النداء الكامن بينهما، النداء الذي لا يجد المراهق بديلاً عن الفعل لإخراجه إلى النور، للسؤال حول: ما الذي يحدث مع المراهق؟ للمراهق؟ وبداخل المراهق لإرصان وتأويل لحظة الفعل؟ تأويل يبتعد كلية عن الدوافع والأسباب، ويصب في مقارنة بنائية يتم فيها حسب Omari (2008) إدراك المراهق كفرد فاعل، قادر على البناء، الهدم، وإعادة بناء عالمه المعاش، فرد فاعل وقادر على التصرف وإبطال صيرورة الحتمية.

في سياق هذه الرؤية، وبالرغم من أن الدراسة الحالية دراسة كيفية ذات توجه عيادي، يكون المرور على مجالات علم النفس الإجرامي وعلم النفس الإجرامي التطوري ضرورة لا بد منها، ونافذة للتبصر بجوانب المقاربة البنائية للفعل، لتفسير تلك التجربة الفردية والفريدة للمراهق وبمصير الفعل مستقبلاً.

"منذ البداية كان الفعل". ومنذ هذه العبارة الفرويدية ظل الفعل يطرح نفسه على الممارسين، والباحثين عن فهم لمكانته في التوظيف النفسي للفرد، هل هو مجرد تفرغ؟ أم منتج نفسي؟ أم خلل في بعض العمليات النفسية (الارصان، العقلنة، الترميز)؟ هل يمكن أن يكون مرتبطاً بسياق مرضي؟ هل يمكن أن ينطوي ضمن سياق وجودي؟ تساؤلات يعكسها M.J. Griham (2013) عندما يصرح بأن

إكلينيكية الفعل غنية بالمفاهيم من مثل: التفعيل، الفعلنة، الرجوع إلى الفعل، عن طريق الفعل والمرور إلى الفعل (Chevalier, 2014).

بالنسبة لـ Lacan (1962-1963) مثلا الفعل هو عبارة عن تصرف إنساني سواء بإسناد الأمر إلى وضعية علائقية أو دينامية ذاتية، عندما يواجه الفرد حقيقته كموضوع في نظر الآخر؛ فإنه يتصرف وفق نمط اندفاعي، مشحون بقلق غير محتمل، عن طريق التقمص بالموضوع، إهماله أو التخلي عنه. يعبر الفعل هنا عن هروب خارج مشهد الهوام، وبالتالي يستوجب العبور من العالم الداخلي باتجاه العالم الخارجي وهو ما يكشف عن مرور مباشر للحركة النزوية بداخل الفعل. وفي موقف آخر وحسبه دائما يأخذ الفعل مكان خلل في عملية الترميز. خلل بمعنى الانفكاك الذي يدفع إلى إعطائه صفة الدينامية، انفكاك يرجع إلى اقتحام طاقة حرة مدمرة للتنظيم الموجود. يظهر المرور إلى الفعل في بعده السلوكي ك لحظة شائكة بالنسبة للفرد، لحظة من اللاتنظيم، ذات صعوبة بالغة، معرضا لشدة انفعالية يفقد فيها المرجعية الفردية المسببة وينعدم معها أي احتمال للعبة الهوام وبالنتيجة للرجبة.

يصور هذا الرأي واقع الحال في مرحلة المراهقة أين تصب تغيرات الاقتصادية الهوامية في محاولة القضاء على تهديد الصور الوالدية النابع عن مرحلة الطفولة؛ تغيرات أساسية لأجل عملية التفرد وإقامة العلاقة مع الموضوع، يكشف الفعل هنا عن التمتع اللاشعوري للمراهق، عن طرح خارجي للسينااريو الهوامي مقابل ما يمكن أن يقدمه الآخر من بدائل بإمكانها ضمان عملية التفرد وتوجيه رغبة المراهق وعلاقته بالموضوع؛ من خلال الفعل والاستجابة المتولدة عن الآخر يختبر المراهق احتمالات تعديل الهوام (DE Abreu E Silva, 2004).

أما ما يكون من الانتقال من النزوة إلى التصرف؛ بمعنى من السجل النزوي الذي تمتد جذوره في الجهاز النفسي إلى السجل السلوكي؛ فيعبر عن عملية تجاوز أو تعدي على المحرم أو الحدود دون إمكانية للتأجيل أو التقييد. يتبلور التصرف في هذه الحالة ويضبط نمط الحياة الحقيقي في سجل وحيد يتمثل في الفعل المنحرف. وبالتالي "عندما يوصف تصرف ما بأنه «مرور إلى الفعل» فهي إشارة مباشرة إلى نزوات وجدت مخرجا أو منفذا لها عن طريق نمط تعبير انتقائي من السجل السلوكي. يبحث الفرد بهذا التصير عن طريقة للتخلص من القيود النزوية المفروضة بهدف الإشباع الآني والفوري" (Benekila, 2016, p.42).

يتشكل مشروع الفعل المنحرف تدريجيا، ويفرض نفسه شيئا فشيئا كحل وحيد وحتمي، وتساهم الظروف العلائقية التاريخية منها والراهنة في منحه الصدارة والتعجيل بظهوره. "يتحمل الفعل دور الحفاظ على النرجسية، بحيث لا يمكن أن يتحقق التوازن الداخلي إلا عن طريق مواضيع خارجية ثابتة ومستقرة

حسب أنماط اتكالية، تملكية أو مثالية. يظهر هنا كالحظة مواجهة لاكتساح تصورات العالم الخارجي للفضاء الداخلي، فالأمر يتعلق بطرح خارجي، بتفريغ لكل ما لا يُستطاع ربطه واحتواءه بدون أي اعتبار للضحية التي تحدث من خلالها عملية التفريغ فالهدف من كل هذا هو الحفاظ على الوحدة النفسية" (Laplanche & Pontalis, 1967, p.23). بداخل هذه السيرورة تحتل العواطف والانفعالات المرتبطة بالموضوع قبل وأثناء الفعل؛ الموضوع الذي من المفروض أن يتم من خلاله التفريغ، تحتل مكانة ثانوية فاسحة المجال أمام صراعات مصيرية أخرى مرتبطة بتداعيات النمو على الفرد المراهق مواجهتها أولاً.

يشكل البلوغ أحد العمليات الحتمية التي تجتاح مرحلة المراهقة والتي يتعين على المراهق مواجهتها بصفة مستعجلة حيث يستحيل عليه وضعها في خانة الانتظار، نظراً لارتباطه - أي البلوغ - بسجل النمو الفسيولوجي بالدرجة الأولى وامتداد فروعه عبر سجلات النمو الأخرى بالدرجة الثانية؛ ولهذه الأسباب يرى Jeammet (1993) أنه يمكن النظر إليه من عدة زوايا: فهو استئثار مهددة للتنظيم النفسي للمراهق، وفي ذات الوقت عامل من عوامل جنسنة الروابط المتعلقة بالمواضيع الداخلية والخارجية وكذا أركان الجهاز النفسي؛ بحيث يفقد كل هؤلاء خصوصيتهم أمامها لصالح خاصية الاستئثار وعدوى المواضيع المشبعة (الصور الوالدية، الامومية، والمركبة) التي تغمر بجنسيتها المفرطة الأنا الأعلى، مثالية الأنا، وأيضاً أفراد الواقع الخارجي الذين يفقدون كذلك وظيفتهم المحتملة كوسائل. بإمكانها وبهذه المميزات أن تكون عاملاً لإعادة تنشيط الصراعات الطفولية، قلق الانفصال والخصاء، تشجع على النكوص وتعيد تنشيط التثبيتات السابقة. معها يصبح الكبت غير فعال كما أن الدعائم السابقة (الوالدية) لوظيفة صاد الإيثار تصير هي الأخرى مصدراً للاستئثار.

ويضيف (Jeammet, 2004) أن حلول البلوغ يجلب معه وعي مفاجئ بالذات ويجبر على إنهاء الموارد الشخصية في الوقت الذي يتميز فيه المراهق بالهشاشة بسبب حالة الاضطراب وبروز عنف الروابط الأولية. يعمل البلوغ أيضاً على إنعاش هذه الأخيرة، فالانفصال عن الجسم الطفولي وبالضرورة ظهور الجسم الجنسي يثير مسألة القرب/البعد مع الراشد؛ وعليه فإن جنسنة الجسم تعني جنسنة الأشخاص، وبالنتيجة جنسنة الروابط. على غرار هذا الواقع تضطرب عملية التقمص بالنماذج الراشدة بسبب مركبات داخلية غامضة وغير خاضعة للتحكم؛ وتكتسح إشكاليات التخلي والاقترام في العلاقة بالآخر المجال النفسي للمراهق الذي يتميز في الأصل بقواعد ذاتية هشة. هنا يمكننا التساؤل عن مدى مساهمة عملية البلوغ في تشكيل الفعل؟ عن طبيعة العلاقة التي تربط بينهما؟ عن مكانة الفعل بالنسبة لعملية البلوغ؟ هل يمكن أن يكون الفعل وبالخصائص التي يحملها أحد أشكال التمثيلات التي يتجسد من خلالها الصراع الداخلي المتولد عن البلوغ؟

ينشغل المراهق في هذه الحالة بعملية بحث مضني لإعادة تنظيم سجل الاستثمارات العلائقية والنرجسية؛ هذا العمل النفسي يؤدي على حد قول (Chabert, 1990) إلى تغيير جذري في العلاقات مع مواضيع العالم الخارجي، وفي الأنماط العلائقية مع المواضيع الداخلية. بمعنى عمل تمايز بين-نفسى ونفسى-داخلي. فيتولد نوع من التواطؤ بين المواضيع الخارجية ونظيرتها الداخلية يتواجه بصورة رئيسية مع إشكالية الحدود، وهو ما يحمل على القول بأن مرحلة المراهقة هي وضعية حدية، والسؤال الرئيسي الذي يواجهه المراهق في حالة كهذه يتلخص في: «كيف أتصرف مع جسم جديد، قدرات تناسلية؛ ورغبات جنسية ونزوات عدوانية؟ ماذا أفعل بكل هذا؟ بالمقابل؛ كيف أجعل الآخرين - العائلة والمجتمع - يقومون بإدماج هذا التغيير، والتعرف على فردانيتي؟» (Bedin, 2009).

وجاءت آراء Houssier (1998) للإجابة على التساؤلات المطروحة سابقا أين عمد إلى إبراز دور الفعل في مرحلة المراهقة، ووقف على أن بعض أشكاله المنحرفة قد تكون مسبقة بزيادة النشاط الهوامي، خاصة الهومات المتبلورة داخل أحلام اليقظة. هذه الحالة الممثلة لإشكالية المراهق تضعف حدود الأنا وقدرته على التفريق بين الفضاء الداخلي والفضاء الخارجي. تبرز وظيفة الفعل هنا عبر مرحلتين اثنتين: مرحلة بسط للهومات المتسلطة على الواقع؛ ومرحلة إعادة استدخال المحتويات الرمزية لفائدة التنظيم، ويظهر هذا بالأخص لدى المراهق الذي ينتظر ردود فعل اجتماعية (قانونية)، وانعكاسا لهذا الواقع المضطرب على المستوى الدينامي الداخلي، ولأن المعروف عن مرحلة المراهقة أنها فترة الميل نحو المخاطرة. فترة اختبار للحدود. لرغبة في التعدي؛ بإمكان الفعل أن يظهر بصورة مفاجئة ليؤكد دعمه لهذا الحال. قد يظهر على شكل تصرف معزول يكشف عن محاولة لتأكيد الهوية؛ لبلوغ الاستقلالية والفردانية؛ فيخلف لدى المراهق إحساسا بالوجود والمتعة؛ أو قد يأخذ منحرجا خطيرا يجد جذورا له في دينامية المراهق الذي يعاني أساسا من صعوبات نفسية علائقية.

دينامية داخلية حاول الباحثان (Lemitre & Coutanceau, 2006) الكشف عنها من خلال جملة الخصائص المميزة للمراهق المنحرف والمرتبطة مباشرة بتغيرات عملية النمو. لخص الباحثان هذه الخصائص في: غياب النضج النفسي العاطفي. سوء معالجة العدوانية. وجود قلق مرتبط بتمثيل الجسم؛ هذا الأخير يكون قليل التنظيم ويشهد على هشاشة الأغلفة النفسية التي تضمن وظيفة الاحتواء وصاد الايثار. نمط علائقي سلبي-اعتمادى يدور حول مسألة التخلي-الاقتحام. بالمقابل يمكن القول أنّ هذه الخصائص عندما أصبحت موجودة شكلت الوجه الآخر للفعل، حتى وإن اختار الباحثان الفعل الجنسي كأحد الأشكال الممثلة لتلك التركيبة الداخلية، ونضيف عليها أن العديد من الدراسات والبحوث التي أجريت حول الاعتداء الجنسي وعن أشكال أخرى من الفعل لدى المراهق (الانتحار، الإدمان، القتل،

وفي هذا تعددت الأدوات الاسقاطية التي سلطت الضوء على مجموعة كبيرة من المتغيرات الخاصة بالفعل المنحرف. ففسرت أسبابه، ووقفت على تركيبه الداخلية للقائم به. أو سمحت بالكشف عن احتمالات التغيير المتاحة بعد ارتكابه، وبصورة عامة كان لها خاصية بلوغ عمق ومعنى محددات التركيب النفسي الداخلي للفرد على جميع المستويات الدينامية والاقتصادية وبدقة وفعالية عند تبنيها في المجالات الإكلينيكية أو البحثية، واندمجت مع فروع علم النفس لتعطي علم النفس الاسقاطي، الذي ساهم استخدامه في مجالات علم النفس الإكلينيكي الإجرامي وعلم النفس التحليلي الإجرامي، وعلم النفس الشرعي في الوقوف على الكثير من المعالم التفسيرية للفعل الإجرامي.

وأيدت Matha (2018) رأي المدرسة الباريسية حول أهمية تمرير التقنيات الاسقاطية وعلى رأسها الرورشاخ في الوضعيات التي تدور حول استخدام الجسد والعدوانية الموجهة نحو الذات، يكون التوجه الأولي في هذه الحالة نحو الجسد بالرجوع إلى وظيفتنا الاحتواء (الغلاف) والسند في خدمة الترميز والاستهامية وعلاقتها بإشكالية الحدود ومعالجة الاستثارة. من بين المؤشرات المعتمدة في إبراز ذلك المعيار الشكلي (F) الذي يعكس عادات الشخص في تحديد الداخل والخارج، كما يشهد الإطار الإدراكي على علاقة الفرد بمواضيعه (G و D بسيطة، أو منظمة). بالإضافة إلى الاستجابات الجلدية و/أو من النوع حاجز/اختراق.

ووقفت Calagar (1981) على ارتفاع ملحوظ في الاستجابات الجزئية بأنواعها (D, Dbl, Do)، الاستجابات من النوع CF و C% مرفوقة باستجابات من النوع choc-clob؛ كانت هذه من بين المؤشرات الدالة على وجود مجموعة من الخصائص لدى المراهقين المدمنين من بينها: معاش علائقي عنيف ومضطهد ينتمي إلى سجل اللاتمايز، اندفاعية وصعوبة في السيطرة على النزوات العدوانية الشديدة الموجهة نحو الذات. حيث نستطيع ملاحظة وجود التشابه في الديناميات الفاعلة مع نوعا الفعل: الإدمان والانتحار.

وعند الحديث عن الشذوذ وإشكالية الرجوع إلى الفعل تبرز أهمية الرورشاخ في الكشف عن وجود خلل بنيوي يستعين به المعتدي جنسيا لترميم النرجسية؛ خلل يظهر في تمثيلات النرجسية والاقتصادية العلائقية، وأيضا في استخدام الدفاعات في مواجهة القلق البدائي، وهو الأمر الذي أكدته كل من Habji و Loubeyre 2010 بعد دراسة المعتدي البيدوفيلي الذي تميزت استجاباته في بروتوكول الرورشاخ بوجود تعبيرات تقوم على خبرات ذاتية. التركيز على التناظر كدعامة دفاعية من النوع النرجسي، مثلثة أو احتقار للذات في استجابات ذات محتوى إنساني، حيواني أو أشياء، ازدواج الاستجابات بهدف خلق التشابه وإنكار الاختلاف، الموت النزوي (Roustant, 2017).

بمقابل تدافع كل هذه الآراء والتوجهات التي تؤكد من جهة على الانتماء الصريح للفعل خلال المراهقة إلى مجال الإجرام والعنف بالاستناد إلى محددات نفسية راسخة في الشخصية، أو لإحدى التنظيمات المرضية التي لا يستطيع أي باحث مختص تجنبها، والاتجاهات التي أيدت تأثير العوامل البلوغية وسلسلة التغيرات الجنسية، العلائقية والفردانية في الفعل. اخترنا ألا نخوض في هذا الصراع؛ لا على المستوى التصنيفي، ولا على المستوى السببي الحتمي. بل تركيزنا كان عند مستوى تكاملي يعطي الأهمية والمكانة ذاتها لكل مركب من المركبات المتفاعلة والمتدافعة والناجمة التي واكبت مسار الفعل عند المراهق المنحرف باستخدام اختبار الرورشاخ، ويمكن أن نستعير المعنى من رأي Bion (1962) القائل: "أن هذا التحقيق هو عبارة عن منتج تشكل بفعل الانتقاء والربط غير المقصود لعوامل مستوحاة من التجارب الشخصية" (p.25)، وما نسعى إليه هو عبارة عن تمثيل أو بناء حول سياقات - أو سياق - المرور إلى الفعل عند المراهق المنحرف داخل فضاء تحليلي إسقاطي؛ نتحدث عن سياقات كوننا نتناول أشكال متعددة من الفعل (الانتحار، الإدمان، القتل، الفعل الجنسي، السرقة)، ودورنا في هذه الحالة هو ملاحظة تطور وتشكل هذا الموضوع داخل ذلك الفضاء؛ وعلى أساس هذه الرؤية تم صياغة التساؤل الرئيسي التالي:

- مما تتشكل سياقات المرور إلى الفعل من خلال اختبار الرورشاخ عند المراهق الجانح؟

وبليه:

- هل هناك سياقات متعددة بتعدد أشكال الفعل المنحرف عند المراهق؟ أم هو سياق موحد ممثل لوحدة المرور إلى الفعل في مرحلة المراهقة؟ وفيما تكمن خصوصية هذا السياق عند ارتباطه بمرحلة المراهقة؟ هل هناك اختلاف في سياق المرور إلى الفعل حسب اتجاه الفعل (نحو الذات، نحو الآخر)؟ وبما أن الرورشاخ يسمح بتقصي الدينامية النفسية الداخلية عن طريق آلية الإسقاط، فهل تسمح ذات الآلية بالكشف عن السياق أو بعض محتوياته؟

2- فرضيات الدراسة

- الفرضية العامة:

انطلاقاً من وجهة النظر السابقة يمكن صياغة الفرضية العامة كالآتي:

- تتشكل سياقات - أو سياق - المرور إلى الفعل عند المراهق الجانح من خلال ثلاث مستويات متداخلة، متفاعلة ومتكاملة تتمثل في: مستوى القلق المرتبط بالموضوع، مستوى الحدود (الداخل/الخارج)، مستوى العدوانية واتجاهها (نحو الذات/نحو الآخر).

- الفرضيات الجزئية:

1. يظهر القلق عند تواجد المراهق في وضعية مواجهة مع الموضوع الإجرامي (الضحية/ الجسم/ الممتلكات) وهو ما يعيد إحياء أشكال القلق الذي تم استدخالها في مراحل النمو المبكرة. بما أن العلاقة بالموضوع الإجرامي تتشكل من خلال أنماط العلاقة بالمواضيع الأولية فإنه من المحتمل أن نجد بعض خصائص هذا الموضوع من خلال الرورشاخ أو نستدل عليها من بعض مؤشرات المواضيع الأولية (الصور الوالدية). نستعين كذلك عند هذا المستوى بمعطيات المقابلة وتحليلها.
2. تظهر إشكالية على مستوى الحدود النفسية الداخل/الخارج لدى المراهق الجانح. تبرز إشكالية الحدود بنوعيتها، بطبيعتها المسامية والوظيفة التي تؤديها. يمكن لها كذلك أن تتأثر بمتغيرات عملية البلوغ التي تشهدها المراهقة.
3. تتحرر العدوانية كنتيجة للدينامية السابقة (القلق وإشكالية الحدود) وتتخذ اتجاهها إما نحو الذات (الإدمان والانتحار) أو نحو الآخر (الفعل الجنسي، القتل والسرقة).

3- دوافع إجراء الدراسة:

إن الاهتمام الموجه لهذا الموضوع تولد لدينا عن تجربة شخصية مع المراهقين المنحرفين، أولاً كأخصائية نفسانية ممارسة بمركز إعادة التربية، ثم في إطار بحث رسالة الماجستير، فتطور هذا الاهتمام من وجهة نظر تطبيقية إلى ميل فكري للبحث والتقصي. منذ بداية هذا المسار كأخصائية نفسانية ممارسة كانت العلاقة مع المراهقين المنحرفين على درجة من التعقد والإثارة، كما أن المبادلات الانفعالية كانت متضاربة بين مشاعر الخوف، الصدمة، الدهشة، الغرابة، الرعب والتعاطف؛ بمقابل طبيعة الأفعال المرتكبة، التاريخ الفردي المشحون بالصراعات والصدمات العنيفة والمتكررة، ومع مرور الوقت تولد لدينا شغف كبير للغوص في مجال علم النفس الإجرامي وبالتحديد الانحراف لدى المراهق.

- بعيداً عن طبيعة الفعل المرتكب (القتل، السرقة، العنف، الاعتداء الجنسي) فإن العمل مع المراهق سواء في سياق بحثي أو سياق عيادي تكفي بشكل في حد ذاته تحدياً نظراً للتناقضات التي تحملها هذه المرحلة من النمو والتي تتطلب من القائم بالعمل تحديد وتقديم الخدمة اللازمة والكافية والمؤهلة بدقة كبيرة لمساعدة المراهق على التفريغ، الاستيعاب، الاحتواء، الفهم. مساعدة يصب أغلب مجهودها في عملية إعادة الإنعاش للاستثمارات النفسية أو إعادة الإدماج الاجتماعي؛ وهو الأمر الذي افتقرنا إليه في بداية

الممارسة بسبب قلة الخبرة وشكل دافعا قويا للاستمرار في البحث حول هذه الفترة الحياتية المثيرة وارتباطها بالفعل المنحرف.

- طبيعة الآليات (القانونية، الإدارية، البيداغوجية، الصحية) التي يتم التعامل بها مع المراهق بالأخص في اللحظات الأولى التي ينكشف فيها الفعل (لحظات التحقيق، الوضع الأولي، الاستشفاء)؛ تعتبر هذه الأخيرة معاشا صدميا يلحق بالتاريخ الصدمي (لحظة مواجهة حقيقة الفعل، التصورات الاجتماعية التي تحيط به بالأخص التصورات العائلية، الانفصال عن المحيط الطبيعي)، بالإضافة إلى الظهور المفاجئ للفعل أو كونه أول جنحة مرتكبة، يحتاج حينها المراهق إلى عمل عزو قوي حتى لا يفقد توازنه النفسي ويتمكن من تجاوز هاجس الوصم الاجتماعي فلا تشكل هذه الإجراءات بالنسبة له أول منفذ باتجاه مستقبل إجرامي حافل.

- التنامي السريع لظاهرة انحراف المراهق في المجتمع المحلي وتعدد أسبابها (الأرقام الصادرة عن مديرية الأمن الوطني DGSN لسنة 2017 تشير إلى وجود حوالي 2.018 طفل متورط في المخالفات، وكانت الإحصائيات من قبل أي ما بين سنوات 2001-2002 أكدت أن الفئة الأكثر تورطا هي ما بين 16-18 سنة بنسبة 58% منهم 97% ذكور. أما مصالح الدرك الوطني فقد كشفت عن تزايد ملحوظ في نسب الإجرام لدى الأحداث ما بين سنوات 2011-2015 قدرته بـ 30%. ومن جهتها وزارة العدل الممثلة بالمديرية العامة لإدارة السجون ومراكز الإصلاح وإعادة التربية ذكرت أن الفئة العمرية الممتدة ما بين 16-18 سنة تحتل ما نسبته 58% من مجتمع الأحداث المنحرفين، وتأتي الفئة ما بين 13-16 سنة في المرتبة الثانية بنسبة 32.17%، بينما تمثل الفئة الأقل من 13 سنة ما نسبته 9.6% منهم 10/1 منحرف تنحصر هذه الإحصائيات ما بين سنتي 2010 و2016. كما اتفقت كل هذه الجهات على أن أكثر جرائم الأحداث انتشارا هي جريمة السرقة 44%، الاعتداء المخل بالحياء 26%، ثم الضرب والجرح العمدي ويليه القتل بأنواعه (ساسي، 2017) الجدير بالذكر أن هذه الأرقام تبقى تقريبية ولا تعكس الواقع الحقيقي للظاهرة). مقابل نقص الكفاءات المؤهلة للتعامل والتكفل بهذه الفئة ونقص الجوانب الإجرائية لبرامج إعادة التربية، التأهيل أو العلاج، وغياب الرؤية المستقبلية التنفيذية لما بعد استكمال الأحكام القانونية المقررة اتجاه الفعل.

4- أهمية الدراسة:

تناول مفهوم الفعل عند المراهق من خلال هذه الدراسة يتجاوز مجرد وصف بسيط للتصرف الإنساني الذي يأخذ صبغة غريبة ومنحرفة؛ ينتشر مدلول الفعل عبر العديد من المجالات الحياتية وتشير

الإحصائيات إلى التنامي المستمر لظاهرة انحراف الأطفال والمراهقين وتنوع الأفعال التي تنسب إليهم؛ بمقابل تطور سبل الضبط التي تقدمها المؤسسات القانونية والاجتماعية، حتمية سببية تدفع إلى التساؤل حول مدى الموازنة بين طرفي هذه المعادلة التي سعى ويسعى الكثيرون للبحث عن آليات التفسير، الفهم، التدخل، التي تخلق حالة التوازن (Homéostasie) ولو بدرجة نسبية وربما يكون للدراسة الحالية بصمة في تبلور هذه الحالة من خلال السعي إلى تفسير الفعل بصورة متكاملة.

نظرا لتعدد الدراسات النفسية والتحليلية على وجه الخصوص حول حقيقة الفعل، الدوافع والأسباب المؤدية إليه، طبيعته وأشكاله، السيرورات النفسية الكامنة التي تشكل من خلالها، المعايير التصنيفية التي يجد القائم بالفعل مكانة ضمنها، تاريخية الفرد وخصوصيته في اختيار نوع من أنواع الفعل، المستقبل الفردي في ظل إشكالية التخلي أو العود وأسبابهما، آليات التكفل وتسيير الاقتصاد النفسية بعد الفعل، رهانات إعادة الإدماج، كل هذا سمح بالوقوف على نوع من القطيعة في تناول الفعل؛ قطيعة تعكس حالة الصراع والتجزئة في تناول دينامية واقتصادية الفعل بحيث يمثل كل واحد مهتم بهذا النوع من الفعل الإجرامي بصمة جزئية خاصة. ومع التأكيد على أن الكثيرين قد تناولوا مفهوم السياق في إشارة منهم إلى أهميته عند دراسة الفعل، إلا أن الوقوف على طبيعة وتركيبه السياق تكاد تكون غائبة، الأمر الذي يقود إلى الغاية التي مفادها محاولة تجاوز وضعية القطيعة التي زادت من حالة القصور في دراسة الفعل وانعكس الأمر على فعالية آليات التدخل والتكفل. تمثيل سياق الفعل بصورة تدرجية متتابعة ومتفاعلة قد تكون من بين الأطروحات التي تساعد من جهة المراهق المنحرف على الانفصال عن الاستثمارات السابقة لأجل استثمار الحاضر والمستقبل وأيضا لإيجاد مكانة ضمن النظام العلائقي العام الذي يعيش فيه.

5- أهداف الدراسة:

ارتبطت أهداف الدراسة ارتباطا وثيقا بدوافعها فكل ما سبق ذكره يصب في إشكالية تغييب دور المختص النفسي، هذا الأخير الذي يقبع تحت تأثير الآليات القانونية للمؤسسات العقابية أو الاستشفائية أو مراكز إعادة التربية، مدة الوضع بالنسبة للمراهق، أخلاقيات المهنة. بالإضافة إلى ضرورة أن يكون المختص النفسي متسلحا بأدوات عيادية دقيقة تكشف له عن مكن الخلل في شخصية المراهق وبالتالي تحقيق التكفل الأمثل به. نظرا لهذا الواقع الذي شكل لنا عقبة صادفتنا أثناء مسيرة البحث (عدم وجود أخصائي نفسي بالمؤسسة، حتى وإن وجد فهو يفتقر إلى مكتب مخصص لإجراء الفحص، شح معطيات المتابعة النفسية والنفسمرضية للحالات، انعدام تقارير الخبرة النفسية) فقد تمثلت أهداف الدراسة في:

- أول هدف عام ذو طبيعة علمية يتمثل في السعي للإجابة على سؤال البحث ألا وهو: مما تتشكل سياقات المرور إلى الفعل من خلال اختبار الرورشاخ عند المراهق المنحرف؟
- الاختيار يركز على المتغيرات السيكودينامية للفعل، مع محاولة الوقوف على خصوصيته في مرحلة المراهقة لإرسان فهم عميق له، الكشف عن هذه المتغيرات يسمح بملاحظة بعض الاختلافات المرتبطة ارتباط وثيق بهذه المرحلة، بالإضافة؛ فإن الوقوف على تلك المتغيرات الكامنة واتجاه الفعل يهدف إلى توضيح الرؤية وتقديم نظرة أكثر دقة وتفصيل عن الفعل.
- محاولة طرح فهم جيد لمجموعة البحث المتمثلة في المراهق المنحرف في الوسط المحلي. وهل هناك خصوصية معينة؟ (خصوصية متعلقة بطبيعة متغيرات النمو وكذا بطبيعة الفعل المرتكب أو حتى بالعلاقة بموضوع الفعل).
- مساعدة القائمين بصورة مباشرة على المراهق بتقديم فهم حول الجوانب النفسية (التاريخ النفسي، الاضطرابات إن وجدت، مميزات الشخصية...)، حتى يتسنى لهم التعامل معها بطريقة ناجعة. هذا الهدف
- لم يكن ليتحقق لولا ظروف البحث التي تم التطرق إليها سابقا.
- بالرغم من أن البحث هو عبارة عن دراسة عيادية إلا أن هذا لم يمنع من السعي إلى طرح وجهة نظر تكاملية بين علم النفس، على نفس النمو وعلم الإجمام في تناول إشكالية المراهق المنحرف. وهي في نظرنا أهم الأولويات بالنسبة للمختص النفسي أثناء تدخله، وكذلك بالنسبة لاحتياجات ومتطلبات المراهق خلال مرحلة التصريح بالفعل.
- السعي لتقديم طرح نظري حول مفهوم المرور إلى الفعل بصورة عامة والمرور إلى الفعل لدى المراهق بصورة خاصة؛ من خلال تناول التداخلات المفاهيمية المرتبطة به والتوجهات النظرية التي غطت كل جوانبه. خصوصا وأن البحث تناول أشكال متعددة من الفعل.
- لماذا السياق على وجه التحديد؟ العديد من الدراسات التي اهتمت بالمراهق المنحرف تناولت جانب وصفي للظاهرة من خلال البحث عن سمات الشخصية، بعض الخصائص النفسية المرضية، الاجتماعية، أو وصف الفعل والبحث عن أسبابه... الخ. في البداية كان السياق بالنسبة لنا هو الظروف التي تطور فيها الفعل لكن مع مرور الأيام والغوص أكثر في ثنايا البحث اتضح لنا أن السياق ذو أهمية كبيرة في توثيق حقيقة الفعل بشكل أفضل، ومن الممكن أن يتيح فهم السياق الذي ارتكب فيه المراهق جريمته تمييزا لواقع التداخلات النفسية، العقلية، والاجتماعية. والكشف عن الخصائص المشتركة للسياقات

المنحرفة لدى المراهق، يسمح بالأخذ بعين الاعتبار أن الأحداث المنحرفة (العدوانية والعنيفة) قد تكون مرتبطة ببعضها البعض مسبقاً. هذه الهرمية تنتج عن مختلف أشكال الجريمة المرتكبة والطبيعة العلائقية مع الضحية ويمكن استخدامها في إعداد برامج الوقاية والتدخل الخاصة بإشكالية الانحراف في مرحلة المراهقة.

6- تحديد مفاهيم الدراسة:

تحديد المفاهيم التي قامت عليها الدراسة يأتي على نحو مختصر بالنسبة لمفهوم المرور إلى الفعل على اعتبار انه سيأخذ نصيب لا بأس به في التناول اللاحق، بحيث تم تخصيص فصل نظري يحوي تحديد هذا المفهوم بدقة وبتوسع إلى الدرجة التي يشمل معها بعض المفاهيم الثانوية الفرعية مثل الانحراف. كما وارتأينا أن يكون مفهوم المراهق مدمجاً في الفصول النظرية حتى يكون هناك إلمام أكثر بجميع الجوانب التي تعكس مفهوم المراهق بالصيغة التي نريدها في البحث بعيداً عن الكلاسيكيات المنهجية التي قد تختصر المعنى المراد، ثم إن المعايير التي تم على إثرها تحديد واختيار أفراد مجموعة البحث كافية بان تحصر لنا المفهوم الإجرائي للمراهق المنحرف الذي نسعى لإخضاعه للدراسة، أما مفهوم السياق فقد أخذ في هذا الجانب نصيبه من الطرح سواء من الناحية اللغوية التي يشتق منها، أو من الناحية الاصطلاحية.

6-1- الفاعل والمرور إلى الفعل:

يشير المرور إلى الفعل إلى تلك المحاولة التي يقوم بها الفرد للخروج من انسداد علائقي استجابة لمنطق داخلي. تتيح هذه المحاولة التحرر المؤقت من وضعية الانسداد؛ ومن الشعور بالقلق على حساب الآخر (Millaud, 1998)، إذن كنتيجة لاقتصادية مستعجلة هدفها الأساسي هو التفريغ النزوي (Balier, 2005)؛ حيث يكون القلق شديد الاجتياح، والصراع النفسي غير محتمل. في هذه اللحظة لا يستطيع الفرد التحكم في الشدة الزائدة ولا يجد بديلاً عن ذلك سوى بالمرور إلى الفعل (Millaud, 2009). في الواقع؛ يجد المراهق المنحرف صعوبة في التعرف على التمثيلات الداخلية، لدرجة استحالة التحكم بها؛ فيكون بحاجة إلى شخص آخر ليتمكن من احتوائها، وبهدف تحقيق الإشباع يصبح العدوان محاولة للسيطرة خارجياً على المعاش الداخلي (Jeammets, 2006). يمكن للمرور إلى الفعل أن يظهر حسب اتجاه التفريغ النزوي تحت شكلين أو نمطين مختلفين: نحو الذات (عدوانية ذاتية) حيث يريد الفرد عن طريق الفعل تدمير ذاته ويشمل هذا النوع العديد من الأشكال لكن الأهم فيها يبقى: إيذاء الذات، المرور إلى الفعل الانتحاري بما في ذلك المحاولة الانتحارية (Rebert et al, 2015)، والمرور إلى الفعل نحو الخارج أو نحو

الأخر وعادة ما يرتبط بأفعال عدوانية أو عنيفة مثل: القتل، الاعتداء الجنسي، السرقة. هنا نقول: أن كل فعل يجد المراهق نفسه أمام حتمية انجازه، ويقصد بالحتمية كل ما من شأنه أن يدفع بطريقة متسلسلة ومتتابعة نحو الفعل المنحرف سواء أكان ذلك متغيرات نفسية كامنة (كالقلق، تاريخ علائقي)، أو محددات موقفية (كالضحية، الظروف الخارجية التي يحدث فيها) أو كلاهما معا.

6-2- السياق:

بما أن الهدف الأساسي للدراسة هو فهم سياق الفعل المنحرف في المجال النفسي؛ وأن هذا النوع من الفعل يشار إليه (من طرف القائمين على المراكز التي تستقبل المراهق) كفعل إجرامي خاضع لحتمية قانونية بالدرجة الأولى، وبعد المرور بالدلالة اللغوية والتوجه الاصطلاحي. فانه من المناسب استخدام هذه الرؤية لفهم سياق الفعل المنحرف. لا يركز هذا التوجه على الجانب المرضي، وإنما سوف يتم البحث عن معطيات نفسية (اقتصادية ودينامية) تجعل من الممكن بناء معنى متكامل حوله.

من الناحية اللغوية: كلمة سياق: اسم، الجمع: سياقات، وسباق فاعل من ساق والجمع سياقات. وسباق الكلام مجراه وسرده سياق فكره، والمصدر ساق: بمعنى تعاقب سلسلة من الظواهرات في وحدة نظام، كتعاقب الظواهرات الفسيولوجية والسيكولوجية. أما في العلوم اللغوية فكلمة سياق تعني ظروف يقع فيها الحدث أو سياق فهم الكلام، ويقال: شرح المتهم للقاضي السياق الذي ارتكب فيه جريمته. وساق الحديث إليه: وجهه، وساقه إلى الهلاك/للهلك دفعه إليه (أحمد وآخرون، 2008، ص. 1137-1139).

وجاء كذلك أن: سياق من المصدر ساق، ساق السيارة، قادها وأجراها ووجهها نحو الوجهة التي يريدتها، وقيل انسأقت وتساوقت إذ تتابعت، والمساوق: المتابعة كأن بعضها يسوق بعض.

والسياق في اللغة من تسوق، واصله سواق فأقْلِبْتُ الواو ياء لكسرة السين، قال ابن فارس: السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حذو الشيء يقال: ساقه، سوقه، سواقًا (بن فارس، 1979، ص. 117).

في اللغة الانجليزية (The Oxford Thesaurus) كلمة Context اسم مرادف ل: الإطار، البيئة، الحالة، ظرف (وظروف)، أجواء، محيط، خلفية، غالباً ما يكون من الصعب فهم شيء تم أخذه من سياقه.

وتعني كذلك الظروف التي تشكل الإعداد لحدث أو بيان فكرة بحيث يمكن فهمها بشكل كامل، in context بمعنى أجزاء من شيء مكتوب أو منطوق يسبق مباشرة أو يتبع كلمة أو مقطع ويوضح معناه، out of context خارج السياق بمعنى الظروف المحيطة.

وكلمة سياق باللغة اللاتينية هي contexte، تتكون من مقطعين cont وtext أي مع النسيج (حسام الدين، 2001، ص. 251)، و contextus: سياق، ويعني المحيط المادي أو وضعية يأخذ الحدث معناه من

خلالها. يتكون السياق من مجموعة من الظروف (مثل الزمن والمكان) التي تساعد في فهم الرسالة. <http://www.les.définitions.fr/contexte>.

ويُفرق R.De Beaugrande بين مصطلحين context ويتضمن الدلالات الخارجية وإنتاج النصوص واستقبالها، وCo-text ويتضمن مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية ونحوية ودلالات داخلية وأصوات (الطلحي، 1993، ص.40).

ولعل ملاحظة المعنى اللغوي دفع إلى اعتبار السياق ما يكون في آخر الكلام من قرائن، ويقابله السباق؛ وهو ما يكون في أول الكلام من قرائن وللسياق ألفاظ مرادفة تؤدي معناه: كألفاظ المقام ومقتضى الحل والقرينة.

أما من الناحية الاصطلاحية فيرى الطلحي (1993) بأن السياق ليس مفهوماً موحداً بحيث يتفق عليه اللغويين والمفسرين والبلاغيين والأصوليين إلا أنه يستعمل استعمالاً سياقية مختلفة وقابلة للفهم. إذ يستخدم البلاغيون مفهومي: الحال والمقام للدلالة على سياق الموقف، فقد عدّ هؤلاء فكري المقام والمقال أساسيتين متميزتين من أسس تحليل المعنى، وعند الأصوليين مفهوماً: صيغة ومعنى، ويشمل عنصري المقام والمقال، أمام المفسرون فقد جعلوا من السياق وسيلة من وسائل الكشف عن المعنى.

ويؤكد تمام 1993 أن المقصود بالسياق: التوالي، التتابع والإيراد ويجب أن ينظر إليه من ناحيتين أولهما: توالي العناصر التي تحقق التركيب والسُّبُك والسياق؛ وهو من هذه الزاوية يسمى بِنَسْقِ النص، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى بسياق الموقف (تمام، 1993، ص.375).

كما تتطلب دراسة معاني الكلمات تحليلاً للسياقات التي ترد فيها، وعلى هذا الأساس قسم K.Amner السياق إلى 4 شعب أو أقسام: وهي السياق اللغوي ويقصد به مجموع استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، في تساوقها مع كلمات أخرى وهو ما يعطيها معنى محدد وخاص، ذو سمات غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم (Linguistic context).

السياق العاطفي Emotionnel context ومن خلاله تتحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالاتها العاطفية، بين العموم والخصوص، فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال. سياق الموقف: situationnel context يدل هذا السياق على العلاقات الزمنية والمكانية التي يجري فيها الكلام. وفي الأخير السياق الثقافي Cultural context يتداخل هذا السياق ضمن معطيات الموقف والمقام ويظهر عند استعمال كلمات معينة في مستوى محدد (نصر الله، 2012).

ومن جهته أولمان (1986) أكد أن السياق يمثل حجر الأساس في علم المعنى. ومنه طرح نظرية السياق التي تمكن من فهم الكلمات انطلاقاً من الوضوح الذي يتجلى من السياق الحقيقي الذي استمدت منه سواء أكان ذلك السياق لفظي أم غير لفظي، وعليه ينبغي ألا يشمل السياق الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب؛ بل والقطعة كلها والكتاب كله (ص. 66-67).

اتفقت التعاريف في تناولها لمفهوم السياق من الناحية اللغوية على معاني ودلالات متقاربة قامت على توصيف مدلول السياق في المجالات اللغوية، النحوية، البلاغية؛ ودور هذا المدلول في إبراز معنى الكلمة داخل بيئتها اللغوية (جملة أو مقطع) اللفظية أو غير اللفظية، وفي ذلك ذكر لمجرى الكلام، وحدوده، وفكره، وسرده وتوجيهه. وأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال وتحت أي ظرف بلوغ هذا الهدف في غياب السياق الذي يعتبر الضابط الدلالي والرابط الأساسي بين الكلمة ومعناها.

غير أنه بالإمكان أن نستوحي من هذه التعاريف بعض النقاط الأساسية التي تأتي على سبيل الاقتران بين مفهوم السياق واسقاطاته على مجال البحث. بحيث تشكل حلقة وصل لتحديد مفهوم السياق مع الفعل المنحرف. تتمثل هذه النقاط في:

1. يتميز السياق بخاصية القدرة على التوجيه، أو الدفع نحو. أي دفع المعنى نحو الواجهة التي يرادها. هي خاصية حتمية. ومنه يشتق من السياق كلمة المُساوِقة بمعنى المتابعة كأن بعضها يسوق بعض. كما تدل هذه الخاصية على الجانب الدينامي في السياق بحيث يدفع جزء داخل السياق أجزاء أخرى والعكس صحيح؛ ويعطيه كذلك أحقية ترجيح المعنى.

2. يقوم السياق على مدلولين، كامن وظاهر؛ متكاملين ومتراپطين يشمل الأول (Co-text) مكونات ودلالات داخلية تحقق التركيب والسبك والسياق، ويتضمن الثاني (Context) الدلالات والأحداث الخارجية التي ترافق السياق؛ ومنه كان in context إشارة إلى وجود جوانب داخلية سابقة مهدة و out of context بمعنى خارج السياق وما يحيط به، وقد أحسن العرب في البلاغة عندما استخدموا مصطلحي الحال والمقام، أو الصيغة والمعنى للتعبير عن المدلولين السابقين.

3. ينقسم السياق إلى مراحل: أولى وأخيرة، يقوم هذا التقسيم على القرائن فينبثق منها معنى السباق والسياق.

4. يخضع السياق لمبدأ التتابع، التعاقب، التوالي أو الإيراد، فكان التساوق أي تتابع العناصر والأحداث وتواليها مع بعضها البعض، وهو ما يعطيها معنى خاص ومحدد، ذو سمات غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم؛ أي أنه حتى مع التشابه في السياقات إلا أن هذه الخاصية تجعل من السياق نموذج فريد لا مثيل له، ونظراً لهذا المبدأ فإنه من الصعب فهم شيء تم أخذه من سياقه وهو ما جاء به

معنى

cont

و text

أي مع النسيج. فالسياق عبارة عن نسيج أو نظام متكامل ومتعاقب عن الأحداث والوقائع والخصائص الداخلية والخارجية التي تحدد معناه وتحققه.

5. يمكن تمثيل السياق انطلاقاً من ظرفي الزمان والمكان. ولهذا فهو يتضمن من بين ما يتضمنه المعنى المرادف ل: البيئة، المحيط، الطرف، الإطار، الأجواء. بالإضافة إلى أن مصطلح contextus يعني المحيط المادي أو الوضعية التي يأخذ الحدث معناه من خلالها، ويتطلب فهم المعنى الذي يخفيه تحليل السياقات التي ورد فيها، كما يدل سياق الموقف situationnel context على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها.

6. السياق وسيلة من وسائل الكشف عن المعنى، فيترتب لأجل ذلك القيام بعملية التحليل أو التأويل. عملية يجب أن يشكل كل قسم من أقسام السياق العاطفية والموقفية طرفاً أساسياً فيها. ينبغي أن يرتكز الفهم على الهدف من استعمال الأجزاء وتتابعها، وعلى قوة ودرجة الانفعال الذي يتولد فيها ومن خلالها. لا يوجد من الناحية الاصطلاحية طرح واضح وموحد لمفهوم السياق، وبالتالي بات من الضروري تناوله ضمناً وطروحات متعددة ومتشعبة، يمكن من خلالها بلورة هذا المفهوم بالصيغة التي تتماشى والدراسة الحالية.

في البداية إذا نظرنا إلى السياق كإطار مرجعي حاوي لتفاعلات الفرد ومفسراً لها في ذات الوقت، فإن هذا المعنى يجد إسناداً له في التوجهات الاجتماعية التي أكدت على دور السياق (داخلياً وخارجياً) الذي تحدث فيه الظواهر الاجتماعية في تحديد وتفسير معناها. وإعطائها مكانة في سجل السلوك الإنساني باعتباره فرداً أو في تفاعله مع الآخر.

يرى Raynaud أنه يمكن تصنيف مفهوم السياق إلى نوعين: السياق في موقف توضيحي مباشر أو غير مباشر؛ والسياق في موقف مرجعي. بالنسبة للنوع الأول المباشر يكون الفرد فاعلاً وينجر عن هذا الدور علاقة محددة. أما في الحالة غير المباشرة فيشغل الفرد دوراً إضافياً من خلال إعطائه الأهمية للسياق مقارنة ومتغيرات الموقف فتصير الوضعية علاقة شرطية.

في الحالة الثانية يصبح السياق مرجعياً، وبالإمكان وصف بعض الخصائص أو الظروف الخارجية دون ذكر تأثيرها في الموقف، العلاقة في هذه الحالة هي علاقة استمرارية (Raynaud, 2006, p.13).

مفهوم السياق في هذا الطرح هو مفهوم اجتماعي يُعنى بالتفاعلات بين الفرد والآخرين وعلى إثره تتحدد طبيعة العلاقة والأدوار والمكانة التي يشغلها الفرد ضمن الثنائية (دور-علاقة). وفيه ذكر لأبعاد

السياق المتمثلة في الفرد، الآخر، والظروف بالإضافة إلى المستويات: داخلي وخارجي، مباشر وغير مباشر. والملفت للنظر في هذا التناول هو الطبيعة العلائقية التي تمتد من مجرد مستوى بسيط محدد إلى مستوى شرطي إلى مستوى استمراري. وهي بهذه الخاصية الدينامية تعكس وبصورة دقيقة سياق الفعل.

ينتشر السياق ضمن مجال مفاهيمي واسع ولهذا السبب واجهت النظريات النفسية (المعرفية) التحدي لصياغة تعريف واضح له. يكمن التحدي في محاولة التنبؤ بما يمكن أن يفعله الفرد في ظروف معينة؛ أو بصيغة أخرى ما هي الآليات العقلية الأساسية التي تفسر تصرف الفرد؟ وما هي درجة التغيير الذي تحدثه، وعليه كان السياق: "عبارة عن حاوية أو خلفية للممارسة يشترك فيها كل الأفراد" (Boucher, 2013, p.7). ويشتمل على مستويات أو أنواع مختلفة، لهذا نجد: السياق الداخلي (الحالة الانفعالية، الحاجات)، السياق الخارجي أو الموقف (مجموع المثيرات)، والسياق التمثيلي (مجموع التمثيلات العقلية الموجودة بداخل الذاكرة).

حسب (Pavard et Karsenty, 1997) Schank et Abelson, 1974 Hivland et Clark، 1977 في (Pavard et Karsenty, 1997) يرتكز فهم موقف معين على العمليات التأويلية، ويعتقد الفرد في فهمه لمعلومة معينة أو موقف معين عندما ينجح في ربطه بمعلومات قديمة معروفة ومقبولة، وعليه أن يقوم بمُساوقة (contextualiser) كل المعلومات الجديدة بواسطة المعلومات القديمة. تتولد هذه المعلومات على المستوى العقلي عن مصدر داخلي متمثل في الذاكرة طويلة المدى. في إشارة إلى الخبرات والذكريات التي يحتفظ بها الفرد. يتميز هذا النوع من الذاكرة بكونه غير محدود والعبور إلى المعلومات لا يكون مباشراً؛ بل يشترط وجود مؤشرات للاسترجاع. هذه المؤشرات عبارة عن معلومات مترابطة، بحيث تمثل التداخيات المتعددة بين مختلف الآثار المتولدة عن تجارب سابقة إحدى الطرق الأساسية المتاحة للاسترجاع.

في ظل هذه الرؤية يتفق الباحثون (Clark et Marshall, 1981, Clark et Carlson, 1981; Clark, 1981) على

صياغة موحدة تشمل كل خصائص السياق وهي:

- يتعلق السياق بمعالجة المعلومات.
- يتعلق الأمر بمعلومات يمتلكها فرد معين.
- كل المعلومات التي يمتلكها الفرد لا يجب اعتبارها كسياق فيما يتعلق بعملية محددة. بمعنى أن السياق أشمل وأعم.
- السياق نسبي بالنظر إلى موقف معين تم فيه تفعيل عملية معينة.

• السياق هو فقط الجزء المتاح من المعلومة في تلك اللحظة. المعلومة المعنية في هذه الحالة هي تلك القادرة على التفاعل مع العملية (Vion, 1995, p.138.139).

• "السياق هو المعلومات المتاحة لشخص معين للتفاعل مع عملية معينة في مناسبة معينة" (Clark; Vion, 1995 et Carlson, 1981, p.318)

من ناحية أخرى قامت النظرية الجشطالتية على مبادئ أساسية لتفسير الظواهر النفسية بما في ذلك أن الفرد يميل إلى إدراك الأشياء والمواقف ككليات، وبما أن الكل هو الذي يحدد الجزء وليس العكس؛ فإن العضوية تميل إلى تنظيم المدركات للتقليل من حالة التوتر الناتجة عن عدم التنظيم عن طريق آلية التنظيم الإدراكي organisation perceptuel، يختبر الفرد العالم وفق هذا المبدأ؛ ووفقه كذلك يتم الاستبصار بالأجزاء التي تشكل السلوك الكلي وتنظيمها. فالكل أكبر من مجموع الأجزاء. تتلخص هذه المبادئ في الصيغة «الشكل-الخلفية» أو «الصورة-العمق». يقترح Raynaud (2006) نموذج «الفرد-في-سياق» الذي يعتبره استتساخ عن المبدأ الأساسي للنظرية الجشطالتية، يشكل الفرد داخل هذا النموذج ما تشكله الخلفية بالنسبة للشكل، يتفاعل من خلاله، ويتبلور من الناحية العاطفية، السلوكية، والمعرفية في خصمه، وبالتالي لا يشكل الفرد في حد ذاته موضوعا للدراسة بالقدر الذي يشكله الفرد-في-سياق.

لا يبتعد التناول الاصطلاحي لمفهوم السياق عن التناول اللغوي من حيث المعنى، فقد قام-أيالتناول الاصطلاحي- علمعنى مجازي للسياق مستوحى بصورة مباشرة من المعنى اللغوي وعليه:

• كان السياق بمعنى الظروف التي يتواجد فيها الفرد(داخليا وخارجيا) ومدى تأثيرها على تفاعلاته، تأثير قد يأخذ سمة المحدودية، الاشتراطية، أو الاستمرارية. بواسطة هذا التأثير الأخير يمكن ملاحظة تبلور التركيبية أو البنية الداخلية للفرد ضمن سياق معين: كسياق الانحراف مثلا، بمعنى أن يصبح السياق نموذجا متاحا.

• والسياق بمعنى الغلاف، الحاوي الذي تتفاعل في ثناياه كل مستويات التصرف الإنساني. اكتسب السياق هذه الخاصية لكونه عاما، كليا، يؤثر ويتأثر بمجموع أجزاءه. بالمقابل، وبالرغم من احتمال أن يكون السياق مشتركا ظاهريا بين مجموعة من الأفراد إلا أن خصائصه الداخلية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقبل التعميم؛ ومثال ذلك الخلفية النفسية والاجتماعية لدى المراهقين المنحرفين التي تبدو ظاهريا مشتركة ومتشابهة، إلا أنها على المستوى الداخلي الفردي تظهر مختلفة. ولهذا السبب بالذات اتخذت العلوم الاجتماعية من النموذج «فرد-في-سياق» موضوعا للدراسة بدل التركيز على الفرد وحده.

• لا يحدد السياق في العلوم اللغوية وفي علم النفس المعرفي باعتباره وليدا عن المعاني السابقة. إلا أنه يمكن التركيز عليه لبلورة التعريف الإجرائي للسياق في الدراسة الحالية:

حتى يكون هناك سياق يجب أن تكون هناك مجموعة من المقومات والتي يمكن حصرها في: الفهم، التأويل، الترابط والتداعي، أو المساوقة التي تشترط وجود مصدر داخلي يتسم باللامحدودية والعمق، بالإضافة إلى وجود مؤشرات (معلومات مترابطة ذات آثار متولدة عن تجارب سابقة).

يتحقق السياق بالتداخل والتزاوج بين:

- الخصائص والعمليات المنتمية للعالم الداخلي للمراهق المنحرف من جهة.
- تأثير العالم العلائقي والمحيط الخارجي من جهة أخرى.
- نفترض أنه في وضعية الالتقاء (المحددات الموقفية) بين المراهق والضحية (التي بإمكانها أن تمثل: الجسم، الأشياء المادية، أو شخص آخر) ينشط القلق آليا (كونه يتغذى على السجل العلائقي للمراهق) وبسبب إشكالية الحدود تصبح العدوانية سواء نحو الذات أو نحو الخارج الطابع السلوكي الغالب على العلاقة بالموضوع.

إلى هنا يكون الفعل قد حقق وجوده وترك بصمته في السجل السلوكي وفي مسار حياة المراهق باعتباره فعلا إجراميا يعاقب عليه القانون.

لكننا نقترح الاستمرار في مسار السياق بعرض إمكانيات التغيير التي يتم تعبئتها بواسطة المراهق، والخيارات التي تمنحها الاستثمارات التي فرضها واقع ما بعد الفعل (التواجد داخل المؤسسة، الانفعالات التالية للفعل، تقييم الفعل والنظرة المستقبلية)، وبالرغم من أن البحث يهدف إلى الوقوف على سياق الفعل إلا أنه يبدو من الإجحاف بما كان أن يتم إهمال هذا الجانب من السياق حتى ولو يتم ذكره في إطار التطلعات البحثية.

يتوقف سياق المرور إلى الفعل عند المراهق المنحرف من خلال الرورشاخ على ثلاث مستويات:

1. مستوى القلق المتعلق بالعلاقة بالموضوع.

2. مستوى الحدود (الداخل/الخارج).

3. مستوى العدوانية واتجاهها (نحو الذات/نحو الآخر)

بحيث يشكل تتابع تداخل وتفاعل هذه المستويات مع بعضها البعض معنى السياق.

الطرح الذي يراد الكشف عنه من خلال مفهوم السياق هذا وبالاعتماد على وجهة النظر التحليلية، هو جعل المراهق موضوعا لقصة الفعل بحيث تتكشف محدداته النفسية في أبعادها: الدينامية، الاقتصادية والموقفية. ولا يكون هذا التصور مجرد وصف جامد للفعل وإنما نقل واقع انساني مراهقي يتيح احتمالات التكفل والتغيير التي تشكل استمرارية له. مانحا المراهق الفرصة للانتقال من السلوكي إلى السجل العقلي.

وسوف يتم تناول تلك المستويات من خلال الرورشاخ في الجانب المتعلق بأدوات البحث وطريقة استخدامها.

7- الدراسات السابقة

لا شك أن الدراسات السابقة لها من الفائدة الجمة في إثراء البحث وحصر توجهه نظرا لما تحمله في جعلتها من أفكار وآفاق بحثية تكاد تكون في حد ذاتها كافية للإلمام بكل جوانب البحث. فهي تنقل مدى سعي الباحثين والعلماء إلى استكشاف الظواهر النفسية وأبعادها الكامنة والخفية وتقصي الأسباب التي أدت إلى حدوثها بتلك الخصائص والمميزات الفريدة. أو الوقوف على النتائج التي ترتبت عنها، ولا شك في أن دراسة الفعل المنحرف من خلال توجه هذا البحث قد اخذ نصيبه من الدراسة والتعمق ما غطى بعض الجوانب. ولأن الظاهرة النفسية فريدة الحدوث نظرا لارتباطها بالإنسان من جهة وبالتغيرات التي يحملها ويتفاعل من خلالها باستمرار من جهة أخرى فقد استندت الدراسة الحالية على مجموعة من الدراسات السابقة التي تم تصنيفها وفق المنهجية أو الطرح التالي:

• الدراسات التي تناولت متغير المرور إلى الفعل وانقسمت إلى محورين:

- المحور الأول: دراسات تناولت متغير المرور إلى الفعل: أشكال من الفعل بمقاربة نفسية-دينامية-إجرامية.

- المحور الثاني: دراسات تناولت الفعل المنحرف وبعض المؤشرات النفسية الدالة عليه (العقلنة، الانشطار، العلاقة بالموضوع، تنظيم الشخصية، العنف، العدوانية المستقبل الإجرامي)

سيتم عرض الدراسات كالتالي:

7-1- المحور الأول: دراسات تناولت متغير المرور إلى الفعل: أشكال من الفعل بمقاربة نفسية-دينامية-إجرامية.

- دراسة Caglar Huguet (1981):

تمت إعادة نشرها في نوفمبر 2016، حول بنية الشخصية لدى المراهق المدمن من خلال اختبار الرورشاخ، وبهدف الإسهام في دراسة المدمن المراهق والإجابة عن مجموعة من التساؤلات من زاوية التقنية الاسقاطية المتمثلة في الرورشاخ.

عمدت الباحثة إلى إجراء دراسة مقارنة على 64 مراهق انطلقا من دراسة عيادية وإحصائية. قسمت عينة البحث إلى ثلاث مجموعات:

- المجموعة الأولى: 22مراهق متعدد الإدمان (متوسط مدة الإدمان 3 سنوات و 9 أشهر كمتوسط سن).
 - المجموعة الثانية: 22 مرهق خاضع للمعاينة في مصالح الطب العقلي (متوسط السن 19 سنة)
 - المجموعة الثالثة: 20مراهق عاديين (متوسط السن 19 سنة وشهر).
- تحرت الباحثة في هذه الدراسة توحيد كل الظروف لتمرير اختبار الرورشاخ بالنسبة لأفراد العينة، وتبنت في ذلك ثلاث فرضيات تمثلت في:
- . طبيعة البنية النفسية للمراهق المدمن، وهل هناك هوية بنيوية بين المراهق المدمن والحالات الحدية.
 - . أهمية المنشأ النفسي في بناء شخصية المدمن.
 - . علاقات المراهق المدمن بالصور الوالدية المضطربة مقارنة بالمراهق المنتمي للمجموعتين الثانية والثالثة. وخلص تحليل الرورشاخ إلى استنباط بعض نماذج الصور الوالدية وبعض الاختلال في البنية القاعدية للشخصية(العلاقة الامومية المبكرة).
- جاءت نتائج الرورشاخ كالتالي: ارتفاع ملحوظ في الاستجابات (خاصة الثلاثية Dd, Dbl, Do)، مستوى شائعات عادي، نسب مستوى تشكيل F% و F+% عند الحد الأدنى، الاستجابات اللونية الشكلية CFمرتفعة، و %Cمرتفع، مع استجابات من النوع Choc-Klob، استجابات صدمة معتبرة.
- سمحت نتائج البحث بالوقوف على بنية نفسية ليست حصرية على المراهق المدمن، ولكنها تميزت بفسيفساء من سمات الشخصية التي تغطي الحالات الحدية، وهي:
- تظاهرات غير محددة لضعف الأنا، نقص التحكم النزوي وتجاوز الحصر.
 - سيطرة العمليات الأولية للفكر.
 - اضطرابات طبيعية ضعيفة المستوى.
 - المعاش العلائقي عنيف ومضطهد. مع أمراض العلاقة بالموضوع.
 - تنظيمه دفاعية خاصة: التقمص الاسقاطي، الانتشار، مثلنه أولية.
 - صعوبة الحفاظ على العلاقة بالواقع.
- على المستوى الرمزي فان سيطرة العمليات الأولية للفكر على المراهق المدمن تؤكد التشابه بين الخصوصية البنيوية للمدمن وتلك المتعلقة بالحالات الحدية.

. دراسة الهوام ساعدت في حصر الدوافع الكامنة للتعاطي المفرط للمخدرات، كما أظهرت أن عدم كفاية الارصان الرمزي بالإضافة إلى فقر الرمزية اللاشعورية التي يتميز بها المراهق المدمن عن غيره هي السبب في بعض التغيرات في البنى القاعدية والتي بإمكانها أن تعزز تطور نواه إدمانية للشخصية.

. سيطرة مبدأ اللذة وعدم خضوع العمليات الأولية للعمليات الثانوية، عاطفة متمركزة حول الذات، اندفاعية، انفجارية غزيرة مع خطر المرور إلى الفعل، قلق أولي عميق مرتبط بالإشكالية النزوية، صعوبة التحكم في النزوات العدوانية التي تتسم بالشدّة، العمق وذات محتويات بدائية، وارتداد جزء منها ضد الأنا، لإشباع نزوة الموت والعودة إلى حالة النيرفانا. فالاستخدام التدريجي للمخدر يشكل صيرورة للتدمير الذاتي الذي يشبه صيرورة الانتحار، العلاقات مع الموضوع أولية تدور حول الإشباع والبحث عن حالة الخلط. وبعد كل هذا أكدت الباحثة فرضية أهمية المنشأ النفسي للإدمان.

- دراسة Bastin. P وTimsit. M (1987):

أجرى الباحثان دراسة بعنوان "العدوانية القاتلة من خلال اختبار الرورشاخ" على عينة مكونة من 26 ذكر بمتوسط سن 24 سنة (47-16 سنة)، أغلبهم من محيط اجتماعي مهني متواضع، متوسط درجة الذكاء 80%، 3/2 منهم ذو مستوى تعليمي ابتدائي و4 فقط تمكنوا من استكمال دراستهم.

في إطار إجراءات الخبرة العقلية أجرى كل من خبير الوسط العقابي، وأخصائي نفساني من مخبر بحث جملة من الفحوصات السريرية الشاملة باستخدام أدوات نفسية، نفس-عصبية وعصبية-فسيولوجية على العينة السابقة والتي اشتملت على أفراد صرح بأنهم غير مسؤولين، ينتمون إلى السجل النفس-مرضي بعد الخبرة وآخرين تم توجيههم للمثول أمام المحكمة.

تم تصنيف أفراد العينة من وجهة النظر النفس-مرضية إلى ثلاث مجموعات: (1) مذنبين في جرائم عاطفية، (2) لا توازن وشدوذ، (3) سيكوباتيين. بهدف التعرف على التعبير الإسقاطي للعنف. تم تحليل بروتوكولات الرورشاخ من ناحية، والوقوف على بعض المؤشرات عن طريق المعالجة الإحصائية وفي الأخير توصل الباحثان إلى:

- غياب الاستجابات اللونية وبالأخص (C). الاستجابات الكلية أقل من المعيار العادي ($R=7$)، ارتفاع نسبة الاستجابات الكلية في حين أن العوامل الأخرى $F\%$ ، $A\%$ ، $H\%$ تبدو عادية. مستوى التشكيل يبقى في الحدود الصغرى. بالنظر إلى هذه النتائج قام الباحثان بطرح فكرة مفادها أن المرور إلى فعل القتل يفرض وجود قوة نزوية عدوانية شديدة وعدم قدرة على تحريرها. كما أن غياب الاستجابات اللونية واللونية الصافية شكلت أحجية بالنسبة لهم، عدد مرتفع نسبيا من الاستجابات الحركية التي تعبر عن

النشاط الهوامي. كذلك فإن الورش الخاص بالقاتلين الشباب ظهر أكثر فقرا من نظيره لدى الراشدين، وهذا كشف عن تقلص شديد في القدرة الهوامية.

خلص الباحثان إلى أن المقاربة الدينامية ودراسة "إعادة إحياء" الفعل أظهرت جروحية خاصة بشخصية القاتل تمثلت في ضعف الأنا المنحرف، غير المجزأ، وبالاشتراك مع الشدة النزوية يكشف عن تسهيلات المرور إلى فعل القتل.

- دراسة Birot Elisabeth 1993: بعنوان: "صورة الجسم والتوظيف العقلي للمراهق المنتحر، تقلبات الروابط".

قامت الباحثة بدراسة عيادية على 60 مراهق، بالاستعانة بالمقابلة واختبار الورش واختبار الوراثة وتحت وصاية INSERM وإشراف البروفيسور Jeammet، من أجل الإجابة على التساؤل التالي: هل يمكن استخراج بروفييل نفس-مرضي للمراهق المنتحر؟ لتوضيح نتائج البحث أقدمت الباحثة على تقسيم أفراد البحث إلى ثلاث مجموعات فرعية حسب التصنيف التالي:

1. تنظيمه عصابية سائدة.

2. مرض من الشكل النرجسي ضعيف أو قوي الخطورة، بإمكانه بلوغ الذهان أو التطور نحو حالة الهوس - الاكتئابي.

3. حالات حدية، تترافق عادة واضطرابات سلوكية من نوع الشره، الإدمان.

ووقفت الباحثة في مرحلة لاحقة على حقيقة أخرى مفادها أن لدى نفس العميل العصابي، مثلا: نجد إشكالية من النوع النرجسي، هشاشة الحدود بإمكانها أن تعزز المرور إلى الفعل، كذلك يمكن للسماة الهستيرية أن تكون حاضرة في بنيات أخرى، وبالتالي فهي ليست موحدة. كما أن نمط اللاتنظيم يكون مختلفا حسب نوع البنية ما يعطي للفعل الانتحاري طابع معقد للغاية، ولإمطة اللثام عن هذا الواقع اقترحت الباحثة طرحه في الفضاء الإسقاطي مع المحافظة على محورين مرجعيين وهما: البنية النفس-مرضية الكامنة، والسماة المشتركة للتوظيف العقلي المطروح سابقا. فأسفرت النتائج عما يلي:

- ضعف التشكيل F% مع F+ % ضعيف، كثرة استجابات الحركة الإنسانية K بالنسبة للبنية العصابية وغيابها بالنسبة للمجموعة الثانية.

بالنسبة للمجموعة الأولى ذات التوظيف العصابي (التأرجح بين بنيات كامنة: عصابية، هستيرية ودفاعات من نوع: العزل، الإلغاء والتكوين العكسي)، هناك خلل في وظيفة جهاز ما قبل الشعور. يعمل الهوام على إفساد التنظيم، صعوبة في بناء علاقات موضوعية، وتلعب إشكالية الخفاء وفي نفس الوقت

في سجل موضوعي ونرجسي. تموضع الوضعية الاكتئابية المرتبطة بفكرة فقدان كبديل لنقص التقدير مقابل مثالية أنا مضخمة.

بالنسبة للمجموعة الثانية ذات الإشكالية النرجسية فان: صعوبات الصراع النفسي ترتبط بالتوظيف العقلي الذي يعمل وفق نظام "الكل أو لا شيء"، تقلص الفضاء النفسي واستخدام الإزاحة ما سمح من وجهة النظر الاقتصادية بتجزئة العواطف التي تبقى بالرغم من ذلك هائلة أو غائبة ويتم التعبير عنها بنمط: السخرية، الإنقاص من القيمة بدل النمط الاكتئابي؛ خلل مفاجئ يولد هوامات اقتحام أو اضطراب وحشي، هوام إيذاء الذات المتكرر ذو معاش تدميري معبر عنه بقسوة مع مساهمة مهمة للصور الجسدية. نجد في هذه المجموعة محاولات الانتحار الأكثر خطورة حيث التعبير عن رغبة حقيقية في الموت. كثافة الإشكالية (خصاء-انفصال-تدمير)، ولنا أن نتخيل ضخامة الرهانات النرجسية مقابل ضخامة التجاوز في غياب موضوع الإسناد أو حتى بديل عنه ما يهدد التكامل النفسي والجسدي معا، وبهذه الخصائص فهي تختلف عن المجموعة الأولى.

أما المجموعة الأخيرة فقد سعت الباحثة إلى إبراز وجود اضطرابات سلوكية مصاحبة للمحاولة الانتحارية وحصرها، وفيها بالتحديد نجد مشكلة العود سواء كانت المحاولة الانتحارية خطرة أم لا؛ وتوصلت إلى أن الحد: فرد- موضوع يكون مستثمرا لدى أفراد هذه المجموعة، فالاستثمار النزوي ليس موضوعي وليس نرجسي، وعند مستوى هذا الحد يتم تكثيف العلاقة الموضوعية وتمثيل صورة الجسم لتصبح الأحاسيس في هذه الحالة الحاجز الحامي والاحتمال الوحيد للارتباط النزوي المفكك.

تم استقصاء 106 ملف قضائي ما بين سنوات 1984-1985 لهؤلاء المراهقين المحكوم عليهم بصفة نهائية. كما سمحت عملية المسح لمستشفيات الصحة العقلية بإحصاء 3 مراهقين من أفراد العينة، وتم تقديم رسائل استدعاء بقصد المشاركة والمساهمة في البحث. أجرى الباحثان 4 مقابلات مع أفراد العينة وكذا مع ذويهم (بفارق زمني مقدر بشهرين إلى ثلاث أشهر بين مقابلة وأخرى) داخل المؤسسات العقابية وفي مقر إقامة المراهقين اللذين استكملوا العقوبة. أما الاختبارات الإسقاطية (الروشاخ وتفهم الموضوع) فقد تم تمريرهما من طرف الأخصائيين النفسيين دون اطلاع تام منهم على محتوى المقابلات على 19 مراهق تم اختيارهم من العينة الكلية بطريقة عشوائية ومنح أفراد مجموعة البحث عائد مادي مقابل مشاركتهم.

- دراسة Couraud-Barnond Simone و Zeiller Bernard (1994): بعنوان: "الأطفال والمراهقون المجرمون، العوامل النفس-مرضية".

هذه الدراسة هي حصيلة مقدمة لمجلس البحث بوزارة العدل والمعهد الوطني للصحة والبحث الطبي INSERM. سعى الباحثان إلى إجراء دراسة نفسية (تحليلية) للوقوف على الخلفية النفس-مرضية للطفل والمراهق المجرم الأقل من 18 سنة لحظة الجريمة، وكذا تقديم مقترح يتعلق بالتشخيص المبكر والوقاية والعلاج. تشكلت العينة القصدية من 106 مراهق (100 ذكور و06 إناث) أعمارهم تجاوزت 16 سنة باستثناء حالة واحدة أقل من 13 سنة، تنوعت الأفعال الإجرامية المرتكبة بين أفعال ضد الممتلكات (سرقة، سرقة باستخدام العنف)، أفعال ضد العادات أو القيم الاجتماعية (اغتصاب، اغتصاب جماعي)، وأفعال ضد الأشخاص (الضرب والجرح العمدي، الضرب والجرح المفضي إلى الموت، القتل العمدي).

تمثلت تساؤلات البحث في:

1. التاريخ الشخصي (الأجيال). هل يحمل عوامل تفسير للفعل الإجرامي؟
2. هل هناك صعوبة في التنبؤ أو عدم قدرة على مواجهة الإحباط بطرق مختلفة لحظة ارضان الفعل الخطير؟
3. هل يلعب تكرار بعض الأحداث دور في المرور إلى الفعل الخطير؟
4. هل يعكس المرور إلى الفعل سيناريو أو مشهد معين؟
5. هل هناك نقاط تشابه بين كل هؤلاء المراهقون (خلفيات التاريخ الليبي، العلاقة بالموضوع، التنظيم الدفاعية، العلاقة بالقانون، الحدود، النشاط الهوامي) والمرور إلى الفعل؟
6. هل يشكل تصور المستقبل نقطة مشتركة لدى هؤلاء المراهقين؟
7. هل هناك مرور إلى الفعل الإجرامي أو فقط الصدفة تفسر حدوث الجريمة بدل الجنحة؟

خلصت النتائج إلى إبراز مجموعة من العوامل المفسرة والمؤدية إلى ظهور الفعل الإجرامي تمثلت

في:

- اضطراب الصور الوالدية سواء من حيث دورها في الدعم أو الحماية والتي شكلت مصدر صعوبات لدى هؤلاء المراهقين. هشاشة القواعد النرجسية مع الإحساس بالدونية، ومقابل أي إحباط يعاش كفشل أو رفض يكون الانطواء على الذات، الهروب أو الانفجار. فقدان المعالم المتعلقة بالزمن والمكان بالإضافة إلى إمكانيات عقلية عادية أو أقل من ذلك غير مستثمرة، ويبقى التفكير مكمم بدفاعات صلبة.

- صدمات نفسية وانفعالية ليس فقط لدى المراهقين ولكن في التاريخ الأسري ككل شكلت بفعل الكبت قنابل موقوتة، وتحت تأثير شدة انفعالية ولدت مرور إلى الفعل أكثر أهمية من فعل إجرامي.

وفي الأخير طرح الباحثون جملة من التوصيات أهمها إعادة النظر في شروط وظروف العقوبة عن طريق الانفتاح على المؤسسات الخارجية مع ضرورة إعادة صياغة القانون المدني، إقرار رعاية دائمة

ووضع دعم علاجي مستمر خلال مدة الوضع وبعده للتحضير للتأهيل المجتمعي والتقليص من مدة العقوبة لفائدة العقوبات الردعية الأخرى.

- دراسة Richelle Jacqueline و Malempré Marc، Dejonghe Marie (2007)

في محاولة لفهم الدينامية النفسية لـ 7 مراهقين ارتكبوا جنح ذات طابع جنسي (أنماط الصراع النفس-داخلي، طبيعة وفعالية الدفاعات، سجل القلق السائد، نوع العلاقة بالموضوع، أنماط التوازن بين الاستثمار الموضوعي والرجسي) واستخراج بروفيل عيادي وتقييم تشخيصي وتنبؤي. اعتمد الباحثون على معطيات مستوحاة من تمرير اختبار الرورشاخ لتأكيد أهميته وإسهاماته في الوقوف على الخصائص النفسية المميزة لهذه الحالات.

المراهقون الخاضعون للدراسة أعمارهم ما بين 13 و 16 سنة مقابل 5 إلى 22 سنة بالنسبة لسن الضحية (5 منهم أطفال ومن المحيط الأسري، و2 منهم من محيط خارجي)، وتراوحت الجرح المنسوبة إليهم ما بين: التحرش، مص العضو التناسلي والاعتصاب، وأخيرا 2 منهم أنكروا التهم المنسوبة إليهم.

تم تمرير اختبار الرورشاخ في إطار إجراءات الخبرة النفسية من طرف الباحثين أنفسهم وأخصائيين نفسانيين آخرين. الأمر الذي استحال معه تطبيق اختبار تفهم الموضوع الذي يرى فيه الباحثون لو حدث إضافة كبيرة للوقوف على الخصائص السابقة بدقة. أما معالجة المعطيات فقد تمت وفق المدرسة الباريسية (Anzieu, Chabert, De Tychey)، أسفرت النتائج التي تم حصرها في ثلاث بروفيلات نفسية (حسب طبيعة الضحية، أو طبيعة الجرح المرتكبة) عما يلي:

- من الناحية الاسقاطية جاءت البروتوكولات البروفيل الأول فقيرة (تثبيط وعدم نضج) من حيث الإنتاجية ومع مستوى تشكيل $F\%$ مرتفع و $F+\%$ منخفض. غياب استجابات الحركة الإنسانية. أما البروفيل الثاني

فقد كانت على العكس غني من حيث الإنتاجية (صلابة).

تم التفريغ النزوي بالنسبة للبروفيل الأول في سياق عائلي بمعنى انطواء داخلي، الأخوة لتجنب الغريب، وقد وقف الباحثون على حقيقة أن هذا البروفيل هو الأكثر معاناة من مشكلة العود نظرا لوجود بعض سمات الشخصية السيكوباتية كغياب الإحساس بالذنب، الحساسية، التعاطف، عواطف سطحية، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية، بالإضافة إلى بعض المؤشرات المضادة للمجتمع كعدم القدرة على التحكم الذاتي مع اندفاعية طبيعیه، وبالرغم من غياب الدلائل النفس-مرضية إلا أن أصحاب هذا البروفيل يتميزون بخلل في عمليتي الارصان والترميز، غياب العقلنة، عدم القدرة على تسيير التدفق النزوي، غياب

الاستثمار الموضوعي بحيث لا يمكن للعلاقة بالموضوع أن تتموضع إلا في سجل نكوصي غير ناضج؛ وإدراك للصور الوالدية كخطر، وإشكالية تتعلق بقلق الخصاء والهوية الجنسية.

على العكس من البروفيل الأول الصراع هنا مطروح خارجا. يشير إلى أمراض الفعل أكثر من أمراض الفكر، فعمليات التفكير لدى أفراد هذه المجموعة ذات نوعية جيدة لكن بالمقابل يبدو التوظيف النفسي قليل النضج مع لحظات نكوصية ذات مغزى دفاعي ضد القلق، تأرجح الإشكالية النرجسية بين القيمة والاحتقار، الهوية والهوية الجنسية سينتا الارصان والاختلاف الذات/ الآخر غير كاف.

يلاحظ في البروفيل الثالث أن الجنسية قد استثمرت بطريقة دفاعية لتهدئة قلق التفردين، وقد تم طرح هذا البروفيل بالرغم من أنه يغطي حالة واحدة، لأنه يشمل على مؤشرات نفس-مرضية ذهانية وتتطوي تحته الخصائص التالية: اضطراب مهم في الهوية الشخصية، في صورة الجسم وتمثيل الذات. فقر عاطفي، قلق يتعلق بالتكامل الجسدي يشهد على تحطم الحدود، وظهور السلوك الجنسي يعكس البحث عن إعادة الحماية النرجسية.

وفي النهاية صرح الباحثون بأهمية الرورشاخ في الخبرة النفسية كونه يسمح بتمحيص التشخيص، ووضع معالم تحت زاوية التنبؤ من خلال تحليل التوظيف السيكودينامي واقتراح أنسب أنماط التدخل.

- دراسة زهراء جدعوني (2011): بعنوان: "الاعتداء الجنسي، دراسة سيكوباتولوجية للتوظيف النفسي للمعتدي الجنسي".

قامت الباحثة بإجراء دراسة حول الاعتداء الجنسي على مجموعة بحث مكونة من 7 حالات ذكور بالغين. حيث افترضت وجود خلل في التوظيف النفسي للمعتدي الجنسي يشكل دافعا لارتكاب فعل الاعتداء. اعتمدت في هذه الدراسة ذات التوجه السكوباتولوجي على المنهج العيادي وتطبيق التقنيات الاسقاطية(الرورشاخ وتفهم الموضوع).وقامت بتشكيل مجموعة البحث وفق المعايير التالية: (1) الطابع العنيف في السلوك الجنسي، (2) المعتدي نكر بالغ وقت ارتكاب الفعل والضحية أنثى، (3) غياب الاضطرابات الحادة في التفكير، والاضطرابات الذهانية. للإجابة على تساؤل رئيسي مفاده: لماذا يمر المعتدي الجنسي إلى فعل الاعتداء على ضحيته؟ وطرحته لهذا ثلاث فرضيات تمثلت في:

. يواجه المعتدي الجنسي صعوبات في تصور الحركة الغريزية

. يؤثر النقص في موضوع الحب الأولي سلبا على العلاقات الحالية بالمواضيع.

. يعمل فعل الاعتداء على ترميم التصدع النرجسي.

بعد تحليل المعطيات توصلت الباحثة إلى مجموعة من الخصائص الاسقاطية والدينامية التي تصب في إطار الفرضيات المطروحة. حيث ظهر فقر في البروتوكولات من ناحية الكم والكيف (إجابات قليلة، رفض الإجابة، المراوغة، إجابات موسعة أو جمل محدودة)، مع قلة الاستجابات الحركية.

عجز في ربط التصورات فيما بينها، ربط التصورات بالعاطفة، وتكمن الصعوبة في خلل الرمزية واضطراب الاستثارة الغريزية الخارجية والداخلية وهو ما يفسر فرضية الصعوبة في تصور الحركة الغريزية. كما ظهرت صعوبة في مواجهة الحرمان المعاش بسبب النقص في الموضوع، وفقر التوظيف النفسي بالمقارنة مع الخيال، ومحتويات داخلية تترجم في الموضوع الخارجي الذي يبدو خطرا ومهددا، وبالتالي تصبح العلاقة معه مهددة للاندماج النفسي، ويعتبر الاعتداء الجنسي تمثيل جيد لهذه الصورة حيث يختار المعتدي ضحيته كموضوع للرغبة في شكلها المرضي بسبب فشل ميكانيزم الانتشار العادي للموضوع (جيد/سيئ)، وكأنها عودة نكوصية إلى مرحلة عمرية مبكرة يختار فيها الموضوع الجيد ليسقط عليه الجنس والموضوع السيئ ليذمه فيشترك الجنس والعدوان على نفس الموضوع.

وكذلك كان تصدع النرجسية خاصة بارزة للتوظيف النفسي للمعتدي، والذي يعكس إشكالية تقمصية مهددة للاندماج وبالنتيجة هوية هشّة مهددة بالانفجار وحدود غير مستقرة.

واستخلصت الباحثة فرضية الانتقام من صدمات الطفولة المبكرة، التي تشير إلى تدمير موضوع خارجي وتملكه داخليا كتعبير مؤلم عن تبعية للموضوع، وأكدت تعاملها مع أربع أنواع من التوظيف النفسي غير المفكك:

1. التوظيف الفصامي: الذي يعتبر الاعتداء الجنسي اغتصابا للمميزات النفسية للضحية لتجميع أجزاء هويته المفككة.

2. التوظيف البيئي: الفعل الجنسي هو بحث عن الكمال ودفاع ضد القلق الاكتسابي.

3. التوظيف النرجسي: الفعل هو ترميم للنرجسية المتصدعة بسبب غياب الموضوع.

4. التوظيف الشاذ: المرور إلى فعل الاغتصاب لدى الشاذ يهدف إلى تدمير الموضوع والحصول على اللذة من خلال ترك بصماته على الضحية للدفاع ضد القلق النرجسي.

- دراسة Claire Favre (2014) تحت عنوان: "العواطف في الأفعال العنيفة، مقارنة تحليلية"

سعت الباحثة إلى إبراز حقيقة وجود علاقة بين توظيف نفسي معين (حدي، سيكوباتي) وعاطفة معينة. وبالتالي بطريقة غير مباشرة إلى الوقوف على السيرورات النفسية التي تشكل مصدر للأفعال

العنيفة ومن خلالها يمكن الحديث عن توظيف نفسي معين وخاص يتواجد خلف نوع محدد من الفعل؛ وفي الأخير يتسنى اقتراح منطلق علاجي يتلاءم مع هذه الفئة التي تعاني إشكالية تعبيرية. بالاعتماد على دراسة الحالة وفي إطار المنهج العيادي عملت الباحثة على 5 حالات (رجال راشدين)،

تم اختيارهم وفق معايير محددة تتمثل في:

- كل الحالات محكوم عليها بصفة نهائية.
- كان ظهور الفعل بطريقة مفاجئة.
- تمت متابعتهم بطريقة دورية مطولة -20مقابلة مسجلة كتابيا على الأقل-.

أربع فرضيات تمت معالجتها في هذا البحث:

- على مستوى الفعل العنيف، الرجوع إلى الفعل يرجع للتوظيف السيكوسوماتي، بينما يرجع المرور إلى الفعل إلى التوظيف الحدي.
- لا ترجع كل الأفعال العنيفة ذات الطابع الجنسي لإشكالية جنسية بل في بعض الحالات هناك سيطرة لمحتويات بدائية.
- العلاقة بالانفعالات تترجم نوع من الدفاع بدل الحرمان لدى القائمين بالأفعال العنيفة.
- يمكن للفعل أن يعكس لنا توظيف الفرد. بمقابل لا يمكن للتوظيف النفسي للقائمين بالفعل العنيف أن يعكس لنا تصنيف قانونيا.
- أسفرت النتائج عن وجود صلة ذات أهمية كبرى بين التوظيف النفسي (الحدي والسيكوسوماتي) ونوع الفعل (الرجوع إلى الفعل والمرور إلى الفعل)، مع بروز حالة لتوظيف ذهاني مرتبط بالمرور إلى الفعل، اكتشاف عوامل منبثقة عن لاشعور خبلي وأخرى عن لاشعور جنسي (مكبوت). وعليه يفهم المرور إلى الفعل كطرح للاشعور المكبوت، والرجوع إلى الفعل كتعبير عن عوامل اللاشعور الخبلي. وكنتيجة عامة فإن الفعل ليس هو من يوجه الفهم النفسي للفرد بل أن فهم التوظيف النفسي هو من يوضح الفعل.
- هنا استخلصت الباحثة أن للفعل صبغة دفاعية ضد معاش نفسي ناتج عن إصابة نرجسية، أين يتم تعويض السلوك بالتفكير نتيجة للتجاوز الانفعالي. والكسيتيميا شديدة خاصة في جلسات العلاج الجماعي الذي كشف عن فضاء داخلي مختل الحدود، ومواضيع داخلية ضعيفة البناء، وكان هذا النوع من العلاج من بين الطرق المتاحة والفعالة للتكفل بمثل هذه الحالات حسب رأي الباحثة.
- تعقيب على الدراسات السابقة الخاصة بالمحور الأول.

وقف هذا الطرح للدراسات السابقة على طبيعة البنى النفسية لدى أفراد- أغلبهم مراقبون- أقدموا على القيام بفعل إجرامي بالرجوع إلى مؤشرات نفسية، عيادية، نفس-مرضية، إجرامية. هدف كذلك إلى: (1) تقديم وصف شامل للتوظيف النفسي والعقلي الذي يميز القائمين بالفعل المنحرف بالرغم من بعض الاختلافات (طبيعة الفعل- السن)، (2) تقديم وصف لطبيعة البنية النفسية التي تقف وترتبط بتوظيف عقلي معين، (3) استعراض الخصائص المنهجية للدراسات وذلك للوقوف على التحديات المنهجية التي يتعين مواجهتها في البحث الحالي.

ووقفنا من خلال عرض 7 دراسات سابقة تدور حول أنماط من الفعل الإجرامي، أن التركيز كان على المؤشرات النفسية الدينامية التي تميز هذه الفئة بالدرجة الأولى وبصورة مباشرة كدراسة جعدوني (2011)، Birot (1993)، Zeiller و Courand-Barnond (1994)، وغير مباشرة بالنسبة للدراسات التي سعت إلى الوقوف على وصف واقعي للدينامية النفسية الداخلية (التوظيف العقلي) Calgar (1981)، Timsit et Dejonghe et autres (2007)، ولمست دراسات أخرى بعدا محددًا (العنصرية، العنف) Timsit et Bastin (1987)، Claire (2014).

فيما يتعلق بالخصائص المنهجية سواء الأهداف، العينة، المنهج، الأدوات وطريقة معالجة المعطيات. يمكن الوقوف على أهم هذه الحدود كالتالي:

لجأت الدراسات المعروضة إلى اعتماد المنهج العيادي كمنهج قاعدي للبحث نظرا لخصائصه الإجرائية والموقفية التي تسمح بصبر أغوار الحقيقة الكامنة بداخل الأفراد القائمين بالأفعال الإجرامية، والتي شكلت هدف رئيسي لقيامها. في ذات السياق كانت المقابلة من بين الأدوات الفعالة المستخدمة للتقرب من أفراد العينة بالنسبة لكل الدراسات، وقد وقف البعض أمثال: Dejonghe، Claire على صعوبة القيام بالإجراءات البحثية مقارنة وخصائص أفراد العينة التي تثير العديد من الإشكاليات: الأديبية، العلائقية والاكنتابية، وطبيعة الدفاعات الصلبة، بالإضافة إلى خصوصية الإطار المكاني الذي تجرى فيه، الوسط العقابي بالنسبة لدراسة كل من: Cauraud-Barmand et Zeiller، Dejonghe et Timist، autres، والتداخل بين الأبعاد البحثية وأبعاد الخبرة النفسية التي تمت فيها المقابلة.

من ناحية أخرى تم الاستعانة بالمقابلة في دراسة الحالة بالنسبة لدراسة كل من جعدوني، Claire، Calgar نظرا لصغر حجم العينة.

بحثا عن متغيرات كامنة في اللاشعور لدى القائمين بالأفعال الإجرامية سعى الباحثون إلى الاعتماد على التقنية الإسقاطية، سواء منفردة كالرورشاخ في دراسة كل من: Birot، Caglar، Dejonghe، أو بالمزاوجة بينها وبين اختبار تفهم الموضوع: جعدوني، Cauraud-Barmand. وقد أشار Dejonghe إلى أن

إجراءات البحث التي تمت في إطار الخبرة النفسية استحالَت دون المزوجة بين التقنيتين اللتين تمنحان تقصيا متكاملًا يغطي كل جوانب الظاهرة الدينامية المدروسة إذا ما أتيحت الفرصة لذلك.

واتفق الباحثون في كل الدراسات المعروضة أن الفضل كله يرجع إلى التقنية الإسقاطية وبالأخص

الرورشاخ في إعطاء صورة بتلك الدقة والوضوح حول التشخيص بالمعنى العام، معالم التنبؤ، وانسب طرق التدخل. هذا الرأي سمح لنا بطرح التساؤل التالي: هل يمكن الاستغناء عن التقنية الإسقاطية في مثل هذه الدراسات ومع هكذا حالات؟

العدد الإجمالي لأفراد عينة الدراسة كان ما بين 5 إلى 106 (بمتوسط = 39.2). دراسة واحدة من بين السبع المعروضة اختارت مجموعات مقارنة (منهج مقارن)، وقامت اثنتان منها على تحليل النتائج وفق مجموعات فرعية كان الأساس في تشكيلها إما نوع التنظيم النفسي، أو نوع الجريمة المرتكبة.

باستثناء دراسة Birot وجعدوني، حددت باقي الدراسات سن وجنس أفراد العينة. كل المشاركين من جنس ذكر فقط 6 حالات من جنس أنثى بالنسبة لدراسة Cauraud-Barmand et Zeiller. أما السن فهو من 13 سنة فما فوق، لكن الأغلبية كان دون 24 سنة. كما أن أغلبية الدراسات ذكرت الحدود المكانية التي جرى بها التطبيق، وبالنسبة لوصف المعطيات التي تميز عينة البحث فقد كان يصب في ثلاث محاور رئيسية: (1) المعطيات الشخصية (التاريخ الشخصي والعلائقي، الصدمي، الجوانب الاجتماعية...)، (2) الخلفية النفس-مرضية، (3) الواقع الإجرامي (طبيعة وخطورة الفعل، خصائص الضحية، المسؤولية القانونية، مشكلة العود).

فيما يتعلق بالنتائج الوصفية الكمية للتقنيات الإسقاطية أشارت الدراسات إلى وجود فقر في بروتوكولات العينات المدروسة، فجاءت ضعيفة سواء بالإدلاء بجمل محدودة، رفض الإجابة والمراوغة في اختبار تفهم الموضوع (جعدوني، Cauraud-Barmand et Zeiller)، أو بإنتاجية قليلة في اختبار الرورشاخ في دراسة Dejonghe، جعدوني. أو عند الحد الأدنى في دراسة Caglar، Timist ($R \geq 17$)، ويرافق هذه الخاصية مستوى تشكيل $F\%$ ضعيف، أو مستوى تشكيل جيد $F\%$ عند الحد الأدنى. وتميزت البروتوكولات إما بسيطرة الاستجابات من النوع الشكل اللون FC ، أو غياب تام للاستجابات اللونية الصافية C ، غياب الحركة الإنسانية K ، أو قلتها. باستثناء دراسة Timist 1987 التي ظهر فيها عدد معتبر من استجابات الحركة الإنسانية K والتي شكلت أحجية بالنسبة للباحثين، وكما أن هناك حضور ملحوظ للاستجابات الصدمية.

أكدت جميع الدراسات على جملة من النتائج نستعرضها حسب الآتي:

- وصف طبيعة التوظيف النفسي والعقلي الذي يميز كل القائمين بالأفعال الإجرامية: الإدمان، الانتحار، القتل، الاعتداء الجنسي، السرقة، العنف. وهي الخاصية التي اشتركت فيها كل الدراسات، وهو ذو طبيعة مرضية في أغلب الدراسات باستثناء دراسة Birot التي أكدت غياب المؤشرات النفس- مرضية، وتشكل هذا الوصف من:

- قدرة هوائية متقلصة، عجز عن تصور الحركة النزوية، أو هوام مفسد للنظام (Biro 1993)، ومع فضاء داخلي مختل الحدود وخلل في تمثيل صورة الجسم.

يمكن من خلال هذه الخاصية الاحتفاظ بما يلي: خلل الاستهامية يؤثر بصورة مباشرة على قدرتي الارصان والتميز وبالتالي على القدرة على تمثيل الحركة النزوية أو احتوائها بسبب شدتها مما يؤدي إلى تصديرها نحو الفعل باتجاه الذات: الإدمان والانتحار؛ أو نحو الآخر: الاعتداء الجنسي، العنف، القتل والسرقة.

- انتشار التنظيم النفسي عبر كل التنظيمات؛ حيث وقف الباحثون على عدم وجود تنظيم موحد لدى هؤلاء الأفراد، وكانت هناك إشارة إلى وجود تنظيم سائد بكثرة وهو التنظيم الحدي. وهو ما أنجر عنه نكر للتصنيفات الفرعية لهذا التنظيم وهي السيكوباتية، والمضادة للمجتمع المعروفة بتمثيلها للشخصية الإجرامية، والأكثر تفسيراً لهشاشة القواعد النرجسية. ومنه نستنتج أننا بصدد البحث عن خصائص داخلية مشتركة بين كل التنظيمات وليس عن تنظيم موحد ذو خصائص محددة.

- ضعف الأنا بسبب خلل وظائف الأركان النفسية، سيطرة العمليات الأولية ومبدأ اللذة، يلجأ الأنابسيبها إلى كوكبة من الدفاعات (الانبطار، الإنكار) التي تميز كل التنظيمات دون استثناء لمواجهة القلق. كما نلاحظ غياب دور المواضيع الخارجية ذات المميزات السلبية في أصلها.

يمكن الوقوف من خلال هذه الميزة على طبيعة الخلل الموقعي بالدرجة الأولى والدينامي بالدرجة الثانية لدى المراهق.

كما يمكن الاحتفاظ بوجود إشارة صريحة من طرف الباحثين إلى خصوصية الفعل الإجرامي من خلال المراهقة، وذلك بتناولهم لخصائص هذه المرحلة وتأثيراتها، مفهوم العنف، الخاصية الدفاعية للفعل، القابلية للتعديل مقارنة وأساليب التشخيص، التكفل والعقاب المتاحة.

في الأخير نلاحظ أن معطيات البحوث في محاولة منها لوصف الخلفية النفسية الدينامية والدوافع الكامنة التي أدت إلى المرور إلى الفعل قد قامت سواء برغبة منها أو دون ذلك بوصف غير مباشر لسياق المرور إلى الفعل والآليات الفاعلة خلال ذلك، وربما وقف الأمر عند هذا الحد (وصف غير

مباشر) بسبب تأثير تداخل مجالات الفعل الإجرامي المتمثلة في: علم النفس، علم الإجرام، القانون، علم النفس-المرضي.

7-2- المحور الثاني: دراسات تناولت الفعل المنحرف -خلال المراهقة- وبعض المؤشرات النفسية الدالة عليهم خلال الرورشاخ (العقلنة، الانشطار، العلاقة بالموضوع، تنظيم الشخصية، العنف، العدوانية، المستقبل الإجرامي).

- دراسة Heraut Jean-Charles (1993): نحو مقارنة تشخيصية تنبؤية جديدة للتوظيف النفسي للشخص المنحرف أو المجرم بالاستعانة بالرورشاخ. دراسة العلاقات بين العنف، التنشئة الاجتماعية الشائعة.

بطلب من وزارة العدل الفرنسية أجرى الباحث دراسة عيادية وإحصائية بهدف إرساء نموذج دينامي-اقتصادي للتوظيف النفسي لأفراد عرضة لارتكاب أفعال منحرفة، والبحث عن علاقة ارتباطية بين شخصية الطفل أو المراهق والمستقبل الإجرامي من خلال ثلاث مؤشرات: العنف، الكف، التنشئة الاجتماعية الشائعة.

اشتملت عينة الدراسة 808 شخص كانوا قد أقاموا بمركز الاستقبال، الملاحظة والعلاج بـ Pays Basque بفرنسا ما بين 1947-1974 (أي البحث في مسار حياة يمتد بين 7 إلى 34 سنة يسمح بارتكاب أفعال منحرفة أو إجرامية مختلفة). تم طرح فهم للشخصية المنحرفة انطلاقاً من السلوك المنحرف، تقارير العاملين الاجتماعيين (المربين، المساعدين الاجتماعيين) واختبار الرورشاخ. أما البحث عن المستقبل الإجرامي فقد تم بالاستعانة بسجل السوابق العدلية وبالنسبة لبعض الحالات إعادة بناء خط الحياة بالاعتماد على الوثائق والشهادات، وانطلاقاً من هذا المتغير الأخير قام الباحث بتصنيف الفعل الإجرامي إلى: عدم وجود انحراف، انحراف مراهقة، انحراف حميد، انحراف خطير.

دلت النتائج على أن مؤشرات الرورشاخ مرتبطة بالمستقبل الإجرامي، وسمح تحليل الملفات بتأكيد أن العنف ليس عاملاً ضرورياً ولا كافياً للانحراف أو للمستقبل الإجرامي، ولا يصبح كذلك إلا إذا كانت العقوبة الموازية ضعيفة ولا تضمن وظيفة الاحتواء، ووجد ارتباط معتبر بين مؤشرات الكف أو الردع والمستقبل الإجرامي. أما فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية الشائعة فهي تسمح بإعطاء فعالية للسلوك المنحرف، وفي سياق هذه العلاقات قام الباحث بتفسير التصنيفات الأربعة السابقة حيث إن الانحراف الخطير برز من خلاله الزوج: الكف/ التنشئة الاجتماعية الشائعة. أما الانحراف الحميد فكان هناك غياب للتنشئة الاجتماعية الشائعة الأمر الذي سمح بنجاح وبفعالية المستقبل الإجرامي.

ويتميز انحراف المراهقة بقوة الزوج: عنف/ تنشئة اجتماعية مبتذلة، نمط معارض للكف أو الردع القوي. حيث استنتج الباحث أن هذا النوع يركز على صراع نفسي داخلي قابل للتجاوز مستقبلا خصوصا في حالة ما كان الكف يمنح للفرد فرصة مقايضة عنفه الداخلي وعدم الانسياق وراء التسهيلات التي يمنحها مستوى حسن من التنشئة الاجتماعية. وفي الأخير فان الأشخاص الذين ليس لديهم انحراف يكونون أقل عنفا وينعدم لديهم احتمال الانحراف مستقبلا.

- دراسة RomanPascal (2000) إكلينيكية الانشطار من خلال الطريقة الاسقاطية، العنف والفقدان في مرحلة المراهقة.

أراد الباحث Roman وهو المعروف ببحوثه المعمقة والمتكررة حول المراهقة، الوقوف على مختلف الأنماط والأشكال التعبيرية للانشطار (انشطار الأنا/ انشطار الموضوع) بتوجه نفسي دينامي، والكشف عن مؤشرات ارتكازية للاستدلال على آثار الانشطار في البروتوكولات الاسقاطية، ومن جهة ثانية تحديد تنظيمات خاصة بالانشطار خلال المراهقة وتصنيفها في مسار الاكتئاب ومسار الشذوذ. أحاط الباحث مشكلته بثلاث أسئلة:

1. فيما يتمثل التخلص من الذات نفسها للمحافظة على فضاء أو فجوة بين الذات والآخر؟
 2. ما هو الثمن الذي يتعين دفعه- والالتزام بالحركة إدراكي-تصوري، مقابل دفاع فعال ضد خطر اقتحام الموضوع؟
 3. كيف لمعاش صدمي، يرجع إلى إشكالية الصدمة الأولية، أن ينظم تكوين محدد لعمليات الانفصال؟
- للإجابة على هذه الأسئلة قامت فرضية الانشطار حول حل معضلة الانقطاع المزدوج بين الفكر والفعل، وبين الاستثمار الموضوعي والاستثمار النرجسي. الذي يبدو متجاوزا تحت طائلة الدفاعات المتناقضة، والتهديد بتحطيم الهوية. واستخدم الباحث التقنيات الاسقاطية (الرورشاخ وتفهم الموضوع) مع مراهقين يبلغان من العمر 16 و15 سنة متهمين بالسرقة والاعتداء الجنسي على التوالي، تم الالتقاء بهم في إطار طلب الفحص النفسي المقدم من طرف القاضي.
- لوقوف على حيثيات الانشطار كنمط للارتباط غير-الرمزي اقترح الباحث قراءة البروتوكولات الاسقاطية وفق ثلاث محاور: أنماط استعمال استمرارية الاستثمارات مع أولية المدرك، أنماط ارضان التمثيلات مع أولية الراهن ومكانة العاطفة، ومكانة الصدمة والعنف في مواجهة خطر الانهيار.

أسفرت النتائج عن وجود نوعين من التنظيم حول صورة الانشطار: الأولي كدفاع متناقض ضد خطر اللاتنظيم المرتبط بالصدمات الأولية. والثاني كعملية انشقاق/التحام. ويمكن وصفهما من خلال مساري الاكتئاب والشذوذ:

في المقام الأول يعمل الانشطار على تنظيم التحام مختلف أجزاء الأنا بالاستناد على طابع فقدان الذي يميز الصدمة: بمعنى استثمار إنكار فقدان يحظى بمكانة السند للاستثمار الموضوعي في حده الأدنى. تنشأ الصلة بالواقع على نمط المثانة وهو ما يفسر صورة الانشطار ضمن المسار الاكتيبي لدى الحالة الأولى. أما في مسار الشذوذ فإن الانشطار ينظم التحام أجزاء الأنا بالاستناد إلى العنف المؤسس للتجربة الصدمية المستمر بدل تجربة الرابط. إنكار الغيرية باعتبارها سند لظهور النزوة اللبيدية، ينظم الانفكاك الواقع. ويتشكل الرابط الموت/الجنسية ضمن تطور غريب وخاص بالشذوذ كونه يعتبر ضمان-ارتداد ضد الانهيار النرجسي.

- دراسة LarocheSebastien (2000) تحت عنوان: العلاقة بالموضوع وتنظيم الشخصية: دراسة مقارنة لأفراد بيدوفيليين وغير بيدوفيليين.

أراد الباحث إعطاء فهم عام للدينامية والدوافع اللاشعورية للفرد البيدوفيلي وتأكيدا على أن هذا الفهم مرتبط بتصور ذات وتصور موضوع أكثر بدائية وأكثر اختلال. تبني الباحث دراسة مقارنة بين مجموعتين من الأفراد مع أو دون سلوك جنسي ضد الأطفال. تكونت العينة من 44 فرد بيدوفيلي تم انتقاؤهم من مركز استشفائي وعيادة تابعة للمؤسسات القانونية والعقابية و30 غير بيدوفيليين من مصلحة المعاينة النفسية لجامعة Laval وعيادة حكومية. وبلغ سن أفراد العينة 18 سنة فما فوق.

قامت فرضية الدراسة الأولى على احتمال وجود مختلف التنظيمات الشخصية لدى المجموعة الأولى. وإبراز أن تصور الموضوع وتصور الذات يكونان أكثر بدائية في حالة تنظيم الشخصية اقل نضجا كفرضية ثانية. أما في الأخيرة فقد افترض وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعتين بالنظر إلى تنظيم الشخصية.

استعان الباحث بـ: PODF استمارة تشخيص تنظيم الشخصية، SCID المقابلة السريرية المنظمة-DSM3، ORI، قائمة جرد العلاقات بالموضوع، و ASD سلم تقييم الأوصاف الذاتية.

أسفرت النتائج عن وجود مختلف تنظيمات الشخصية بالنسبة للمجموعة الأولى: 9 منهم ذو تنظيم عصابي، 35 ذو تنظيم حدي. وبتطبيق كل من ORI و ASD على 35 فرد من المجموعة الأولى و30 من المجموعة الثانية أظهرت النتائج أن تصورات الموضوع فقط- ولدأفراد المجموعة الأولى- كانت أكثر

بدائية وتدهور على المستوى المفاهيمي، ودرجة تقاطب متوسطة أقل من أفراد المجموعة الثانية. في الأخير أكدت الدراسة وجود روابط بين مختلف تنظيمات الشخصية، العلاقة بالموضوع وطبيعة السلوك البيدوفيلي.

- دراسة Léveillé Suzanne (2001) بعنوان: دراسة مقارنة لأفراد حديين مع أو دون المرور إلى الفعل العدوانى الخارجى بالنسبة لمؤشرات العقلنة فى الرورشاخ

عمدت الباحثة إلى مقارنة مؤشرات العقلنة عن طريق الرورشاخ عند أفراد ذوي بنية حدية، بحجم عينة مقدرة بـ 33 فرد (x=35 سنة)، وأن 24 منهم أقدموا على ارتكاب المرور إلى الفعل العدوانى الخارجى، و11 منهم لم يرتكبوا أي فعل، وقد تم اختيارهم من مركز عقابي. مركز جامعي للخدمات النفسية ومركزين استشفائيين.

من خلال مقابلتين نصف موجهتين لمدة 6 ساعات، تم تمرير صيغة الموافقة المستنيرة، واختبار الرورشاخ، SCID II والتشخيص الاضطرابات الحدية على المستوى الوصفي حسب DSM 4، وأخيرا استمارة تهدف إلى إحصاء أنماط المرور إلى فعل التدمير الذاتى والعدوانية الخارجية.

خلصت النتائج إلى الكشف عن مؤشرات العقلنة من حيثان الأفراد الحديين القائمين بأفعال عدوانية خارجية يمتلكون صلابة دفاعية دون أن يكونوا نوعا ما اندفاعيين مقارنة مع أفراد المجموعة الثانية الذين يظهرون صلابة أقل، بالإضافة إلى وجود فروق واضحة في التعبير عن العدوانية. حيث ان أفراد المجموعة الأولى أقل تعبيرا عن عدوانيتهم بل تظهر أكثر في الفعل ونابعة أكثر من عالمهم الداخلى. أما بالنسبة للعواطف الاكتئابية فقد أظهرت المجموعة الثانية عالم داخلى مليء بالعواطف الاكتئابية والعدوانية مع سهولة الوصول إلى معاناتهم وصراعاتهم الداخلية.

أما المعالجة الكيفية فقد سمحت للباحثة بالإجابة عن التساؤل الذي يدور حول استجداء الأفراد الحديين المرتكبين لأفعال عدوانية خارجية للباحثة، حيث يشكل هذا الفعل بسبب صعوبة التعبير عنه ناقلا لشدة عدوانية داخلية.

- دراسة Saint-Martin. C و Chabrol. H (2008).

قام الباحثان من مركز الدراسات والأبحاث في علم النفس المرضى بجامعة تولوز بدراسة إحصائية على عينة مكونة من 155 مراهق أعمارهم 17 ± 1.5 سنة، واعتمادا على 6 مقاييس معبأة ذاتيا، (ABS) مقياس السلوك المضاد للمجتمع، PI. سلم جرد الصفات السيكوباتية نسخة فرنسية، BPFS-C سلم مميزات الشخصية الحدية للأطفال، سلم 9 نقاط لـ Simons 40 وآخرون، A-DES مقياس خبرات الفصام للذهاني،

وسلم مركز الأوبئة للدراسات، CESD للاكتئاب) لمعرفة: إسهامات كل من السمات السيكوباتية، الحدية، التفكك، الأعراض الاكتئابية، استهلاك الكحول والحشيش. في إحداث السلوك المنحرف. ولتحديد مقدار الإسهامات المنفردة لكل واحد من هذه العوامل قام الباحثان بحساب معامل الانحدار المتعدد بعد تحديد النتائج النهائية لكل مقياس على مجموع أفراد العينة، وفي الأخير جاءت النتائج كالتالي:

بالنسبة لمقياس PI. بلغ المتوسط الحسابي 11 ± 36.8 للسمات النرجسية، $30.9 \pm$ لسمة الصلابة، 33.7 ± 7.8 في سمة الاندفاعية، أما عن نتائج مقياس CESD فكانت النتائج 9.9 ± 16.3 ، وبالنسبة لـ A-DES: 47.5 ± 75.4 ، و 12.4 ± 34.5 بالنسبة لمقياس BPFS-C، بينما 34.5% من ($n=54$) قاموا باستهلاك الحشيش والكحول. وأكد الباحثان أن الصلابة النفسية هي المؤشر الوحيد الدال بالنسبة للسلوك المنحرف.

- دراسة Carpentier Julie (2009) تحت عنوان: المراهق المعتدي جنسيا، المستقبل الإجرامي والعوامل المرتبطة به.

لتقديم فهم جيد للمستقبل الإجرامي لدى المراهق المعتدي جنسيا قامت الباحثة بإجراء دراسة تحليلية لمعايير مختلفة خاصة بالمستقبل الإجرامي بهدف التعرف على عوامل الخطر المرتبطة بتلك المعايير. تمت الدراسة على ثلاث مراحل اهتمت في مجملها باستمرارية الفعل الإجرامي لتقدير معدلات العود والتعرف على عوامل الخطر المرتبطة بالعود الجنسي العنيف والعام لدى أفراد العينة. وعن طريق توزيع هذه الأخيرة على مجموعات فرعية تم إجراء تحليل عاملي لبعض المحددات المتعلقة بالمستقبل الإجرامي والتي تمثلت في: الإبكار (بمعنى السن عند أول اعتداء جنسي)، التنوع والتقاوم (التصعيد والتخلي).

اعتمدت الباحثة على 351 مراهق معتدي جنسيا كعينة للدراسة. مستوحاة من مركز الطب العقلي الشرعي بمونتريال ما بين سنوات 1992-2002 عن طريق الاطلاع على تاريخ الحالة من ملفات الأرشيف الخاص بالمركز، ومن ناحية أخرى تم تحصيل المعطيات حول المستقبل الإجرامي للمراهق حتى سن الرشد من المصادر الرسمية للإجرام بكندا في صيف 2005، وبلغ سن أفراد العينة الذكور خلال المرحلة الأولى للإجراءات البحث ما بين 11 إلى 18 سنة، وتمت متابعة ملفاتهم الإجرامية حول طبيعة التهم الجديدة، عدد الجرائم وخصائص الضحايا على فترة زمنية متوسطة مقدرة بـ 96.8 شهر في المرحلة الثانية أين تم تصنيف المستقبل الإجرامي إلى: عود عام، عود عنيف وعود جنسي. من أجل الإجابة على سؤالين رئيسيين يتمثلان في:

- ما هي عوامل الخطر والحماية لدى المراهقين المرتكبين للاعتداء الجنسي المؤدية إلى التخلي، التناقم أو التنشيط للمستقبل الإجرامي؟ وهل ينطوي الاعتداء الجنسي ضمن مسار منحرف واحد أو مسارات منحرفة عامة أم أن المنحرفين الجنسيين يتبعون مسارا خاصا بهم؟

استنادا إلى إطار مفاهيمي مستوحى من علم الإجرام التطوري لفهم السيرورة المعقدة والمؤدية إلى تطور الانحراف الجنسي خلال المراهقة واستمراره في مرحلة الرشد توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

. أن الاعتداء الجنسي لدى المراهق ينطوي ضمن إشكالية انحرافية عامة. فأغلبية المراهقين المعتدين جنسيا يتبعون مسار إجرامي مستقبلي مشترك مع أشكال أخرى من الانحراف، كما يتقاسمون معهم العديد من عوامل الخطر الأمر الذي يؤدي إلى إعادة تنشيط واستمرارية المستقبل الإجرامي. بمقابل فئة قليلة تميزت بإشكالية انحراف حصري تتمثل في أعراض خاصة بالانحراف الجنسي.

. أن نسبة كبيرة من المراهقين المعتدين جنسيا يستمرون في المستقبل الإجرامي بعد المراهقة وأن عدد قليل منهم يتخصصون في الانحراف الجنسي. وفيما يتعلق بعوامل الخطر فان بعض العوامل التطورية (هجر والدي، ضحية اعتداء جنسي، صعوبات علائقية، والاعتداء على ضحية مجهولة) جاءت مرتبطة بالعود الجنسي، في حين أن مؤشر المضاد للمجتمع والاندفاعية فقد ارتبطتا بالعود العنيف والعام على التوالي.

. أما فيما يتعلق بمحددات المستقبل الإجرامي فقد وجد أن القيام بالاعتداء الجنسي في سن مبكرة يكون مسبوقا بتظاهرات عدوانية خلال الطفولة وهو ما يؤكد إعادة التنشيط التي تنعكس في الاستمرارية أين نجد ظهور السلوك المضاد للمجتمع في الطفولة والعنف في المراهقة. كما أن غالبية أفراد العينة تراوح المستقبل الإجرامي لديهم بين التصعيد والتخلي.

من هنا أكدت الباحثة أن الاعتداء الجنسي للمراهق لا يشكل ذروة المستقبل الإجرامي المزمّن بل ينطوي ضمن مسار عام للانحراف أو أكثر من هذا. مشكلة سوء التكيف النفسي الاجتماعي والجنسي يمكن أحيانا تعديلها.

- دراسة GamacheGeneviève (2010) بعنوان: دراسة استطلاعية للخصائص النفسية الداخلية لأفراد ذو تنظيم حدي حسب اتجاه المرور إلى الفعل.

أثارت الباحثة إشكالية عميقة من الناحية الدينامية حول مفهوم المرور إلى الفعل. بحيث تجسدت هذه في مستويين. يتمثل الأول في: الخصائص النفسية الداخلية لأفراد ذو تنظيم حدي أقدموا على المرور إلى الفعل، وعند مستوى ثاني حاولت الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في تلك الخصائص بالمقارنة

واتجاه المرور إلى الفعل. كما حصرت الخصائص المبحوث عنها في: القلق المرتبط بالعلاقة بالموضوع، المؤشرات الاكتئابية، الآليات الدفاعية والعدوانية نحو الذات ونحو الآخر.

انقبت الباحثة حالتي لرجلين (40-30 سنة) من دراسة سابقة لLeveillé (2008)، خضعا خلالها إلى مجموعة من الاختبارات السيكومترية والاسقاطية، شخصا حسب معيار DSM 4 باضطرابات الشخصية الحدية. كما حرصت الباحثة على تمحيص متغير المرور إلى الفعل. بحيث يوجد في تاريخ الحالة الأولى مرور إلى الفعل نحو الذات وينعدم المرور إلى الفعل نحو الخارج. أما الحالة الثانية فالماضي يحمل العديد من تجارب المرور إلى الفعل نحو الخارج بالإضافة إلى الخضوع للعلاج بسبب اضطرابات السلوك العنيف. اعتمدت الباحثة على معطيات الرورشاخ فقط وتبنت المدرستين الأمريكية والباريسية (الكمية والكيفية) لتحليلها.

أسفرت النتائج عن وجود اختلافات في الأبعاد المدروسة: على مستوى القلق المرتبط بالعلاقة بالموضوع أظهرت الحالة (2) التي ارتكبت الفعل نحو الخارج هشاشة وعدم اكتمال نرجسي أكثر من الحالة (1). كما أبدى المفحوص الأول التماسا وتبعية على المستوى الموضوعي مع التقنية الاسقاطية، وضعية التميرر والعلاقة مع الفاحص.

انعكس هذا الخلل على طريقة مقايضة العواطف الاكتئابية باختلاف متباين مع الحالتي بالرغم من صعوبة هذه المقايضة، تعمل مع الحالة الأولى على قطع وإخلاء الفكر من تلك العاطفة التي تترجم بواسطة الفعل وترتد في أشع صورها ضد الذات، في حين أظهرت الحالة الثانية بعض القدرات على مستوى التعرف على العاطفة الاكتئابية واللجوء إلى إجراءات مضادة لها. أو استخدام دفاعات هوسية ضد بروزها.

يهدف المرور إلى الفعل نحو الخارج إلى استعادت حدود واضحة بين الداخل والخارج، لهذا يكون الحد داخل/خارج أكثر مسامية وأقل تحديد مقارنة والفعل نحو الداخل.

يحاول المفحوص الأول احتواء البروز النزوي ويظهر ذلك من خلال قلة الاندفاعية في بروتوكول الرورشاخ مع تمركز حول الذات مرتفع نوعا ما. هذا ما يمنحه القابلية للإحساس بالخزي وعدم الرضا مقابل مثالية أنا استبدادي بعيد المنال، وعلى العكس من هذا يبدو المفحوص الثاني اندفاعيا ويصعب عليه التحكم في النزوات فيكون عرضة للتجاوز الانفعالي، تمركزه حول الذات منخفض يدفع نحو الميل للشعور بالدونية وعدم استطاعته مسايرة الخلل النرجسي وبالتالي احتمال الارتداد نحو الغير لتحقيق الشعور بالأمان والاكتمال.

- دراسة LeSamady Mathieu (2013) بعنوان: المحددات النفسية للعمليات المؤسسية للإدمان على الكحول والحشيش خلال المراهقة. دراسة التداخل في العوامل الشخصية، تقدير الذات والصعوبات العلائقية بين-شخصية.

أجرى الباحث دراسة طولية امتدت على 3 سنوات بهدف تأكيد دور المحددات الشخصية كمؤشر رئيسي في الإدمان، بلغ عدد أفراد العينة التي تم استيفاءها من مدرسة ثانوية بمدينة تور الفرنسية في السنة الأولى 192 من تلاميذ المرحلة الأولى ثانوي منهم 51.3% إناث (n=97) بمتوسط عمر يقدر بـ 15.6 سنة، و48% ذكور (n=92) ومتوسط عمر 15.7 سنة. أما المرحلة الثانية فقد بلغت العينة 286 (54% إناث و45.1% ذكور) وفي المرحلة الثالثة 221 مراهق (58% إناث و41.2% ذكور) استعان الباحث بخمس أدوات لتأكيد فرضياته تمثلت في:

اختبار AUDIT التعرف على اضطرابات الكحول، اختبار لفحص تعاطي القنب الهندي CAST، قائمة جرد العوامل الخمسة للشخصية، استبانة الصعوبات بين-شخصية في مرحلة المراهقة. ثم استخدم في السنة الأخيرة سلم تقدير الذات لكوبر سميث، وأشارت الباحثة أن المراهقين الذين سمح البحث بتتبعهم فعليا بلغ 67 خلال ثلاث سنوات.

أشارت النتائج حسب التقييم الزمني للبحث إلى وجود ثلاث وضعيات تفاعل بين كل من عوامل الشخصية، تقدير الذات والصعوبات بين-شخصية. حيث تميزت مرحلة البحث الأولى باعتبار الوعي وهو أحد العوامل الخمسة الكبرى للشخصية المعدل لتأثير تقدير الذات العائلي على استهلاك الكحول والقنب. في حين لعب الانبساط دور المخفف لتأثير هذا البعد من تقدير الذات على الاستهلاك.

أما المرحلة الثانية فظهرت الشخصية كمؤشر تنبؤي، خاصة من زاوية الانبساط. أين يكون للإدمان على القنب دور المعدل للإدمان على الكحول. ويلعب كل من تقدير الذات الاجتماعي والمدرسي دورا في التعزيز والتخفيف من تأثير المستوى الضعيف من الوعي على إدمان القنب، أين يحتفظ الوعي بدور الوسيط في تأثير تقدير الذات العائلي على استهلاك القنب خلال هذه المرحلة الانتقالية.

في المرحلة الأخيرة تلعب الشخصية دور المنبئ. أين تعمل الصعوبات بين-شخصية على تعديل تأثير الوعي على عادات الإدمان؛ وتترجم هذه المرحلة انقلاب وتطور في دور الشخصية من الوسيط/أو المنسق إلى دور المنبئ خصوصا عندما تكون البنية متطورة كفاية.

- دراسة Proulx, St Yves, Guay, Ouimet (1999) و Proulxet Beauregard (2013-2014)

قام Proulx وفريقه بدراسة عيادية تمت على مرحلتين: مرحلة أولى سنة 1999، ومرحلة ثانية ما بين 2013-2014. هدفت الدراسة إلى التعرف على **النمط العملي لفعل الاعتداء الجنسي**. يتضمن هذا النمط العملي مرحلة ما قبل الفعل التي حددت بـ 48 ساعة قبل الفعل بالنسبة للمرحلة الأولى من الدراسة وتماماً بالنسبة للمرحلة الثانية. ومرحلة المرور إلى الفعل، كما تمثلت العينة في 78 معتدياً بالنسبة للشطر الأول واتسعت لتشمل 180 معتدياً. يشترك أفراد العينة في طبيعة الفعل المرتكب، الضحية من خارج المحيط الأسري، الخضوع للسجن. وتوصل الباحثون إلى:

وجود ثلاث أنواع من البروفيل لدى المعتدي حسب النمط العملي للفعل يتمثل في: المعتدي الجنسي السادي، المعتدي الجنسي الغاضب، المعتدي الجنسي الانتهازي.

بالنسبة للمعتدي السادي فقد وقف الباحثون على وجود هومات جنسية منحرفة تسبق الفعل، الاعتداء يكون فعلاً متعمداً مخططاً له، يتم اختيار الضحية وفق خصائص محددة بحيث لا يمكنها التعرف على المعتدي فهو يملك سيناريو سادي مضبوط سابقاً. خلال السنة التي تسبق الفعل يتميز نمط حياته بالصراع ونقص القيمة (تقدير ذات منخفض) ما يدفع إلى عداة عام اتجاه النساء. عداة ناتجة عن صراعات، رافض للمعايير الاجتماعية، غالباً ما يكون عاطلاً في حياته. كما يتميز المعتدي بإفراط جنسي شاذ مع التمسك بالاستمناء القهري، الإباحية، التردد على الحانات المثيرة وخدمات الدعارة، لديه عدم إشباع جنسي ويقع في عالم من الهومات الجنسية المنحرفة للهروب من المشكلات عامة (الداخلية والخارجية)، عزلة اجتماعية. أما بالنسبة لمرحلة الفعل فيكون هناك استخدام لمستوى مرتفع من العنف. يكتسي البعد الجنسي أهمية كبرى (الجماع والضحية المجبرة على القيام بأفعال جنسية لصالح المعتدي). وجود عواطف سلبية وغضب. حيث يقوم باختطاف، احتجاز، إذلال وتشويه الضحية، يستخدم العنف التعبيري وكذلك السلاح الذي بإمكانه أن يؤدي إلى وفاة الضحية.

بالنسبة للمعتدي الغاضب: يحمل النمط العملي خاصية الغضب، الاعتداء غير مخطط له، يميل المعتدي إلى تناول المفرط للكحول قبل وخلال الفعل. لديه نمط انعزالي مع الشعور باحتقار الذات، يقع في العمل الضمني المتواصل. ونمط حياة فوضوي. يتميز بالاستهلاك المفرط للكحول، نوبات غضب وكذب متكرر. يحدث الاعتداء دون تعذيب للضحية التي يتم اختيارها من وسط متدني. لكن تناول الكحول ومشاعر الغضب تشجع على استخدام العنف الذي بإمكانه أن يدفع للموت. يستخدم المعتدي الجنسي الإباحية، الحانات المثيرة والدعارة للسيطرة على المشاعر السلبية.

المعتدي الانتهازي يترجم النمط العملي للفعل بالرغبة في الإشباع الفوري للرغبات الجنسية، لديه نمط صراعي ويظهر تمردا وصراعا اتجاه النساء أو مع من يمثل السلطة. ويعاني من عدم رضا جنسي (فأبسط الرغبات تشبع بطريقة فورية). أما عن الفعل فإنه يخضع لمبدأ عدم التخطيط، يكون المعتدي مثبط بواسطة الكحول ويستخدم العنف لإجبار الضحية التي يعرفها جيدا ويرأها جذابة. كما صرح المعتدين الانتهازيين بغياب الهوامات الجنسية المنحرفة والغضب خلال الفعل.

• تعقيب على دراسات المحور الثاني:

في هذا المحور تطرقنا إلى الدراسات التي تناولت موضوع الفعل المنحرف وبعض المؤشرات الدالة عليه أو المرتبطة به. انتشرت الدراسات عبر مجال زمني يمتد من 2000 إلى 2014، باستثناء دراسة Heraut 1993 والمرحلة الأولى من دراسة Proulx et autres 1999.

- اتفقت الدراسات على هدف مشترك وهو الكشف عن مؤشر من المؤشرات الدالة على الانحراف في الفعل سواء كان ذلك بالاعتماد على تحليل الفعل في حد ذاته: Gamache 2010، Roman 2000، Larochalle 2000، أو الوقوف على العلاقة التي تربطه بعوامل شخصية أخرى: Lesamady 2013، Heraut 1993، Carpentier 2009، ST Martin et Chabrol 2008، Ouimet et autres 2013، 1993-2014.
- كما اتفقت الدراسات في عينتها على مرحلة المراهقة كمرحلة ممثلة باستثناء دراسة Gamache 2010 و Ouimet et autres 1993، 2013-2014 التي اختارت مرحلة الشباب والرشد. وحسب رأينا فهذا الخيار لم يأت عبثا فقد وقع بالنظر إلى كون المراهق أكثر ميلا للمخاطرة والاندفاعية في السلوك وبالتالي للمرور إلى الفعل والى تبنى أشكال متنوعة منه، وأن دراسة بعض أبعاد الفعل (المستقبل الإجرامي) يكون أكثر إتاحة مقارنة ومتغير السن. يختار المراهق للكشف عن الوضعيات الصراعية الداخلية والخارجية التي يعيشها في هذه المرحلة سجل التعبير السلوكي وهو الأدنى مستوى بالنسبة لسجلات التعبير الإنساني. وهو ما يتيح حسب الباحثين التجول في مساحات نفسية واسعة من حياة المراهق واقتراح احتمالات متعددة من الدوافع والأسباب وبالتالي التنبؤ بمآل الفعل ومستقبل هذا الأخير في ظل هذا الواقع المتشابك.
- جميع الدراسات أشارت إلى وجود مؤشرات داخلية نفسية معرفية سلوكية تسبق الفعل وتكون سببا أو دافعا أو مفسرا له: ST Martin ET Chabrol 2008 (الاكتئاب، استهلاك الكحول والحشيش، السيكوباتية، الحدية)، Roman 2000 (الصددمات الأولية، فقدان)، Larochelle 2000 (تصورات بدائية عن الذات وعن الموضوع)، Heraut 1993 (العنف، الكف، التنشئة الاجتماعية المبتدلة)، Lesamady 2013 (تقدير الذات، صعوبات بين-شخصية).

7-3- إستفادة الدراسة الحالية من الدراسات السابقة:

تكمن أهمية الدراسة العيادية مع المراهق المنحرف ومع أشكال متعددة من الفعل في التعرف على خصوصية الفعل في هذه المرحلة وهل هناك اختلافات نفسية كامنة حسب اتجاه الفعل، وقبله حسب طبيعة الفعل. أم أن الفعل خلال المراهقة يأخذ تفسيراً مشتركاً مع مراحل العمر اللاحقة وبين كل أشكال الفعل التي تم تناولها في البحث. الدراسات التي اعتمدت في هذا البحث كما سبق الإشارة تم تصنيفها إلى محورين رئيسيين. دراسات تتقاطع في العديد من الأبعاد التي قامت عليها مع أهداف البحث الحالي:

- جاءت أغلبية الدراسات العيادية بتوجه تحليلي وهي المقاربة الأساسية التي اعتمدها الدراسة الحالية سواء من ناحية الجانب النظري أو التطبيقي. وكان نتيجة لهذا أن تبلورت التمثيلات التحليلية المرتبطة بموضوع الدراسة وهو المراهق المنحرف. كما وساهمت في رسم المتغيرات الدينامية التي تتحكم في صيرورة الفعل وسياقه. ومن خلال الثراء المفاهيمي الذي وصلت إليه المدرسة التحليلية سمحت الدراسات السابقة بإعطاء سند نظري قوي ومتشعب للمتغيرات السابقة المتمثلة في المرور إلى الفعل ومرحلة المراهقة.

- من بين ما تم استخلاصه بالنسبة للتوجه التحليلي هو اقتصار بعض الدراسات على تناول شكل من أشكال الفعل فقط، وهو ما سعينا إلى تجنبه والقيام بدراسة أشكال متنوعة من الفعل. تتوع ارتبط بصورة مباشرة باتجاه الفعل (نحو الذات ونحو الآخر). بالإضافة إلى تركيز البعض الآخر على تناول متغير واحد أو بعض المتغيرات المرتبطة بالفعل المنحرف؛ وهو حسب رأينا كشف عن وجه من أوجه هذا الأخير لكنه أقصى العديد من الجوانب. الأمر الذي دفع إلى اعتماد مفهوم السياق كإطار عام للآليات المتفاعلة خلال المرور إلى الفعل. وهو في رأينا يعكس المساهمة التي ستتولد عن الدراسة الحالية.

- الأدوات البحثية التي تم الاستعانة بها في الدراسات السابقة تمثلت بشكل رئيسي في التقنيات الاسقاطية وهذا ما يبرز أهميتها في الدراسات العيادية دون منازع. أتاح لنا هذا الأمر التأكيد على اختيارنا لاختبار الرورشاخ كأداة رئيسة للبحث. كما أن المنهجية التي استخدمت في تحليل نتائج البحوث السابقة ساعدت في بلورة الطريقة التي تم بها الكشف عن سياق الفعل.

- تبني النموذج التحليلي الكلاسيكي في تفسير نتائج البحوث بصورة عامة ونتائج التقنية الاسقاطية بصورة خاصة تم الاستعانة به في تفسير نتائج الدراسة الحالية.

الفصل الثاني: أحجية المرور إلى الفعل

تمهيد

- 1-المرور إلى الفعل محاولة لتحديد المفهوم
- 2-تفسير المرور إلى الفعل تبعا لبعض الآليات النفسية
- 3-المرور إلى الفعل ضمن سياقات نفسية مختلفة
- 4-خصوصية الفعل عند المراهق المنحرف
- 5-مميزات المرور إلى الفعل
- 6-محاولة لاستقصاء سياق الفعل بالاستناد إلى بعض الدراسات النفسية

خلاصة

تمهيد

تفسير التصرف الإنساني يشكل المحور الرئيسي الذي قام عليه التوجه التحليلي بحثا له عن سيرورة داخلية كامنة تعكس على الأقل الجهد المبذول في الوقوف على حقيقته. بالمقابل تفسير التصرفات العنيفة وفق نفس المنطق السابق لم يثمر إلى حد ما في الكشف عن أغوار الفعل الإجرامي. وحتى المجرم عن طريق الإحساس بالذنب الذي منح الأحقية والصدارة للنظرية التحليلية منذ القرن الماضي أصبح مجرد تفسير متمركز حول نفسه، لا يسمن ولا يغني من جوع. وحقيقة أن الفعل قد انكشف مع التجديد الذي شهدته النظرية التحليلية هي حقيقة واهية.

عرف مفهوم الفعل الإجرامي سلسلة من التغيرات على المستوى النوعي. وكان في كل مرة يطفو فيها إلى السطح مصطلح تحليلي جديد إلا ووجد جذورا تمتد عبره، من الوضعية العلاجية وإشكالية التفعيل الذي تبرز من خلاله. وضعية يتخذ فيه الفعل طابعا اندفاعيا لا يتجاوز مساحة التقنية التحليلية ويكون موجها نحو شخصية المحلل في نداء كامن/صريح ومعبر عن إشكاليات النقلة/السند اللتان اعتبرت بالنسبة له ومع كل مرة يطفو فيه المكبوت؛ اضطرارا للتكرار. يسلك الفعل نفس الطريق الذي تنتهجه عودة المكبوت؛ يتجسد بذلك تحت شكل هفوة، فعل نوعي، أو هوامات نفسية. المهم في الأمر أن يجد له منفذا بعيدا عن سيطرة اللاشعور، يقظة الأنا ومثاليته وسطوة الأنا الأعلى. يظهر الفرد في خضم هذا التدافع الداخلي منهك القوى ما عليه سوى أن يستسلم لمصير الحركة النزوية المرتبطة بانفعالات شديدة. يستعين الفعل بالعمليات الأولية وبآليات نفسية ذات وظيفة إما خائفة تشهد على هشاشة الأنا، أو على دفاعات صلبة لا تمنح للانا المساحة الكافية لتعديل الاقتصادية النفسية المستثمرة.

يلعب الموضوع وظيفته السند ليس بالنسبة للفرد وإنما في خدمة الفعل. لا تتعلق الخصائص التي يملكها الموضوع الخارجي بطبيعة الفعل بقدر ما تتعلق بنوعية الصور الموضوعية التي تبلورت مع تاريخ الفرد العلائقي، إذا فهي مصدر من مصادر قوة الفعل التي يعتمد عليها في اختيار نوعية القلق المناسب وشدته لكي يستطيع استكمال وتجسيد مشروعة الإجرامي العنيف.

لا يستطيع الفرد مرة أخرى ومع بروز القلق القيام بعملية الاحتواء، فهو لا يملك غلاف نفسي جيد ولا حدود مسامية تسمح بتسيير الاستثمارات العلائقية بين المجرم وضحيته، ولا حتى القدرة على تمثيل حقيقة الصراع الداخلي الذي يعيشه.

يظهر الفعل على شكل سلوك إنساني منحرف معلنا عن ميوله التدميرية اتجاه الذات نفسها أو اتجاه الآخر فالأمر سواء بالنسبة له. عن رفضه للمعايير والقيم التي تحكم المجتمع. هدفه الأساسي هو التعدي

على كل من يمثل السلطة، تتصادف هذه الحقيقة مع واقع مرحلة المراهقة الذي يغذيها إلى درجة الإشباع النفسي ويضمن لها تمثيل على المستوى الهوامي وبنفس الدرجة على المستوى الواقعي.

ينقل لنا التوجه التحليلي مع كل التطورات التي مست آليات عمل الجهاز النفسي من الناحية الدينامية والاقتصادية واقع مشبع بالتفسيرات التي تعطي للفعل مساحة نفسية بإمكانه أن يكسب من خلالها الصدارة في مجال علم النفس الإجرامي، وهو ما يحاول هذا الفصل التطرق له من خلال عرض لأهم المحطات التطورية، المفاهيمية، التفسيرية، التصنيفية للفعل المنحرف. لكن يجب التنكير بأن هذا المفهوم وحتى اللحظة الراهنة يبقى أحجية كبيرة بالأخص عند مستوى التنبؤ به وبالمستقبل الذي ينتظر القائم به.

1- المرور إلى الفعل محاولة لتحديد المفهوم:

يأخذ مفهوم الفعل من مصدره فَعَلَ، يُفَعِّلُ، الفعل بالكسر الاسم، والجمع الفِعَالُ والفِعَالُ أيضا مصدر فَعَّلَت الشيء فانفعل (الجوهري، 2009، ص.793)

وَفَعَلَ الشيء عمله وصُنعه، والفعل في النحو كلمة دلت على الحدث وزمنه، تفعيل الأمر: جعله فاعلا وواقعا (أحمد وآخرون، 2008، ص.1726) وجاءت كلمة Acte: مترجمة للغة العربية تحت تسمية: عَمَلٌ، فَعَلٌ، صَنَعٌ، تَصَرَّفٌ.

وجاء في Le Grand Dictionnaire de la psychologie أن الفِعْلُ "هو وحدة من السلوك المعزول عن مجموع تصرفات الفرد، متكيف ومتميز بمعناه الوظيفي عادة ما يكون جاذبا لمصدر إشباع الرغبة. يتشكل الفعل من عديد الوحدات التي تكون بدورها متناسقة عن طريق التصورات التي برمجتها والهدف المراد بلوغه، يمكن أن يكون الفعل إرادي أو لاإرادي ويأخذ في الحسبان معاني شعورية ولا شعورية" (Bloch et all, 1999, p.59).

وقارب Berron 2002 بين الفعل acte والتصرف agir بالإشارة إليهما كسلوك (لفظي أو حركي) يهدف إلى تغيير المحيط سواء بتجنب الألم، أو لإشباع رغبة. هنا يصبح الفعل مرتبط بالحدث في توقيته الدقيق وبعده العاطفي، حيث يرجع إلى عملية إنتاجية ومخرجاتها (Raoult, 2006, p.8).

يشير هذا الطرح العام لمفهوم الفعل إلى ارتباطه بجملة من المصطلحات كالممارسة، السلوك، الحركة، التصرف، التي قد تختلف بالضرورة من حيث المعنى ومجال الاستخدام، وهو ما انعكس من خلال تركيز عديد المجالات النفسية الاجتماعية، القانونية، الأخلاقية، الطبية، على تناول مفهوم الفعل الإنساني ومحاولة حصر معناه سواء برده إلى عوامل ذاتية ضمنية محركة أو دوافع خارجية مساعدة.

ونتيجة لهذا انكب العديد من الباحثين في الحقول النفسية على دراسة هذا المفهوم كل حسب تخصصه (Poutales et la planche 1967، Parot 1969، Prisset et Ey Bernard 1974، Balier 1977، Assoum 1985، Milaud 1988، Perron 2002، Roussillon et Arechamboult 2000، Kinable 1998)، الأمر الذي يبرز في تعدد دلالة المفهوم، وزاد من التعقيد في معناه خصوصا عند التقاءه مع مفاهيم أخرى.

ومنه كان الوقوف على مفهوم "الفعل" بما يتماشى وتوجه البحث الحالي وحصر معناه في سياق المتغيرات التي تم صياغتها يستلزم:

1. إبراز الاختلاف في التناول النظري من جهة وكذا حقل الاستعمال من جهة أخرى.
2. الوقوف على الاستخدامات النظرية لجملة المفاهيم ذات الصلة بكلمة فعل من مثل الأبعاد الدلالية لكل من تفعيل، فعله، فعل نوعي في التحليل النفسي والعلاج النفسي والعلاج التحليلي. فحسب Milaud (1998) مثلا فإن مفهوم المرور إلى الفعل - وهو ما يتبناه الطرح الحالي - يستعمل في الطب العقلي والتحليل النفسي بمعنى أفعال اندفاعية، عنيفة، عدوانية (القتل الانتحاري، الاعتداء الجنسي) وفي نفس الوقت يعتمد على مفهوم التفعيل لوصف سلوك إجرامي منحرف إدماني وسيكوباتي بمعنى سلوك مرتبط ببنيات شخصية مختلفة، هذا الخلط نجده بكثرة في التوجه الانجلوساكسوني، ونجده أيضا في التوجه الفرنسي وبصورة عامة في تداول العياديين.

3. التأكيد على أهمية المفهوم في التناول التحليلي خصوصا وإن كانت هذه الأهمية قد برزت من خلال استخدام فرويد في مؤلفه "الطوطم والحرام" عبارة فاصلة مفادها "منذ البداية كان الفعل" لكنها لم تغني عن كونه مفهوما مشحونا بكل الغموض، أين تتوالى العديد من الأطروحات النظرية يحاول الباحثون من خلالها استخدام الكلمة واشتقاق معنى مناسب لهذا الاستخدام سواء استنادا إلى منطلقات أولية قام عليها معنى الكلمة، أو باجتهادات متجددة تستجيب لمستجدات الواقع.

هنا نجد التوجه الأنجلوساكسوني الذي ظل حقبته من الزمن متمركزا حول دراسة مفهوم Egopsychology، نجده قد انكب على دراسة البعد النفسي الاجتماعي لمفهوم الفعل، ومنه جاء اشتقاق مفهوم الشخصية السوسيوباتية أو المضادة للمجتمع وخصائصها التي تأخذ الفعل بلفظ المرور إلى الفعل، بمعنى التعدي أو التجاوز باستخدام العنف أو العدوان، وجاء على إثرها ما يسمى بالحالات الحدية مع Keemberg (1966) والتي شكلت البنية الأكثر تمثيلا وحصرًا لمفهوم الفعل بالمعنى السابق.

وفي فرنسا أخذت ترجمة مفهوم Agerien الفرويدي مع التحليليين عديد الاشتقاق والتفسيرات، حيث سار لابلاش وبنطاليس على خطى المدرسة الانجلوساكسونية، بتركيزهما على ركن الأنا ووظائفه والتي من

بينها المرور إلى الفعل ولم تقتصر هذه الوظيفة على مدلول الفعل كترقيغ نزويما كما جاء به Lacan (1967) بل تجاوزه إلى أنا مكلف بالتقمص والتفردن في نفس الوقت.

ومرة أخرى أخذ الفعل تفسيرا له بوجود خلل في عملية العقلنة. المفهوم الذي طرح من طرف المدرسة السيكوسوماتية لتفسير عديد التصرفات النفسية وتجاوز الغموض الذي تتوقف عنده بعض الظواهر النفسية، وأشار Green 1970 و Raoult 2002 إلى أمراض الفعل التي تتمثل في بعض الأشكال العنيفة من الفعل، وكان لمفهوم التفعيل معنى "الاضطرار الذي يدفع بالفرد إلى إعادة إنتاج تجربة كلية أو حادث كلي دون توقف، بدل اختيار جزء ممثل له [...] مهما يكن الشكل المزاح الذي تظهر من خلاله، فهي تحتفظ بدرجة ملموسة بتنظيمها الأولي". (Brelet, 2004, p.10)

الأكيد في الأمر أن مفهوم الفعل قد أخذ حضا وافرا من التناول في البحوث النفسية على مسيرة حافلة بعديد المعان التي تعكس اجتهادات الباحثين؛ وقد أوضح Raoult (2006) أن معان الفعل في المجالات المعينة أخذت أربع توجهات رئيسية: استند التوجه الفرنسي إلى المرجعية الوراثةية ومفهوم الانتكاس، ووضع في المقدمة مفاهيم اللاتوازن العقلي والشذوذ البنيوي. وركزت الرؤية الألمانية على الشخصية السيكوباتية ومجال الفصامين لتفسير الفعل. وتمحور التوجه الأنجلوساكسوني حول البعد النفسي الاجتماعي كما سبق الذكر وتطوير مفهوم البنية الحدية؛ وأخيرا تساءل التوجه التحليلي عن مفهوم التفعيل كمفهوم محوري انجر عنه عديد المفاهيم النظرية الأخرى.

1-1- المرور إلى الفعل والتفعيل

أشارت F. Colonomos 2006 إلى أن مفهوم التفعيل Acting ont لم يكن من ضمن المفاهيم التحليلية الفرويدية بالرغم من مصادفته مرتين كترجمة للمفهوم الألماني Aigieren للغة الانجليزية. حيث ظهر في مقال فرويد (1914) "تكرار، إرسان". ومرة ثانية سنة (1939) في "موسى والتوحيد" أين طرح إشكالية تفعيل قتل.

ويبدو أن Aigirien الفرويدي يقابل بالانجليزية To_act_out وبالعربية فَعَلَ ومصدرها تفعيل Acting-out بمعنى تصرف مخالف أو نمط سلوك غير متوقع ومخالف لمألوف مسلك الشخص (سهيل، 2015، ص.35) فعل To - act في صيغة المتعدي ومعناه في المجال المسرحي To act a play لعب مسرحية، To act Apart: لعب دورا وكلمة Acting-out بمعنى خارجا، تشير إلى الإفصاح والإظهار نحو الخارج أو نحو الآخر وتقابلها Acting-in أو التفعيل نحو الداخل.

كما أوضح لابلانث وبيتاليس (2008) أن مفهوم التفعيل قد استخدم في التحليل النفسي للدلالة على الأفعال ذات الطابع الاندفاعي على شكل عدوانية موجهة نحو الذات أو نحو الغير، وفي سياق العملية التحليلية فهو دلالة على بروز المكبوت وينبغي فهمه في ارتباطه بالنقطة.

ولما يربط فرويد بين اضطرار التكرار والنقطة يشكل التفعيل بعد تحويلي محدد بإطار العلاج والنقطة، هو أساسا عبارة عن نداء وتحد لما حذف من عملية التأويل، ويضيف Lacan (1962 – 1963) "أن التفعيل يتميز بكونه نقلة متوحشة، يتجلى فيها جزء من الشخص فتصبح النقطة دون تحليل تفعيل، والتفعيل دون تحليل نقلة". (p.136).

ويتقارب مفهومها "الطرح خارج المشهد" و"الإظهار فوق المشهد" من حيث المعنى خصوصا بعد استدخال بعد الاندفاعية على مفهوم التفعيل في إطار النقطة.

وكذلك بادر Lacan (1962-1963) إلى تبيان الغموض الذي تتطوي عليه هذه المفاهيم، فطرح وجهة نظر دينامية لصيرورة الفعل تحت شكلين أساسيين الأول: بالطرح خارج المشهد في المرور إلى الفعل مع انعدام الطلب الموجه نحو الآخر في الإشارة إلى سجل الرفض، والثاني في إظهار فوق المشهد في التفعيل الذي يشكل أساسا نداء موجه لآخر، بالإضافة إلى هذا فإن الهوام الذي يغذي المرور إلى الفعل يخفي بداخله تمثيله للفعل وهي في الأصل تمثيلة معقلنة للنزوة. أما في حالة تفعيل النقطة فالنزوة تتموقع أكثر في سجل ليبيدي مقابل هيمنة النزوات العدوانية في حالة المرور إلى الفعل، وكلاهما يتقاسمان هدف مشترك وهو: البحث عن الإشباع الحقيقي للفعل (Milaude, 1996, p.31).

يجب التفريق بين نوعين من التفعيل: المباشر وغير المباشر. ففي حين نصادف الأخير في الإطار العلاجي ولدى أفراد يملكون القدرة على تحقيق عصاب النقطة. فإن النوع الأول الذي يظهر في السلوك يتواجد في عصابات السلوك، الطبع، السيكوباتية وبعض الإصابات السيكوباتية. يغلب على هذا النوع من التفعيل طابع ضرورة التفرغ، مع سيطرة الجانب الاقتصادي فقر في عملية الترميز، وإعطاء قيمة للمدرك (M'Uzan, 1968, 1977).

بعد هذا يصبح من الممكن الوقوف على أوجه الاختلاف والتشابه بين مفهوم المرور إلى الفعل التفعيل، وبالرغم من إن الترجمة للغة العربية لا تطرح نفس الأشكال فالمرور إلى الفعل يعكس السلوك الذي يتبناه الفرد في أي موقف من مواقف الحياة. أما التفعيل فيكون أشمل ويضم كل عملية تنشيط تمس أي نظام قابل للحركة داخل أو خارج الفرد. أما في علم النفس فالأمر يختلف لأنه يتعلق بالمدلول في هذا المجال، فحقيقة المرور إلى الفعل عند المستوى التحليلي تدرك كحل للقلق، كتعبير عن صراع نفسي داخلي يتبناه الفرد من بين مستويات التعبير المتاحة (اللفظي والجسدي)، يتعلق برهانات الحياة أو الموت.

بالنسبة لـ Bergeret (2009) يكون المرور إلى الفعل موجهاً للآخر دون إفصاح للذات أو للآخر عن الأفكار الكامنة وهو بهذا المعنى يتفق مع التفعيل؛ ويؤكد Lacan (1962-1963) أنه يهدف إلى طلب المساعدة وأن ظهور هذا النوع من البحث العلائقي يعني أننا بصدد عملية التفعيل، فالأمر يتعلق بالمرور إلى الفعل ذو علاقة بالوحدة، بخيبة الأمل، بتفريغ الآخر، السيطرة ومحاولة التحكم في الآخر. إذا فصيغة البحث العلائقي الكامنة والموجهة للآخر هي العامل المشترك بين المرور إلى الفعل نحو الذات أو نحو الآخر، والتفعيل نحو المعالج في إطار العلاقة التحليلية.

يأخذ المرور إلى الفعل العنيف طابع سلبي على المستوى الانفعالي، الفردي أو المجتمعي. وهو مصير حتمي للخطورة، للعنف، للعلاقة التدميرية مع الموضوع (الذات، الآخر)؛ علاقة تدرك في المحيط الاجتماعي، في العلاقات المهنية، الزوجية. يشهد المرور إلى الفعل على تخلف عميق في التعبير العادي للتوظيف العقلي يتجلي ذلك عندما يترافق العنف المعبر عنه بالضرب، العدوانية وأيضاً عندما يرتبط بوضعيات تبعية جسدية (كحول، تدخين، إدمان)، أو سلوك انتحاري (Bergeret, 1998).

بالمقابل يعطي Milaude (1998) تبريراً لترجمة مفهوم acting out التفعيل بـ *passage à l'acte* المرور إلى الفعل، فأشكالية الاختلاف تطرح عندما يتم تناول مفهوم المرور إلى الفعل في سياق تطبيقي أو نظري آخر غير التحليل النفسي. وعليه فإنه -أيالمرور إلى الفعل- لا يكون دوماً مرتبطاً بنشاط حركي أو بالفعل بالمعنى الأدق، فالصمت، التعبير السريع، الغياب يمكن اعتبارها مروراً إلى الفعل في العلاج التحليلي، تشير إلى وجود محتويات نفسية مكبوتة لم تتمكن من البروز خلال التداعي الحر لكن يعاد معاشتها في النقلة، إذا المرور إلى الفعل يرتبط بمفاهيم اللاشعور، النقلة، اللغة (المرور إلى الفعل وسيلة للتواصل) وليس نشاطاً حركياً بحتاً. وبالتالي وبهذه الصيغة فهو يملك طابعاً إيجابياً بالنسبة للعلاج.

كما أن التفعيل هو عبارة عن تصرف ذو هدف غير محدد، وهو عودة عامل مكبوت ومنسي، أما في حالة المرور إلى الفعل لا يمكن التحكم في التصرفات التي تشمل الفرد والآخر. وعليه فالعلاقة بينهما شبيهة بالعلاقة بين الواقع والرغبة " التفعيل يشمل المرور إلى الفعل كاحتمال لتصرف يحاول استبعاده، والمرور إلى الفعل يشمل التفعيل كاحتمال لفعل يحاول إعادة تملكه" (De Abreu, 2014, p.220).

ومرة أخرى طرح Lacan (1962-1963) مفهوم التفعيل كمكون يجنب القلق ونداء يحمل صفة الإظهار. هو مرور إلى الفعل في علاقة مع الموضوع (a) كل ما هو تفعيل هو ضد المرور إلى الفعل (....) التفعيل مع الموضوع (a) ... الموضوع (a) الذي ينشط من خلاله يمكن أن يشكل بالنسبة للفرد أنا أعلى متشدد" (p.144-147).

وترى LeGolf (2009) بان التفعيل يتموضع بجانب عصاب الأنا الأعلى المتشدد، يُدَبَّوئِلِزِم، منظم كسيناريو هوامي، طرح للمكبوت، يرغب في التموّج كرسالة موجهة نحو الآخر بعدوانية غير معقولة تعود ضد الأناوتبدو في نشاطها مرتبطة باضطرار التكرار. (p.142)

1-2-الفعل النوعي Action spécifique (الفعل، التصرف، الحركة، الفعل النوعي، الهفوة):

كان مشروع علم النفس علمي (1985) منطلق ظهور مفهوم الفعل النوعي الذي يهدف كفعل إلى تفرّغ الاستثارة الداخلية بطريقة غير نوعية. المسلك الأقصر للتفرّغ بواسطة الحركة، أو بطريقة نوعية تعطي حل دائم لهذه الاستثارة مع ضرورة وجود الموضوع الخارجي لاستكمال الفعل المرتبط بتجربة الإشباع. اكتسب مسلك التفرّغ الحركي وظيفة إنشاء العلاقة أم- طفل الأمر الذي سمح باستعارة عمليات الإسقاط-الاستدخال حيث تكمن الثنائية التكافئية نشاط/ فتور. هذه البلورة للحركة في الواقع شكلت موضوع تحولات مستقبلية خلال تطور التنظيم النفسجسدي ما قبل الأوديبي (نشاط/ فتور، سادية/ مازوشية، ذكورية/ أنثوية).

وبمجيء ما وراء مبدأ اللذة 1920 أصبح الفرد ينشط بواسطة الحركة النزوية المتولدة عن "هو" الموقعية الثانية أين يسمح التوجه النشط لهذه الحركة من خلال الالتقاء بين الحقيقة الجسدية والنفسية للمواضيع الوالدية بإرسان الأوديبي؛ فيتموضع الفرد بين حركتين نفسييتين متضادتين: تلك المتعلقة بالاندفاعية النزوية التي تجذبه نحو الرغبة المحرمة، وبين إدماج المحرمات الجنسية كغيرها من الحاجات التي تتطلب فعلا نوعيا قد يشكل نتيجة مرضية يتسبب في انحرافها عن مسارها.

يتألف نشاط الفرد في حقيقته من هدف لأشعوري يتعلق دوما بتفرّغ الحركة النزوية في الفعل أو بواسطته، فتتصرف النفس من أجل إزالة الاستثارة وتحقيق اللذة وفي ذات الحين يجب أن تضمن لها مصير نفسي بواسطة الطاقة المخزنة (Brelet-Folard, 2004 , p.14).

من جهته يشير المرور إلى الفعل إلى فكرة تفرّغ نزوي اندفاعي، حسب توجه الطب العقلي، واعتمادا على النموذج شدة_ تفرّغ الذي يرافق الفعل النوعي فإن منطق المرور إلى الفعل يتموقع تحت منطقة تشكل الحاجة إلى تحقيق التصور بالاستعانة بالعمليات الرمزية.

من خلال هذه الدينامية النزوية يجد النقص المتعلق بالقدرة على تمثيل الصراع النفسي وعمل التشابك الذي ينجر عنه، يجد مصدره في معاش متأثر بالحرمات وناتج عن العمليات الأولية (Houssier, 1995, p127).

1-3- المرور إلى الفعل والرجوع إلى الفعل:

المرور إلى الفعل هو عبارة عن تفرغ حركي، صيغة نفسية تتفق عليها أغلبية الآراء النظرية والعيادية. لكن على المستوى الكامن لهذه التركيبة تنتشعب وتتشتت الآراء؛ فنجد أن كل من Pontalis et Laplache (1967) يشيران إلى الطابع الاندفاعي، العنيف، العدوانى والمنحرف. وقبله فرويد 1911 يؤكد على أن مبدأ اللذة يسطر على التفرغ الحركي، وأن وظيفته تكمن في تخليص الجهاز النفسي من الإثارة الزائدة، وفيما بعد يتم تعويض هذا النوع من التفرغ بواسطة وظائف الانتباه، الذاكرة، القدرة على الحكم عن طريق نشاط التمثيل. يمنح التعبير الحركي حسب Mazet (1983) إحساسا بقوة مطلقة مع فرط استثمار الجسم، أي أن هناك إعادة تنشيط للصراعات الداخلية في اضطراب التكرار. أيضا؛ يهدف الفعل رأي Roussillon (1991) إلى تفرغ كمية كبيرة من الاستثارة مع تجنب لعملية التفكير. ثم يأخذ مكان أداة للدفاع ضد الإحساس بالفتور وضد قلق الإبادة مع Marty (1997).

فيما بعد يظهر المرور إلى الفعل ضمن حلقة مفاهيمية أكثر تعقيدا في أعمال Tardif (1998) وفرضيته حول القصور فيعملية الإحصانالنفسي ومفهوم الالكسيتيميا. Bergeret (1996) والوضعية النكوصية التي يشكلها الفعل، وضعية تهدف إلى سد فراغات التعبير العقلي. Corcros (2000) ومقترح الاستعراض المضاد للفكر حيث يؤدي الفعل ضمن هذا الاستعراض وظيفة المنقذ. Balier (1996) و Jeammet (2005) حول إشكالية الهوام (نقلص مسار الهوام، انزلاق الهوام) كوسيلة لاحتواء الاستثارة الزائدة يتعين على الفعل تحقيقها. وهو ما يشير إلى وجود أثر لعمل ما على مستوى الهوام اللاشعوري، عمل مرتبط بتمثيلات نفسية.

على النقيض من المرور إلى الفعل فالتعبير الوحيد المتاح في حالة الرجوع إلى الفعل يكون على شكل تظاهر بالقوة المطلقة ضد موضوع خارجي قادر على إعادة إحياء صدمات غير ممثلة، متبوع بخطر الفناء. بعيدا عن الفعل يحمي الإنسان نفسه بواسطة الانشطار والإنكار للواقع، تأخذ هذه الحماية حسب Balier (1996) طابع استعجالي فالخيار الآخر يعني حالة اللاتنظيم النفسي، يعني خطر الجنون؛ وهنا يؤكد Raoult (2006) على أن الرجوع إلى الفعل يهدف إلى المحافظة على النرجسية بإقامة توهم للقاء وبالصدفة بين الفرد ومثاليته، ولهذا السبب يظهر كدفاع ضد الاكتئاب، ضد القطيعة في الروابط المستثمرة، ضد الهشاشة النرجسية في مواجهة مثالية أنا مضخمة، إذا الأمر يتعلق بألوية نرجسية للعنف المستخدم في الهروب من التهديد السابق.

وعلى هذا يؤكد Balier (1996) مرة أخرى على أن الاختلاف بين المرور والرجوع إلى الفعل يكمن عند مستوى عملية العقلنة، ففي الحالة الأولى يحدث الفعل كنتيجة خلل في العقلنة، أما في الحالة الثانية

أو حالة غياب التمثيل فليس هناك أي تصور ممثل. بالإضافة إلى الحالة التي يكون فيها القلق نابعا بصورة لصيقة من الاختلاف الأول، يكون كامنا غير مدرك في حالة الرجوع إلى الفعل. يتطلب الأمر تفرغ فوري له بسبب عدم قدرة الجهاز النفسي على احتواء الصور الكامنة والتمثيلات اللاشعورية (النزوات والعواطف) مع المرور إلى الفعل.

في الأخير فإن الانقطاع بين النزوة والعاطفة يعتبر من العوامل المهمة في فهم وإدراك الاختلاف بين المرور والرجوع إلى الفعل. بين ما يحس مباشرة وما يتحرك، بحيث تتموقع الأفعال من النوع الرجوع إلى الفعل في الجزء الأول أي: إحساس-استثارة-نزوة، في حين أن الأفعال من نوع المرور إلى الفعل فتقع في الجزء الثاني بمعنى: عاطفة-تصور الأشياء-تصور الكلمات (Favre, 2014, pp. 46-67).

هنا يمكن إعادة طرح الاختلاف بين المرور إلى الفعل، الرجوع إلى الفعل والتفعيل، حيث يفضل Houssier (2001) الاحتفاظ برأيه في أن المرور إلى الفعل والتفعيل مفاهيم لا تأخذ بعين الاعتبار خصوصية الفعل (كعرض) في مرحلة المرافقة. بعد الفعل في خدمة مبدأ ثبات الأنا الذي يتم تصديره بواسطة نداء موجه للآخر. وفي حالة الرجوع إلى الفعل بمعنى كل فعل عرضي يعكس لحظة ارضان تستدعي التفكير في المرور المكتابي لكل مراقق.

2- تفسير المرور إلى الفعل تبعا لبعض الآليات النفسية:

2-1- المرور إلى الفعل كبديل لعمل العقلنة:

يشكل المرور إلى الفعل حسب Roussillon (1995) تجاوزا للقدرة على التعبير وعلى العقلنة. تكمن أهمية هذه الأخيرة في النشاط المبكر لدى الأفراد في تحويل الاستثارة النزوية الجسدية والعواطف إلى محتويات عقلية خاضعة للترميز (De Tychey, 2000)، تعتمد العقلنة حسب (Marty, 1991) على ثراء ركن ما قبل الشعور الذي تشكله العوامل الخلقية، والموروث العلائقي الامومي. يتسم هذا الركن بثلاث ميزات: سمك طبقة التمثيلات، نوعية تداولها وتوافرها في الوقت المناسب.

ترتبط العقلنة بنظام ما قبل الوعي من الناحية النوعية، فهي تهتم بأبعاد الجهاز النفسي الخاصة بنوعية وكمية التمثيلات ما بين الشعور واللاشعور. حيث يصبح الارتباط ما بين التمثيله والعاطفة ممكنا، مروراً من تصور الشيء إلى تصور الكلمة؛ وبالتالي فهو مكان لارتباط/ انفكاك التمثيلات (Benjamin, 2013).

يقترح Dejours (1995) وجهة النظر القائمة على التدمير الليبيدي، وتحول الجسم البيولوجي إلى جسم شبقي. يتم تعبئة هذا الأخير في الفعل التعبيري مع الآخر وفق حدود تضمن عدم الاكتمال والنقص. هذا

الاختلال في الجسم يكون نتيجة لطبيعة التاريخ الطفولي والعلاقة مع الوالدين. في ظل هذه الرؤية ترجع العقلنة إلى عمل التفكير، الذي يشبه إلى حد ما سيرورة بناء التمثيلات التي تخضع إلى عمليتين:

- الشيطنة Diabolique: هو مصطلح يبدو للوهلة الأولى غريباً. يقصد به عملية الفصل ما بين المحتوى العقلي للنزوة والجسم. وحسبه هناك جسم بيولوجي وجسم شقي. يجب أن يخضع هذا الأخير للتدمير الليبيدي.
- الرمزية: وهي اكتمال لعملية العقلنة. يكون الجسم معني بها. يمر الترميز باكتساب قبلي يسمى الفعل التعبيري. هناك وقت للرمزية ينطوي على الفعل التعبيري. بمعنى تعبئة الجسم لخدمة التعبير من النوع الشقي.
أما Bergeret (1991) فيرى في العقلنة قدرة الفرد على الاستعمال العقلي للخيال، إذا وبهذا المعنى فهي نمط من أنماط التوظيف الخيالي الذي يتعارض مع الجسدية ومع السلوك. تتحقق العقلنة وفق مرحلتين تتمثل في: نشاط التمثيل بمعنى ترميز النزوات الجنسية والعدوانية، ثم ارضان عقلي للعواطف (الارتباط تمثيله/عاطفة) (De Tychey, 2000).

ترجع العقلنة إلى "قدرة الفرد على تجاوز، معالجة، أو مفاوضة القلق النفسي الداخلي والصراعات البين-شخصية والنفسية الداخلية؛ بمعنى تقدير أي نوع من العمل النفسي يمكن تحقيقه لمواجهة القلق، الاكتئاب والصراعات المتأصلة في الحياة" (Debray, 1991, p.42).

ويضيف Fonagy وIuyten (2009) أن العقلنة تشمل أربع أبعاد، يتمثل البعد الأول في نمط التوظيف الضمني أو الصريح، يرجع هذا النمط إلى العمليات الشعورية واللاشعورية، الآلية، الإجرائية، التي يستعملها الفرد بهدف استكشاف الحالات العقلية للذات وللآخر. والعقلنة الصريحة على العكس من ذلك، فهي تعتمد على عمليات شعورية للتكيف مع وضعيات تتطلب التفكير والتأويل. يرجع البعد الثاني إلى عقلنة الذات والآخر. وهي المواضيع التي يتم استهدافها من طرف العقلنة حيث يكونان (الذات /الآخر) في حالة تفاعل تام، دائم ومستمر.

ينبثق عن هذه الحالة البعد الثالث المتمثل في عقلنة الجوانب المعرفية والعاطفية المرتبطة بالذات وبالآخر التي تكون مستهدفة على مستوى هذا البعد. أما آخر بعد فهو عقلنة السمات الداخلية والخارجية، وهو بعد مرجعي بالنسبة للحالات العقلية للذات والآخر.

للإشارة فإن مفهوم العقلنة قد عرف إسهامات عديدة خلصت إلى تبلور معناه في ظل المدرسة السيكوسوماتية الباريسية، لكن يبقى المجال مفتوح على مصراعيه للتنظير في هذه العملية النفسية، خصوصاً مع تتبع مسار تبلور ركن الأنا والمهام التي أوكلت إليه. كذلك الأمر بالنسبة للاستهامية كما جاء في وجهة نظر M^Uzan حول الارتباط الوثيق بين العقلنة والاستهامية. وماذا لو أن العقلنة هي عمل الاستيهام نفسه؟

لسنا هنا بصدد الوقوف على حقيقة الأبعاد والحدود التي تحصر المفاهيم النفسية كل حسب تركيبته، الأدوار أو الوظيفة التي ينبغي أن يؤديها. وإنما كانت هذه الإشارة للتنبؤ إلى وجود مفردات نفسية مستخدمة من طرف الباحثين للدلالة على نفس المعنى.

يشير الخلل في عملية العقلنة إلى خلل التنظيم الفردي. يولي Marty أهمية كبيرة للواقع الخارجي في هذه الوضعية بسبب حجم الاستثارة التي يولدها على المستوى النفسي والطريقة التي يتم بها معاشتها على مستوى نفسي-داخلي للشخص. تجد هذه العملية جذورها في مرحلة مبكرة جدا من حياة الإنسان، تصر Debray (1991) على الدور المصيري لنوعيات التنظيم النفسي الامومي وبالأخص جهاز ما قبل الشعور، فهو الذي يتعين عليه حماية الرضيع من المثيرات المتولدة عن عالمه الداخلي والخارجي، وبالنتيجة على الجهاز النفسي للام أن يقوم بتصفية الإيثارات الشديدة أو على العكس غير الكافية الآتية من العالم الخارجي تماما كالعالم الداخلي (Debray , 2001 ; Belot & De Tychey , 2015).

ويضيف De Tychey & Belot بأن الرهانات المبكرة حول نوعية الرعاية المقدمة للطفل تعتبر مصيرية خاصة على المستوى النفسي، لأنها تعتبر معالجة ملائمة للإيثارات الداخلية والخارجية. النوعيات النفسية للوالدين جد مهمة، فالأجهزة النفسية للوالدين يتم التماسها، التزامها، طلب مساعدتها في ذات الوقت لحماية الطفل من خلل اللاتنظيم الصريح مقابل إيثارات شديدة، ومن جهة أخرى لتوليد بعض المساهمة في الاستثارة والتبادل الضروريان للنمو.

مرة أخرى؛ يرجع الخلل في عملية العقلنة إلى خلل في جهاز ما قبل اللاشعور الذي لا يستطيع أن يضمن؛ أبدا أو نوعا ما؛ تداول التمثيلات بين الشعور واللاشعور. عندما يفقد هذا الجهاز فعاليته، ولا يستطيع أن يضمن دوره كرقابة للعمليات اللاشعورية ولتحويل العمليات الأولية إلى عمليات ثانوية، كحاو لهذه المادة. لا يسمح للمراهق ببلوغ العقلنة، وهو ذاته المراهق المتجاوز "بواسطة التناسلي، الذي يعني الترجمة النزوية لعملية المراهقة" (Marty, 2009).

كل صيرورة لاشعورية للإثارة تمتلك منفذين: الأول أن تترك لذاتها لينتهي بها المطاف بأن تشق طريقها لتفريغ الفائض منها بواسطة الحركة، أو أن تقع تحت تأثير ما قبل الشعور في ظل التكاثر الحاصل ضد المراهق (عملية المراهقة، البلوغ، خلل جهاز ما قبل الشعور، تجارب صدمية، تاريخ علائقي حافل). يؤدي المرور إلى الفعل إلى عملية إجلاء كلي للعقلنة وإعطاء معنى لكل ما يقوم به الفرد، في الواقع يتم إخلاء التفكير والعقلنة لحظة المرور أو الرجوع إلى الفعل (Milaud , 2009).

يضيف Milaud بأن العقلنة كالقدرة على الارصان النفسي، بالنسبة للأفراد الذين لديهم ميل للعنف تكون هذه العملية خائفة؛ الأمر الذي يشهد على خلل في بناء الفضاء النفسي الداخلي، ضعف الكبت،

الطرح الخارجي للصراع وتفضيل الإحساس عوض الانفعال، اللذة في التفكير. يقوم المراهق بتفعيل الأحاسيس النفسية في الواقع، الأحاسيس النفسية المتعلقة بالتمزق، بالغرائز؛ يأتي الاستثمار لهذا المدرك- الحركي كمضاد لاستثمار حقيقة داخلية فاشلة ومهددة.

يؤكد Bateman و Fonagy (2007) بأن استخدام العنف خلال عملية التفاعل يشير إلى وجود تثبيط مؤقت للعقلنة، وأن الجو العائلي الذي يأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر الطفل: الإهمال، الرفض، الإفراط في السيطرة؛ يعيق تطور العقلنة. كما أن العدوانية الزائدة والقسوة بإمكانها تثبيط عملية التطور الطبيعي لشكل التعلق؛ فعندما يواجه الطفل أي وضعية خطر أو تهديد يتم تنشيط نظام التعلق آلياً، يلجأ الطفل إلى والديه لتحقيق الحماية والشعور بالأمان. فإذا كانا مصدراً للعنف والإهمال فإن التهديد يستمر ويستمر معه تنشيط نظام التعلق وبالنتيجة تثبيط عملية العقلنة؛ ويشير الباحثان إلى أنه وبالرغم من كون هذه الاستراتيجية تتضمن التكيف على المدى القصير إلا أن آثارها على المدى المتوسط والبعيد تكون وخيمة؛ كونها تجرد الطفل من أداة أساسية تهدف إلى إدماج التجارب الصدمية المعاشة.

بوجود خلل في نظام ما قبل الوعي، تنعدم أي إمكانية لعمل العقلنة، يصبح الفضاء الخارجي مكاناً بسيطاً، انتقالي، يحاول المراهق بواسطته التحكم في علاقاته مع المواضيع والحفاظ على نرجسيته. بالمقابل يجد الحرمان المتعلق بتمثيل الصراع النفسي وعمل الارتباط الذي ينجر عنه مصدره في معاش مقتحم بواسطة الحرمان المتولد عن العلاقات المبكرة. يشهد الفعل على فشل صيرورة العقلنة مروراً بالإحساس المتولد عن الفعل وعمل ارتباط غير مباشر مع العالم الداخلي؛ ولأن يكون إجرائياً تظهر ضرورة الإحساس باستمرارية الوجود (Dupont, 2017).

يجيب Jeammet عن التساؤل حول الدور الذي يلعبه المرور إلى الفعل الانتحاري يكون هذا الأخير يعيد التحكم للفرد، يعمل على إقامة حدود اختلاف مع الموضوع ودفع ما يهدد الداخل نحو الخارج. بالأخصم الحالات الحدية بما أنه ليس هناك لا حركة خلط ولا اختلاف بين الذات/ الآخر، في حين أن الخطأ في استدخال الموضوع الداخلي يولد الانشطار. يصبح السيئ الذي تم طرحه باتجاه الموضوع الخارجي مهدداً. في خضم كل هذا يعيد الفعل إقامة الحدود بين الذات والآخر عن طريق آليتي ازدواج الصور والإسقاط مع الحفاظ على العلاقة بالواقع. يشهد المرور إلى الفعل في هذه الحالة على وجود معاش مهدد للنا المطالب بأن يدافع ضده؛ وعلى خلل في صيرورة العقلنة.

يشترط العبور إلى علاقة ثلاثية أوديبية امتلاك الفرد للقدرة على العقلنة. يتمثل دور الأب هنا في فصل الثنائية أم-طفل بدخوله في العلاقة. ينفصل الطفل شيئاً فشيئاً عن الأم، ويبدأ بتمثيلها. لا يحدث هذا الانفصال من الناحية العقلية إلا إذا قام الطفل باستدعاء الخيال بهدف تمثيل الأم بشكل رمزي؛ وهو

ما يطلق عليه القدرة على الترميز. يتولد عن هذه الوضعية قلق الانفصال، التخلي. ليختفي هو الآخر تدريجياً بواسطة القدرة على العقلنة، يشهد هذا العمل النفسي على حل عقدة الأوديب، وتساهم الوظيفة الأبوية في إرسان الأنا الأعلى وفي الحالات الحدية وهي البنية الأكثر تواتراً مع المرور إلى الفعل كما سبق القول؛ لا يمكن تناول عقدة الأوديب في ظروف وشروط جيدة بسبب التثبيت في مرحلة سابقة مما يؤدي إلى غياب الأنا الأعلى، مع بناء مثالية أنا مضخمة لتعويض ذلك الغياب، وهو الواقع الذي يشهد على خلل نرجسي كبير، ولهذه الأسباب يتصدى الأفراد ذو البنية الحدية للقانون ولمن يمثله، للسلطة، بالمرور إلى الفعل على مستوى السجل السلوكي وبتقصير مسار العقلنة على المستوى الداخلي الدينامي (Chan Po Woo, 2009).

ليس Jeammet فقط من يؤمن بهذا الطرح فقد انضم إليه Quentric (2013) حيث يؤكد من جهته على اضطرابات العقلنة كسبب رئيسي للمرور إلى الفعل. تتمحور هذه الاضطرابات حول فرضية فقدان في التبادلات المبكرة أم/طفل ذات البعد الصدمي التي تهدد القدرة على إقامة الرابط النفسي لنظام ما قبل الشعور. فالقدرة على التفكير مشروطة بالأخذ بعين الاعتبار لحالة النقص المرتبط بالموضوع. بدءاً بالغياب ثم بالقدرة على الاستعمال العقلي لهذا الغياب. عندما يكون هذا الأخير ذو محدد صدمي شديد يجد الفرد نفسه مهدداً في قدرته على إقامة الارتباط الرمزي وبالتالي على نشاط التفكير. هذا الحرمان في القدرة على الإرسان موجود في كل أنواع المرور إلى الفعل.

وأحصت Leveillé (2001) مجموعة من المؤشرات الدالة على الحرمان في سيرورة العقلنة من خلال اختبار الرورشاخ، كالتثبيط أو الكف الذي ينكشف من خلال العدد المحدود في الاستجابات، رفض بعض البطاقات، طول زمن الرجوع، وكذلك التجاوز النزوي تحت شكل فقدان المسافة بين العاطفة والتمثيلية، كمحتويات عدوانية أو جنسية. مؤشر آخر لضعف القدرة على العقلنة يظهر من خلال الالتماسات أو acting out خلال تمرير الاختبار عن طريق إبعاد البطاقة، تعرق شديد أو الطلب بوقف تمرير الاختبار.

العقلنة، الإرسان، التوظيف الخيالي، الرمزية، قوة جهاز ما قبل الشعور؛ مفاهيم تحليلية مترابطة ومتداخلة من حيث المعنى، لا يمكن الفصل بينها كما لا يمكن الوقوف من الناحية الاقتصادية والدينامية على حدود واضحة لكل منها. لهذا السبب نعتبر العقلنة بأنها قدرة الفرد على الإرسان المتمثل في إقامة الرابط ما بين العاطفة والتمثيلية، وذلك بالاستناد على الخيال، كل خلل يمس هذه السيرورة هو خلل في عملية العقلنة، وهو مؤشر مهم جداً لفهم جانب من جوانب الفعل. خصوصاً في ارتباطه بمرحلة المراهقة وتداعياتها التي يمكن أن تشكل دعامة تزيد في اضطراب هذه السيرورة.

2-1-1-النموذج البنوي: عقلنة-فعل-بنية

ي طرح Milaud (1998) نموذج بنيوي اعتمادا على النموذج المتعارف عليه لتنظيم الشخصية، ويؤكد على أنه بداخل كل بنية (ذهانية، عصابية، حدية) هناك تظاهرات مرضية خاصة. بالمقابل يمكن ملاحظة الاضطرابات التي تمس عملية العقلنة المحتواة في النموذج الارتباطي: عقلنة- فعل-بنية كالاتي:

. بالنسبة للبنية الذهانية: تتميز العقلنة في هذه البنية بكونها جد مضطربة، بحيث تأخذ شكلين

اثنين:

✓ عدم وجود عقلنة بسبب عدم قدرة الفرد على تنظيم فكره، تظهر عوامل الفكر بطريقة متفاوتة، مرتبطة بنشوهات إدراكية عميقة، يشهد الفعل على السيطرة المباشرة للإدراك وللنزوات على النفس التي لم تعد قادرة على احتواءها، استقلالها، وتصريفها بطريقة موجهة.

✓ يمكن للعقلنة أن تكون متطورة، مهمة، تحتل غالبا مجال الوعي. تتشكل منطقيا مع بعض المحتويات الهذيانية، ومع ذلك إذا استطعنا إنكار وجود عملية التفكير، لا يقع الفعل في هذه الحالة؛ أي حالة القطيعة بين العقلنة والفعل. وإنما في مرحلة سابقة لبروز المحتوى العقلي. تقع القطيعة عند مستوى الفهم الإدراكي للمعلومات الخارجية والجسدية، وهي حالة بعض هذيانات العظمة بحيث لا يتمكن الفرد من التعرف على القطيعة ما يؤدي حتميا إلى ظهور المرور إلى الفعل.

. **التنظيم الحدي:** يعتبر المرور إلى الفعل من الوسائل المفضلة لتجنب الاحتكاك مع القلق أو للقيام

بتصريفه، فهو مؤثر على شدة وخطورة مستوى الاضطراب. فإذا كان الهروب في الفعل يسمح بإخلاء الفكر وإيجاد توازن مصطنع يتمسك به الفرد لأجل البقاء، ويقدم عليه لحساب الأشخاص الذين تربطه علاقة بهم وذلك بالهجوم عليهم انطلاقا من العقلنة خاصته. هذه الهجمات المتكررة ضد النفس تميل إلى إعادة كل شيء للفعل. في هذه الحالة يمكن للكلمة أن تشهد على حالة الهيجان الداخلي الشديد، على المعاناة والقلق العميق، تكمن وظيفتها قبل كل شيء في محاولة التخلص من القلق وتحمله للآخر (الإسقاط التقمصي). بالمقابل يمكن أن تستخدم الكلمة كمحاولة لإلغاء أو لتطبيع وضعية القطيعة العميقة بين الكلمة والتصرف، وهو ما يظهر الأفراد الحديين كمرأوغين، مغوين، يقومون بنسخ خطاباتهم وسلوكهم بطريقة طيبة ومصطنعة تتماشى مع المعايير. يستخدمون في ذات الوقت المرور إلى الفعل أو التفعيل عند الدخول في علاقة مع الآخرين. سواء كانت هذه العلاقة في إطار العلاج أو لا. حيث يكمن الخلل في عملية العقلنة لديهم في محاولة إخلاء الفكر.

. بالنسبة للبنية العصابية: في هذه البنية تكون العقلنة قد قطعت شوطا كبيرا، فهي أكثر تطورا

وتسمح بتحقيق تكيف حسن مع الواقع، وهو ما يدعو إلى القول بأن العصابين أقل ميلا للمرور إلى الفعل، الصيرورة المرضية بإمكانها أن تدفع نحو التعبير بالتفعيل حيث يسيطر قناع الفتور، التثبيط

الحركي (تأخر، غياب، مماطلة). وفي ذات الوقت بنوع من الجموح في عملية العقلنة التي تعمل في الفراغ (اجترار القلق مثلا). بالرغم من هذه الصبغة الخاصة للتفعيل إلا أنه لا يمكن استثناء بعد العدوانية الكامنة (Milaud, 1998, p.22-23).

2-1-2- الفعل كظهور للهوام في الواقع:

تتشكل الحياة الهوامية عن طريق إعادة تأويل كل المستدخلات التي تمت خلال الطفولة. يقوم الفرد بتمثيل رغباته الطفولية المكبوتة على شكل هومات، بالنسبة لفرويد كمكون للاوعي، وباعتبارها كذلك فهي تخضع للعمليات الأولية، ترتبط بالمشاهد الأولية، والأديب، ولها إمكانية المرور إلى نظام ما قبل الوعي ما يسمح بتأويلها بوساطة الأحلام، فلتات اللسان والأعراض...

الهوام سيناريو خيالي، يعطيه Lacan مكانة المكون الخيالي، غير الوعي؛ يتحرك حول الأنا الخيالي كفضاء يحافظ على الإغراء لما يكون من الفرد ورغباته. يهدف الهوام إلى إخراج الرغبة، إخراج يمثل فيه الممنوع دوما مكان الرغبة نفسها، وهو ما يعطيه طابعه الغامض. فيه تمثيل للأشخاص، الأفعال، العاطفة وجزء من الجسم المستخدم في الفعل. يضيف Lacan أنه نقطة توقف للرغبة عند الفرد - يتموقع على تخوم الفرد اللاوعي - للغمر في المتعة، ويخفف من القلق، كما يدعم الرغبة ولا يبقى عليها. ويمكن للنشاط الهوامي في احتكاكه بالأنا أن يؤدي إلى تجربة صدمية.

يقوم الهوام عن طريق توليد صعود عاطفي بتجميع الطاقة الحرة على شكل تمثيلات. وبهذا يساهم في عمل الرابط الطاقوي لحركة التفرغ. يلعب الهوام دور المنظم خلال الإرصان النفسي للتجارب الصراعية كون:

. الهوام الأصلي يتحمل فقدان الموضوع وإسقاط التقاطب حب/كره.

. الهوام التكميلي ينطوي على الموافقة على الانفصال وإيجاد موضوع بديل بحثا عن الإشباع؛ وإلا فإنه يبطن العدوانية ويولد الألم.

تلعب التجارب النزوية منذ بداية الحياة الإنسانية دورا فعالا في تشكيل الهوام، تنبثق عن استئثار من العالم الداخلي، تعاش كل النزوات بداخل الهوام وهو ما يعطيها حياة نفسية، بمعنى تعبير نفسي. في حين يصبح النشاط الإنساني ضرورة نزوية يصبح الهوام ما يعوض الحاجات النزوية، أي محاولة تحقيقه في الواقع بتوجيهه نحو بعض أنواع المواضيع.

يتشكل الهوام وفق مراحل النمو النفس-جنسي؛ وينسب نوع الهوام إلى الطبيعة النزوية التي تشكل كل مرحله. فمثلا في المرحلة الفمية تأخذ هومات الإدماج أو الاتهام للموضوع حب/كره مكان التمثيلات النفسية للنزوات الفمية، وهنا تظهر بدايات الحياة الهوامية. وفي المرحلة الشرجية السادية يظهر التعارض

في الحياة النزوية نشاط/فتور، وكذلك الموضوع الخارجي-الشبقي؛ أين يتولد الميل للتملك، يقوم الأنا بتملك الموضوع الخارجي أو بتملك تمثيله نوعا ما.

في مرحلة الوضعية الاكتئابية ومع محاولة استدراك ما سبق في العلاقة بالموضوع، وهي محاولة مرتبطة بالشعور بالذنب باتجاه الموضوع المحطم؛ يسمح فهم العالم الخارجي وإرسان الوضعية الاكتئابية بالتفريق بين الإحباط المفروض من الخارج والخطر الهوامي الداخلي. أما في المرحلة التناسلية فتنتشر النزوات والهوامات ذات الطبيعة الليبيدية والعدوانية.

كل هذه السيرورات التي يمر بها تشكيل الهوام وعلاقته بالحركية النزوية تسمح في الأخير للتمثيلات الهوامية حسب Aulagnier بتنظيم فضاء العلاقة بين الطفل وجسمه؛ بين الطفل والأم؛ بين الطفل والأم والأب (DeAbreu, 2004, p.115-135).

ما هو الدور الذي يلعبه الهوام في الفعل؟ الفعل المنحرف حسب Aichhorn يعتبر أثر للقوى النفسية. عندما تنشأ أي اندفاعه نفسية لا شعورية تظهر اندفاعه ثانية لتمنع وصولها إلى الوعي. يعمل الفعل على تحديث لعبة القوى النفسية هذه؛ بمعنى القيام بتسوية ما بين ميلين متعارضين بطريقة مشوهة. يلاحظ ترابط بين النزوات الليبيدية والنزوات العدوانية في الفعل المنحرف، في أفعال مثل السرقة أو التدمير، يمتلك المراهق الموضوع المستثمر بواسطة النزوات الليبيدية بنفس درجة النزوات والهوامات الأولى التي نشطت الحياة الطفولية مثلما ذكر Winnicott.

فالممنحرف لا يبحث عن الموضوع المسروق وإنما يبحث عن الأم التي يملك حقا فيها. وبنفس الشكل؛ بإمكانه التخلي عن هذا الموضوع أو في بعض الحالات تدميره. فهو أساسا يبحث عن اتحاد النزوتين، عن تركيب العواطف مقابل الموضوع (De Abreu, 2004).

تستسلم الحياة الجنسية للهوامات، بمعنى لتمثيلات غير قابلة للتحقق. تتعلق هذه الأخيرة بالطريقة التي تعاش بها مرحلة المراهقة وأيضا العلاقة بالجسم وبالمواضيع الوالدية. عنف وفضاعة الهوامات البلوغية بإمكانه إخافة المراهق إلى درجة منحه الشعور بأنه مجنون. أحد الإجراءات ضد هذا التهديد هو وضع نظام تحكم ومراقبة ذاتية؛ وفي حالة فشل أو عدم كفاية هذا الدفاع يعاد إحياء قلق الانهيار التام (Marty, 2013) الذي يواجه المراهق ذو الدفاعات الخائفة والاستهامية fantasmatisation المهدهد قبل المرور إلى الفعل، ونستشهد على ذلك بقول Marty: «الهوام المحرم (المتولد عن البلوغ) يولد للمراهق متعة كبيرة ولكنه يساهم أيضا وبطريقة خطيرة في الإخلال بتنظيم النشاط النفسي» (Marty, 2012, p.347).

2-2-المرور إلى الفعل كتفريغ للقلق:

مفهوم العاطفة هو مفهوم تحليلي بامتياز، واكب محطات من التعديل، الصياغة، التشكيل، التي سايرت فرضية تكوين اللاشعور في النظرية التحليلية، العاطفة باعتبارها "ترجمة وجدانية لكمية الطاقة النزوية وتغيراتها" (لابلانز وبنثاليس، 2008، ص.320)، هي الأساس لكل التنظيمات النفسية، يتحدد معناها تبعا لسياقات الترجمة التي تحدث من خلالها، السياق الاقتصادي وكمية العاطفة الخاضعة للقياس، الدينامي مع حركية التفريغ والية الارتباط/ الانفكاك.

تتحول الطاقة النزوية إلى عواطف. بحيث يتعين على الفرد القيام بمجهود نفسي كبير. يتحقق مبدأ الثبات بواسطة التفريغ النزوي، ويقوم الجهاز النفسي بتسيير كمية الطاقة النزوية من خلال حركات قصدية بهدف استكمال رغبة النزوة المتمثلة في الإشباع. يحاول الجهاز النفسي في حالة عدم الإشباع الدفاع ضد حالة اللاتنظيم التي تمس الأنابربط الطاقة، تظهر هذه الطاقة الحرة على شكل قلق ويتحدد معناها مقارنة والمرجعية الخارجية (في حالة الفعل نتحدث عن الموضوع الاجرامي صراحة).

يعمل الربط بالاستعانة بالإزاحة، التكثيف، التسوية على تحويل الطاقة الحرة إلى طاقة مرتبطة مؤهلة للتفريغ على صيغة: تأجيل، احتواء أو احتباس (Green, 1971). يهدف الربط ما بين العمليات الشعورية واللاشعورية إلى إنشاء علاقات جديدة من التثميّلات-العواطف، يشير الباحث إلى وجود عملية وسيطة ثالثة تفسر عملية الربط. في حين يهدف الانفكاك وهو الممثل لنزوة التدمير، إلى تحطيم الرابط وخلق ارسانات هوائية جديدة؛ انفكاك العاطفة وما تحمله من تجاوز للنفس يشكل في حد ذاته القلق ومن ثم تظهر عملية التفريغ كتحرير خام للطاقة.

"الأنا وحده مقر القلق" الذي تم تحريره بداخل اللاشعور مباشرة بسبب التأثيرات الناتجة عن الالتقاء مع حدث صدمي، أو عاود الظهور في مواجهة الحركة النزوية المرعبة، في هذه الحالة يتوقف القلق عن التطور ويتم تعويضه بالعرض، ليصبح الناقل الأكثر قوة للكبت ولتطور العصاب. تظهر نزوات الحياة والموت، التناؤوس والايروس ممثلات الحب والكره في مسرح اللاشعور، انطلاقا من مشاعر الحب والعدوانية التي تخضع لها النزوات الأولية لحفظ الذات والنزوات الجنسية، وأيضا من الرغبة المحرمة والرغبة في الموت الحاضر في عقدة الأوديب (Freud, 1933).

وبما أن الصراع ما بين نزوة الحياة ونزوة الموت مستمر على طول الحياة، وأنه لا يمكن إلغاء هذا المصدر المولد للقلق، فإن هذا الأخير يتدخل كعامل دائم في كل وضعيات القلق اللاحقة.

بعد تحديد طبيعة المادة النفسية المكونة للقلق تجدر الإشارة ومنذ الآن إلى أنه كمفهوم قد خضع إلى مسار تطوري مع النظرية التحليلية. مسار حافل بالمحطات والتغيرات التي لا تتفك تتبلور مرة بعد مرة، ومع التجديدات التي عرفت المصطلحات التحليلية بدورها تتكشف أغوار جديدة لتبعات هذا المفهوم.

القلق عبارة عن عاطفة تضرب جذورها في بداية الوجود الإنساني، يؤكد التحليليون على أن لحظة الميلاد هي أولى الصدمات التي يعيشها الفرد. يرى فرويد (1936-1931) أن عاطفة القلق هي نتيجة لعملية الولادة، ولتكرار هذه الوضعية. ظروف القلق تعيد وفي العمق قلق الولادة الأصلي. الذي يعني جيدا: الانفصال عن الأم، وهو النموذج الأولي لكل أنواع القلق التي يمكن مواجهتها بعد ذلك (Bowlby, 1978).

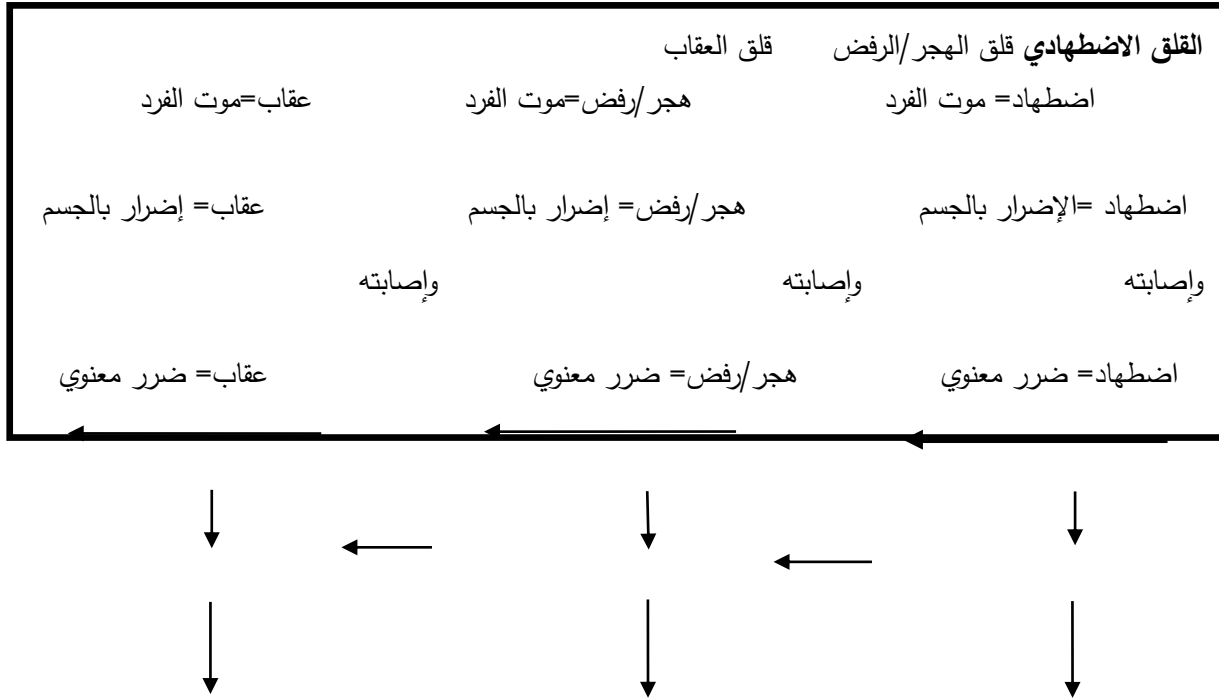
يعيش الطفل حالة من الإحباط والخوف بغياب الأم، يعكس القلق في هذه المرحلة إحساس بغياب الأم أو البديل عنها، بمعنى غياب موضوع الحب الأولي، يعرف الطفل خلال حياته فترات من الإحباط والخوف بسبب هذا الغياب، يتمحور القلق حينذاك حول إشكالية غياب/حضور الموضوع الأولي أو البديل عنه، إذن فهو في الأساس إحساس بالغياب. مع مرور الزمن واستمرار فترات الغياب أو طول مدتها يتحول القلق من مجرد إحساس بالغياب أو طول مدتها، إلى خطر فقدان الموضوع. وهو أساس القلق العصابي وتناذر القلق.

حتى مرحلة الكمون تستمر تداعيات هذا القلق لتأخذ شكلا آخر يتمثل في الحاجة الدائمة للشعور بالأمان حول حب الأم والأب، للإحساس بالقيمة. ليتمكن الطفل من تخفيف شدة القلق. يستمر هذا النوع بطريقة كامنة ويشير إلى تلك الهشاشة حيث لم يتم تجاوز الصراعات الطفولية. يبلغ القلق الناتج عن هذا السياق مع مسار الحياة مرحلة الإحساس بالتخلي، ينجر عنه قلق التخلي بتجمع كبير للعواطف والتمثيلات المرتبطة بتلك الوضعية، ما يدفع إلى عودة المكبوت الذي يتوافق مع فورة القلق ونوبة الهلع. وبالتالي فقلق الانفصال الأولي يعبر حقيقة أنماط التعلق لدى الفرد (LeGoff, 2010). يلاحظ هذا النوع من القلق وكذا تداعياته الوخيمة في حالة جريمة القتل الزوجي الناتجة أساسا عن انفصال علائقي يشكل بالنسبة للقاتل معاش التخلي. ما يؤدي إلى ارضان هوام الموضوع السيئ المهدد للذات وبالتالي يكون المرور إلى الفعل بالقضاء على ذلك الموضوع.

بالنسبة لـ Klein لا يرجع القلق إلى مجرد تجربة انفصال عن الموضوع الأولي، بل يمتد إلى أعماق من ذلك، إلى القلق المرتبط بالموت، بإبادة الأنا بواسطة نزوات الموت. يؤكد فرويد على أن الانفصالي حد ذاته عن الموضوع لا يولد القلق وإنما الطريقة التي يتم بها تأويل ومعايشة هذه التجربة هي التي تكون مولدة للقلق، وعلى هذا الأساس بالإمكان معايشة تجربة فقدان وفق نمط اكتئابي مولد لهوام الموضوع المحطم من طرف الفرد (قلق اكتئابي)، أو وفق نمط اضطهادي مع هوام الموضوع المضطهد (قلق اضطهادي).

يتولد قلق الاضطهاد عن عملية إسقاط لنزوة الموت على موضوع خارجي، يهدف إلى التخلص من السادية (نزوات التدمير). يحمل هذا الموضوع خاصية التدمير والتهديد ضد الأنا الذي يستخدم بالمقابل دفاعات من مثل: الانشطار، الإنكار، الإسقاط والمثلنه. وينطوي قلق الخصاء ضمن هذا النوع. في حين يرتبط القلق الاكتئابي ارتباطا شديدا بالإحساس بالذنب المتولد عن حالة التقاطب اتجاه الموضوع. يستخدم الفرد في هذه الحالة آلية الإصلاح المتولدة عن الرغبة في إصلاح واستعادة موضوع الحب بسبب الأثر السلبي للهوامات التدميرية.

ويذهب Odier (1966) إلى تعداد ثلاث أنواع أخرى من القلق المتمثلة في قلق الهجر، قلق الرفض، وقلق العقاب؛ والتي تعتبر بالنسبة له متغيرات تنطوي ضمن القلق الاضطهادي. في حالة قلق الهجر يصبح الارتباط بالموضوع ذو عواقب وخيمة على الأنا؛ بحيث بإمكانه _أي الأنا_ أن يفقد القدرة على



(Guzzo, 2008, p.45)

مخطط رقم 1: القلق الاضطهادي والمتغيرات المرتبطة به

يوضح هذا المخطط التطور والدينامية في نمط القلق الاضطهادي بالرغم من أن Odier قد أشار إلى وجود أنواع من هذا القلق، إلا أنه ومن خلال هذه السيرورة فهو يوضح الدينامية الداخلية له. بحيث يظهر في صيغة أكثر بدائية من خلال قلق الهجر/الرفض أين يخضع الأنا/الموضوع للانشطار لتجنب حالة القلق وللدفاع عن نفسه ضد الإبادة؛ ويظهر قلق العصاب أكثر تطورا على العكس من الوضعية الأولى؛ تطورا مقارنة والموضوع

الذي يخضع للانشطار، وفي خضم هذا التطور التدريجي ينتقل الفرد من الإحساس بقلق أن يتم إبادة الموضوع إلى القلق من إلحاق الضرر به وحمايته إلى قلق تكبيده إصابة معنوية.

وتطرح Klein 2001 في (Voyenne, 2009) مفهوم قلق الإبادة الذي يعاش كتهديد حقيقي بالنسبة للبقاء النفسي، يعتقد الفرد بوجود كارثة حالية وشيكة؛ بإمكانه أي القلق أن يظهر في وضعيات عدة وبأشكال مختلفة: كالخوف من التفكك، الخوف من فقدان دعم الموضوع، الخوف من عدم القدرة على المواجهة، والخوف من الانهيار. تؤكد Gourlaouen-couton (2002, p.138) أن هذا النوع من القلق يعكس الرغبة في إبادة أو إلغاء كل أشكال الاختلاف (بين الأجيال وبين الجنسين). نصادف هذه الحالة مع الفعل الجنسي ضد الأطفال أو البيدوفيليا؛ أين تتأكد الفرضية التي مفادها أن الأفعال الجنسية لا تحدث صدفة، وإنما هناك اختيار حقيقي لجنس وسن الضحية. وعلى أثر هذه الفرضية طرحت الباحثة التساؤل القائل: ماذا يمثل الطفل بالنسبة للمعتدي الجنسي؟ وما هي الخصوصية التي يمثلها حتى يستطيع إثارة اهتمامه؟ وقد وقفت على أن العديد من المعتدين يظهرون تقردا وحصرية في اختيارهم للضحية، بحيث يشكل المدلول الذي تحمله حالة الاختلاف التي تتولد عن وضعية الاعتداء تفسيراً لهذا الاختيار.

وتضيف (Neau, 2008) بأن هؤلاء الأشخاص لديهم نواة مركزية للشخصية تتميز بوجود صعوبة بالغة في ربط علاقة حقيقية مع الموضوع، الموضوع المهمل: الذي يشكل زوائد نرجسية دائماً ما تكون منفصلة ومرمية، أو الموضوع التابع: الذي يشكل دعامة نرجسية دائماً ما تكون مدمجة ومفترسة. بين اللامبالاة بالموضوع والتبعية للضرر الجنسي يشهد المعتدين جنسياً وعلى رأسهم العود على هذه الميزة. تحت شكل آخر وفي وضعيات أكثر حدة يتطلب القلق أن يتم التخفيف منه بشكل عاجل. أطلقت Zeltzman (1979) على هذه الوضعيات تسمية الوضعيات الحدية، يواجهها بعض الأفراد ذوي تنظيمات خاصة يكون فيها الخطر الداخلي للموت أكبر من الحياة، خطر فعلي، حاضر وملمس في الأفق العقلي، تعرف هذه الوضعيات سواء أكان سببها الفرد نفسه أو ظروف خاصة أدت إليها. كوضعيات استعجاله يكون فيها الإنسان مقيداً، ليس بإمكانه المجابهة دون ضرر الموت ولا بإمكانه التملص، فالرهان هنا يكمن في طرد الموت من مجال الحياة. تعطي Zeltzman لهذا التيار من نزوة الموت مسمى النزوة الفوضوية. إشارة منها لبعض وضعيات النشاط النزوي كما في مرحلة المراهقة، النشاط الذي يترأس الخطر الواقع خارج النفس، ولكنه لا يزال عالقا في الصراع العقلي الداخلي، في الارصان الهوامي حيث لا مكان للموت (Voyenne, 2009). بالنتيجة فإن البحث في حقيقة النشاط النزوي خلال المراهقة يصب في الفرضية الفرويدية "قلق الموت هو نظير لقلق الخواء".

وتشير مقاربات أخرى (M.Mahler, A.Freud) إلى أن إشكالية قلق الانفصال ترجع إلى عمليات: التفردن، التقمص، وتشكل الفرد عن طريق التمايز بين الجهاز النفسي وتنظيم الاستثمارات النزوية. وكذلك إلى التركيز على حفظ الذات أكثر من التركيز على الجنسية الطفولية (Arfouilloux, 2001).
بإمكان حصر أربع سياقات تعمل على تنشيط بعض العمليات النفسية التي تؤدي إلى ظهور القلق تتمثل هذه الوضعيات في:

- الإحساس بعدم الأمان التي تدفع نتيجة الإحساس بالعجز أو النقص، إلى عدم القدرة على ربط الشدة الداخلية وخلق جروحية اتجاه معاش فقدان خاصة لدى الأفراد الذين يعانون من التبعية. تظهر نزوة التملك نتيجة لهذه الدينامية، وتهدف إلى إعادة الفرد إلى وضعية العجز الأصلية وتتدخل باعتبارها لجوء للتحكم في الغياب، الانفصال، فقدان. يفسر Anzieu هذه الوضعية بالانفكاك بواسطة غياب الغلاف النفسي.

- المطالبة النرجسية المرتبطة بحالة التقاطب اتجاه رغبتين، رغبة الحفاظ على التعلق بالموضوع؛ ورغبة الانفصال عنه. يتم إسقاط الصراع على الواقع الخارجي على شكل عداء. الرغبة في التفردن هي شكل من أشكال التقاطب بمعنى الرغبة في موت الموضوع والشعور بالذنب اتجاهه.

- الشعور بالذنب وكل ما يتولد عنه هو الدال على القلق كونه يخلق حركة تدمير-الذات القاتلة-. يسيطر الأنا الأعلى والهو على الأنا، وتتحول العوامل العدوانية إلى إحساس بالذنب تدفع بالفرد نحو الفعل باتجاه الذات.

- الحرمان المتولد عن إحباط الموضوع الداخلي، يعطي الحرمان لمفهوم فقدان بعدا عميقا. بمعنى الانقطاع في العلاقات الأولية، والمواجهة مع موضوع الهجر يفسحان المكان لتشكيل مثالية أنا أعلى قوية (Le Goff, 2008).

وقد جمعت Le Goff كل أشكال القلق المذكورة سابقا والتداعيات المتولدة عنها لدى الفرد في جدول يشمل طبيعة القلق وطريقة تأويله لدى الفرد وكذا الخلل الذي يمكن أن يترتب عنه.

جدول رقم 1: أنواع القلق وتوجهاته حسب الرغبة

الجروحية	التأويل	أنواع القلق
عدم الأمان	- صدمة الميلاد إشكالية الشعور بالأمان تصرفات مرتبطة بالتعلق - تناذر قلق الانفصال - إحساس بالعجز	قلق الولادة: قلق رجعي قلق الانفصال قلق فقدان

التطلب	تبعية عاطفية: صيرورة الانفصال والتفرد تكون السبب تقاطب: الرغبة في الانفصال والتبعية الاضطرار، قلة الصبر، الاستفزاز، العدوان	تقاطب بين قلق الانفجار والفراغ قلق الوحدة قلق الرفض
الذنب	نقص القدرة، الاجتياح والتعلق انفكاك الأنا. قلق جسدي إفراط أو خلل في صاد الايثار تكامل الأنا الأعلى الإحساس اللاشعوري بالذنب	قلق التجزئة (مرحلة المرأة) قلق الخصاء، قلق أخلاقي قلق التدمير (التحطيم) قلق الفراغ، قلق الاندثار
الحرمان	قلق مرتبط بالهوية عدم الراحة، الشك، خلط قلق اجتماعي إفناء، اللاتنظيم هوام الإفناء	قلق وجودي (قلق بالنسبة للمستقبل) قلق فقدان الذي يلي الرفض (التخلي بواسطة الرفض) قلق الموت (الأنا الأعلى/مثالية الأنا) قلق عدم الاكتمال، النقص

(Le Goff, 2010, p.98)

تصنف Le Goff أنواع القلق إلى خمسة مستويات ينطوي كل مستوى على أنواع من القلق المتقاربة والمتشابهة من حيث الجروحية التي تولدها. تنبثق هذه المستويات عن التصنيف البنيوي الذي يقوم على ثلاثة أشكال من القلق رئيسية معروفة ومرتبطة بكل تنظيم نفسي. يظهر من الجدول أن الطريقة التي يتم بها التعرف على نوع القلق تكون عن طريق تأويله في المظاهر السلوكية للفرد كمرحلة أولى، والإشكالية الداخلية العلائقية التي يكشف عنها. ففي حين يبرز القلق الأولي أو قلق الولادة إشكالية عدم الشعور بالأمان، فإن قلق الرفض الذي يبدو جليا أنه ينطوي في جزء منه تحت طائلة قلق الانفصال يظهر مدى الحاجة الملحة لدى الفرد في الاستجابة لرغباته. وهو ما يجعل من عالمه العلائقي مشحون بالانفصال المتكرر لعدم كون الآخر في نظره عند مستوى تطلعاته التي تبدو في جانب منها استفزازية. يلاحظ كذلك أن هذا النوع من القلق بإمكانه أن يأخذ السبيل الحركي ألا وهو العدوان.

يرتبط قلق الخصاء بعملية تبلور الأنا الأعلى ولهذا نجد الإحساس بالذنب الذي يلزم تكامل الأنا. وفي الأخير يظهر القلق المرتبط بحقيقة الوجود ويتبعه قلق الموت تعبيرا عن تجاوز الفرد مراحل الاعتماد الكلي والحصري على المواضيع الخارجية.

الملاحظ كذلك في هذا الطرح الذي قدمته الباحثة أن أشكال القلق التي ترافق الإنسان خلال مراحل حياته الأولى ليست منفصلة، بمعنى أنه يمكن أن يكون هناك وجود متجاور لأشكال مختلفة من القلق في فترة حياتية واحدة، وبذلك تكون قد كسرت القاعدة التصنيفية الخاصة بالتنظيمات النفسية وبأشكال القلق المرتبطة بها، وأكدت أن بقايا القلق التي يخلفها معاش نفسي ما بإمكانها أن تستمر مع الفرد بصورة كامنة تغذي نوع القلق السائد الذي يستدل عليه من خلال الجروحية النفسية التي يخلفها.

من الأمثلة التي يظهر فيها الفعل باعتباره تفريرا للقلق نجد الانتحار، فقد أشارت البحوث أنه يملك وظيفة تعديل العواطف والانفعالات المؤلمة، كما انه جد فعال في التخفيف من القلق، من الإحساس بالخزي، الذنب، الخوف، الحزن. حسبAPAالجمعية الأمريكية للصحة النفسية ينتج الفعل الانتحاري عن الغضب الشديد أو ردة فعل اتجاه اللامبالاة وتفكك الشخصية الملاحظ خلال حالات التوتر الشديد، وأن أفعال التدمير الذاتي تحدث بهدف التخفيف من القلق وهي بمثابة عقاب كون الأفراد المنتحرين يعتبرون أنفسهم على درجة من السوء (Waltz، 1994، Gunderson، 1984، Laviolette، 1999).

وأكدت بحوث أخرى أن السكوباتيون يعيشون قلق الهجر، حسب Balier يتشكل العالم الداخلي لهؤلاء الأفراد لأجل ضمان الحماية ضد ذلك القلق وتجنب العاطفة مهما كان الثمن (Balier، 1988، Casoni et، 2005، Brunet، 2003، Zagury et Assouline، 2008)، كما أنهم يملكون الميل لحماية أنفسهم بشدة من هذه القلق باستخدام ما يسبب لهم الإذلال، الخزي والضعف في نظر الآخر، ويعتبر (Kernberg، 1997، p.26) "أن تحمل قلق الهجر لدى هؤلاء الأفراد يكون بسبب ازدياد الهومات النرجسية والانسحاب في عزلة تامة".

2-3- حتمية القصور في الارصان النفسي:

ينسب فرويد للإرصان وظيفة السيطرة على المثيرات التي يتلقاها الجهاز النفسي، وينطوي ضمن هذا العمل نقل وتحويل الطاقة المتولدة عن النزوات (نزوات عدوانية على وجه الخصوص)، بهدف تعديل مسارها وربطها. يشكل عمل الارتباط ركيزة أساسية للإرصان، ويشير فرويد إلى أن أي قصور يمس هذه العملية يؤدي بالضرورة إلى احتباس لبيدي.

من جهته Perron-Borelli (1987) يؤكد على أن الهوام الذي يغذي المرور إلى الفعل يحوي في طياته تصور للفعل، وهو تصور معقلن للنزوة (العدوانية)، يكون هدفه الرئيسي هو الإشباع الهلوسي للرجبة. إذا رجبة إشباع عملي بالنسبة للفعل، وفي ذات السياق يدعم الفرضية القائلة بأن التصرف أو الفعل هو المؤسس للهوام الذي يعتبر أول حقيقة نفسية. خلال عملية النمو وبالتحديد في المرحلة الفمية يرتكز الارصان الأولي للهوام على النزوة وعلى غياب الموضوع. بالإضافة إلى ذلك، يقوم الفرد بالتقريب بين تمثيل الجسم (مقر الاستثارة واللذة) وتمثيل الجسم الامومي (عامل الإشباع)، ومنذ ذلك الحين يتم إرساء عاملين نموذجيين للهومات اللاحقة وهما: الفرد والموضوع، اللذان يتم استثمارهما لاحقا والربط بينهما عن طريق التصرف، مع بلوغ الطفل سن 2 إلى 3 سنوات يصبح بإمكانه تجاوز مرحلة التقريب بين الكلمة والتصرف وتطوير القدرة على إبداء ردود فعل اتجاه طلبات الآخر ومواجهة رغباته عن طريق تعلم

النظافة؛ وفي هذه المرحلة بالذات فإن الشحنة النزوية التي تسعى لمهاجمة الموضوع، تتكاثر وترمز بواسطة الطرح المدمر للموضوع الداخلي.

وفقا لمفهوم المصفوفة الأصلية للهوام ينظر Perron-Borelli (1987) للهوام باعتباره تمثيلا للعلاقة الخيالية بين الفرد والموضوع، تبعا لهذا النموذج يشكل كل من الفكرة والتصرف طرق للتعبير ولتحيين الهوام اللاشعوري. كما أن القيام بوضع الهوام في اللاشعور وكذا وضع الفكرة فيما قبل الشعور يوضح عمل الارتباط الذي لا مفر من حدوثه بين هذين الركبين. فدونه تبقى الفكرة مجرد تصور للفعل. أما في حالة الهوام المتطور فيكون الفرد والموضوع متمايزين وبإمكانهما تبوء وضعية نشاط أو فتور مع الهوية الشخصية والعلاقات مع المواضيع الداخلية. يربط Perron-Borelli بين ارضان هذا النموذج وبين التفعيل الذي يحدث خلال جلسات العلاج التحليلي، ويؤكد أنه في حالة التفعيل الذي يتميز بالاندفاعية تقوم النزوة بتقصير مسار الهوام والرغبة من أجل بلوغ الفعل دون أن تكون قد خضعت كفاية لعملية العقلنة كونها مجرد تفرغ خام.

يرجع التحليلين مفهوم القصور في الإرضان النفسي إلى التطور الدلالي في مفاهيم الجهاز العقلي، العمليات الأولية والثانوية. خلال هذا المصير تشكل اضطرابات الاستثارة والتفرغ أولى المراحل، بينما يشكل الصراع النفسي ومدلوله المراحل اللاحقة. يتفق الباحثون على أن الحرمان هنا هو آلية نكوص للجهاز العقلي، آلية مدعومة بواسطة الرغبة الملحة للعودة إلى علاقة اللاتمايز، إلى مرحلة وجودية حيث تكون كل من الشدة والرغبة في حالة حرية تامة.

تشرح Chausseguet-Smirgel (1987) هذه الرؤية باعتبار أن الرغبة في العودة إلى المصدر، أو إلى الرحم الامومي هي رغبة عالمية لكل إنسان، لتحقيق هذه الرغبة التي باتت مشروع الأنا (مثالية الأنا)، يتعين على الفرد الاختيار بين طريقتين؛ يتمثل الأول في تجاوز كل المراحل الموصلة إلى الأوديب وإلى التناسلية ليصبح موضوعا للام، وينطوي تحت هذا القبول باتخاذ الأب كنموذج تقمصي من أجل الوصول إلى سجل المحرم. يسمى هذا الخيار بمسار النضج. أما الخيار الثاني فهو مسار الوهم وهو الذي يعطي تفسيراً للقصور في عملية الارضان. حيث يكفي القيام بتقصير مسار عملية النضج السابقة، الطويلة والمضنية، بالإضافة إلى رفض النموذج التقمصي الأبوي لتغيب دور الارضان الذي يدفع إلى أنواع من التفعيلات Les acting out المحملة بالوهم؛ بالجنسية الشاذة، الإدمان، الانحراف. يكون الجهاز العقلي الأولي مليء بالنزوات العدوانية المعبر عنها من أجل العودة مرة أخرى إلى حالة اللاتمايز داخل الرحم.

عندما يتم استقبال إثارة غير محتملة، يتبنى الجهاز العقلي عملية مضادة للنمو من خلال نوعين من الوظائف النكوصية؛ الأولى من النوع العقلي والثانية من النوع الجسدي.

أما في المرحلة ما قبل الأوديبية فمن خلال طرح مفهوم المصفوفة البدائية لعقدة الأوديب ترى Chausseguet-Smirgel (1990) بأن القصور في الارصان النفسي يتضاعف مع الرغبة في الالتحام مع الأم، ولأجل المحافظة على هذا الالتحام يقوم الفرد بإلغاء كل عامل واقعي يشكل عائقاً حقيقياً بالنسبة له.

إن القصور في الارصان العقلي يعتبر من التظاهرات الملاحظة لدى الأفراد الميالين نحو المرور إلى الفعل. يظهر هذا القصور من خلال توظيف نفسي محصور ضمن أسلوب معرفي تسوده تشوهات الفكر، سجل انفعالي محبط، تستخدم الكلمة فقط لسد الفراغ أو لوصف ملموس للأحداث الحياتية، يقوم الفعل باستنزاف النزوات من أجل إخلاء الجهاز العقلي. ترجع هذه الحالة إلى سيطرة رغبة الالتحام وإلى عدم تجاوز الصراع على المستوى الداخلي، وبسبب قصور الارصان يتم التعجيل بطرحه خارجاً عن طريق المرور إلى الفعل؛ فإعادة استدخال الصراع إلى العالم الداخلي يثير مقاومة قوية كون الفرد غير قادر على إرضائها، فالأمر يتطلب استبعادها عن رغبتها الأولية (Milaud, 1998, p25.38).

3-المرور إلى الفعل ضمن سياقات نفسية مختلفة

3-1-سياق الفعل بين العنف والعدوانية:

العنف والعدوانية من المصطلحات المستخدمة بالتناوب، وفي بعض الأحيان للدلالة على نفس المعنى، وفي حالات أخرى يتم الخلط بينهما في إشارة إلى تصرف إنساني هدفه الأساسي هو إلحاق الأذى بالذات أو بالآخر. تجدر الإشارة إلى أن كلا المفهومين يشكلان دينامية الفعل ويدخلان في تركيبته الأساسية. بالرغم من أن كل واحد منهما يملك دينامية خاصة على المستوى النفسي.

قبل الوقوف على الفروق التي من شأنها توضيح الرؤية بين هذين المفهومين، يجب، أو يبدو أنه من المستحسن تتبع تطور دلالات هذه المفاهيم مع تبلور مسار التيار التحليلي.

في محاولة منها لتحديد مفهوم العدوانية وفتت Lyasse-Sanchez (2002) على محطات عديدة لتبلوره. حيث عملت على تشخيص حقيقته بدقة بالرجوع إلى التركيبة الأساسية له. تشخيص رأت أنه يصب خمسة محاور أساسية وهي: (1) المصدر (2) صعوبة القمع (3) الحاجة إلى المنفذ (4) الصراع ضد الثقافة (5) العواقب المترتبة على الإنسان نتيجة القمع.

ترى الباحثة أن بوارد العدوانية برزت لدى فرويد في وقت متقارب مع بروزها لدى أدلر. لكن تجدر الإشارة إلى أنها أخذت حيزاً زمنياً كبيراً للتبلور مع فرويد على النقيض من أدلر الذي كان طرحه أكثر

وضوحاً وصراحة من ناحية تركيبها ومصدرها. الفكرة التي توصل إليها فرويد في الأخير مع القليل من الحساسية اتجاه زميله.

في ذات السياق تذكر الباحثة أن فرويد ومن خلال "قلق في الحضارة" سنة 1905 أشار إلى وجود نوعين من النزوات المنتمية للحياة الجنسية. في هذين النوعين تشكل القسوة المركب المستقل بمقابل النشاط الجنسي. بالموازاة هناك زوج من المتعارضات: السادية والمازوشية؛ يرتبط مع آلية التشابك بين نزوتين بدائيتين (نزوة العدوان والنزوة الجنسية). يكون لنزوة العدوان وجود منفصل عن باقي النزوات؛ الفكرة التي أقرها Adler سنة 1908 في إشارة منه إلى مصدر وتركيب نزوة العدوان.

مع "التحليل النفسي للصغير هانس" 1909 اكتشف فرويد أن مصدر القلق لدى الحالة يكمن في كبت الميول العدوانية اتجاه الأب. إشارة إلى وجود ميول كامنة لدى الفرد تظهر مع المرحلة الأوديبية، وهي البداية الفعلية لاستخدام مصطلح العدوانية استخدام مباشر. حيث تؤكد أن هذه الميول متأصلة في كل حركة نزوية وممثلة للقدرة على تفعيل الإمكانيات الحركية. فكرة النزوة العدوانية المستقلة تشير إلى السبب الأساسي في طرح النزوات العنيفة نحو الخارج حسب أدلر لا يمكن أن يكون الصراع بينمختلف الأركان النفسية الداخلية.

وجهة النظر الأساسية لهذا الأخير والتي يختلف فيها عن سابقه قائمة على وجود نقص عضوي، بمعنى أن كل فرد يعاني من هشاشة في أحد أعضائه أو في العديد منها؛ ومع كل عضو هش هناك نزوة تسعى لتحقيق حاجاته، يضاف إلى هذا النقص العضوي نقص في المجال الاجتماعي للفرد فتصبح الشخصية بذلك نتاج المواجهة الدائمة التي يقوم بها الفرد ضد ذلك النقص.

منذ الولادة يدرك الرضيع أن العالم الخارجي عدائي. وضعية المواجهة التي يقوم بها الفرد تشكل مجموع النزوات الجسدية والنفسية. يطلق أدلر 1908 على هذه العلاقة الهجومية للعالم مسمى نزوة العدوان.

برزت فكرة الحركة النزوية الموجهة للتدمير مع "ما وراء مبدأ اللذة" 1920. النزوات الكامنة داخل هذه الحركة تدل على أحد النزوات الليبيدية المعروفة (نزوة الأنا والموضوع). تقبع نزوات التدمير داخل نزوة الموت تاناتوس، إشارة صريحة إلى صراع الثنائية النزوية: نزوة الحياة/نزوة الموت. وحتى هذه اللحظة لا تزال العدوانية تنتمي لسجل الصراع ما بين مختلف أركان الأنا.

بالحديث عن طرق التفرغ التي تظهر من خلالها نزوة العدوان يشكل الاستعلاء أحد الأساليب المتاحة، وتساعد حتمية تكيف الفرد مع المحيط الذي يعيش فيه والإحساس بالانتماء له التخفيف منها. كما أن ارتداد هذه النزوة اتجاه الذات يؤدي إلى الانتحار وفي بعض التظاهرات الأقل خطراً إلى عصاب

القلق. وعلى أساس المكانة المهمة التي احتلتها النزوة العدوانية اقترح أدلر أنماطا لها حسب طرق التعبير التي يسلكها الفرد، تمثلت هذه الأنماط في:

- نمط تسود فيه الثقافة: يكون الفرد فيه متكيف.
 - نمط تسود فيه النزوة: تعبير مباشر عن العدوانية.
 - نمط تسوية يحفظ من المرض العقلي: تعبير مباشر عن العدوانية.
 - نمط استحالة التسوية: يتضمن أفراد يقبعون إما في الإدمان أو في الذهان.
- كما يؤكد أن تظاهرات هذه النزوة يمكن أن تفهم كذلك من خلال نوع الشخصية التي قسمها إلى قسمين:
- قسم ذو طبيعة عدوانية: الطموح، الغيرة، الحسد، الجشع، الكراهية.
 - قسم ذو طبيعة غير عدوانية: الانعزال، القلق، طرق مؤذية.

الأساس في النزوة العدوانية في التوجه الأدلري يكمن في وجودها مرتبطة بصراع تجاوز عقدة النقص وإحباط اللبيدو. على النقيض من فرويد الذي يرى بأن اللبيدو تستثمر وفق آلية التشابك/الانفكاك النزوي. في حالة الانفكاك تسيطر نزوة الموت على المشهد فتدفع إما إلى المرض أو إلى الشذوذ (السادية)، فيتموضع اللبيدو على هذا الانفكاك. يظهر التعارض النزوي (نزوة الحياة/نزوة الموت) جليا في التعارض البديل بين مشاعر الحب والكره في هذه الحالة يفترض فرويد وجود طاقة حرة، غير متميزة تعمل على تعديل تحرك النزوة من اتجاه إلى آخر ومن المعقول بالنسبة له أن تأتي هذه الطاقة من «احتياطي اللبيدو النرجسية» إذن من «الايروس التي خضعت لنزع الطابع الجنسي عنها» (Eros déssexualisée). هذه الحقيقة دفعت إلى الاهتمام بالهدف الذي تسعى إليه المتمثل في التدمير، وبنائها على الفرد. فتولد عن هذا الموقف تبني مفهوم العدوانية بصورة صريحة ومتكررة منذ 1930 (Lyasse-Sanchez, 2002, pp. 40-45).

- إذن فتناول مفهوم العدوانية في الصيغة التدميرية يعني أن:
- الحديث عن العدوانية يقودنا مباشرة نحو النزوات الشبقية.
 - لا يمكن فهم النزوة العدوانية إلا في اتحادها مع اللبيدو.
 - تشكل العدوانية تركيبية غريزية أولية مستقلة لدى الإنسان.
 - كثيرا ما ينظر إليها من ناحية السلوك المنحرف أو المضاد للمجتمع.
 - تتطور بالاتجاه المرضي عندما يكون هناك نقص في الارتباط أو التشابك بين الميول العدوانية والحاجات اللبيدية وهذا يكون نتيجة حتمية لعلاقة موضوعية غير ملائمة يسببها غياب موضوع الحب أو الاستجابات الانفعالية غير الملائمة.

يرى Bergeret (1996) أنه بداخل مفهوم العدوانية يرتبط موضوع النزوة اللبديية بتصور عقلي داخلي محدد بالمعنى الأصلي للصراع. بمعنى أن هذا التصور العقلي يكون باستثمار الآخر ككائن منفصل بواسطة تجارب مدركة أو خيالية. من ناحية أخرى هناك سلسلة المشاعر (الحب/الكره) الدالة على التقاطب الوجداني الذي يتداخل مع التظاهرات النزوية ارتباط/انفكاك. كما ويتفق مع فرويد في أن الانفكاك يشير إلى نزوة الموت المكون النزوي الوحيد والأساسي للعدوانية.

حسب فرويد فإن العدوانية تتكون من خليط من اللذة والشبقية؛ ما يؤكد على تدخل اللبيدو التي تهدف في هذا الحال إلى مهاجمة الموضوع أو الذات نفسها. كما أن العدوانية ليست مدمرة أو عنيفة بالضرورة؛ فالنزوات العدوانية يمكن أن تصنف إلى نزوات مدمرة وغير مدمرة، وأن النزوة على العكس من الغريزة فهي تسمح بمجال واسع من أنماط الإشباع والأهداف. تشمل الحركات التي تؤدي إلى استقلالية الفرد عن طريق الانفصال/التفرد، تقدير الذات والتحكم في المحيط. وتعرف بأنها ميل أو مجموع الميول التي يتم تفعيلها في تصرفات حقيقية أو هوامية، تهدف إلى الإيذاء، التدمير، الإذلال، التخويف. تعرف أيضا أشكال أخرى غير التصرفات العنيفة المدمرة (كرفض المساعدة، المفارقة) التي يكون لها نفس منزلة العدوان (Laplanche et Pantalès, 1997, p.13).

بالحديث عن مفهوم العنف، يملك Bergeret وجهة نظر تتميز بالعمق والأصالة وتتماشى وتقاليد الرؤية التحليلية. في الفترة ما بين 1914 و1918 يصف فرويد العنف كغريزة أساسية، عالمية، مشتركة بين الإنسان والحيوان. حسب Bergeret (1985) لا تتضمن كلمة العنف أي دلالة عدوانية فهي مستمدة من جذور بدائية (Biwao)، تمنح ولادة مشتركة لـ bia بمعنى العنف و bios بمعنى الحياة. وبالتالي يصبح من المستحيل فصل العنف عن الحياة. ويتفرع عن هذا وجوب التفريق بين العنف كقوة حيوية والعنف الذي يرجع إلى الهجوم على الآخر. في 2009 يشير إلى مفهوم العنف الأساسي الذي لا يكون حسنا أو سيئا. بل موجود بكل بساطة لدى الإنسان، وإن المصير العقلي والسلوكي هو ما يحفظه داخل الاقتصادية النفسية التي يتحدد من خلالها (Bergeret, 2009). من بين الأوصاف التي تنطبق على هذا المفهوم أنه عنف طبيعي إلى الدرجة التي يصبح فيها ضرورة أولية مطلقة، حيوية منذ لحظات الوجود الأولي. تظهر استجابة العنف في اللحظة التي تصبح المساحة الشخصية، صورة الذات، والهوية كلها مهددة. أو عندما تتعرض النرجسية لخطر التحطيم. تكمن مهامه الأساسية في المحافظة على الحياة أو على التكامل الجسدي والنرجسي بالدفاع ضد الآخر إذا شكل نوعا من التهديد (الخيالي أو الحقيقي). ينظر إليها ككمية من الطاقة النزوية في خدمة عمل الارتباط للنزوات. ويسمح ارضانها بإدماج المتطلبات المتناقضة (المنبثقة عن الواقع الداخلي-مبدأ اللذة-والواقع الخارجي-مبدأ الواقع) لكنها في بعض الحالات يمكن أن

تصبح في خدمة عملية الانفكاك النزوي. تميل إذن باتجاه التدمير المرتبط بنزوة الموت والمنفك عن اللبيدو الشبقية. يصبح هذا التدمير المحرك الأساسي للتصرفات المنحرفة ويترجم العنف في هذه الحالة بالاستثمار الحصري للحقد الذي انفصل عن الحب (Marty , 2001, p.25).

في (1996) طرح Bergeret الفرضية القائلة بأن العنف الأساسي يأخذ طابع السيطرة، يدرك الطفل والديه على المستوى الهوامي على أنهما من يملكا السلطة الأولية عليه. وأن قتلها (هواميا) يسمح بنجاته يقينا، وأيضا باستقلاليته و بانتصار الأناومتلاكه للقوة النرجسية المطلقة؛ بالاعتماد على هذا النوع من العنف يضمن الفرد موقع القوة المطلقة عن طريق التقمص بالوالدين المتميزين بالسلطة النرجسية. الهدف الأساسي من وراء هذا كله هو السيطرة الكلية على الموضوع.

مع هذه الخصائص يشكل العنف الأساسي جزء من مجموع الغرائز التي تتضمن الطاقات الأساسية للحياة. فهو يمنح الطاقة لمحاربة الآخر مع انعدام احتمالية المقايضة ولا يمكن تخيل وسائل أخرى للخروج إلا بالهجوم.

عندما يتعلق الأمر بالعنف الأساسي فان هناك سيطرة لنزوة حفظ الذات التي تشكل جزء من نزوة الحياة. عندما يكون الصراع من اجل البقاء يصبح العنف ضروري لمواجهة قلق الموت. يصبح لزاما على الآليات التي من شأنها أن تضمن بقاء الفرد (من بينها العنف الأساسي) أداء دورها في مبدأ البقاء بواسطة الجنسية.

خلال النمو العادي تتجمع المواضيع الجزئية معا تدريجيا لتصبح وحدة كلية، بإمكان الفرد أن يأخذ مكانة المعارضة اتجاه الموضوع، يظهر هذا عندما لا يستطيع العنف الأساسي الاندماج كليا مع الخيال اللبيدي في المرحلة الأوديبية فمن المرجح أن يبدأ بتوجيه التبادلات العلائقية. هذا ما معناه أن الموضوع المنافس يمكن أن يشكل تهديدا ضد البقاء.

على المستوى العرضي؛ تتبلور الحالة السابقة تحت شكل خوف أولي، أي أن الفرد يكون في مواجهة صراع «الإبادة مقابل القوة المطلقة». ما يشعره بالقلق من فكرة ألا يكون في المستوى المطلوب أمام واقع خارجي صعب (Balier, 2006)، بالإمكان أن يولد صعوبة في عملية الإدماج بسبب اختفاء الموضوع الخارجي. أو عندما يفقد التصور النفسي للموضوع (موضوع داخلي كلي) تماسكه ويصبح موضوع جزئي من جديد (Bergeret, 1996).

تجعلنا هذه الأطروحات حول مفهوم العنف نقف عند معنى محدد يتجسد من خلال مستويين:

- المستوى العلائقي: يتموضع العنف هنا عند مستوى علاقة الفرد بذاته (الجسدية والنفسية) وعند مستوى علاقته بالآخر إلى الحد الذي من المحتمل أن يشكل مع أحدهما مصدرا للتهديد.

- المستوى الدينامي: العنف الأساسي باعتباره مادة طبيعية للتركيب النفسية ولعمل آلية التشابك/الانفكاك النزوي، وبتأثره بالمستوى العلائقي يمكن أن ينحرف باتجاه التدمير ويصبح سلاحا في يد نزوة الموت ويتحد معها ويتجسد من خلالها. أي انطلاقا من كونه يرجع إلى قوة بدائية، ثم إلى ارتباطه بمكون داخلي يسبق هذه القوة البدائية.

بالنسبة لـ (Sininger & Fontaa, 1996, p.13) «العدوانية ليست عنفا» حتى وإن كان هناك ميل واضح للتمثل به في بعض الظروف. فالعنف يشير إما للقوة الجسدية المعروفة بفجائيتها، وحشيتها، وتعيدها على القوانين والمعايير والعادات. أما العدوانية فهي الميل إلى الهجوم، وكلمة عدوانية مستوحاة من المصطلح اللاتيني ad grdere الذي يحمل معنى «الاتجاه نحو».

ترتبط العدوانية بالتعبير عن النزوة حيث تفقد القدرة على التحكم، في وضعية كهذه يكون سجل التعبير النزوي والتعبير عن الانفعالات سائدا. أما العنف فيعيدنا إلى أفعال حقيقية وليست هوامية، اتجاه الآخر تهدف إلى المساس بالتكامل الجسدي (Milaud & al, 1992, p.608).

بالرغم من الاختلاف الأساسي الذي وقف عليه البعض بين العنف والعدوانية؛ يبقى استخدامهما في البحوث والدراسات النفسية على درجة كبيرة من التماثل لدى البعض الآخر. ولهذا رأينا استكمال توضيح الفرق بينهما بطرح وجهة نظر Bergeret الذي يعترف بمواجهته الشخصية لهذه الآراء والوقائع التي تربط العنف والعدوانية بنفس المعنى، وعلى إثر هذا يقر بأنه: "عادة ما يتم اعتبار السلوك العدواني التدميري الذي يشكل نماذج لاضطرابات الفكر والسلوك التي تميز ما يطلق عليه عامة مسمى العنف؛ ومع ذلك يتجلى لنا انطلاقا من الفحص السريري الرجعي الدقيق أن التظاهرات العدوانية التي تميز التصرفات المضادة للمجتمع، العقاب الذاتي، سلوك المدمنين أو المنحرفين الكبار ليس بإمكانها تمثيل ولو أنموذج العنف البسيط" (Bergeret, 1994, p.p 65.66).

يتطور العنف الأساسي منذ بداية الحياة العاطفية حسب الأنماط العلائقية للفرد مع العالم الخارجي. وبمرور الوقت يندمج مع العلاقات العاطفية ويصبح في خدمتها. في بعض الأحيان لا يتم هذا الاندماج بطريقة كلية مأمولة؛ ما يتيح لجزء من العنف الوحشي البدائي الاستمرار في التطور والتحرك، فينتج عن ذلك نوع من العدوان الذي يبحث عن الانتظام لاستيعاب القليل من الليبدو. والتفعيل بواسطة المتعة التي يختبرها مع خاصيتي الهجوم والتدمير (Sininger & Fontaa, 1996, p.8-9).

لخص Bergeret الاختلافات القائمة بين المفهومين في الجدول التالي:

جدول رقم 2: الاختلاف بين العدوانية والعنف

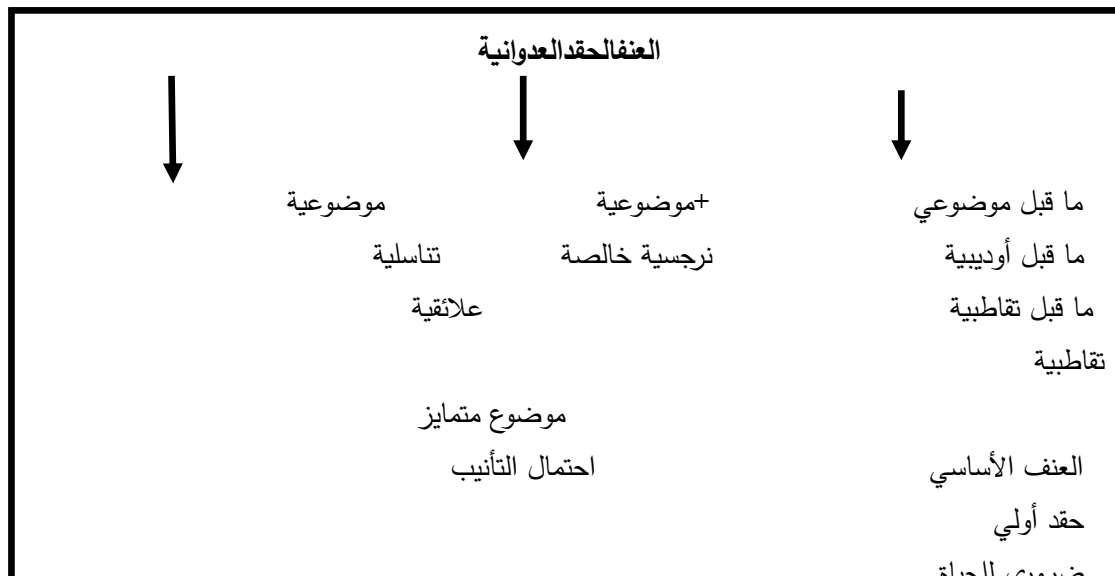
العدوانية	العنف
-----------	-------

غريزة طبيعية أولية	نتاج اتحاد النزوات
يهدف إلى حماية الفرد من التهديد المحتمل الذي تحمله جل المواضيع	تهدف في بعض الحالات إلى التدمير
إصابة دفاعية خالصة، دون هدف، ودون لذة من تدمير الموضوع	إصابة مرتبطة باللذة تتولد لدى الشخص عن طريق التفعيل العدواني
مبدأ الكل أو لا شيء	مرتبطة بتقلبات الاتحاد والانفصال بينميول الحنان وميول العدا
غياب التقاطب الوجداني	وجود التقاطب الوجداني
غياب التأنيب	احتمال وجود التأنيب
يبدو الموضوع مثل اللا-أنا وبالتالي خطرا على الأنا	يصبح الموضوع "فرد آخر" مقابل الفرد نفسه
	شذوذ: الحقد، السادية، المازوشية

(Bergeret, 1994, p. 66)

تتوقف الاختلافات بين العنف والعدوانية من خلال الجدول على العديد من المحددات. يظهر الأمر من الناحية التكوينية، فالعنف هو غريزة طبيعية وأولية. عالمية مشتركة، تظهر منذ بداية الحياة البشرية وتستمر إلى نهايتها، هدفها الأساسي هو تجاوز صراع البقاء على العكس من العدوانية التي تتكون فيما بعد في وضعيات محددة ومعينة حسب طبيعة الموضوع والزائد من العنف الأصلي. يأخذ الصراع شكل آخر هذه المرة فالمكون الأساسي له هو اتحاد النزوات وبالتالي يلجأ إلى التفريغ الفوري عن طريق فعل تدميري؛ أو على الأقل إلحاق الأذى بالآخر. أما بالنسبة للعنف فالأمر يقتصر على حماية الفرد من المواضيع التي تشكل تهديدا بالنسبة له.

على مستوى الأحاسيس يختلف العنف عن العدوانية عند الإحساس باللذة والتأنيب. أما على المستوى الدينامي فالاختلاف يتحدد بغياب أو وجود التقاطب الوجداني ومشاعر الحب والكره المتولدة عنه. يكون الموضوع في حالة العنف غير محدد، يدرك كاللا-أنا، حالة اتحاد/انفصال تعطيه سمة الخطورة بالنسبة لانا. ومنفصل تماما ما يتيح تفريغ الشحنة النزوية مباشرة عليه. وفي الأخير إذا كان هناك غياب لنماذج الفعل التي يأخذها العنف بسبب جذوره التكوينية وخصائصه الدينامية العلائقية؛ فإن العدوانية تتبنى نماذج شاذة تتمثل في الحقد، السادية والمازوشية.





مخطط رقم 2: العلاقات الموضوعية والعالم النزوي

3-2- الفعل والصورورة النزوية؛ ما بين اللذة/الألم، الشحن/التفريغ:

كثيرا ما تطرق التحليليون لمفهوم الطاقة النفسية النزوية في إشارة منهم إلى الجوانب الكمية والدينامية المنبثقة عن نزوتي الحياة والموت وما يتفرع عنهما. في هذه الجوانب تدرك نزوة الموت على أنها اندفاعه داخل الأنا؛ تسير وفق مسار محدد لإحداث الإشباع. في مؤلفه "النزوات ومصير النزوات" أبرز Freud 1915 العلاقة التي تربط النزوة بالاستثارة فالنزوة عبارة عن استثارة بالنسبة للنفس (Freud, 1915, 2017). يشكل ارتباط النزوة عن طريق تمثيلها مهمة مفروضة على النفس للتحكم في الاستثارة. يملك الجهاز النفسي وسيلتين اثنتين للمواجهة: الأولى تتمثل في الألم المرتبط بفقدان الموضوع (إفراغ الأنا عن طريق عمل الفقدان)، والثانية تتمثل في القلق. في الحالة التي تتجاوز فيها الاستثارة قدرة الفرد على الاحتواء يذهب الفائض منها باتجاه التفريغ.

يستخدم فرويد مصطلحي الاتحاد/الانفصال لوصف العلاقات بين نزوات الحياة ونزوات الموت. يشير الاتحاد إلى المزيج الذي يتضمن كلا النوعين من النزوات ويقصد بالانفصال تبني كل نوع من أنواع النزوات مسار مستقل بحثا عن الإشباع. يؤكد لابلاش وبنثاليس على أن "الانفصال يشير صراحة أو ضمنا إلى واقعة نجاح العدوانية في فسم عرى العلاقة تماما مع الجنسية، أحسن مثال على هذه الحالة هي السادية والمازوشية. ينعكس من خلالهما اتحاد نوعي للنزوات (الايروس والعدوانية) يجسد النمط الأولي للحركة النزوية، وبقدر ما تكون الغلبة للعدوانية ينزع الاتحاد النزوي إلى التفكك؛ وكلما ساد الليبدو تحقق المزيد من الاتحاد" (2008، ص.8).

لا يعني الإشباع النزوي الإحساس باللذة أو حالة الراحة. فهما ليسا مرتبطان بالضرورة. ما يدفع إلى اقتراح أربع احتمالات توطر العلاقات بين اللذة النوعية ومبدأ الألم، تتمثل هذه الاحتمالات في:

- معاش اللذة مرفوق بإشباع نزوي (بمعنى التفرغ).
- معاش اللذة مرفوق بعدم إشباع نزوي (وجود الشدة).
- معاش الألم مرفوق بإشباع نزوي.
- معاش الألم مرفوق بعدم إشباع نزوي.

يسمح تنوع هذه الاحتمالات بإعطاء تفسير للعلاقات بين المستويات النوعية والكمية للطاقة النزوية؛ بين إكلينيكية بعض حالات الاستثارة وما وراء علم النفس. لخصت Roghe (2005) هذه الاحتمالات في الجدول التالي:

جدول رقم 3: العلاقات بين الألم/اللذة، الشحن/التفرغ

ألم ذاتي (نوعي)	لذة ذاتية (نوعية)	
الم مرتبط بتفرغ للشدة انخفاض في الاستثارة	لذة مرفوقة بتفرغ للشدة انخفاض في الاستثارة	إشباع نزوي تفرغ للشدة (كمي)
ألم مرفوق بشحن للشدة ارتفاع في الاستثارة	لذة مرفوقة بشحن للشدة ارتفاع في الاستثارة	عدم اشباع نزوي شدة (كمية)

(Roghe, 2005, p.56)

يسمح الجدول التالي بمعرفة الآليات العلائقية والدينامية التي تربط بين مبدأي اللذة والألم، وما ينجر عنهما من الحالات التي تكون فيها الطاقة النزوية (الإشباع/عدم الإشباع). كما يتيح كذلك قراءة طرق: تسيير، تفرغ، احتواء الاستثارة النزوية وحالات اللذة/الألم. حيث يلاحظ زيادة في الاستثارة من الناحية الكمية في حالة عدم الإشباع. والسؤال الذي يجب طرحه في هذا الموقف أين يذهب الفائض من الشدة وما هي السبل المتاحة للتعامل معه.

تظهر نزوة الموت الميل للقضاء على حالة الشدة (مبدأ النيرفانا)، للعودة إلى حالة اللاعضوية، للموت مع الأخذ بعين الاعتبار لاضطرار التكرار في الحياة النفسية التي تتموضع حينها فيما وراء مبدأ اللذة، وتكون أكثر أصالة، بدائية، ونزوية من مبدأ اللذة. تطمح في نرجسية سلبية وتبحث عن الفتور التام، كما وتدفع نحو الانفكاك والانفصال. فهي في السابق نزوة التملك.

تبرز الحركة التدميرية الصماء لنزوة الموت من خلال مؤشرات التدميرية في العديد من الحالات العيادية: كرفض الاستثمار، كعلاقة بيضاء (المجال السيكوسوماتي)، لاتمايز،

désobjectalisation اللاغيرية داخليا وخارجيا. تحلل، تأكل، تلاشي، هجوم، تثبيط الروابط التي تحافظ على عمل النشاط النفسي الجسدي والروابط مع الموضوع، وتشير الطبيعة الترادفية للتكرار إلى الميل للحفاظ قدر الإمكان على النرجسية في شكلها الأولي؛ أي على شكل اكتفاء ذاتي ودون الانشغال بالموضوع (Cupa, 2006).

يؤكد Jeammet بأن الاستثارة في حالي الإفراط والتفريط هي المتحكم في تحديد العلاقة بالموضوع: «الاستثارة هي المحرك الأساسي للاستثمار وبالتالي للحياة، في حالة الإفراط تهدد الجهاز النفسي الذي يتعين عليه حماية نفسه بمساعدة المواضيع الخارجية (Holding) والاستعانة بالدفاعات النفسية الداخلية. وفي حالة التفريط؛ تدفع إلى الانطواء النرجسي وإلى انعدام الاستثمار العلائقي» (Jeamme, 2005, p.103).

من جهة أخرى ترى Dorey أن التشابك النزوي يسمح لنزوات الموت بأن تكون مشاركة في آلية تكوين الفرد، فهناك ايجابية لنزوة الموت؛ ايجابية مرتبطة بوظيفة الانفصال، فخلال العملية التي يقوم بها الأنا-اللذة باستدخال الجانب الحسن للموضوع، وإدماجه داخليا ثم طرح الجانب السيئ نحو الخارج؛ تشكل عملية الاستدخال جزء من نشاط نزوة الحياة وتتطوي عملية طرح ضمن نزوة التدمير، عن طريق هذا النشاط يتشكل الموضوع؛ وبالتالي فنزوة الموت واعتمادا على آلية التشابك تعتبر جزءا أساسيا في تشكل الموضوع وفي التعارض القائم بين الأنا(الفرد)-الموضوع(العالم الخارجي). بهذه الوظيفة البنائية تكون ملازمة لوظيفة الانفصال والنفي التي تتبع الطرح الخارجي للموضوع وتشكل جزءا من نزوة التدمير. تساعد هذه السيرورة إلى حد ما في التحرر من قيود مبدأ اللذة وتتيح نشاط التفكير (Dorey, 1988, p.88).

3-3- المرور إلى الفعل بمعنى التعدي:

ينظر Lagache إلى الجريمة باعتبارها تعديا على قيم الجماعة، ما يدفع إلى ردة فعل انفعالية من طرف أعضائها، هذا الحدث العاطفي يولد الرفض الاجتماعي الذي يدفع بدوره إلى تطوير تعديل جنائي قمعي لها. يأخذ التعدي هنا بمعنى عدم الامتثال، التجاوز، التعدي على: يشير إلى انتهاك القوانين، الإساءة إلى الحدود بواسطة فعل العصيان، ما يجعل القائم به يحمل صفة المذنب، ويلحق بهذا المدلول مفهوم الخطأ والخطيئة، ثم مفهوم العقوبة والعقاب. التعدي ليس معناه احترام المعايير وإنما التواجد خارجا عنها، أو بعبارة أخرى التواجد في اللاسواء (Moreau, 1997).

ليس هناك فعل تعدي ما لم يكن هناك معيار مستمد من مرجعية فردية أو مجتمعية. ترتبط فكرة المعيار باحتمالية الانحراف (عدم احترام المعيار)، بالنسبة للفعل المنحرف الإجرامي(الذي يطرح التكامل بين العوامل البيولوجية، النفسية والاجتماعية) يعتبر اختلافا يهدد النظام الاجتماعي

والمجتمع. فكل انحراف يتولد عن التعدي على المعيار (Mucchielli, 1990)، وترى (Harrati & al, 2006) أن الحياة الاجتماعية منظمة بواسطة المعايير .

يمتلك كل مجتمع معايير تنتقل عبر الأجيال. ونظرا لأن المعيار هو عبارة عن عملية، فإنه يصبح عالمي لكنه بالمقابل نسبي، ويختلف من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى. وثابت مقارنة وقيم ومبادئ المرجعية المجتمعية المشتركة. يرتبط بمجموعة من المبادئ التي توجه تصرفات الأفراد بهدف تحقيق السواء. حسب Canguilhem ليس هناك سواء ولاسواء، عادي ومرضي. فعن طريق الفرد فقط بالإمكان التفكير في المعيار وتحديده. وتبعا لوجهة النظر هذه الإنسان السوي، العادي هو القادر على التكيف مع معايير جديدة. يحتكم إليها، يختبرها بنفسه وبالتالي: (1) يتعين على الفرد امتلاك القدرة على التعبير أمام الإغراءات الخارجية. (2) ليس هناك إلا معايير ذاتية أي بالمقارنة مع الفرد الذي يقوم بتقييم نوعية وجودة المتغير (Harrati et al , 2006).

بالمقابل فترة المراهقة هي فترة التغيرات بامتياز، وكذلك المرحلة التي يزداد فيها الميل نحو المغامرة، حب التجربة، المخاطرة والتعدي. هذا ما يفسح المجال للتساؤل حول مكانة الفعل بالنسبة لكل هذه المعطيات، والتساؤل كذلك عن مفهوم المعيار بالنسبة للمراهق المعتدي. هل يتعين عليه أن يحوز القدرة على التغيير أمام الإغراءات الخارجية، تضاف إليها المركبات النفسية الداخلية؟ ضمن هذه الإشكالية يزداد الميل نحو الحديث عن معايير ذاتية يضعها المراهق تتماشى وتقييمه لمعاشه الوجودي (الداخلي/الخارجي) وحتمية التغيير، معايير تخضع لرمزية ذاتية يرى فيها المراهق تمثيل دقيق عن نظريته لذاته وللآخرين من حوله. ينبع هذا التمثيل من فضاء داخلي مشحون بإشارات نزوية تبحث عن الإشباع الذي يخضع ومرة أخرى ضمن هذا التمثيل للحدود وبالضرورة للمعايير. هذا ما يؤكد De Mijolla بقوله عن الإشكالية التي يطرحها الفعل والمتمثلة في التآرجح بين فعل هوامي وفعل حقيقي، لماذا يظهر الفعل الهوامي في الواقع بدل أن يتم تثبيطه بواسطة الدفاع أو الأنا الأعلى؟ بالنسبة للتعدي بواسطة الانتحار مثلا، يرى Morel بأنه يتولد عن تدمير للإطار الرمزي الواقعي الذي يعيش فيه الفرد، وهذا ما يؤكد المقاربة التي تفرض الأخذ بعين الاعتبار لمبدأ الفردية في تناول الفعل وارتباطه بمفهوم التعدي (Onanga, 2008)، كونه عبارة عن تعدي للعالم الهوامي على الواقع.

بالنسبة لوجهة النظر التحليلية يهدف فعل التعدي إلى الحد من معاش القلق (الأساس بالذنب) مع بقاء الدافع لذلك لا شعوري. في الواقع، ينتج الإحساس بالذنب عن هوامات أوديبية مكبوتة. هوام قتل الأب وزنا المحارم. هي التي تسبق هذا النوع من الفعل فتكون هناك عاطفة دون تمثيله حيث يعمل الفعل على سد هذا الفراغ التمثيلي.

يجد القلق المرتبط بالذنب تبريرا له بعد إزاحته على حدث حقيقي (فعل التعدي)، يدعم الدافع الحقيقي للحساس بالذنب كل من آليتي الكبت والإزاحة وذلك بعمل انعكاس للهوامات التي كانت الدافع الأول يتيح الطابع المنحرف للفعل في هذه الحالة احتمالية العقاب، بواسطته يتم تلبية الحاجة العصابية للعقاب وبالتالي فان هذا الفعل يمنح تفسيراً وعقاباً للإحساس بالذنب، يمكن للإحساس أن يكون لا شعورياً مع البقاء نشطاً للغاية في التوظيف النفسي للفرد. مرتبطاً بصورة غير مباشرة بالهوامات الجنسية والهوامات العدوانية لعقدة الأوديب.

مع هذا التطور الذي يشهده تفسير خاصية التعدي في الفعل وارتباطها بمفهوم الإحساس بالذنب يخلص فرويد إلى القول بان العدوانية وحدها هي التي تتحول إلى إحساس بالذنب.

ويؤكد Houssier مرة ثانية أن بعض أفعال التعدي خلال المراهقة تنطوي ضمن استمرارية النشاط الهوامي المتطور، استمرارية تغذي مثالية نرجسية وسيطرة الرغبة. يكون اختيار فعل التعدي للتعبير عن انسداد في التوظيف النفسي يظهر تحت شكلين رئيسيين: كاضطراب للحدود بين الداخل/ الخارج، وخلل في عملية التعديل التي يضمنها الأنا الأعلى، لتفتح المجال أمام إشكالية الاستثمار المازوشي (Quentric, 2013).

من ناحية ثانية، في الأدب العلمي كثيراً ما يستخدم مفهوم السلوك المضادة للمجتمع للإشارة إلى فعل التعدي. سلوك مرتبط بمرجعية قانونية. أما المراهق المرتكب لهذا النوع من السلوك فينظر إليه كشخص يعاني من مشكلات نفس-مرضية ما يتطلب عملية التكفل. بالنسبة للتصنيف المرضي فإننا نصادف في DSM 3 (1987) نوعين من هذا السلوك: غير عنيف/تعدي، معزول (عنيف)، لكن تم التخلي عن هذا التصنيف تحت تأثير أعمال Moffit (1993) لفائدة أصناف أخرى.

يتمثل الصنف الأول في السلوك المضاد للمجتمع الذي يبدأ مع مرحلة الطفولة، يكون نوعاً ما نادر ويتعلق بـ 5 إلى 10% من الأفراد. يتميز بكونه حاد، مستمر، عنيف ويؤدي إلى عواقب سلبية في مرحلة الرشد منها: الجرائم والجرح الخطرة. أما الصنف الثاني فهو الذي يظهر مع بداية المراهقة، بحيث يقتصر على هذه الفترة، تزايد معتبر، لكنه نسبياً في حدود العادي، غير عنيف كونه يبرز تحت تأثير الاندفاع البلوغي ويختفي مع اللحظة التي يستثمر فيها المراهق دور الراشد (Moffit, 1993).

3-4- المرور إلى الفعل كسياق نفس-مرض

كثيراً ما واجهنا عائناً كبيراً في تناول الفعل المنحرف، وقد تطرقنا لهذا الأمر مراراً وتكراراً؛ ولا ننكح نجدده في هذا المقام لأنه من المواضيع البحثية التي لا يقتصر تناولها على مجال علم النفس فحسب، بل يمتد إلى مجالات أخرى ونقصد بذلك علم القانون على وجه الخصوص.

فإذا كان الفعل المنحرف يشكل في حد ذاته نقطة التقاء وتقارب بين المجالات القانونية وعلم النفس المرضي. فهو قبل كل شيء محل اختلاف بينهما. لا تعكس وجهة النظر هذه التصادم بين علم النفس والقانون. فمفهوم الحدث النفس-مرضي لا ينطبق على الحدث الإجرامي ولكن بالنسبة للتناول الفكري فإن هذا أو ذاك يظهر الحقيقة نفسها (Widlöcher, 1997).

يحاول المجال القانوني تناول الفعل المنحرف من حيث المعيار القانوني، ويبحث عن قرائن تسمح بتجريم الفاعل، ومحاكمته وعقابه. ويهتم علم النفس المرضي بمدلول الفعل، بالعلاقات الموجودة بينه وبين القائم به، وبهذا المعنى فهو يستند إلى وضعيات ملموسة لمحاولة إيجاد تفسير أو تأويل نفسي لهذه الظاهرة، بالإضافة إلى ذلك فإن مجال علم النفس المرضي أوسع من الطب العقلي (إذا ما أخذنا الفعل مأخذ المرض)، باعتداده على حالة الوجود أو العدم للمعاناة النفسية لدى الفرد، وعلى رفضه قبول واحترام المعايير الاجتماعية (السواء). وبالتالي فإن علم النفس المرضي هو عبارة عن قراءة/استماع/تأويل للمعاناة وهو ما

يجعل من الفعل المنحرف موضوع دراسة وتحليل معمق (Pirlot et Pedinielli, 2005).

لا يجد علم النفس المرضي من خيار عند تناول الفعل إلا بالبحث عن خانة تصنيفية له، يعتمد هذا الخيار على جملة من المنطلقات التي عادة ما نلجأ إليها في التصنيفات المرضية (الذهانية، الحدية، العصابية)، تتجلى هذه المنطلقات في طبيعة القلق والدفاعات المستخدمة لمواجهة، العلاقة الموضوعية، الأعراض الظاهرة، أما بالنسبة لتصنيف الفعل فربما نلجأ إلى مستوى أعمق لتوضيح الخلل في بعض العمليات النفسية: العقلنة، الارصان، الترميز. أو الكشف عن عجز الأنا واضطرابه أمام وضعيات تشكلت تجاوزا لقدراته، عن هشاشة الجهاز النفسي في احتواء القلق في الحيز النفسي الداخلي، في احتواء الهوام الذي يتغذى عن النزوات الجنسية والعدوانية. وإذا كانت حقيقة الفعل بهذه الصورة الداخلية فإن الانعكاس الخارجي يختلف نوعا ما عن التصنيفات المرضية، لأنه يمس بالدرجة الأولى مكانة الفرد وعلاقته بذاته، وعلاقته بالآخرين بالدرجة الثانية. الشكل الغريب الذي يظهر من خلاله يدعو إلى التساؤل دوما عن خلفية الشخصية التي تقف وراءه (القتل، الاعتداء الجنسي، الانتحار).

يوضح Sinninger أنه لا يوجد ارتباط بين فعل عدواني ما ونوع تطور معين لمرض عقلي، فنفس الفعل يمكن أن يرتكب في سياقات متنوعة ومع مرض مختلف، وكذلك لا يتطور هذيان البرانويا بالضرورة نحو الفعل العنيف، فالسياق، الوضعية، العلاقات البين-شخصية بإمكانها أن تلعب دورا في تفريغ العنف. وكون المرور إلى الفعل عبارة عن تفريغ للشدة، للصراع على المدى القريب وليس كحل دائم، وبالإمكان أن يشكل منفذا وحلا فريدا متاحا في هنا والآن، فإنه لا يصبح مرضيا إلا بمعايير معينة:

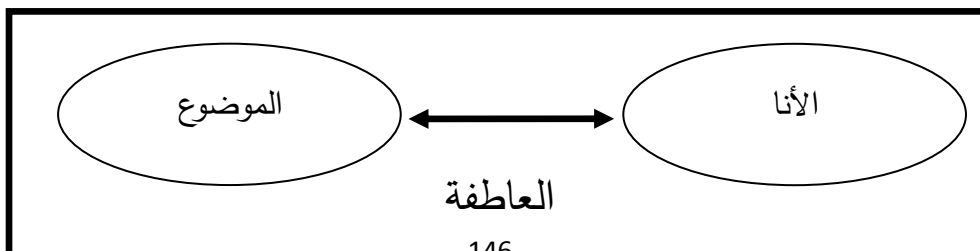
حددت Masquelier-Savatier المعايير التي يمكن من خلالها الحكم على مرضية المرور إلى الفعل ب: نتائج الفعل، شدته، الانتشار والتكرار، والتعدي.

بالنسبة لنتائج الفعل فقد أشارت الباحثة إلى وجود خلل في إدراك نتيجة الفعل، خلل مرضي قد يصل إلى حد العجز التام عن إدراك ما بعد الفعل؛ يلاحظ الخلل لدى الأفراد السيكوباتيين وكبار المنحرفين. يترافق هذا مع رفض أو إنكار للواقع وللمعايير. أما مدلول المعيار الثاني فيرجع إلى شدة الفعل، بمقابل هذه الشدة هناك عتبة معينة يشكل تجاوزها الجانب المرضي للفعل. يقصد بالشدة خطورة الفعل والعنف أو العدوانية المستخدمة أثناءه.

قد يرتبط مدى انتشار الفعل ومدى تكراره بمراحل معينة من الحياة كالمراهقة مثلا؛ يصبح هذا المدى مرضي إذا شكل المرور إلى الفعل الوسيلة الوحيدة للبقاء، هنا لا بد من الإشارة إلى أن الفعل المنحرف لا يرتبط دوما بحدث مفجر. وبالرغم من أن كل تعدي ليس مرضي، بل وإذا كان مؤقتا فبإمكانه أن يكون جزء من تجارب ضرورية للنمو. فان تناول هذا المعيار يعني ضرورة التذكير أن المرور إلى الفعل يضعنا في مواجهة مع الحدود، في خطر الخلط بين التعدي والمرض. بالأخص عندما تكون الجريمة منظمة، مخطط لها وتشكل جزء من تنظيم الشخصية وليس لها أي علاقة بالتفريغ المؤقت. في هذه الحالة ووفقا لهذه المعايير نكون بصدد الحديث عن تنظيم مرضي (Masquelier-Savatier, 1997).

للمرور إلى الفعل بنية دينامية تشكلت من خلال العلاقة بمعاش الفرد. بنيته النفسية الداخلية، حاجاته العاطفية وطريقة الفرد في تطوير ومعايشة العلاقات بين-شخصية. بالمقابل فان هناك اختلافات في طرق التعبير بالفعل هذه الطرق على علاقة وطيدة ببنية الشخصية. لهذه الأسباب سنحاول التطرق لأشكال من الفعل من خلال البنيات النفسية المعروفة (الذهانية، الحدية، العصابية)، توضيح خصوصية الفعل مع كل بنية أو بالأحرى توضيح ديناميته متبنيين في ذلك مقولة Dostöievski 1966 يبقى المجرم وحتى اللحظة التي يحقق فيها جريمته، شخصا مريضا دائما.

يتشكل التنظيم في الحالة العادية من خلال علاقة تفاعل بين فرد وموضوع، بإمكان هذا الأخير أن يكون شخصا أو شيئا يشترط فقط أن يكون ذو دلالة بالنسبة للحياة النفسية. ينظر alYeomans et إلى العلاقة بالموضوع كتمثيلة عن الذات مرتبطة بتمثيلة عن الموضوع بواسطة عاطفة خاصة. تتجسد هذه العلاقة وفق الصورة التالية:



(Yeomans et al, 2002, p63)

مخطط رقم 3: العلاقة بالموضوع

مع كثرة التجارب التي يعيشها الفرد تتطور العلاقة بالموضوع تدريجياً إلى بُنى نفسية (الأنا، الأنا الأعلى والهو)، ويصبح بالإمكان الاستدلال عليها بواسطة السلوك، الأفكار والأحاسيس. فهي تشهد على الطريقة التي ينتظم بها العالم العلائقي. تتولد عن هذا النظام أنماط أو نماذج تشكل أساس التطور العقلي. خلال النمو العادي؛ تخضع البنى لمبدأ التغيير مقابل التجارب المعاشة. لكن الأمر لا يكون كذلك مع التطور المرضي حيث تتميز البنى بالجمود، وتكون غير متلائمة مع الواقع. ما يدفع إلى حدوث تشبّهات في بعض جوانب السلوك، الأفكار والأحاسيس داخل سياق النمو (Gobbard, 2005).

يتم ارضان تنظيم البنية النفسية بالنظر إلى تفاعل العوامل البنائية والمحيطية منذ الطفولة وحتى مرحلة الرشد. يقترح Kernberg نظرية العلاقة بالموضوع التي تتضمن أربع تنظيمات للشخصية (ذهانية، حدية، عصابية، وعادية). تسمح العلاقة بالموضوع بتقييم التوظيف العقلي من حيث النشاط النفسي الداخلي للعلاقة العاطفية بين الفرد والموضوع، بداخل هذا النموذج تتولد كل نزوة عن الارتباط بين تمثيل الذات وتمثيل الموضوع المرافق له بحالة عاطفية خاصة (Summers, 1994). تمثل العلاقة بالموضوع أو العلاقات بالمواضيع المدمجة وحدات أولية لتشكل البنى النفسية. مكونة فيما بينها نسيج معقد من الرغبات، الانفعالات، الأفكار، المدركات التي تصير نشطة آلياً بعد تأويل السلوك والتصرفات العلائقية. في ذات السياق تتطور البنية النفسية للانا من مستدخلات المواضيع، تحمل هذه المدخلات نوعين من العاطفة ما يتيح إدماج الجوانب الحسنة (الإيجابية) والجوانب السيئة (السلبية) للمواضيع بطريقة منفصلة، تسمح هذه الآلية باكتساب نظرة أكثر واقعية حول الذات وحول الآخرين كإشارة عن تنظيم شخصية عادية وعن توازن بين مستدخلات المواضيع الحسنة والسيئة، أما في حالة النمو المرضي فإن كمية مستدخلات المواضيع السيئة تتجاوز المواضيع الحسنة مؤدية إلى استخدام الانتشار بطريقة معززة (Clarkin et al, 2006).

من بين الأبعاد التي طرحها Kernberg في نموذجها حول تنظيم الشخصية نجد: اختبار الواقع ونوعية العلاقات الموضوعية. يعرف الأول بقدرة الفرد على التمييز بين الذات واللذات، بين المجال النفسي الداخلي والمثيرات والمدركات الخارجية، وبالقدرة على التعاطف وفهم المعايير الاجتماعية. أما نوعية العلاقات الموضوعية فهي تعكس الطريقة التي ينتظم بها عالم تمثيلات المواضيع المستدخلة، الذي يشكل دعامة للبنية النفسية؛ لمستوى تكامل الهوية ومستوى تنظيم الشخصية.

للتفريق بين نوعية العلاقات الموضوعية هناك خمس مستويات: التحامي، اتكالي مع الخوف من الموضوع، اتكالي مع سيطرة واستغلال الموضوع، اتكالي مع الخوف من الهجر، وأوديبي.

- التنظيم الذهاني:

من بين ما يميز التنظيم الذهاني في سياق التطور المرضي هو وجود الأناولكن مع حدود غير مهيأة كفاية، فالأناوالهو يشكلان معا كتلة غير متميزة، ويرجع السبب في ذلك إلى كون اختبار الواقع في هذا التنظيم متشدد، مع الرجوع المفرط لآليات بدائية كاستجابة لقلق التجزئة يمنع من التواصل الحسن مع الواقع ومع تطوير هوية متكاملة. في هذا الجو يتمكن الفرد من خلق واقع آخر أين تكون علاقة الاندماج أو الالتحام متاحة (Summers, 1994). تتجسد وجهة النظر النفس-مرضية حول سببية الأفعال العدوانية نحو الذات أو نحو الآخر غالبا عن طريق اضطرابات عاطفية عميقة يشعر بها الفرد.

ذكر Sinniger بعض خصائص الشخصية في وجود الارتباط بين الفصام والمرور إلى الفعل العنيف، من بينها أن الأفراد يكونون ذو تنظيم فصامي يبدأ خلال المراهقة ولا يظهر عليه أي اضطراب في السلوك من شأنه أن ينبئ بالخطورة. يتم إعداد سيناريو الفعل ببطء مع وجود تعارض مع الوعي، يتجسد الفعل في سياق قلق شديد ومدمر وتذكر الضحية بصورة مجزأة. تدرج هذه الخصائص ضمن آلية الانزلاق التي تدفع المزاج الفصامي نحو الفصام المرتبط بالمرور إلى الفعل.

يفهم هذا النوع من الفعل كدفاع ضد التدمير، كحل للاختلال الليبيدي بهجوم الفرد ضد جنسيته المثلية باستخدام صورة الفرد. في هذا الصدد وقف Benezech et al 2001 على فرضيتين أساسيتين لتفسير جريمة القتل التي يرتكبها الفصامي ضد شخص شاذ جنسيا، تفيد الأولى وجود مجرم سيكوباتي شاذ جنسيا يملك سيناريو إجرامي منظم، وهوامات منحرفة قديمة، غياب الشعور بالذنب، الرغبة الشديدة في جعل الضحية تعاني. أما الثانية فتشير إلى تصرف شاذ لدى الذهاني، يتميز بعنف وفضاعة الفعل، عدم مبالاة وبرودة عاطفية. يطلق عليها متلازمة التأثير مع الأمر بالقتل (Benezech et al , 2001).

يحاول Nivoli (1980) إماطة اللثام عن بعض الأسباب اللاعقلانية للفعل من وجهة نظره، أسباب ترتبط بقوانين علم النفس "الإنسان السوي" ومن جهة أخرى بالخصوصية المرضية، من العام إلى الخاص ومن الذهان إلى الفصام وهو ما يسمح بتتبع مسار الفعل الذي تناوله الكاتب:

- يأخذ فعل القتل وهو المثال المطروح لفهم جدلية السواء واللاسواء لدى الذهاني، يأخذ طابعا جنائيا، بإمكانه أي الفصامي؛ أن يتراجع، أن يتوقف أو أن يقتل في أي لحظة من هذا المسار.
- كلما تجاوز الفصامي مراحل هذا المسار كلما انضم للسجل النفس-مرضي وابتعد عن علم نفس الإنسان القاتل السوي عقليا. فان توقف في هذا المسار فان دينامية الفعل تميل أكثر نحو احترام ضوابط علم نفس القاتل السوي عقليا.

يمر هذا النوع من الفعل مع الفصامي بمراحل ومميزات رصدها Loretto et autres فيما يلي:

- المرحلة الأولى: وتسمى **مرحلة بروز وضعية الخطر**؛ يقصد بها مرحلة تجميع الإحباط والفشل بالأخص في الجانب الاجتماعي (العائلة المنشأة للفصام schizophrénogène)، أو ذات التعبير الانفعالي الشديد، اضطراب العلاقة الزوجية، فقدان العمل، التأخر في وضع تشخيص دقيق.

استطاع الباحثون استخراج خمسة خصائص عائلية لفهم التأثير الإجرامي، تخص 18 فرد من مجموع عينة مكونة من 52 فرد في دراسة تمت بهدف الكشف عن بعض الخصائص العيادية لهذه الفئة. وقد تمثلت الخصائص في:

- . أب مدمن على الكحول، سادي، عنيف.
- . أم ذات ميول مازوشية في علاقتها مع الأب.
- . وضعية اقتصادية خطيرة.
- . عائلة كثيرة العدد وجو عائلي مشحون بالعنف.

- المرحلة الثانية: البحث عن الأسباب

في هذه المرحلة يكون تركيز الفصامي في البحث عن أسباب الإحباط منصبا على العالم الخارجي الذي يعتبره مصدر للخطر، في هذا السياق بإمكانه أن يمر عبر وضعيتين: التعدد، ويعني أن الكل والكل يصبح مصدرا للقلق، ويدخل هذا ضمن ما يسمى بـ «الانتفاض النفسي» في علم الإجرام. يتشكل هذا الانتفاض من ثلاثة أجزاء: المزاج الهذيانى، تغيير مسامى، والسببية النفسية المسقطه.

بالنسبة للمزاج الهذيانى «Wahntstimmung» يرى Arieti (1959) أنه بمجرد أن يبدأ الفصامي بإدراك العالم بغيره فإنه يصبح قلق، مرتبك، لا يستطيع فهم ما يحيط به، دلالة الكلمات، الجمل، التعبير تصبح مبهمه، ويكثر استخدام اللغة الرمزية.

أما التغيير المسامى «Mutamento pauroso». في هذا الجزء لا يدرك المريض تغير العالم من حوله فقط وإنما يدركه كتغيير خطير نحوه، بحيث يشكل المحيط تهديدا ومصدرا للخطر (Arata; Capani 1962، Ferrari 1967)، أما عن السببية النفسية فبإمكان تفسيرها بالارتباط ببعض تصرفات الشعوب البدائية أين يتم تأويل أي حدث من طرف الذهاني كتعبير عن اهتمام نفسي مرتبط بالتعقيد الهذيانى.

في مرحلة لاحقة يستبدل الذهاني خاصية التعدد بمعنى "الكل والكل يصبح مصدرا للقلق" بـ "هم أو هو يهددني"، يأتي هذا البديل ضمن خاصية "التجسيد".

عن طريق هاتين الخاصيتين يحاول الفصامي التعرف على مصادر الخطر.

- المرحلة الثالثة: البحث عن الحلول

بعد تحديد مصدر القلق يحاول الفصامي حل الوضعية بالطرق المتكيفة والمتاحة: كالبعد عن وضعية الخطر (الهروب، محاولة الانتحار)، المواجهة (بالإمكان طلب المساعدة في هذه الحالة)، أو الإلغاء (نمط تفكير هذيان).
- المرحلة الرابعة: القتل كمحاولة غير ملائمة لحل وضعية الخطر.

يمكن أن تأخذ هذه المحاولة شكل القضاء على المعتدي، ترتبط بصورة حصرية بوجود شخص محدد وإدراكه كمصدر للفشل والإحباط (عادة ما تنتمي الضحية لمحيط المريض)، أو شكل القضاء على المعتدين، يسعى الفصامي إلى الانتحار لتجاوز الإحباط والقلق ولكن في هذا السعي بإمكانه القضاء على شخص أو بعض الأشخاص من خلال دينامية تنتمي إلى الاعتداء الغيري. ومن الطرق التي يستخدمها بعد فشل آلية التجسيد، هي أن يقتل شخص مجهول لمواجهة الاضطهاد الداخلي وهو ما يطلق عليه بالفعل الردعي. أما عندما يحدث الفعل بأمر من الأصوات والرؤى التي تحدث مع الفصامي الذي يكون مستعداً لدفع هذا الثمن لإنقاذ نفسه، فإننا في حالة القتل كتضحية وشفاعة. بالإضافة إلى القتل كإزاحة رمزية: يكون هذا النوع مسبوق بحالة هيجان نفسي، حصر، وسيطرة آلية ترابط سريعة على الفكر (قصف ترابطي *orgies d'association*). والقتل عن طريق تجسيد العدوانية: هي حالة الجريمة المخطط لها، بتنفيذ وحشي كعدوان رجعي (وضعية سيطرة، عدم رضوخ جنسي، علاقة سادية). وفي الأخير الفعل عن طريق تكثيف لضحية أخرى وهي نفس آلية التكثيف التي تحدث في الحلم.

كل سبل الفعل هذه وتنوع طرقها تؤدي إلى القتل، في هذه الحالة لا يشكل الفعل خيار واحد من بين الخيارات المتاحة، وإنما يعتبر الوسيلة الوحيدة للتصرف يراها الفرد في لحظة ما ضرورة ويدركها كحتمية مستنزفة للرجوع المؤلم نحو الما وراء (Loretti et autres, 1998, p.80-86).

• التنظيم الحدي:

في التنظيم الحدي، وهو المفهوم الذي تم وضعه في محاولة لوصف الشخصيات التي لم تستطع القطيعة ذهن/عصاب ولا محاور وبنود DSM المساعدة على فهمها بصورة دقيقة. التنظيم الموجود في كل المجالات المرضية وفي الطب العقلي (اضطراب الشخصية، الهوية، الشذوذ، الإدمان، اضطراب السلوك). تظهر الخصائص التي يراها Bergeret قريبة نوعاً ما من الذهان، ومن العصاب. المتمثل في اضطراب المزاج، اضطرابات السلوك من النوع الاندفاعي (المرور إلى الفعل، التبعية). يتميز هذا التنظيم حسب Kermberg 1975 مرة أخرى بضعف الأنا، الذي يتحدد بعدم القدرة على تحمل القلق، نقص التحكم النزوي، الميل نحو عمليات التفكير الأولية، نحو تقصير مسالك الاستعلاء، القلق الشديد والمنتشر، قلق فقدان الموضوع مع ظهور الاكتئاب كعرض، يلاحظ وصف الفرد للماضي المعاش بطريقة مؤلمة على

المستوى النرجسي، وفي ذات الوقت على الأمل في مستقبل جيد ومثالي، مستثمر في علاقة تبعية مقابل الآخر (Vigneron et al, 2006).

على العكس من التنظيم الذهاني؛ يتميز التنظيم الحدي باستدخال مرضي للعلاقات بالمواضيع التي تسيطر عليها العواطف السلبية، يتم التعبير عن نمط العلاقة بالموضوع تحت شكل توقع سلبي للإشباع، مع تحكم عدواني في الآخر. لا يستطيع الفرد الذي يميزه هذا التنظيم تطوير أي مرونة علائقية. بواسطة هذا النمط العلائقي الاتكالي الذي يقوم على استنساخ أشكال التعلق الوالدي المبكر يتأرجح الفرد بين الاندماج والهروب، يواجه الآخر بجشعه العاطفي، ويظهر ردود فعل عدوانية نحو الآخر أو نحو الذات، لتصبح قاعدة علائقية في حال رفض الآخر الاستجابة للمتطلبات ما يعيد الفرد إلى قلق الهجر مرة أخرى.

ضمن هذا النموذج العلائقي البنيوي يكون اختبار الواقع لدى الفرد الحدي محصلا بالرغم من التشوهات التي أصابته. يسمح الانشطار باعتباره محوريا في هذا التنظيم بالإبقاء على التصورات السيئة والحسنة للموضوع منفصلة عن بعضها البعض. في حين يعوق الاستخدام المفرط للآليات الدفاعية الأولية (المثلثة الأولية، التقمص الإسقاطي، الإنكار) تكامل جوانب الذات وجوانب الموضوع. مولدا استحالة تحصيل أنا وأنا أعلى متكاملين (Kernberg, 2003).

في 1983 يؤكد الباحث على أن النرجسية في حالة اضطراب الشخصية ترتبط بذات مرضية، تتميز هذه الأخيرة بكونها غير متكاملة، تحتل بسبب ضخامتها مكانة مركزية في الشخصية. وهي بهذه الخصائص تحمي الفرد من تبلور ذات هشة مجزأة بواسطة القدرة الخيالية الكلية. بعلاقات بين-شخصية مصابة، إدراك الآخرين يكون إما بمثابة أو باحتقار ودون قيمة. تتحكم هاتان الوضعيتان (المثالية/الاحتقار) في الرغبة اللاشعورية اتجاه المواضيع، وهذا ما يجعل من العلاقات بين-شخصية مضطربة. ينقسم الجانب المرضي للنرجسية إلى ثلاث مستويات. سوف يتم التركيز في هذا الطرح على مستويين فقط يمثلان التنظيم الأهم بالنسبة لتفسير الجانب المرضي من الفعل مع التنظيم الحدي.

بداية من 1984 يطرح Kernberg مفهوم النرجسية الخبيثة، نرجسية مضطربة مرتبطة بسلوك مضاد للمجتمع في تناغم تام مع الشخصية وهو ما يسهم في ارتباطها بالجرائم وأعمال العنف. يتميز هذا النوع بوجود العدوانية التي تشكل جزءا من هوية الفرد، وتظهر عن طريق سلوك سادي يبرز مستوى معتبر وشديد من الرغبة بإمكانه أن يؤدي إلى الحاجة إلى الانتصار على الآخر باعتباره مصدر الإشباع الرئيسي. يتميز الأفراد الذين يملكون هذا المستوى النرجسي بتعطش شديد للسلطة، لا يظهرون أي قلق اتجاه راحتهم الشخصية ولا أي عاطفة سلبية غير الغضب؛ كما تبقى القدرة على التعلق الدائم ببعض الأشخاص محفوظة داخل نرجسية جنسية.

في مستوى آخر يميز Kernberg النرجسية المضادة للمجتمع، والتي تبدو أكثر صلابة وشدة، لا يظهر الفرد من خلالها أي امتثال اتجاه أي شيء. نوعية العلاقات في هذا المستوى تتناسب عكسيا مع شدة الميول المضادة للمجتمع، يظهر الفرد عدم قدرة على الدخول في علاقة مع الآخرين دون استغلالهم بأي طريقة ممكنة. ليس لديه أي إحساس بالذنب أو الندم بمقابل الافتقار إلى إظهار عواطف الحب، تتلخص هذه الخصائص فيما يمكن أن يطلق عليه تسمية: السيكوباتية، حيث يكون التنبؤ بالمستقبل أكثر غموضا (Kernberg, 1984).

لا يزال هذا النوع من التنظيم يفاجئ الجميع بالحقائق الكامنة التي يخفيها، وبالمميزات الغامضة المنطوية في كنفه. ونظرا لأن عدده حسب Bergeret (1998) في تزايد مستمر داخل المجتمع. فانه بالإمكان خلط المرور إلى الفعل «العنيف» الملاحظ لدى الأفراد الحديين مع المرور إلى الفعل «العدواني» الذي نصادفه لدى الأفراد ذو التنظيم الذهاني.

يتميز هذا التنظيم بقوة الاستثارة النزوية العنيفة أكثر منها لبيدية، عبارة عن انطباع يعاش في المرحلة الطفولية التفاعلية المبكرة والمؤسسة للخيال الأولي بالاستعانة بالنماذج العاطفية التي يقدمها المحيط العائلي، الاجتماعي الثقافي، والتربوي. يلاحظ بعد فقدان القيمة الذي يختبره الفرد في هذه المرحلة سواء اتجاه العنف أو اتجاه الليونة اللبيدية. يصبح غير قادر على إدماج الخيال الأوديبى العادي والليونة أو الحب بطريقة مثالية كما يجب، فيدخل بسرعة في مرحلة كمون كاذبة تحميه من كل فعل عنيف (أو جنسي)، ويعاني صعوبة بالغة في الخروج منها. هذا ما معناه أنه في اللحظة التي كان من الممكن الخروج من سجل الخيال الإيجابي لأزمة المراهقة فإنه في الواقع لم يبدأ بعد معاشتها بل ويبحث عن تجنبها.

يصبح المرور إلى الفعل المباشر، التعبير الخارجي عن العنفيصبح وسيلة «للتظاهر» ولإيهام الآخرين (وحتى الذات) بامتلاك شخصية ذات قوة، واستقلالية علائقية. في حين يصطدم القلق الوجودي الكامن بصاد إثارته داخلي ضعيف ومهدد بأن يتم تجاوزه في أي لحظة بواسطة الفعل العنيف.

تتحدر الجهود المبذولة لاحتواء التجاوز من الحرمان الذي عايشه الفرد ذو التنظيم الحدي؛ في البداية؛ حرمان في التقمصات، ثم حرمان في النمو الخيالي، وحرمان في إدماج غريزة العنف الطبيعي. لا يستطيع معها أن يظهر عاطفة الحب اتجاه الآخرين خاصة عندما يجد نفسه غير مسلح كفاية لاحتواء أفكاره العنيفة واستعمالها ايجابيا إلا بالطرق المؤسفة.

يرتبط المرور إلى الفعل بغريزة العنف الأولي لحفظ الذات أكثر من ارتباطه بمجرد رغبة يتم تحصيلها من هجوم متعمد أو شخصي ضد الآخر، وعلى العكس من التنظيمات الأخرى هناك تشكيل هلوسي حقيقي لواقع جديد هدفه تبرير الطرح الخارجي للنزوات العدوانية غير القابلة للتحقيق.

في غالب الأحيان يظهر المرور إلى الفعل العنيف عند الحالات الحدية بالأخص عند غياب التثبيط، يظهر كعامل استعداد للاكتئاب، وهو ما يدفع إلى الفعل العنيف نحو الذات (الانتحار) بحيث يعتبر من النماذج التي يبرز من خلالها هذا التنظيم (Bergeret, 1998b, pp.113-117).

من بين الجرائم التي ترتبط بهذا التنظيم هي الجرائم العاطفية أو جرائم الغيرة، يتواجد مفهوم فقدان الموضوع في صلب هذا الإشكالية. تتميز شخصية المجرم العاطفي بالتمركز حول الذات، الإحساس بالأحقية، التبعية مع الحاجة إلى إعادة الحماية.

تتأرجح العلاقة بالآخرين بين القيمة والاحتقار، نقص في المشاركة الوجدانية اتجاه مشاعر الآخر، عدم قدرة على تحمل الهجر، العلاقة التملكية مع تبعية قوية للموضوع؛ التهديد بالفقدان يؤدي إلى إصابة نرجسية مع تهديد بتكامل الأنا. يتدخل الأناكدفاع ضد خطر الانكسار، يصف De Greff ثلاثة مراحل لتطور الفعل العاطفي:

. الإذعان المخفف: يقوم الفرد خلاله باحتقار الضحية المستقبلية مع تأسيس فكرة اختفاءها المفاجئ، بإمكان هوام الفعل أن يتحقق عن طريق الأفعال الناقصة أو فلتات اللسان.

. الإذعان المشكل: يصبح الفرد في صراع مع ضميره الأخلاقي، ويسمح باحتياج رؤى الجريمة دون استثناء أفكار العدوانية الذاتية.

. مرحلة الأزمة: تترجم بواسطة إحساس بالمعاناة، إحساس غير مستحق تصبح معه الضحية المتهمه الحصرية، والخطر الوحيد الذي يجب القضاء عليه. في نروة هذا الجو الانفعالي يظهر الفعل (Ambrosi, 2003)

أما عند السوداوي المعروف بالفعل نحو الذات فأن الفعل العدواني نحو الآخر يأخذ شكل انتحاري جماعي أو هذيان الاضطهاد، حسب Racamier يحدث هذا النوع من الفعل عندما يدرك الموضوع خارجيا وفي ذات الوقت يعاش داخليا باعتباره حقيقة داخل الذات فيصبح هدفا للاعتداء. يهاجم السوداوي الأفراد الذين يتعلق بهم كما لو انه يهاجم نفسه أو ممتلكاته، أو يهاجم الأنا الذي يتخلله (Racamier, 1968).

- التنظيم العصابي

مع ظهور الكبت، وهو من بين الدفاعات الأكثر نضجا ينبثق التنظيم العصابي الذي يتميز بحس متناسق عن الذات وعن الآخرين، القدرة على إظهار التعاطف وعلى الاستثمار، وهو ما يعكس وجود هوية متكاملة. العلاقة بالموضوع تكون ضمن نمط ثلاثي أوديب، وتتشكل البنية النفسية (الأنا، الهو، الأنا الأعلى) التي تكون نسبيا متكاملة. يرجع الصراع في هذا التنظيم إلى عقدة الأوديب، يدخل الفرد في منافسة مع طرف آخر للحصول على حب الموضوع، يدرك الوجود العاطفي المستقل عن الموضوع، وخلافا عن الخوف من التفكك أو من فقدان الموضوع الموجودان في التنظيمات السابقة يتواجد قلق

الخصاء أو فقدان حب الموضوع واهتمامه، حيث يتميز هذا الأخير بوجود الإحساس بالذنب والخوف من العقاب (Diguer & al, 2006).

3-5-الفعل في مجال الطب العقلي:

إن تتبع مسار البحث حول الفعل العنيف والعدواني في مجال الطب العقلي يتيح الوقوف على آليات تعامل المختصين في هذا المجال مع هذا النوع من الفعل، وعلى اعتبار أن الطب العقلي يقوم أساسا على فرضيات تصنيفية يتم التعامل بها في المجال المرضي فإن هذه الصيرورة قد تم إسقاطها وبتقاليدها المعروفة على الجرائم المرتكبة بهدف إيجاد تصنيفات للشخصية التي تقف خلف أنواع من الفعل. يُطرح الإشكال في هذا التصنيف عند مستوى التضييق الذي يضع الفعل في المرتبة الثانية وبالتالي لا يكاد يأخذ حقه كإعكاس للشخصية

يتأثر بها ويؤثر فيها. وعليه قد تم تصنيف الجرائم في هذا المجال بالاعتماد على مقاربتين اثنتين:

المقاربة الكلاسيكية والتي تميل إلى اعتماد البعد النفس-مرضى للفعل. حيث إن الأساس في هذا التصنيف يعتمد على ما يتطلبه التداخل القائم بين الطب العقلي وبين المجال القانوني. تصنف الجرائم في هذه المقاربة حسب الاضطرابات العقلية الملاحظة (جريمة عقلانية، جريمة مرضية، الجرائم العاطفية، جرائم بالقهر العصابي، جرائم الشواذ، السيكوباتيين، الذهانيين). جرائم بالمقارنة مع نوع الضحية (جرائم فردية أو جماعية: مثل الإبادة، جرائم عائلية: قتل الأب، الأم، الأطفال، سفاح المحارم، جرائم عنصرية، جرائم ضد ضحايا مجهولين)، وفي الأخير تصنيف الجريمة حسب الدافع الرئيسي للمرور إلى الفعل (انتقام، ضغط، هذيان، غيرة، اضطهاد، جرائم غامضة وغير مبررة).

ومقاربة ثانية تعتمد على التحليل الاستراتيجي للانحراف، يلجأ المجرم حسبها إلى الانحراف باعتباره الطريق الأكثر إتاحة، البعض يختار مستقبل إجرامي، يُثبت الفرد في اللحظة الراهنة وفق منطق الهنا والآن، يتفاعل حسب الاحتمالات والفرص التي تتيحها، تتمثل أهداف الفعل عادة في التملك، العدوان كدفاع، الانتقام، التفرغ أو الرغبة في السيطرة (Tydore & Albernhe, 1995).

في غالب الأمر يرجع الفعل إلى حالة مرضية تكون مصدر له. يتعلق الأمر بسلوك يمكن أن يقوم به المريض يتطور من مجرد فعل اندفاعي إلى تصرف منظم. في هذا المجال يستخدم مفهوم المرور إلى الفعل بحذر وخوف من ربطه مباشرة بإحدى الأمراض المصنفة. خوفا من أن يشكل سمة سلوكية بارزة في السجل المرضي، يترجم الفعل أساسا كتصرف ذو طابع آلي مفاجئ يشمل الفرد نفسه أو الآخرين. تتمثل تعبيراته المتطرفة في الانتحار والفعل الإجرامي. بإمكانه التواجد ضمن مجموعة كبيرة من الإصابات العقلية: كالفصام، السوداوية، البرانويا. وحتى في الحالات السيكوباتية، الحديدية ومجمل

اضطرابات الشخصية. كما يمكن أن يتواجد بعيدا عن هذه الأشكال المرضية الكبرى وهو الأمر مع حالة القلق، الاكتئاب، أزمة الهوية، سلوك إيذاء الذات، مع الكحول أو المخدرات. وهنا يجب ربطه مع السوابق الفردية، المحيط، السلوك السابق. كما أن البحث عن مسبباته يقود إلى ضرورة البحث في:

- الظروف والدوافع والفروق بين الأسباب والآثار.

- العوامل لادخالية المتفاعلة داخل الفعل (Roustant, 2017).

3-6- الفعل ضمن السياق وجودي:

من بين التصنيفات التي اقترحتها Masquelier-Savatier (1997) فيما يتعلق بوصف المرور إلى الفعل والتي تعتبر وصفا للوضعيات أو الحالات التي تدفع إلى الفعل أو يحتمل أن يكون هذا الأخير الوسيلة الوحيدة المتاحة للفرد للدفاع ضد الانفعالات المتولدة عن هذه الوضعيات وعلى رأسها القلق. وبالتالي فنحن بصدد الحديث عن علاقة سببية تفسيرية بين شكل من أشكال الفعل ووضعية وجودية معينة. تتمثل هذه التصنيفات في:

1. بمقابل خطر ما يهدف الفعل إلى:

أ. التدمير: أي تدمير الموضوع المهدد، هذا النوع من المرور إلى الفعل العنيف يمكن أن يكون اتجاه الأشياء أو اتجاه الأشخاص.

ب. التدمير الذاتي: تدمير الذات أو المرور إلى الفعل العدوانى نحو الذات.

2. بمقابل الإحباط يهدف الفعل إلى:

أ. التعويض: الحصول على ما يفترقه الشخص، يحدث التعويض بواسطة التملك؛ تملك الأشياء (السرقه مثلا)، تملك الأشخاص (اغتصاب، اعتداء جنسي).

الفعل حسب هذه التصنيفات وبواسطة الميل إلى التحكم والسيطرة على الأشياء والأشخاص يشكل وسيلة من وسائل التمثيل في المشهد الخارجي ما لم يستطع الفرد تمثيله داخليا على مستوى الأنا. هذا الأخير الذي يكون مذهولا أمام قوة العواطف والفضاء النفسي المتقلص. من خلاله (أي الفعل) تحاك لعبة استبدال إزاحة التمثيلات بواسطة آليات بدائية أخرى كالإسقاط، الارتداد إلى الضد، الارتداد نحو الذات. يشعر الفرد بالتهديد وتجتاحه العواطف وشدة الإثارة ذات الصبغة الجنسية الحتمية، يدفع هذا الاجتياح إلى حالة اللاتمايز بين الداخل/الخارج. بين الفرد ومواضيعه المستثمرة، وبداخل الفرد نفسه بين الأركان المختلف للجهاز النفسي بسبب سيطرة العواطف والموضوع الذي يعتبر المصدر. المنفذ الوحيد المتاح في هذه الحالة يكون بطرح الإثارة المهددة للتنظيم على عامل خارجي (المحتمل ألا يكون بالضرورة موضوع

الاستثمار الأولي)، يسعى من خلاله الفرد إلى ممارسة التحكم والسيطرة التي لم يستطع ممارستها على عواطفه الداخلية (Jeammet, 1997).

4- خصائص الفعل عند المراهق المنحرف

4-1- خصائص الأغلفة النفسية

الغلاف هو المكان حيث بإمكان عمليات التمايز والترميز أن تتطور، يملك الغلاف خصائص الاحتواء والتنظيم، ويعمل بطريقة مستقلة عن إرادة الفرد. يتشكل الغلاف الأولي في مرحلة اللاتمايز مع الأم وعن طريقه يصبح الطفل قادراً على التمييز بين أناه وأنا الآخر. تُبنى عملية التمايز بين الأنا واللأنا وتستدخل تدريجياً من طرف الطفل بالاعتماد على استقرار العلاقات، حالات الحضور/الغياب، الإشباع/الإحباط، الأمان واستمرارية الغلاف الذي تقدمه الأم. يسمح هذا الغلاف بإقامة حدود الجسم لكل من الأم والطفل، بالإضافة إلى تشكيل قاعدة للهوية. يصبح الغلاف هو اللأنا، أما الهوية فتتعلق بالطريقة التي تتم بها عمليات التسيير والتحكم في اللأنا (Bleger, 1979, pp.258.260). عن طريق التجارب المتكررة لشكل الاحتواء وبواسطة الموضوع يأخذ الجلد مكانة الغلاف الذي يجمع أجزاء الذات البدائية في طريق التكامل. ينتج الغلاف من استدخال الموضوع المُحتوي أو من وظيفة الاحتواء التي يملكها الموضوع (Ciccine, 2001, p.92).

يرجع مفهوم الغلاف والوظائف التي اسندت إليه إلى المراحل الأولى لحياة الإنسان. فقد اقترح فرويد 1985 سلسلة من المفاهيم التي تحمل نفس مدلول الغلاف ولكنها تختلف من حيث الوظائف اختلاف ظاهري لا أكثر. ففي النموذج التشريحي الفسيولوجي للنفس قام باستبدال مفهوم «حاجز التواصل» بعد تعقد وظائفه بمفهوم «صاد الإيثرات»، يعمل هذا الجهاز على حماية استقبال الإيثرات، أو تصفية تلك الآتية من العالم الخارجي وكذا المتولدة عن العالم الداخلي (Millier, 2005). وفي 1923 أضاف بأن الأنا هو قبل كل شيء أنا جسدي ناتج عن الأحاسيس الجسدية، وبالأخص تلك المنبعثة من سطح الجسم، إذا فهو انعكاس لهذا السطح الجسدي (Dechaud-Ferbus & al. 1994, p. 55).

حسب Anzieu (1995) ونموذج «الأنا الجلدي» يختبر الجهاز النفسي ومنذ الأشهر الأولى الحاجة إلى غلاف نفسي يضمن له حتمية استمرار حالة الراحة النفسية الأساسية، ولأجل هذه الحاجة؛ يتم الاستعانة بتشكيل أنا-جلدي عن طريق أولى التجارب الإدراكية للجلد باعتباره ممثلاً للسطح، وعليه يعرف مفهوم الأنا-الجلدي على أنه: تشكيل يستخدمه أنا الطفل خلال المراحل المبكرة من النمو لأجل تمثيل نفسه كخاو للمحتويات النفسية.

أتاحت أعمال Anzieu حول الأناجلدي الفرصة لتوضيح خصائص هذا الجهاز. حيث يستند الطفل خلال مراحل الأولى على الجهاز النفسي للام، يمنح هذا السند امتيازات كثيرة للطفل تتمثل في التقاسم التشارك والتناوب بين الجهازين (جهاز الأم وجهاز الطفل في طور التكوين) ما يؤدي إلى بروز نوعية مسامية للغلاف النفسي بإمكانها أن تكون نشطة طيلة الحياة.

من جهته Winnicott استخدم مفاهيم «Handing» طريقة حمل الطفل، و«Holding» طريقة الاعتناء به نفسياً وجسدياً، و«Object presenting» طريقة تقديم الموضوع وتعني المقترحات التي تقدمها الأم حول لحظات الاستيقاظ، اللعب والاستكشاف. في تفاعلها تشكل مصفوفة "الانشغال الأمومي" الأولى "Préoccupation Maternelle" التي تساهم في نمو القدرة على البقاء وحيداً، وعن طريق وظيفة الاحتواء التي تضمنها فهي تمنح للطفل إحساس مستمر بالوجود، ومع مرور الوقت يجب أن تُمكنه من احتواء القلق البدائي (Ciccone, 2001).

بعيدا عن هذه المفاهيم القاعدية التي وضعت بعناية تامة وصياغة دقيقة تحاكي الحقيقة النفسية الماورائية لتكوين الغلاف النفسي قام Millier (2005) برصد أهم التطورات التي مست هذا المفهوم وبالأخص التي واكبت الوظيفة الأساسية التي يضمنها وهي وظيفة الاحتواء. اقترح على غرار هذا مسار تطوري لخصه في الجدول التالي:

جدول رقم 4: تطور وظيفة الاحتواء حسب العلماء

المؤلف	الإشكالية النفسية	الإشكالية المنهجية
S.Freud فرويد	- المرور من النوعيات إلى الكميات - اضطراب التكرار - الفرد داخل الجماعة	- حاجز الاتصال 1985. - صاد الإيثار 1920 - الصدمة عن طريق التحطيم.
Winnicott وينيكوت	- Holding يضمن المحيط استمرارية الوجود خلال العلاقات الأولية، الوهم المتقاسم، الانتقالية	- إطار العصاب، إطار الفصام
W.R.Bion بيون	- محتويات التفكير، الوظيفة ألفا في العلاقة حاوي/محتوي، القدرة على إنتاج أحلام اليقظة	- عملية الترميز الداخلي للغة - وظيفة الاحتواء، الترميز
E. Bick ايريك	- استدخال وظائف الاحتواء للام، الأنا النفسي والدفاع عن طريق " الجلد الثاني "	طريقة الملاحظة عند الطفل
J.Bleger بليجر	- عن طريق الاختلافات بين الأجزاء الذهانية/ الأجزاء العصبية. - التمييز بين: إطار/عملية 1966 - الجماعة التوافقية/ الجماعة التفاعلية	- "وظيفة الإطار" دور الإطار بالنظر إلى العملية.
D.Anzieu أنزيو	- وظيفة الاحتواء أو السعة إحدى وظائف الأنا الجلدي	- التحليل النفسي الانتقالي، تهيئة الإطار - العلاقات التناظرية: الجسم، الأنا، التفكير. - الغلاف والجلد النفسي. مختلف مستويات

الاحتواء .		
<p>-محتويات التفكير: بنية دينامية تعطي (أو تغير) معنى المحتوى</p> <p>-محتوى بدائي (هوامي، نرجسي، معرفي)</p> <p>-محتوى أكثر تعقيدا: اللغة، والمجموعات الاجتماعية الثقافية</p>	<p>-المشكلة بين الحاوي والمحتويات النفسية (إدراك، أفكار، انفعال) على المستوى النرجسي، المعرفي، الهوامي والعاطفي، الفرد والجماعة.</p>	<p>B.Gibello</p> <p>قبيلو</p>
<p>-علاج مشترك للثلاثية</p> <p>-دعم النرجسية الوالدية</p>	<p>-وظيفة صاد الايثارات للام، الاقتصادية النفسية الجسدية للثنائية أم-طفل، والثلاثية أم-طفل-أب.</p> <p>-العقلنة</p>	<p>R.Debray</p> <p>دوبراي</p>
تحليل نفسي انتقالي	-وظيفة الحاوية (الإطار)	<p>Kaës</p> <p>قييس</p>
-الأغلفة العائلية والمؤسسية	-وظيفة الاحتواء، الأغلفة النفسية	<p>Houzel</p> <p>هوزال</p>
<p>-وظيفة الوسيط الطبع</p> <p>-تكيف الإطار</p>	<p>-الترميز الأولي (بناء تمثيل الأشياء)</p> <p>إشكالية عودة المنشطر</p>	<p>R. Roussillon</p> <p>روسيون</p>

(Millier, 2005, p.304)

يطرح الكاتب كما سبق القول مسار تطوري لمفهوم الغلاف النفسي، يتناول هذا الطرح حسب الموقف الذي برز فيه المفهوم حتى وان اختلفت التسمية فان الإطار العام والمعنى الذي تؤديه يبقى ذاته. حسب الحاجة التي دعت لبرزوه ومع تطور الجهاز النفسي والإشكالات التي ظلت ولا تزال تواكب هذا التبلور. إشكالات متعلقة بالنواحي العيادية، العلاجية والبحثية. ومع موجة الانتقادات التي يشهدها التحليل النفسي يصبح من الضروري القيام بتحديد معنى واضح لكل المفاهيم وهو ما نلاحظه في هذا الطرح حيث لخص Millier الإشكالات المنهجية التي واجهت هؤلاء عند إسقاط مفاهيمهم على المجال العلاجي. الأمر الذي يدفع إلى ضرورة طرح فرضيات أخرى لإعادة تفسير ما بقي مبهما وغامضا حتى ولو دفعت هذه الفرضيات بدورها إلى نفس درجة الغموض. ومنه يمكن القول بأن مفهوم الغلاف النفسي بالمعنى الذي أرادته مؤسسه يبقى كغيره من المفاهيم التحليلية معقدا وبالتالي يلقي نفس مصير المفاهيم الماورائية التي قامت عليها النظرية التحليلية.

مرة أخرى وفي هذا التناول نجد أولى البوادر غير الصريحة مع فرويد الذي يؤكد على أن الغلاف النفسي (الحاجز أو صاد الإيثارات) يتشكل من وجهين إحداها خارجي والآخر داخلي. يضمن الأول الحماية من الصدمات والإيثارات، وداخلي تنسب إليه عملية الانتقال بين الداخل-الخارج والداخل-الداخل.

ومع تطور جهاز التفكير لدى الطفل أسند Bion وظائف أخرى بعيدة عن الإيثارات والصدمات وهي وظيفة احتواء الفكر عن طريق عملية الترميز. منذ 1974 تعددت الوظائف التي يضمنها الغلاف النفسي، وطرح Anzieu مفهوم غلاف المعاناة «Enveloppe de Souffrance» والغلاف المازوشي «Enveloppe de Masochiste» وقد استوحى التسمية من طبيعة الوظيفة التي يضمنها هذان الغلافان. هما في الأساس مرتبطان ببعضهما البعض؛ يضمن الغلاف المازوشي عاملين أساسيين هما: الفشل التقمصي خلال التبادلات الأولية مع

الأم التي تولد لدى الطفل معاناة دائمة تدفعه إلى إدراك عدم وجود حالة أخرى غير المعاناة يمكن للجسد أن يعيشها. والنقص في تكوين الجلد المشترك حيث يكمن الخلل في هذا العامل عند مستوى استثمار مستقر في تمثيل الذات. يصبح الاحتمال الوحيد هو العمل على البقاء على قيد الحياة. تعكس حالة المعاناة في هذه الحالة جسد متأصل غير مؤهل للإقامة فيه (Anzieu, 1995, p.232).

يتشكل الغلاف من وجهة نظر Houzel من ثلاث مستويات، تجمع بين محتويات النموذج الفرويدي ونموذج أنزيو؛ أي بين الجوانب التشريحية الفسيولوجية والجوانب النفسية. تتمثل مستويات الغلاف النفسي في: القشرة Pellicule المستوحاة من الأناذو الطبيعية الجسدية أو الأنا الجسدي لفرويد. تمثل السطح النفسي الجسدي. الغشاء Membrane يقابله حاجز الاتصال، وهو نتيجة للتفاعل بين الآثار التي تحتفظ بها طبقة القشرة وموضوعات الإشباع النزوي، وفي الأخير التوقع Habitat وهو طبقة من الغلاف النفسي تتشكل من المادة الحسية (Houzel, 1994).

ويؤكد Anzieu بأن الأنا الجسدي ليس مجرد غلاف نفسي فقط وإنما يملك بعد نفسي. وعن طريق هذا الطرح يقترح تسعة وظائف للأنا الجسدي من بينها: وظيفة «الكيس» الذي يحفظ ويحوي، وظيفة الحد بين الداخل والخارج، وكسطح للتسجيل والتواصل. كما أنه يمكن أن يستدل على خصائصه من خلال الطرق التالية: الانتماء، الاتصال، الالتحام (Anzieu & al, 2003, p.62)

بعدها يطرح فرضية الوظيفة السلبية. وظيفة التدمير الذاتي أو مهاجمة الروابط. في جانبها السلبي ترتبط مع نزوة الموت وتهدف إلى التدمير الذاتي للجلد وللذات، كما بإمكانها أن تؤدي إلى الميل الانتحارية من خلال هذه الوظيفة يعوض البحث عن الحب بواسطة الحقد والعنف، وعدم وجود الموضوع الامومي يعوض بالهلوسة السلبية.

يقصد Kaës بوظيفة الحاوية "استعادة العمليات النفسية عن طريق القيام بتحويل المحتويات المدمرة بواسطة محتوى بشري نشط وقادر على جعل هذا الاستقلاب ممكناً. توفر الحاوية الدعم النشط، المحول لإسقاطات الطفل الخيالية، وبواسطته ينشئ هذا التبادل الجذري المتمثل في الآلية الأولية: الإسقاط التقمصي. دون حاوية تقوم بالاستقبال، الاستقلاب، الاسترداد والمحافظة؛ وفقاً لحالة الطفل وحاجاته تتعدم الحياة النفسية. إذن الخاصية الأساسية للحاوية هي إتاحة ذلك" (1997, p.79).

وظيفة الاحتواء التي هي من مهام الغلاف النفسي ترتبط بوظيفة إدراك الحدود الجسدية التي ترجع من جهتها إلى الغلاف الجسدي. تتضمن هذه الأخيرة إدراك الجسد ككيان كلي-مادي، متماسك ومتكامل، مستمر عبر الزمان والمكان. تضمن السيرورات الرمزية لتصورات الحدود هذه الوظيفة التي لا تتشكل إلا من خلال الانفصال التدريجي عن الأم واكتساب الاستقلالية أي بالانتقال من حالة الخلط confusion أو الالتحام مع الآخر إلى حالة فك الالتحام Défusion؛ وبالتالي معرفة الجسد انطلاقاً من إدراك حدوده. (Ajurriaguerra, 1974, p.389-390)

يربط Anzieu في مرحلة لاحقة من التطور النظري لمفهوم الغلاف والوظائف أو التدايعيات المترتبة عنه بين التمثيلات والجسد. يتولد عن هذه الوضعية وبالتحديد عن تجربة اللمس وعملية التفكير (التواصل الجسدي بين الأم والطفل) تحريم مزدوج لللمس، تحريم يعكس التمايز بين الأنا الجسدي والأنا النفسي وعليه تبرز إشكالية تأثير الاستثارة اللمسية على مختلف أنماط التنظيم للاقتصاد النفسي. فتحريم اللمس يرتبط دوماً بالمحرم الأوديبوي وعن طريق هذا المعنى يحدد Anzieu أربع ثنائيات لهذه الحالة:

- ثنائية نزوية جنسية/عدوانية: نشاط الاحتواء (احتواء الإندفاع) والتكيف.
- واجهة ثنائية: نحو الخارج (محرم يستدل عليه من الواقع لضمان الخطر الخارجي، مبدأ حفظ الذات)، ونحو الداخل (الحركة النزوية).
- تنطوي هذه الثنائية ضمن التنظيم الداخلي للمحرم بحيث يتشكل هذا الأخير عبر مرحلتين: المحرم الأولي: يتعارض مع نزوة التعلق. يرجع إلى المراحل الأولى حيث الالتصاق والتباعد عن الأم يشكلان هوام الجلد المشترك. هوام الرجوع إلى الثدي الأمومي. والمحرم الثانوي الذي يخضع لمبدأ الواقع ويستجيب للقوانين الأخلاقية والاجتماعية. ينطبق على نزوة التملك ويرتبط بهوام العقاب.
- المحرم الذي يستخدم فيه كل من المرسل والمستقبل. من خلاله يصبح العبور نحو المحرم الأوديبوي مشروط (العبور من الواقع الجسدي إلى الواقع الرمزي) (Anzieu, 1995).

بهدف الربط بين المفاهيم السابقة والأداء النفسي الذي يتعين على الأنا الجسدي القيام به؛ يجرنا Anzieu مرة أخرى لمفهوم الواجهة interface التي ومن خلالها يعتبر الجلد كحد للجسم، حد يفصل الداخل عن الخارج، جلد الطفل عن جلد الأم (استعمال هذا المفهوم كان مجازياً)، وبذلك يصبح عبارة عن بنية سطحية أو بمعنى أدق سطح هوامي حاجز يوفر الحماية من خطر الاختراق بواسطة العداء أو العدوان الصادر عن الآخرين سواء أكانوا أشخاصاً أو أشياء (Corraze, 1998, p.65-66).

اختراق/حاجز تعبير مزدوج عن البعد الحدودي لصورة الجسم. يستدل Fisher et Cleveland عن هذه الثنائية انطلاقاً من العدد المحدود للاستجابات في اختبار الرورشاخ، وهي بالنسبة إليهم تمثل عدم قدرة الفرد على فهم الخاصية حاجز/اختراق للجسم عن طريق الاستبطان أو عن طريق إرضان اللاشعور. بمعنى آخر "كلما كانت الدفاعات النفسية فقيرة كلما تضمن البروتوكول استجابات من النوع حاجز" (Samai-Haddadi, 2009, p.6). لا يتعلق الأمر بالحاجز لأنه يؤدي وظيفة الحماية وإنما دلالاته مرتبطة بالاختراق الذي لا يكون له معنى خارج المجال المرضي. يتولد عن هذه الوضعية حسب Anzieu (1995) حدود خائفة مع غياب كلي للحماية، وفيها تكون الحدود نفوذية سهلة الاختراق، أو هناك

إفراط في الحماية وتعكس حدود صلبة. وعليه يؤكد على أهمية أن يكون الموضوع المستثمر جيد، كونه هو الذي يضمن نوعية حدود جيدة عن طريق آلية الإدماج وصورة جسم متموقعة في الفضاء الهوامي.

من جهته Bion (1962) طرح نموذج «الحاوي والمحتوي» حيث يؤكد على ضرورة وجود موضوع حاوي لاستقبال وتحويل تجربة الفوضى والخلط. بالنسبة للطفل تمثل الأم الموضوع الحاوي. تدرك كمكان للإحساس بالأمان انطلاقاً من الخصائص الحسية التي تضمنها (الدفء، رقة الصوت، الرائحة، العناية الجسدية) والخصائص الانفعالية (الوجود، الهدوء). يطلق Winnicott تسمية «الأم الحسنة كفاية» على الموضوع الذي يحمل هذه الخصائص وبواسطتها يتم خلق حالة الأمان السابقة داخل الطفل فتعطيه إحساس حصري بالتفرد، وهي حالة يعتمد وجودها على الدورة فقدان/وجود للموضوع الحاوي.

إن تمايز وظهور أولى الأغلفة النفسية يحدث في سياق التواجد المتزامن والوثيق بين مصادر الفكر الثلاثة المتميزة: الهوامية، النرجسية، المعرفية. يهدف التمايز حسب Gibello (2001) إلى منح الطفل أولى عوامل نشأة الأنا، بالموازاة مع ذلك يواجه الطفل أولى عوامل الواقع كألوية. بينما يتم تشكيل الموضوع النفسي لاحقاً عن طريق اتحاد المواضيع البدائية المنشطرة (p.49-51).

تشكل المفاهيم التي تدور في فلك الغلاف النفسي بناءً يمكن أن يعطي فهماً شاملاً حول إشكالية الحدود التي نصادفها لدى الأفراد الذين يميلون إلى الفعل كأحد الآليات المتاحة والمعبرة عن الحقيقة الداخلية المتجاوزة بواسطة الصراعات وأشكال القلق التي ترافقها خلال المعاشات العلائقية الحياتية. كانت Chabert (1998) قد طرحت مفهوم مسامية الحدود لفهم الدينامية الداخلية لدى الحالات الحدية. حيث وقفت على أن التوظيف النفسي الحدي يمثل «أنا جلدي مسامي» نو تمايز جزئي بين الداخل والخارج. أما في حالة الاضطراب فإن الحدود تكون صلبة مع نقص التمايز الجزئي بين الداخل/الخارج. وهي بهذه الخصائص تفقد ليونتها ومرونتها. وبإمكان أي جرح نرجسي اختراقها وتمزيقها. ولهذا عادة ما نصادف لدى هؤلاء الأفراد ونتيجة لخطر الهجمات المتواصلة الداخلية والخارجية هوام التعري. كما أنهم يلجئون إلى تكثيف الاستثمارات العلائقية لمواجهة هذا التهديد (Anzieu, 1995).

تجتاح الحركة النزوية الشديدة الحدود بسبب اضطراب وظيفة الاحتواء، وخلق في محاولة إبقائها عند مستوى نفسي داخلي. ولأجل هذا أكدت Chabert (1998) على فرضية خلل الاستدخال الذي يتميز به أصحاب التوظيف الحدي وبالأخص أولئك الذين يظهرون ميل عرضي اتجاه الفعل.

إن ما يميز اضطراب الحدود عند الذهاني هو وجود غلاف شديد الحساسية مهياً للانفجار. يتعلق الإشكال في هذه البنية بجسد مفكك مجزأ؛ منشطر، وحاجز حماية سهل الاختراق. وهو ما يعبر عنه بوضعية الغلاف الفارغ، أي أن الذهاني يملك جسد دون حدود، تتجول بداخله هوامات الإبادة والهدم.

وبالنسبة للتوظيف العصابي حيث وظائف الفكر على درجة من النضج. يمس هذا الأخير تكوين الغلاف النفسي والحدود التي توطئه، ويكون الغلاف الجسدي على درجة من المتانة والبناء يسمح باحتواء الحركة النزوية الناتجة أساسا من مصدر جنسي.

4-2- العلاقة بالموضوع:

ندرك تماما أن الموضوع بالنسبة للمراهق المنحرف ونقصد بذلك الموضوع الذي يتم عبره التفرغ، يصبح دون قيمة تذكر، وأنه غير ملائم بعد استكمال الفعل. وأن الذي يتحكم في تنظيم العلاقة بالموضوع لدى المراهق هو الرغبة في التملك أو التدمير. يصير الموضوع بعد هذا كل ما من شأنه أن يحمل الآثار الوهمية للموضوع الأولي.

يرى Richard 1997 أن العلاقة بالموضوع تؤخذ بمعنى تجربة الخلط مع الموضوع الأولي المستدخل، مابين الالتحام والانفصال عن الموضوع نحو تمثيل لا متناهي للصدمة. بتعبير آخر يكشف الفعل عن العلاقة مع الأم البدائية، وبالنظر إلى ما وراء تجربة الخلط فان هذا النوع من المواضيع يتضمن شيء ما من لعبة كرة الصوف: حيث يقوم الفرد بأخذ الموضوع (كرة الصوف) ثم يرميه مباشرة بعد ذلك في محاولة منه لتشكيل موضوع منفصل عنه تماما.

في العلاقة بالموضوع من نوع التملك يشعر المراهق بوجود هذا النوع من المواضيع بأنه «هو الموضوع والموضوع هو الأنا» أي أن العلاقة تأخذ الطابع انعكاسي spéculaire (بمعنى الوجود المنعكس من خلال المرآة). وتتميز بكونها علاقة خائفة تدفع إلى العنف الانفعالي بسبب القلق الشديد، ولأن التواجد وجها لوجه مع هذا الموضوع يصبح غير محتمل (De Abreu E Silva, 2004).

يجب التمييز بين العديد من الخصائص التي تربط المراهق المنحرف بالموضوع الذي يشكل الطرف الآخر للفعل. بإمكان الموضوع أن يكون شيئا ماديا جامدا كما هو الحال في فعل السرقة، أو أن يكون فردا يتم إسقاط خصائص الموضوع المستدخلة في العلاقات السابقة عليه. وفي هذا تكون الإشارة إلى ضحية الاعتداء الجنسي، القتل. أو قد يكون الموضوع الجسم ذاته الذي يشكل مادة الاستثمار الأولي للمراهق (الانتحار، الإدمان).

تمنح De Abreu E Silva (2004) العديد من الخصائص والترتيبات الاستثمارية للمكانة التي يأخذها الموضوع مع المراهق. بالنسبة للفعل في حد ذاته يمكن الإشارة إلى هذه الخصائص في النقاط التالية:

- بالنسبة للمراهق المنحرف تكون مواضيع السند القاعدية غير متاحة للإدماج كمواضيع داخلية موثوق بها، بل وتبدو خائفة الوظيفة. يعيش المراهق الإحساس بالفقدان عندما يشعر بانفصال الموضوع

عنه. فإذا كان هذا الإحساس ضروري للمراهق العادي حتى يستكمل سياق الانفصال/التفرد، فإنه يشكل تهديدا بالانفكاك بالنسبة للمراهق المنحرف. فقدان جزء من ذاته ومواجهة قلق التجزئة. وإذا كان القلق قوة محرّكة لتجاوز الصراع، فبإمكانه ونتيجة لشدته أن يؤدي إلى تثبيط الفكر مانحا الفرصة للفعل باعتباره الحل الوحيد المتاح للقضاء عليه.

- أن يكون المراهق منحرفا فهذا يعني محاولة وهمية لتجاوز الخلل الكامن في الذات، فبانفصال المواضيع عنه يختبر المراهق رغبة الإبادة، كونه لا يستطيع ضمان استمرارية وجود الموضوع داخليا. أو ينشط لتجنب الاكتئاب. يأخذ البحث النشط عن التوازن الداخلي الذي يسعى إليه المراهق شكل نكوصي في علاقته بالموضوع، وبهدف المحافظة على حياته يميل نحو المرور إلى الفعل بالتعدي، التملك، التدمير، وفي بعض الحالات إلغاء الموضوع.

- يستخدم المراهق المواضيع الخارجية لسد الفراغ الداخلي. يعترف إذا بوجود هشاشة داخلية تشكلت انطلاقا من العلاقات الأولية التي اتسمت في وقت مضى بالاختلال والاضطراب. تعطى أفعال التعدي: السرقة، المهاجمة، التدمير أو التهريب إحساسا بالوجود؛ إحساسا وهميا مقابل حاجة مستعجلة لتجنب الموت، ذلك أن الموضوع الذي يسعى المراهق للقضاء عليه مهما كانت طبيعة الفعل، لا يملك في الأساس وجودا منفصلا عنه.

- تسمح وضعية الوهم المؤقت التي يتيحها الفعل للمراهق بسد الخلل في إدراك الموضوع المهدهد، تضاف إلى هذه الهشاشة التي يعانيتها الصعوبات التي يحملها السياق الاجتماعي، سياق مضطرب بإمكانه هو الآخر تغذية الميول اللامحدودة للحياة النزوية والعلاقة المبكرة بالموضوع بالأخص لدى هذا النوع من المراهق.

5-مميزات المرور إلى الفعل:

اعتمادا على تعريف De Greff يمثل المرور إلى الفعل نمط للتخلص من حالة الشدة المرتبطة بالصراع، يستعان في ذلك بتفريغ فوري يحل محل حالة الوعي أو الارصان العقلي، ترى Masquelier-Savatier

أن الفعل يتميز بخاصيتين أساسيتين:

5-1- السرعة والاندفاعية:

عن طريق هذه الخاصية يتم بلوغ الضحية حتى وإن لم تكن مستهدفة صراحة، فالأهم من هذا هو التفريغ الفوري الحركي والتحرر عن طريق الفعل وبالتالي فالموضوع المستهدف يكون أقل أهمية.

مثلها مثل العديد من المفاهيم التي تتداخل في تناولها بين مجالات متعددة، يبدو من الصعب تحديد معنى دقيق لمفهوم الاندفاعية باعتراف الباحثين. عادة ما يتم تناول هذا المفهوم بالنظر إلى الأفعال ذات التوجه الخارجي وهذا لا يعني تماما اقتصارها على هكذا نوع من الفعل (Patterson & Newman, 2001; Whiteside & Lynam, 2001; Moelleretal, 1999; Evenden 1994 1993; Barratt, تعرف الاندفاعية بالصعوبة في التمهل والتثبيط الحركي، من الناحية الإجرائية تتضمن الاندفاعية الحركية (استحالة التثبيط الحركي)، المخاطرة، غياب التخطيط، الميل نحو التعويض الفوري القليل بدل التعويض الكثير حيث الإهمال للنتائج المستقبلية وفقدان التحسس للعقاب (Laplante, 2014, p.6). من جهة أخرى يقترح كل من Whiteside & Lynam (2001) أن يتم تناول الاندفاعية انطلاقاً من أربع مظاهر مختلفة وهي: الإلحاحية، نقص المثابرة، غياب سبق الإصرار، البحث عن الأحاسيس. مع الإشارة إلى أن الإلحاحية تعني الميل في كثير من الأحيان للتعبير عن استجابات قوية مع وجود عواطف سلبية.

وترى الجمعية الأمريكية للصحة النفسية APA 2000 أن الاندفاعية تعكس حالة الفشل في مقاومة الاندفاع «Drive» مع الرغبة في القيام بتصرف مضر بالفرد أو بالآخر. تتجسد حسب (Vigl-Colet & al, 2008) وفق شكلين: وظيفي ويعني حالة الاندفاعية الايجابية حيث الميل إلى اتخاذ قرارات سريعة لكنها تبقى متناسبة مع الوضعية التي يتواجد فيها الفرد؛ وذات اختلال وظيفي مرتبط بقرارات طائشة وسريعة يكون لها عواقب سلبية على الفرد.

يشكل الميل نحو الفعل مع انعدام القدرة على التكيف السلوكي لمتطلبات السياق، وإعطاء الأهمية إلى المحيط الخارجي علامة بارزة في فهم الاندفاعية، ولهذا عادة ما يتم تعريفها مع بعض الحالات المرضية بالموازاة مع المعايير، وبالارتباط بمفهوم العنف والعدوانية اللذان يلازمانها في المعنى. يتفق جميع من سبق ذكرهم على أن للانندفاعية دور في فهم العديد من الأمراض النفسية كاضطرابات الشخصية (حيث يقر البعض بكونها من بين سمات الشخصية). أو حالة الإدمان على المواد المخدرة. تظهر في شكل سلوكي عن طريق التفعيل أو المرور إلى الفعل. يصنفها Dutton (1997) إلى نوعين: الاندفاعية الموجهة نحو الآخر؛ والانندفاعية الموجهة نحو الذات. بداخل النوع الأول نجد تلك الموجهة نحو الأشخاص والموجهة نحو الأشياء. أما النوع الثاني فنجد فيه تصرفات إيذاء الذات، تناول المخدرات وحتى اضطرابات الأكل.

مع الدور الذي تلعبه الاندفاعية ضمن اضطرابات الشخصية (الحدية، المضادة للمجتمع، والنرجسية)، فهي كذلك من بين المعايير التشخيصية لاضطرابات الشخصية الحدية. حيث تظهر على شكل تصرفات غير مسؤولة، إدمان، سلوك جنسي خطير، محاولات انتحار. وقد ذكر Swann & al (2001)

أن معنى الاندفاعية المعمول به في سلالم القياس المعتمدة في الطب العقلي تؤكد على انتشارها في النوبات الهوسية والاكئابية (Moeller & al, 2001).

وحيث أنها تأخذ مظهر سلوكي فهي تعتبر رفقة العدوانية من بين العوامل المساهمة في ظهور الأفعال الإجرامية. ففي الدراسة الطولية التي أجراها (Klinterberg & al, 1993) على مجموعة من الذكور يتراوح سنهم بين 13 و 26 سنة تبين أن الاندفاعية هي مؤشر مباشر على الجريمة العنيفة.

5-2- غياب الوعي والتفكير:

تميز هذه الحالة مرحلة ما قبل الفعل وخلالها. وإن حدثت فهي خاصة رجعية. يكون الفعل بديل لحالة الوعي والارصان النفسي. وهو ما يولد تسارع في السيرورة العادية للسلوك العقلي. فتصبح كل درجات الفعل محتملة. تبدو هذه الخاصية مرتبطة بحالة الاندفاعية حيث غياب التخطيط وإهمال النتائج المستقبلية للفعل. عند الحديث عن هذه الحالة التي تعكس الكثير من الدلالات المرتبطة بمستويات عقلية متباينة لدى الفرد لحظة مروره إلى الفعل فإننا نشير مباشرة إلى الصعوبة التي يواجهها في تمثيل مثيرات العالم الخارجي من ناحية؛ وارتباطها بمتغيرات العالم الداخلي من ناحية أخرى. يطلق عليها البعض بفشل عملية العقلنة التي تتيح للفرد بناء تصور داخلي متوازن ومتناسق عن مواضيع ومواقف العالم الخارجي وتؤثر بصورة مباشرة في ردود فعله؛ والبعض الآخر يرجعها كما سبق الذكر إلى خلل في عملية الارصان، وسواء تعلق الأمر بالفرضية الأولى أو الثانية فالأمر سواء بالنسبة للمجرم الذي يعبر في أغلب الأوقات بقوله: "لا أدري كيف حدث الأمر، حدث بسرعة فقط، لم أكن أتوقع أن يصل إلى هذه الدرجة، المهم بالنسبة لي في ذلك الحين هو الخضوع لفكرة تنفيذ الفعل فقط".

6- محاولة لاستقصاء السياق من خلال بعض الدراسات النفسية:

أغلبية الدراسات في علم النفس وعلم الإجرام التي حاولت إعطاء فهم للفعل المنحرف قامت على تقصي بعض الجوانب المرتبطة به فقط، ولهذا السبب حسب رأينا لم نجد في كثير من الدراسات التي اطلعنا عليها مفهوم السياق بالصياغة المطروحة في إشكالية البحث الحالي؛ ولا حتى مفهوم السياق من خلال اختبار الرورشاخ، ونظرا لهذا الواقع فقد حاولنا تقصي أثر السياق بالمعنى المراد من خلال عملية استنباطية على مجموعة من البحوث التي قامت غالبا على شكل من أشكال الفعل وبالأخص الفعل الجنسي. كما تجدر الإشارة إلى أن مصطلح السياق الذي تم استعماله في بعض الدراسات قصد به إما السياق الاجتماعي للفعل بمعنى الخصائص الاجتماعية (طبيعة التنشئة الاجتماعية، المستوى

الاجتماعي،العوامل الديمغرافية...) التي تميز الفرد أو المتغيرات الموقفية (الظروف النفسية والانفعالية والعلائقية...).

اعتمدنا في هذا التوجه الاستنباطي على الاعتقاد الذي طرحه كل من (Ward, Polaschek et Beech, 2006) بحيث أن سياق الفعل يتشكل من تفاعل عوامل دانية (قريبة) وعوامل قاصية (بعيدة). تعطي هذه العوامل الأهمية للبعد الزمني في ظهور الفعل؛ بالنسبة إليهم مفاهيم الداني «proximal» والقاصي «distal» تتموضع ضمن استمرارية متسلسلة؛ ويتم الحكم على أحد العوامل حسب هذان المفهومين حسب وضعيته بمقابل عوامل أخرى. وعليه العوامل القاصية هي المهياة كالعوامل الوراثية وتجارب النمو، الفرضيات التي قامت على هذا النوع من العوامل بحثت في سببية الفعل مثل: التعرض للإساءة الجنسية، التي بالإمكان أن تدفع إلى ظهور عوامل متعددة مرتبطة بالفعل الجنسي المنحرف مثل: الصعوبات على المستوى العاطفي، ميول وخيارات جنسية منحرفة. أما العوامل الدانية فهي تلك المفجرة التي ترتبط مع العوامل السابقة وتزيد من خطر ارتكاب الفعل؛ عوامل دينامية في الأصل كالعنفوانية، الأفكار السلبية، الهومات المنحرفة الناتجة عن آليات نفسية كامنة وعوامل موقفية، النظريات التي ركزت على هذه العوامل أعطت صيرورة المرور إلى الفعل.

من ناحية أخرى كشفت الدراسات الإنمائية عن طرق أخرى لتقصي السيرورة الإجرامية؛ ونعتبرها تبحث في سياق الفعل لأنها تتناول الفرد داخل هذه السيرورة بتوجه دينامي استمراري. اعتمادا على ثلاث أبعاد: التنشيط، التناقم، الانسحاب أو التخلي. يعطي هذا السياق أهمية كبرى لمتغير السن باعتباره من المتغيرات الأساسية لفهم سيرورة الفعل.

نستعرض بعض الدراسات التي جاءت وفق هذين التوجهين ثم نحاول إبراز السياق بالمدلول الذي نراه مناسباً ومتماشياً مع البحث.

- النظرية التكاملية ل: Marshall & Barbaree 1990، تقوم هذه النظرية على فكرة أن التفاعل بين العوامل البيولوجية، الإنمائية، الاجتماعية والموقفية تكشف عن الظهور، التطور والتمسك بالفعل. فإذا ما اعتبرت المتغيرات الموقفية كعوامل مفجرة يكون لتجارب النمو دور حاسم في بروز عوامل الضعف والجروحية النفسية (الإهمال، العنف، الاعتداء...). تفاعل هذه العوامل النفسية المهياة مع العوامل البيولوجية (الهرمونات...) والاجتماعية خلال مرحلة البلوغ، يضيف الباحثان إلى أن القصور في المهارات البين-شخصية وضعف تقدير الذات يزيد من احتمال ميل الفرد إلى إشباع رغباته بطريقة غير ملائمة؛ الاستمنا، استخدام الجنسية كاستراتيجية في تسير الانفعالات السلبية. إذا ما صادفت هذه الآليات

رفض علائقي فبالإمكان أن تدفع إلى تطوير مشاعر العدوانية وهوامات منحرفة، وتأتي العوامل الثقافية (وسائل الاتصال...) لتساهم في بروز الميل نحو الفعل المنحرف (Marshall & Barbaree, 1990).

- دراسة Figueredo, Salles, Rusel, و 2004؛ 2003 Hunter, Figueredo, Malamuth et Becker؛ Kaplan et Becker؛ 2000

لاحظ الباحثون أن نموذج المعادلة البنوية يعطي تفسيراً للفعل المنحرف. يقوم هذا النموذج على مفهوم القصور النفسي-الاجتماعي (الحصر، مشكلات الجماعة، نقص تقدير الذات) يمكنها أن تشرح تطور الانحراف الجنسي خلال المراهقة بالأخص الفعل المرتكب ضد الأطفال، هذا القصور الذي تولد نتيجة التعرض للعنف العائلي يسبب للمراهق عندما يحين الوقت لإقامة علاقات مع الرفاق، وبالتالي يدفع إلى استعمال الجنس كصيغة تعويضية أو حتى إلى تطوير اهتمامات جنسية منحرفة.

في نفس الاتجاه طور Kaplan et autres (2000) نموذج نمائي تطوري لتفسير الفعل. يتناول هذا النموذج مرحلة سببية تؤدي تدريجياً إلى الجريمة، تأتي هذه الأخيرة كاستجابة للإحباط والفشل المتكرر مع البحث عن الإشباع الجنسي؛ ونظراً لتمييز المراهق بقصور نفسي-اجتماعي فإن هذا كله يشجع على دخول المراهق في انحراف جنسي وغير جنسي. وخلص الباحثون إلى أن الفعل المنحرف الجنسي هو نتيجاً لتسلسل نمائي لانحراف مزمن يكون مسبقاً بالضرورة بأفعال عنيفة وغير ذلك.

- النموذج الرباعي الأطراف لـ: Hirschman & Hall (1991) يقوم هذا النموذج على أربع دعائم مكونة للفعل. تتمثل هذه القوائم في: (1) الاستثارة الجنسية (2) التشوهات العقلية (3) صعوبة التحكم في الانفعالات (4) المشكلات المرتبطة بالشخصية. في حين أن وجود طرف واحد منعزل من هذه الأطراف لا يمكنه أن يؤدي إلى الفعل. كما أن كل طرف من هذه الأطراف يعكس عند سيطرته نوع من أنواع الفعل. النوع الأول المدفوع بالاستثارة الجنسية يقوم فيه المنحرف بربط الاستثارة الجنسية مع السلوك العنيف. حيث يكون هناك تأثير متبادل بين العنف والاستثارة وهذا ما يولد العديد من الضحايا. النوع الثاني هو المدفوع بواسطة المركبة المعرفية، يتميز بالاندفاعية (العامة والجنسية) مع مستوى عنف منخفض وضحية من محيط المعتدي. والنوع المدفوع بواسطة فقدان السيطرة على الانفعالات، يكون الفعل غير عنيف ودون تخطيط مسبق. وتميز مشكلات الشخصية النوع الرابع، تبرز هذه الخاصية مع إشكالية الضدية للمجتمع بصورة عامة ولهذا عادة ما نجد الأشخاص المتميزون بها يرتكبون أفعال إجرامية أخرى (Hall & Hirschman, 1991).

- نموذج Knight et Sims_Knight (2003)

يعترف هذا النموذج بوجود ثلاث مسارات لتبني السلوك الجنسي القسري. المسار الأول المؤدي إلى الفعل يطلق عليه فقدان الحساسية والانفصال الانفعالي الناشئ عن التعرض لعنف جسدي ونفسي خلال

الطفولة. هذه السمات تتسبب في تثبيط الرغبات الجنسية وتقوية الهومات الجنسية العنيفة التي تؤدي إلى الفعل. المسار الثاني يشير إلى المساهمة المباشرة للتعرض للاعتداء الجنسي خلال الطفولة في تثبيط الرغبات الجنسية وارتكاب أفعال جنسية قسرية. أما المسار الثالث فيبدأ من اللحظة التي يكون فيها الفرد عرضة لعنف جسدي ونفسي بالإضافة إلى فقدان الحساسية والانفصال الانفعالي مولدا للتبني المبكر للسلوك المضاد للمجتمع والعدواني. يمكن في هذه الحالة أن تلعب الهومات الجنسية العنيفة دور وسيط بين الضدية للمجتمع والسلوك الجنسي المنحرف (Knight & Sims-Knight, 2013).

هناك العديد من الدراسات الأخرى التي حاولت الجمع ما بين المتغيرات المحيطة للفعل والمشكلة له وكان الهدف الأساسي من ذلك هو إعطاء نظرة تكاملية حول سيرورة حدوث الفعل وتطوره أو التخلي عنه. سيرورة تبنت في بلورتها رؤية تطويرية نمائية وتسلسلية. من جهة أخرى سيرورة تفاعلية صراعية متداخلة. لا يمكن عزل أحد العوامل وإسقاط الفعل المنحرف عليه. عندما نتحدث عن العزل نقصد بذلك الصعوبة التي ترتبط بتناول متغير واحد من متغيرات الفعل وإخضاعه للدراسة مع العلم أن هذه الآلية منذ البداية تبقى قاصرة عن كشف خبايا الفعل. إلا أن البعض يقبل التحدي ويستثمر في هذا الاتجاه.

تحدد النماذج السابقة بعض خصائص الفعل وكما سبق القول صنفت هذه الخصائص إلى عوامل دانية وعوامل قاصية. تجلت في العوامل الموقفية والمتغيرات المرتبطة بالمحيط، وهي من بين أهم العوامل الدانية المحفزة على ارتكاب الفعل. أما العوامل القاصية فهي تلك المرتبطة بالجروحية النفسية، الاجتماعية، والوراثية. تفاعلها مع بعضها البعض يدفع إلى ظهور الفعل الذي من المحتمل أن يستمر مع الفرد وتحكمها في ذلك متغيرات أخرى توطرها نفس وجهة النظر السابقة.

ترتبط هذه النماذج بين العديد من المتغيرات التي تسبق الفعل وتشكله وتتعداه، وتذهب إلى إقامة الصلة بين الجروح النفسية في مراحل مبكرة وطريقة تأثيرها المباشر وغير المباشر في إحداث الجريمة. بين تسيير الانفعالات لحظة الفعل وبين التصورات العقلية التي تبلورت سابقا. بين طبيعة الضحية والهومات المسيطرة. وكذا بين العوامل البيولوجية والاجتماعية. لتصل إلى العلاقة بين كل ما سبق والمستقبل الإجرامي. يلاحظ أن هذه التوجهات حاولت طرح نموذج متكامل حول الفعل دون إهمال لتأثير كل عامل من العوامل ونظرا لاعتبارات تتعلق بنسبية كل منها في إحداثه.

والجدير بالذكر أن مفهوم السياق في هذه الأطروحات يركز على آليات التطور، التفاعل، التداخل (الصراعية) الاستمرارية والتشعب وهي الصيغة المجازية لمفهوم السياق الذي قامت عليه الدراسة الحالية. مع وجود اختلاف عند مستوى السياق من خلال اختبار الرورشاخ.

خلاصة:

من الفعل إلى الفعل المنحرف

يمكن تقسيم مراحل تطور مفهوم الفعل إلى محطتين اثنتين، من الناحية الدلالية أو من ناحية ارتباطه بالمفاهيم التحليلية.

من الناحية الدلالية نشهد على وجود مرحلتين، مع المرحلة الأولى يعتبر الفعل المنحرف تصرف كباقي التصرفات الإنسانية؛ وباعتباره كذلك تنطبق عليه نفس المبادئ التي تحكم أي سلوك إنساني ينطلق بسبب دوافع كثيرة من مصدر محدد لإشباع رغبة معينة دون الأخذ بعين الاعتبار إذا كان الشكل الذي يظهر من خلاله عاديا أو مرضيا. تسمح هذه الرؤية الدلالية بإتاحة الفرصة أمام التوجهات القائمة على أساليب الوقاية والتدخل والضبط باقتراح نماذج نظرية تأخذ بعين الاعتبار أهمية المرحلة التي تلي بروز الفعل في سجل السلوك الإنساني لسد ما يمكن من ثغرات نفسية، سلوكية، اجتماعية وإعادة إدماج الفرد وتوجيه تصرفه نحو أهداف أكثر مجتمعية، والقاعدة في ذلك تضم حتى أشكال الفعل الأكثر انحرافا.

أما المحطة الثانية فهي تنطلق من اللحظة التي تم فيها استحضار المفهوم إلى قاموس التحليلين. حيث أخذ الفعل حيزا هاما من تفكير الباحثين، ليس كونه مصطلح من المصطلحات التحليلية وإنما باعتباره جوهر الحياة النفسية. ومن خلاله يتم تفسير العديد من الآليات الفاعلة في الديناميات النفسية.

من الناحية الوظيفية نتحدث على مفهوم ذو تشعب كبير، لا يمكن فهمه منفصلا دون الخوض في ثنايا الآليات التي تتحكم في تسيير الدينامية النفسية الداخلية. تبرز عمليات العقلنة، الترميز، الارصان كمحطات أساسية يكشف الخلل فيها الواقع الداخلي الذي يتجلى عنه الفعل. هذا الأخير الذي يمكن تصنيفه ضمن عديد السياقات الوجودية التي تضع القارئ والباحث والفاعل على حد سواء في الكيفية والطريقة التي يتم بها ضم هذه السلوك ضمن واحد من تلك السياقات. تساؤل يطرح نفسه في أغلب الأحيان تعبيرا عن الصعوبة التي يواجهها تفسير الفعل على المستوى النفسي ثم على مستوى تحليلي وإجرامي. ليبقى الهدف من وراء كل هذا هو البحث عن أساليب الضبط الاجتماعي ذات الفعالية العالية.

أساليب عليها أن تأخذ في الحسبان المرحلة العمرية التي يحدث فيها الفعل، وتكون على درجة من الحساسية لهذا المتغير الذي يسهم إلى حد ما في تلافي الاستمرارية الإجرامية في أغلب الأحيان نظرا للخصائص الفريدة التي يتميز القائم بالفعل. نشير هنا صراحة إلى مرحلة المراهقة وإلى التغيرات التي تصاحبها. كما نؤكد على تأثير هذه التغيرات في مسار ومستقبل الفعل.

الفصل الثالث: أشكال من الفعل المنحرف عند المراهق

تمهيد

المبحث الأول: المرور إلى الفعل نحو الذات

I-المرور إلى فعل الانتحار

II-المرور إلى فعل الإدمان

المبحث الثاني: المرور إلى الفعل نحو الآخر

I-المرور إلى الفعل الجنسي

II-المرور إلى فعل القتل

III-فعل السرقة

خلاصة

تمهيد:

اقتترنت مرحلة المراهقة بالعديد من التغيرات التي تجتاح مجالات الحياة بأكملها، وأسفرت في مجملها عن طرح تناقضات غريبة تتحكم في مصير المراهق وتوجه سلوكه وتصرفاته.

حُملت هذه التناقضات على حدي معادلة حتمية لا مفر للمراهق من مواجهتها للخروج بوحدة نفسية-جسدية مستقرة وسليمة نسبياً يستطيع بها استكمال مسار حياته الراشدة. انطوى طرفي المعادلة على ضرورة البلوغ مقابل التمسك بحلم الجسم الطفولي، الانفصال مقابل إعادة إحياء الصراعات العلائقية (الوالدية، الأوديبي...)، التفردن مقابل التخلي عن المشروع النرجسي.

في ظل هذه الازدواجية الصراعية والحتمية يظهر الفعل كأحد الحلول المتاحة والتي تعتبر بالنسبة للمراهق المنفذ الوحيد للخروج بأقل خسارة من المواجهة الشرسة بين نزوتي الحياة والموت وتداعياتهما.

شكلت مرحلة المراهقة في ارتباطها بإشكالية الفعل هوس الباحثين في علم النفس التحليلي. بل ودفعت بالبعض منهم إلى ولوج مجال علم النفس الإجرامي للوقوف على سببية واضحة وصريحة لهذا الارتباط. مفهوم الفعل لا يتعلق فقط بتصرف وحيد ومعزول، بل يرمي بجذوره إلى الحياة النفسية الطفولية، لا تمتلك هذه الطبقة العميقة من النفس طريق لغوي تنفذ من خلاله، فتختار تعبيرات نفسية وجسدية تستطيع أن تصرح من خلالها عن طبيعة الاضطراب الذي يعتري النفس والانفعالات المترتبة عنه. تعبيرات شديدة الحساسية اتجاه أي تغيير يصادف الوجود الإنساني حتى ولو كان حتمية تطويرية؛ يسمح لها بإبراز مظهرها الحقيقي الذي ينظر إليه تحت طائلة القانون كجريمة، أو من خلال وجهة نظر علم النفس كنداء مقنع للمختصين لمساعدة المراهق على تخطي تبعات البلوغ وإشكالية المرور إلى الفعل معاً.

نحاول في هذا الفصل الوقوف على خصوصية الفعل في مرحلة المراهقة. مع التأكيد على الطرح الموضوعي لهذه الخصوصية عند مستوى التداخل ما بين علم النفس التحليلي المرضي وعلم النفس التحليلي الإجرامي. لتقصي سياق المرور إلى الفعل تم اختيار أشكال من الفعل لدى المراهق تمثلت في: الانتحار، الإدمان؛ الاعتداء الجنسي، القتل والسرقه.

المبحث الأول: المرور إلى الفعل نحو الذات:

ماذا يشكل الجسم بالنسبة للمراهق؟ أو ما هي طبيعة العلاقة التي تربط بينهما؟ يختار المراهق تدمير هذا الجسم الذي يشكل بالنسبة له غرابة مقلقة مشحونة بالتغيرات الجسمية، الفسيولوجية، النفسية والاجتماعية، التي يتعين عليه مواكبتها حتى يحقق نوع من التوافق بين الجوانب النفسية والجسدية من جهة وبين هذه الأخيرة والجوانب الاجتماعية. ما هو الدور الذي يلعبه الجسم باعتباره موضوع جديد بالنسبة للمراهق؟ يتعين التعايش معه وفق منطق النمو النفس-جنسي. واستخدام الدفاعات الملائمة ضد الإثارة الناتجة عنه، وضد القلق الذي تثيره صورة الجسم الخاضع للتغيرات، وكذلك ما يطفو إلى السطح من معاش نفسي مرتبط بتجارب علائقية طفولية وإعادة إحياء صراعات نفسية لم يتم تجاوزها بعد.

يعيد كل من فعل الإدمان وفعل الانتحار وهما شكلا المرور إلى الفعل اللذان سيتم تناولها في هذا المبحث إحياء إشكالية الجسم كموضوع نفسي خلال مرحلة المراهقة، وما ينجر عنه من انعكاسات للعلاقات مع المواضيع الخارجية. تتجلى العلاقة في إطار هذه الإشكالية ضمن سيروية تدريجية في فعل الإدمان. ويتم القضاء عليها بالتدمير النهائي للجسم مع فعل الانتحار.

ينطوي هذا المبحث على طرح اقتصادي دينامي للفعل الذي يأخذ اتجاه الذات. كما يركز على المحددات النفسية الكامنة لدى المراهق المشكل للأرضية التي يتبلور بها ومن خلاها الفعل.

I-المرور إلى فعل الانتحار :

شغلت ظاهرة الانتحار فكر العلماء والباحثين على مختلف مشاربهم، ورجال الدين والمشرعين، وقد كان لهذا الانشغال الأثر الواضح في المحاولات التي سعى من خلالها هؤلاء إلى تحديد مفهوم الانتحار وصياغة رؤية شاملة وواضحة الأبعاد وآثاره على الفرد والمجتمع قصد تأمين الوقاية أو الحد منه وردعه. وتجلت مساعي العلماء بصورة عامة في محاولة بلور تصور متعدد الأبعاد يشمل الحالة التي تسبق الفعل، لحظة تنفيذ الفعل بعدها. لتوضيح المساق الذي يتم فيه والآثار النفسية والاجتماعية والصحية التي تلحق بالفرد جراء إقدامه على فعل مماثل.

وانعكست هذه المساعي كذلك على آراء رجال الدين فيما يتعلق بتصنيف الفعل حسب المنطلقات الدينية (الإسلام، المسيحية واليهودية)، وتأكيدها على حرمة النفس البشرية وتحريم قتلها. أو بالعدول عنها متأثرا بالمقاربات البحثية التي أسفرت عن وجود علاقة سببية مباشرة بين الانتحار والاضطرابات النفسية أو

العقلية، أين يصنف القائم بالفعل الانتحاري تصنيف المريض الذي يحتاج إلى علاج ومتابعة، فيسقط عنه تجريم ما قام به، ويتبعه سقوط التعرض للعقوبة.

وانطلاقاً من أن نظرة المشرع تتجر في جانب كبير منها عن الدين فقد تباينت الآراء في التشريعات حول الانتحار، فمنهم من يرى فيه جريمة تستحق العقاب (مصر، ليبيا، إيطاليا، سويسرا...)، ومنهم من يسقطها من القانون لاعتبارين اثنين:

أولهما: أن الشخص القائم بالانتحار إذا ما نجح في ارتكاب فعله، فلا يمكن إخضاعه للعقاب، كونه لا يستطيع المثل أمام الهيئات القانونية ولا يمكن متابعته.

ثانيهما: في حالة عدم نجاح الفعل، فإن الفرد في نظر المشرع الجزائري مثلاً يحتاج إلى العلاج بدل العقاب.

وإذا ما رجعنا مرة أخرى لرأي الدين في فعل الانتحار، فالشريعة الإسلامية حرمت قتل النفس والدليل على ذلك قوله تعالى: "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق" [الآية 151 من سورة الأنعام]، "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً" [سورة النساء الآية 9]، ومن السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيهل أبداً، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه فيه خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديد فحديده في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً" (صحيح البخاري، ص. 1131).

ونظراً لكل هذه الاعتبارات فقد اجتهد الباحثون في صياغة تعريف واضح ومحدد للانتحار، وخلصوا إلى المعنى العام الذي مفاده أن الانتحار هو عملية قتل النفس، ووقفت في ذلك البحوث والدراسات النفسية والاجتماعية في جزء منها على المركبات الداخلية التي تؤدي إلى الانتحار، وبعضها ركز على الحالة العقلية والانفعالية والعاطفية للشخص لحظة قيامه بالفعل، أما الأخرى فقد ذهبت إلى تحديد الآثار الناجمة عنه. الأمر الذي دفع إلى مجابهة صعوبة بالغة في ربط التعريف السابق بنتائج هذه البحوث وانجر عنه ضرورة التطرق إلى المفاهيم ذات الصلة لتوضيح معنى الانتحار. فمثلاً الحديث عن الدوافع التي أدت إلى الفعل تشير إلى مفهوم الأفكار الانتحارية، أما الفعل الانتحاري الفاشل فيعبر عنه بالمحاولة الانتحارية. وبالتالي يجب التطرق لها حتى يتسنى لنا فهم فعل الانتحار فهما صحيحاً.

جاء في لسان العرب أن كلمة انتحار مصدر للفعل انتحر، وتعني إصابة الإنسان نفسه قصد إفنائها، والنحر يعني أعلى الصدر وعبر به للغالب. لأنه غالباً ما يأتي قتل النفس بضربها من النحر أو الصدر لإسراع الهلاك (أبو منظور، 1967، ص. 75).

وحسب G.Deshaves فإن مصطلح الانتحار كان قد استخدم أول مرة من طرف القس Désfontaine سنة 1737: Sui-coedere وتعني قتل الذات أو ما يسمى الانتحار، حيث Sui تعني: الذات (Se-Soi) وCoeder بمعنى القتل، وعليه فالانتحار هو عملية قتل الذات بإرادة ووعي، ويأتي أيضا بمسمى آخر وهو: Autolyse، Auto = الذات، Lyse = تحطيم الذات.

بعدها وظف المصطلح من طرف علماء الموسوعات للإشارة غالبا إلى "أفكار انتحارية، للإشارة بدقة أكبر إلى: ميل، ضعف الإرادة، اندفاع، رغبة، فكرة أو فعل، للقتل تمتد جذوره في العاطفة وفي الغلاف الأكثر عمقا للحياة الغريزية والنزوية (Ey, 2006, p.341). وتشكل حالة الوعي لدى الفرد لحظة القيام بالفعل معضلة كبيرة لتحديد المفهوم، ومنه يرى Vandervoode (2003) أن الانتحار أو المحاولة الانتحارية ليس لها إطار تصنيفي واضح، لهذا يجب أن يكون تعريف الانتحار بطريقة عملية، وهو ما يتفق عليه العديد من الباحثين حول خصوصية الفعل وسيورته حسب كل حالة.

كما يرى Leenars & autres (1997) أن الأفكار الانتحارية تكون منفصلة عن التصرف، ولا تؤدي بالضرورة إلى الفعل. كما أن هرمية الأفكار الانتحارية تتكون بواسطة ملاحظات نشطة، طرق مستخدمة، وتحتوي على الـ: "أين"، "متى"، "كيف" والظروف التي يتم فيها وبالتالي فهي تختلف من حيث المعنى عن الفعل بالرغم من كونها ممهدة له إلى حد ما.

1- الانتحار المقدس والطابو:

يعتبر المرور إلى الفعل الانتحاري في جل المجتمعات مشكلة أخلاقية، ويطرح معضلة كبيرة عند تناوله من الناحية الدينية، ونظرا لهاته المنطلقات فقد اختلف المختصون حسب Houzel & autres (2000) حول كون الانتحار فعلا متعمدا أو موتا، بالأخص إذا اقترن حدوثه ومرحلة المراهقة.

وفي هذا السياق تبنى الفلاسفة وعلماء الاجتماع والدين نظرة مزدوجة اتجاه الانتحار تراوحت بين التحريم والتجريم، وفضل آخرون تصنيفه ضمن الطابوهات. وللخوض أكثر في خصوصية هذا الفعل سواء في ارتباطه بالدين أو من زاوية المقدس أو حتى استنادا إلى مخلفات القبائل البدائية أو الممارسات الاجتماعية، فإنه يجب الوقوف على مفهوم الطابو.

يشير مفهوم الطابو Tabou، Tapus، إلى المحرم ومعناه المحذور، ويشيع في معظم اللهجات البولينية بمعنى المقدس، ومع ذلك فهو لا ينطوي على أي طبيعة أخلاقية باعتباره اتصالا مع الآلهة، أو خروجا عن المألوف وينطبق على أفراد أو أشياء تعتبر مقدسة، ويرى W.Tomas Notheote أنه يتضمن ثلاث خصائص وصفية: خاصية القدسية للأشياء والأشخاص، والقيود التي تتولد عن هذه الخاصية، وفي

الأخير العواقب المترتبة عن انتهاك أو اغتصاب هذا المحرم (Webster, 1952). وبالتالي فهو نظام من الممنوعات أو المحظورات الدينية أو الاجتماعية التي تنطبق على كل ما هو مقدس، ومنه اتخذ فرويد (1923) في مؤلفه "الطوطم والحرام" صفة القدسية إشارة منه إلى الفعل الجنسي في زنا المحارم، وفعل القتل. يعتبر الاحتكاك أو الاتصال بهذه الأشياء أو الأشخاص تعديا على الطابو، ويؤخذ التعدي هنا بمدلول المستوحى من علم الجيولوجيا (الظواهر الطبيعية الخارقة كالتسونامي). ويشير إلى "معاش اجتياح حدود الأنابواسطة الموضوع والإثارة المتولدة عنه لدى القائم بالفعل" (Quentric, 2013, p.19).

بمقابل هذا فالانتحار هو تعدي على الحياة بواسطة القتل ويراد به الكشف عن امتلاك سلطة التحكم واتخاذ القرار حول كيفية واجل الموت، هدفه في ذلك التشبه بالإله وبقدرته المطلقة على التحكم في الحياة والموت، وبالتالي هو تعدي على المحظور (قوانين الطبيعة، وقوانين الإله) وهو ما يمس بالمقدس والديني معا. وتتفق على ذلك كل الديانات السماوية، ويشتق منها كل أحكام وقوانين الممارسات الاجتماعية التي ترى في الموت جزء من نظام طبيعي والقيام بالانتحار يعني معارضة لهذا النظام. على غرار هذا يتصور المنتحر أن "الانضمام إلى المقدس لا يكون إلا عن طريق الموت" (Munier, 2004, p.7)، فيقدم على التضحية بنفسه. وهو ما يبعث إلى الوقوف على الطقوس الشاذة الممارسة خلال الانتحار، حيث يعتقد القائم بها بالرغبة في الموت للتقرب من الإلهة والتشبه بها.

ويرى Lachal أن الفرد خلال المراهقة يكون مفتونا بمعارضة القوانين وبالأخص قوانين الطبيعة. فالكثير من التصرفات الخطرة والممارسات المتطرفة ما هي إلا محاولات تدور في أساسها حول التعدي والتجاوز، ويغذيها في ذلك هوام التدمير (Lachal, 2005)، ويرجع السبب إلى عملية التعلم خلال الطفولة وذلك بالخلط بين ما هو خطر بالنسبة للذات، وما هو ممنوع ومحضور. نظرا لما سبق يواجه المختصون على تعدد مشاربهم إشكالية كبيرة في تناول الانتحار والحكم عليه خلال مرحلة المراهقة نظرا لعدة اعتبارات، قد يكون من بينها أن المعارضة هي خاصية مميزة وواضحة للمراهق كمعارضة الوالدين، القوانين، النظام. ويمكن للمحاولة الانتحارية أن تأتي تحت طائلة هاته الخاصية؛ بمعنى أنها شكل من أشكال المعارضة ولا يقصد بها الموت صراحة. كذلك فالمراهق يكون ميالا أكثر للمغامرة والقيام بالأشياء والأفعال الغريبة التي قد تجذب الحماس والإحساس بالقوة ويمكن أن تكون الطقوس الانتحارية وسيلة لبلوغ هذه الحالة التي قد تؤدي إلى الموت بالرغم من أن دافعها الأساسي على العكس من ذلك أي البحث عن شعور قوي بالحياة والاندفاع والرغبة.

2- هوام الموت وهوام الانتحار:

يتطلب حدوث الانتحار حسب Joiner (2005) وجود مركبتين أساسيتين هما: الرغبة الانتحارية والقدرة على تكبيد الجسم إصابة قاتلة. من هنا يأتي التساؤل حول طبيعة وسيرورة تشكل هذه الرغبة باعتبارها المركب الأول المسؤول عن إحداث الاستجابة السلوكية.

تسيطر الرغبة الانتحارية على فكر الإنسان خلال الحالة ما قبل الانتحار، وفي سيطرتها هذه تدعو كذلك إلى البحث عن طبيعة العلاقة التي تجمع أو تربط الإنسان بجسمه.

تتشكل الرغبة وفق سيرورة محددة، أين يتم تطور هوام الموت الذي يجد مصدره في نزوة الموت فهو يتغذى عليها وينمو بها. إلى هوام الانتحار الذي يتفاوت في درجة تأثيره وقدرته على إحداث الفعل. فالهوام باعتباره "تصور عقلي، توهم، أو حلم يقظة يتضمن تجربة خيالية مرجوة أو حقيقية يعاد معاشتها" (Spengler & al, 2000, p.171)، و"تقوم بين الهوام والرغبة أوثق الصلات، فهل بالإمكان القول بأن أولى الهوامات هي هوامات موضوع أو موضوعات هوامية تستهدفها الرغبة؟ انطلاقاً من اعتبار الهوام:

- ✓ سيناريوهات لمشاهد منظمة قابلة للتمثيل على شكل بصري.
- ✓ يكون الشخص حاضراً دوماً، ويمكن أن يستبعد ويظهر في الواقع ليس كشاهد فقط بل كمشارك.
- ✓ لا تتعلق المسألة بموضوع يبدو وكأنه مستهدف من قبل الشخص، بل تتعلق بتسلسل يشكل الشخص جزءاً منه. ويقدر ما تنفصل الرغبة في الهوام على هذا النحو، فإنه يكون مسرحاً للعمليات الدفاعية، بل ويفسح المجال لأكثر العمليات الدفاعية بدائية من مثل الدفاع برباط لا انفكاك منه بالوظيفة الأولى للهوام. أي إخراج الرغبة، وهو إخراج يُمثل فيه "الممنوع" دوماً في مكان الرغبة نفسها (لابلائش وبنثاليس، 2008، ص. 577).

ترتبط الرغبة أو هوام الرغبة بالنزوة، وفي حالة الانتحار فهي ذات صلة وثيقة بنزوة الموت وبمركبها التدميري بالتحديد. هذه الأخيرة التي ترمي إلى اختزال التوترات ورد الإنسان إلى حالة اللاعضوية، وكنيجة لهذا الارتباط يولد سيناريو الموت كمشهد حقيقي وحتمي. على اعتبار أن الهوام هو محتوى نفسي لاشعوري بإمكانه أن يتطور إلى حالة لاشعورية مانحة من خلالها حياة نفسية تعيشها النزوات وهو ما يؤكدده Compbell & al (1991) بالإشارة إلى أن الهوام الانتحاري يمكن أن يصبح شعورياً، وينجح في تشويه الواقع خلال المرور إلى الفعل. فهو يمتلك خاصية الإقناع الهذيانى الحقيقي إضافة إلى كونه القوة المحركة والداعمة للفعل، وبالنتيجة فإن: قتل الجسم يحقق الانتحار.

ويصر Menninger على ضرورة اقتران ثلاث نقاط أساسية لإبراز المعادلة التحليلية حول

الانتحار: "الانتحار كـرغبة في الموت، بمعنى أن تُقْتَل وتُقْتَل".

. الرغبة في الموت: حيث يبحث المنتحر من خلال الموت عن الراحة والقضاء على التوترات

وإشباع الرغبة في الاستسلام والموت.

. الرغبة في القتل: لا نقتل إلا إذا كنا معرضين إلى قتل الآخر، يظهر هذا المركب العدوانية في

حالة الانتحار العاطفي أين تسبق فكرة الموت فكرة الانتحار.

. الرغبة في أن يُقْتَل (Moron, 1979, p.463).

3- هل يعتبر الانتحار: مرور إلى الفعل أم تفعيل؟

إن السيرة الانتحارية تصور حركية مؤقتة للتفعيل باتجاه المرور إلى الفعل، وبداخلها يمكن إيجاد:

فعل متبوع بمرور إلى الفعل، وفعل يرمز إلى التفعيل.

المرور إلى الفعل في الانتحار: يمثل المرور إلى الفعل بروز للهوام في الواقع، فهو تعبير عن رمزية

فاشلة. هوام تتشكل من خلاله الرغبة المعبر عنها بواسطة مشهد مأساوي، وعن طريق تقليص

الفضاء [الواقع-الهوام] إلى حد انقلاب وضعية الواقع نحو الخيال مروراً بالمتقلبات الموت/المرغوب. يقوم

الفعل الانتحاري بإدماج النرجسية الأولية عن طريق البحث عن حالة اللاتمايز مع الموضوع. وبالتالي:

. ارتداد العدوانية ضد موضوع الحب على الأنا، وهي حالة شبيهة بالسوداوية.

. يكون بديل التقمص بموضوع الحب (موضوع متروك) معتبراً. بالإضافة إلى الإصابات النرجسية

التي تسهم هي الأخرى في التعبير عن نزوة الموت.

التفعيل في الفعل الانتحاري: "تتموضع الرغبة عند اللاتمايز مع الموضوع الأولي، تحت سجل

صراعي بين قلق الغمر في الموضوع وقلق الهجر والفقدان، يتعلق هذا الفشل في الرمزية وفي الوقت ذاته

بالرغبة والهوام، حينها يختار الفرد المدعوم من طرف الهوام حل: الفعل" (Le Goff, 2009, pp.142.143).

4- عدم القدرة على وصف المحاولة الانتحارية:

يشير مفهوم "اللاتوصيف" إلى عدم قدرة الفرد على وصف فعل الانتحار الذي أقدم عليه، يحدث هذا

خلال عملية الاسترجاع والاستدكار في المرحلة التي تلي المرور إلى الفعل الانتحاري، ويتضمن

خاصيتين أساسيتين هما: التحوير في الأقوال عند التعبير على فعل الانتحار، واللاتسمية لقتل الذات.

الأمر الذي يشهد على صعوبة بالغة في التعبير وفي ارضان الدوافع الشعورية واللاشعورية للفعل، ويؤدي

إلى استخدام آليات دفاعية كالتجنب بسبب استحالة إمكانية بناء تصور نفسي للموت. وكخلاصة "يحمل اللاتوصيف للمحاولة الانتحارية على اللاتسمية للموت" (Munier,2004,p.p.8.9).

5-سياقات الفعل الانتحاري:

شكلت الحالة النفسية المميزة للحظة التي تسبق المرور إلى الفعل الانتحاري سواء اخذ ضمن سياق مرضي(الاكتئاب، الذهانات...) أو بتناوله كفعل منعزل، استقهما كبيرا لدى العديد من الباحثين، وذهب البعض إلى القول بأن فك رموز هذه المرحلة واستيعاب وموائمة محتوياتها وخصائصها سوف يسهم إلى حد كبير في فهم الفعل. والهدف من وراء ذلك يكمن في وضع استراتيجيات تدخل فعالة لاكتشاف المحاولة قبل وقوعها وبالتالي إمكانية ردعها أو الوقاية منها.

ففي الدراسة التي أجراها Hendin & autres (2001) على 26 عميل، أشار الباحثون إلى وجود ثلاث مركبات ما قبل انتحارية وجدت مجتمعة لدى 61% من أفراد العينة:

1. حدث مستعجل.

2. حالة عاطفية شديدة على خلاف الاكتئاب: الأكثر مصادفة هي اليأس، الغضب، الحصر، الإحساس بالهجر، كراهية الذات، الإحساس بالذنب، الشعور بالوحدة والإذلال.

3. مركب سلوكي يتضمن ثلاث وضعيات: أولها اتصال أو نشاط مهياً للانتحار، تدهور في العلاقات الاجتماعية وفقدان السيطرة، زيادة في معدل تناول المخدرات.

وعلى غرار هذا الطرح أكد آخرون: Walter, Ionita, L'anaes, Lafleur et Seguin Tokpanou et على ضرورة إعطاء الأهمية لوجود سيطرة تدريجية تصاعدية لفكر متملك بأفكار انتحارية، وتحدث هذه العملية وفق النظام التالي:

1. البحث النشط عن الحلول.

2. اجترار أفكار انتحارية.

3. تخطيط وبلورة سيناريو انتحاري.

4. اتخاذ القرار الذي يكون مرفقا أحيانا بإحساس مؤقت بالهدوء (Vandvoorde, 2012,p.5)

وعمد Vandvoorde & autres (2012) إلى تقسيم العملية الانتحارية إلى مجموعة من المراحل، بحيث

تتطوي كل مرحلة على سياقات معينة، وتأتي هذه المراحل بالترتيب التالي:

✓ . المرحلة التحضيرية Mise en disposition:

تتشكل هذه المرحلة وفق سياق محدد من كوكبة تفاعلية ناتجة عن ثلاث مؤشرات، يبدأ الأول من اللحظة التي ينتبه فيها الفرد إلى وجود الأداة الانتحارية (سلاح، أدوية...)، بل ومتاحة في المحيط الذي يعيش فيه، يمتلك هذا المؤشر خاصية المضاد للقلق. ويصبح الخيار الانتحاري بواسطته مباشر وقوي وذو صبغة مأساوية تبعث على الاطمئنان. بمعنى آخر فإن هذه الإتاحة تلعب دورا وقائيا مقابل حالة المعاناة الشديدة ووسيلة لسد الطريق جذريا أمام توسعها وتطورها.

يمر الفرد مباشرة إلى التقصي حول الطريقة التي سيستخدم فيها هذه الأداة الانتحارية مستقبلا. يطلق على هذا المؤشر مسمى **التحضير المعرفي** (Préparation cognitive)، أين تضمن المعلومات المستوحاة الظروف المرجوة للشروع في الفعل الذي يأخذ غالبا صبغة رمزية.

تشكل هذه المعلومات مادة خام **للتدريب المباشر** على الفعل الانتحاري (essais moteurs) بهدف البحث عن الإحساس الانتحاري واختبار قدرة الفرد على إحداث واستكمال الفعل.

عموما تتميز هذه المرحلة بكونها مرحلة تصنيع الفعل حيث تتسرب الأفكار في الحياة الهواميويصبح لها سيطرة عقلية حقيقية الأمر الذي يسمح بالتعود التدريجي على فكرة الموت والتخفيف من الخوف بالإحساس بالألم ورفض الاعتراضات الأخلاقية حول الانتحار، وتتحول السيناريوهات الانتحارية إلى أحلام يقظة يكون لها دور السند في تبلور المشهد الانتحاري المزود بقوة كبيرة إلى حد المرور إلى الفعل أين يتحطم التدفق الهوامي.

✓ **مرحلة ما قبل المرور إلى الفعل:** هي مرحلة انتقالية قصيرة جدا تتميز بظهور

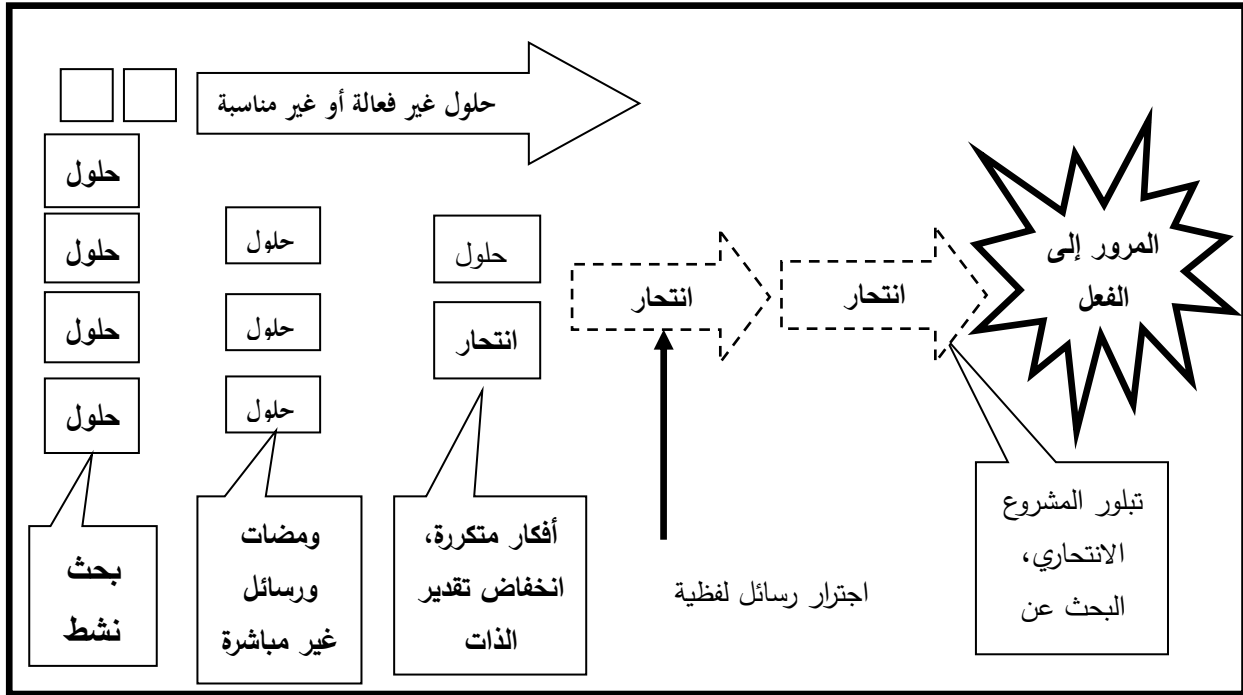
. تطور نفس-مرضى فجائي يتضمن هيجان حركي يؤثر على مسار الوعي كونه دون هدف ولا معنى ولا نظام .

. رفع التثبيط الحركي مقابل توهج نرجسي وهي عبارة عن حالة تضخم ضروري لئلا لمواجهة خطر الإصابة أو الموت، ولأن الفرد بحاجة إلى الإحساس بالقوة للمرور إلى الفعل يتضخم الميل الانتحاري مقابل تقلص الوعي بنتائج الفعل وتحت تأثير حالة التوهج يتم القضاء على القلق المرتبط بالموت، في هذا الجو يصبح للهوامات المرتبطة بالسيناريو الانتحاري حجم مضاعف.

✓ **مرحلة ما بعد الانتحار:**

تسمح هذه المرحلة بالبحث في المصير الحركي (المرور إلى الفعل) الذي ينظر إليه كمخرج للأزمة، يولد الجو التشاؤمي إشارات قلق معتبرة وحتى لحظات من التفكك تكشف عن انسداد وجودي مأساوي مع

بروز هاجس داخلي، بحيث يشعر الفرد بان شيء ما سيحدث، وهو إحساس مبهم يرمي بالفرد في حالة من العجز واختلال في التيار الاستنباهي الباطني يتوافق بطاقة مسيطرة معتبرة. ويهدف تحقيق سرعة في التدخل وتقييم الاحتمال الانتحاري استعان كل من Terra وSeguin (2004) بمقابلة نصف مقننة لتقييم مؤشرات الفعل الانتحاري، حيث تمثلت هذه المؤشرات الثلاثة في: الاستعجالية (المكان، التاريخ، والسيناريو الانتحاري)، عوامل الانتشار، وأخيرا الخطورة الانتحارية (خطورة الوسيلة المستخدمة وسهولة الوصول إليها). صيغت هذه الرؤيا في النموذج التالي:



(Terra & Séguin, 2004, p.19)

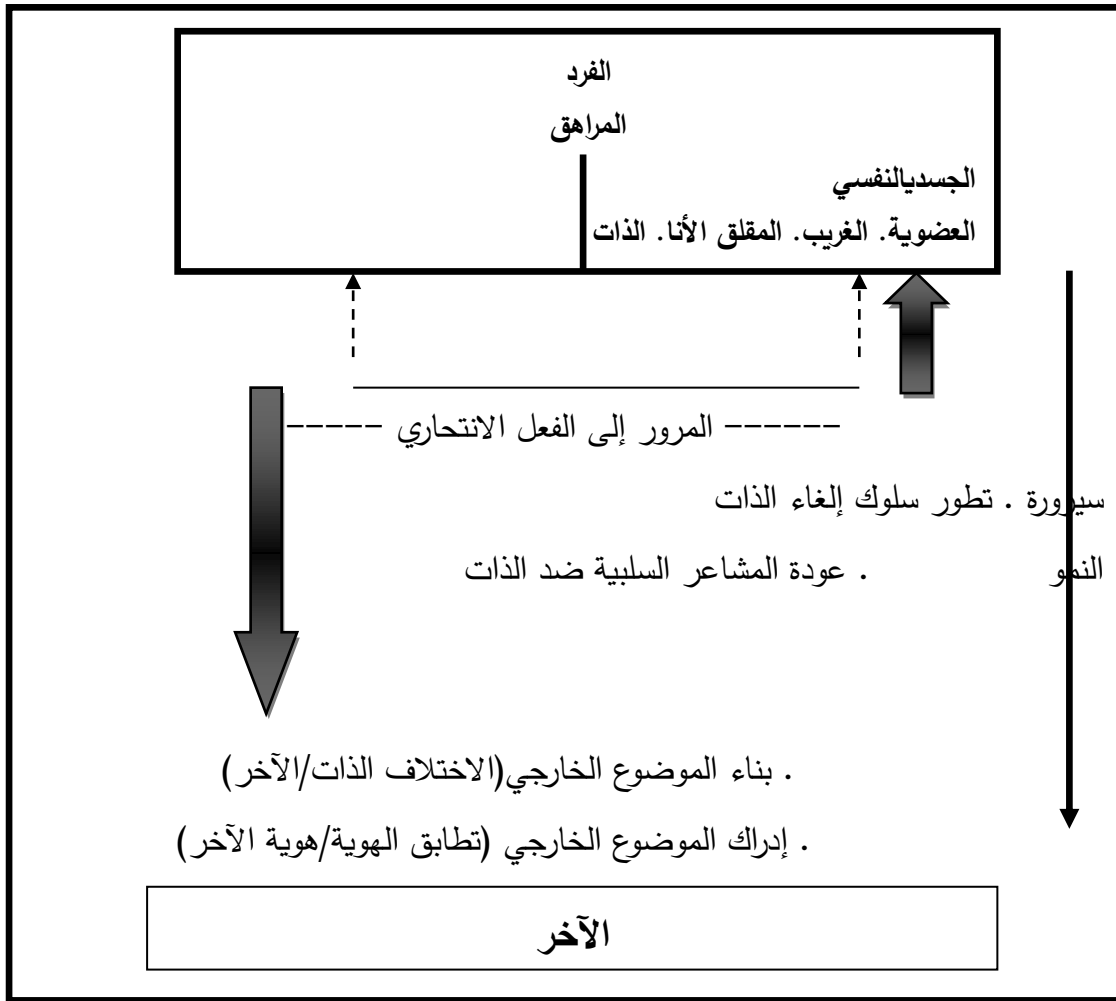
مخطط رقم 4: الأزمة الانتحارية حسب Terra & Séguin.

5-1- الآليات الفاعلة لحظة المرور إلى الفعل:

تتجلى الآليات التي تساهم في بلورة الفعل فيما يلي:

- وجود فكر مرضي بمعنى نظام مفاهيمي مركب من تصورات حركية ملقحة بالرغبة الانتحارية.
- يكون للفعل الانتحاري وحدة ذاتية، ليس هناك قطيعة بين الرؤية الواعية الواضحة والحركة التي يقوم الفرد بتنفيذها.
- بروز تشوّه في حالة الوعي لحظة الفعل مقارنة بالحالة العادية.

- خلط انفعالي، خلط في طبيعة العواطف (الحصر الجفاء العصبية). حيث ينظر إلى هذا الأخير كمشكلة أساسية للممرور إلى الفعل لتدخله بشكل مرضي كالتالي:
 - تحضير العضوية لحركة أو فعل اندفاعي، للألم.
 - تشوه في اتخاذ القرار بسبب شلال الانفعالات.
- وعلى غرار ما جاء به الباحثون أكد Killerphoza (2005) أن الممرور إلى الفعل الانتحاري يأتي في سياق نفسي خاص خلال المراهقة. كونه يتداخل مع العديد من المتغيرات التي تميز هذه المرحلة. وهنا يطرح التساؤل حول التعارض الذي تثيره حتمية النمو ومآل هذا الأخير، وبالأخص عندما يكون هناك تحقيق أو نجاح للفعل لم يكن المقصود بصورة مبدئية مباشرة، وهل أن بلوغ درجة من النضج يتطلب تجاوز أو تحطيم للحدود سواء أكان ذلك بالنسبة للحدود جسم/ نفس أو الذات/الآخر؟
- ولفهم هذا السياق سيتم طرح المخطط التالي:



(إعداد الباحثة)

مخطط رقم 5: سياق الفعل الانتحاري خلال المراهقة

شكل الارصان النفسي عملية محورية في تبلور الفعل الانتحاري، وعلى أساسه يمكن شرح المخطط السابق انطلاقاً من الإشارة إلى هذا المفهوم وتوضيح القصور الذي يمكن أن يصيبه بسبب تأثر المراهق بالمتغيرات السابقة.

يقصد بالإرصان النفسي: "العمل الذي ينجزه الجهاز النفسي في سياقات مختلفة بقصد السيطرة على المثيرات التي تصل إليه والتي يتعرض تراكمها لأن يصبح مرضياً... وأن حالات قصور أو غياب الارصان يجر إلى احتباس لبيبيدي" (لابلانث وبنطاليس، 2008، ص 60-61)، ويتحول هذا الاحتباس إلى قلق. ولخص الباحثان Hoza وKiller (2005) سياقات الفعل الانتحاري في:

1. تقديم الممثل الجسدي الغريب والمقلق.
2. تطور سلوك إلغاء الذات.
3. عودة المشاعر السلبية ضد الذات.
4. إدراك العلاقة مع الآخر (النمو الشبه محرم، بناء الموضوع الخارجي).
5. الإرصان بعد المحاولة الانتحارية.

تحت تأثير بروز الجنسية الخلقية يحدث انفصال بين [النفس والفكر] و[الجسم]، حيث يكون هذا الأخير طبعاً ومنقاداً لفاعلية الفكر وبعض القوى النزوية، ويشكل التحرر منه قضاء على القلق الناتج عن عملية البلوغ التي تعيد إنعاش الإحساس بهجوم هذا الجسم المرغوب/الراغب الذي يجب التحرر منه بالاعتداء عليه.

في وضعية كهذه يشكل الجسم غلاف بسيط، أو محتو بسيط للذات أين يكون للتضحية به دور في التخلص من صورة سلبية للذات، وأمام هذه العوامل النفسية والعواطف التي لا تطاق تصبح الصلات الترابطية غير فعالة ويشكل التخلص من العضوية الصورة الأنسب والأصلح لها.

تمهد هذه الصيرورة لتطور سلوك إلغاء الذات ضمن حلقة مفرغة تحدثها نزوة التكرار بين ما هو جسدي وما هو نفسي وللاشارة إلى نوع من الإحساس بالمتعة واللذة خلال تخيل الفعل الانتحاري. الأمر الذي يسمح ب بروز التشابك بين اللذة والتدمير.

يظهر الإحساس بالانزعاج والندم بعد المحاولة الانتحارية، وتصاحبها عمليات عقلنة مختلفة تدفع إلى التساؤل عما إذا كانت هذه الأحاسيس وتلك العمليات محاولة لإرصان نفسي لعوامل ماضية مؤلمة، أو لإعطاء معنى للمرور إلى الفعل أو حتى إعادة إحياء معكوسة.

مما لا شك فيه أن لمفهوم النزوة وبالأخص نزوة الموت دور أساسي في فهم الفعل الانتحاري. إذا تعتبر الكيفيات النفسية (تمثيلات النزوات، توظيف النزوات، استثمارات النزوات) التي تتجلى من خلالها نموذجاً توضيحياً لفهم سياق المرور إلى الفعل الانتحاري. فما هي هذه التمثيلات؟

ينظر إلى النزوة كمفهوم حدي ما بين النفسي والجسمي، بمعنى الممثل النفسي للإيثار التي يبعث بها الجسدي إلى النفسي. وقد أشار فرويد إلى وجود نوعين من الحركة النزوية المتقابلة، هما نزوة الحياة التي تقوم بوظيفة البناء والاستيعاب، ونزوة الموت التي تهدف إلى الاختزال. ولا يمكن بأي حال التعرف على هاتين الحركتين إلا من خلال التمثيلات النزوية، وقد قام بعزل أربع تمثيلات لحركية نزوة الموتوي التدمير، الانفكاك واضطرار التكرار ومبدأ النيرفانا (Diwo & al, 2004, p. 58.59).

وفي إشارة منه إلى التوازن في قوة الحركتين أكد على آلية التشابك/الانفكاك لضمان بقاء الكائن الحي وتوازن النفسي. ويسبب اختلال هذه الآلية تظهر نزوة الموت تحت شكل سلوك (سادو-مازوشي)، وتدفع إلى ارتداد العدوانية نحو الذات (الانتحار مثلا) أو نحو الآخر عن طريق الميل نحو الانفكاك، أو في لعبة الأركان. حيث يوضح Genevieve Morel (2004) بأن الأنا الأعلى يتشكل خلال عملية الاستعلاء وفي كل مرة يصادف فيها الفرد موضوع حب قابل للتمصص، تحدث عملية انفكاك للنزوات التي كانت ذات طبيعة متحدة. ويضطر الأنا إلى القيام بعملية الانتقال من لبيدو والموضوع إلى لبيدو الأنا، تولد عملية الانتقال هذه انفصال نزوي يحزر نزوة الموت نحو الميل إلى التدمير والعدوانية.

وخلص إلى القول بمفهوم "التوافق بين الأنا والموت" كتعبير عن الوضعية التي يصبح فيها الأنا الأعلى خزان لنزوات الموت التي شحنت ضد الأنا. وبما أن الارصان النفسي يهدف أساسا إلى إنشاء روابط تراكمية فإن حدوث التفكك يعكس وجه القصور في هذه العملية، وعدم القدرة على التحكم في الإثارة خصوصا في مرحلة البلوغ التي تشهد استشارة جنسية شديدة تزيد من صعوبة السيطرة على النزوات خلال المراهقة.

وذهبت Zaltzman (1998) من خلال طرح مفهوم "النزوة الفوضوية" التي تعتبر شكل خاص لنزوة الموت. وتظهر كمخرج وحيد في الوضعيات المهدة للحياة، وفي وضعية الانتحار لا تكون المشكلة عند مستوى الرابط اللبيدي ولكن عند مستوى العلاقة بالموضوع (كموضوع حاجة وليس كموضوع رغبة). نزوة الموت يجب أن تعرف كمعارض فعال وضروري للتقردن، أي للانفصال بين سجل الحاجة وسجل الرغبة، ويصبح التعرض للموت مثل تجربة الحدود وهو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على الرغبة فيظهر النشاط العقلي لنزوة الموت بهدف الحفاظ على الذات.

6- خصائص التنظيم النفسي للمراهق المنتحر:

سعت Birot (1993) إلى حصر أنواع التنظيمات النفسية من خلال دراسة أجرتها على 60 مراهق التقت بهم بعد فشل الفعل الانتحاري، اعتمدت الباحثة على أسلوب المقابلة والاختبار الاسقاطي. وتوصلت في الأخير إلى وجود خصوصيات مشتركة لمجموعة من التنظيمات النفسية تمثلت في:

. ضعف عمل ما قبل الوعي وتموقعه الفضائي والزمني.

. خلل آليات التثبيت مع صعوبة ارضان النرجسية المثلية ما يؤدي إلى إبطال استدخال صورة احتواء سلبية.

. تمثيل لصورة الجسم يدعم الرمزية بطريقة سيئة.

وأشارت الباحثة إلى وجود ثلاث تنظيمات للتوظيف العقلي لدى المراهق المنتحر وهي:

✓ **تنظيم عصابي** يسيطر عليه صعوبات في التثبيت النفسي، مع تنظيم دفاعي يتميز بضعف فعالية الآليات من المجموعة الوسواسية: الإلغاء، التكوين العكسي، العزل، فشل عملية العقلنة، خلل في عمل نظام ما قبل الوعي أين يلعب الهوام دور المشوش، صعوبة بناء العلاقات الموضوعية وفقا لنمط مرغوب ومحدد، وإشكالية خصاء تلعب في سجل موضوعي ونرجسي في نفس الوقت وبطريقة شديدة التكثيف، ودون إمكانية تصور محتو ايجابي، زيادة ضعف تقدير الذات مقابل تضخيم مثالية الأنايتم تعويضه بوضعية اكتئابية حقيقية مرتبطة بقوة بفكرة فقدان.

✓ **تنظيم من النمط النرجسي** يرتبط فيه التثبيت النفسي "الكل أو لا شيء" بالتوظيف العقلي، فضاء نفسي منقلص، احتمالات قليلة للتموضع في الزمن وللإزاحة من وجهة النظر الاقتصادية، عن طريقة تجزئة العواطف التي تبقى متكتلة أو غائبة، ويتم التعبير بواسطة نمط تهكمي، ازدرائي أو ضعف التقدير أكثر منه بنمط اكتئابي.

✓ **حالات حدية** مرتبطة على العموم باضطرابات في السلوك من النوع الشره، المدمن. التوظيف النزوي لا يكون موضوعي حتى وان كان الموضوع الخارجي يمتلك وظيفة الإسناد الأولي، وليس نرجسيا ولكن البعد فرد-موضوع هو المستثمر. وعليه تتكاثف العلاقة الموضوعية وتمثيل صورة الجسم والشبكية الذاتية فتصبح الأحاسيس هي الوحيدة القادرة على ضمان الحماية والاحتمال الوحيد للارتباط النزوي المفكك، ويعتبر هذا التنظيم الأكثر معاناة من مشكلة العود حيث يظهر التنبؤ المستقبلي أكثر غموضا.

وفي الأخير أكدت الباحثة بان: "المحاولة الانتحارية تعتبر التمثيلة النشطة لجسم محطم لا يمكنه دعم استمرارية التموضع الفضائي الزمني للتوظيف العقلي" (Birot, 1993, p.69).

7- الأنماط الإجرائية للانتحار بمقابل أنماط العلاقة بالموضوع:

ترى LeGoff (2009) بأن أنماط الفعل الانتحاري مستوحاة من أنماط العلاقة بالموضوع، وهو ما يسمح بفهم هذا النوع من الفعل من وجهة النظر النفس-مرضية. من جهة يفرض علينا الانتحار أن نفسره انطلاقاً من أنماط نزوية وهو ما يجر مباشرة إلى التساؤل حول وجود ارتباط تفضيلي لبعض الوسائل المستخدمة خلال الانتحار مع بعض المواضيع البنائية (الأدوية-ثدي الأم). ومن جهة أخرى الفعل الانتحاري هو المؤشر على تفعيل الهوام، وتفعيل المشهد هو الذي يغذي التعبير عن رغبة الموت. حيث إن الأنماط الإجرائية هي التي تسمح بالكشف عن نمط الفعل الانتحاري. في هذا الجدول يتم التطرق لكل هذا:

جدول رقم 5: الأنماط الإجرائية والمواضيع النزوية

النمط الإجرائي	النمط الانتحاري (العلاقة بالموضوع)
الموت بواسطة الاستيعاب: يمكن أن يسود هذا النمط في حالة البحث عن الكمال بلم الشمل أو الالتقاء مع ثدي الأم. يرمز الفعل "الفمي" إلى الإحساس بالعجز والمحن الطفولية وبالنتيجة أكثر من أي نوع آخر من الفعل، فهو يعبر عن نداء للآخر.	الفمي: سلبية (عن طريق الاعتماد، وعدم الأمان)
ذو علاقة بالعطاء، التضحية. تشير إلى "نداء داخل الآخر" والى محاولة لممارسة السلطة على الآخر التي تعبر عن الاستنزاف، الفعل "الشرجي" يرمز إلى الرغبة في التسلط على الآخر تحت شكل ابتزاز عاطفي، ومن العلامات التي يخلفها هذا النوع من الفعل هي: رسائل، آثار جسدية.	شرجي: نمط ارتدادي مطالب
هروب من الخصاص الرمزي و"العقوبة"، الموت بالارتداء تحت القطار، وهو ما يتم ترميزه بواسطة المحو، الشطب، المسح. الهروب من نظرات الآخر بواسطة المحو، عنف الفعل يرمز إلى عدوانية قوية محتواة بداخله.	قضيبي: إرادة التأنيب، الشعور بالذنب
الدم وقطع الشرايين، النداء أو التوسل، النظرات. ما هو موجود بداخل الجسم يحضر إلى السطح. هستيرية أكثر. الموضوع التصويري يكون مرتبط بالرغبة في الآخر، يعرف الشخص نفسه في مرآة الآخر، الرغبة بإخفاء كل الضعف بواسطة التحكم المفرط، التمكن، إرادة السلطة لإظهار القوة. قوة أكثر مطابقة لانا المثالي.	تصويري: التملك، مؤشرات الاكتئاب
القفز من النافذة، الشنق، السلاح الناري، سوداوي أكثر، وبارانوي، يتم الحل بالشعور بالذنب.	أنا أعلى: التأنيب

(Le Goff, 2009, pp145.146)

II-المرور إلى فعل الإدمان:

ينظر إلى الإدمان كظاهرة نفس اجتماعية، تأخذ في الازدياد والتوسع خلال مرحلة المراهقة. يعتبر الاستعداد الذي يميز المراهق المدمن ذو أبعاد متعددة مقارنة والمراهقين الذين يفضلون الاستمرار في علاقة تبعية مع واحدة أو أكثر من المواد المخدرة (Ferrari, 2001)، لكننا سنحاول في هذا الموقف التركيز على المحددات ذات البعد التحليلي التي تتماشى وتوجه هذا البحث.

يتوضع الإدمان في المقاربة التحليلية ضمن أمراض الفعل. وحدث هذا الأخير في الواقع يكشف عن عجز في عملية التصور، حيث يؤكد Pedinielli 1994 أن الصعوبة تكمن في عدم القدرة على التمثيل العاطفي وبالتالي يدرك المحسوس كوسيلة وحيدة للتوظيف النفسي عن طريق التكرار أو الانعكاس فقط. وبالتالي الإحساس والتجديد المستمر للإشكالية الجسدية. من هنا يفهم الإدمان كخلل في التسجيل الرمزي للجسم.

تعتبر المراهقة مرحلة عمرية حرجة، ويمكن لما يطرأ فيها من اختلال أن يزيد الأمر تعقيدا، ويفتح المجال واسعا لطرح العديد من النماذج التفسيرية التي يمكن تصنيفها في وجهتين:

• إما أن متطلبات النمو المحتواة في هذه المرحلة هي التي تدفع بالمراهق إلى سلك الاتجاه المضطرب،

بالنظر إلى عدم قدرته على إحداث الموائمة والموازنة بينها. فيصبح السبيل الوحيد المتاح للخروج من مأزق المراهقة هو البحث عن حلول بديلة يشكل الإدمان أحدها.

• وإما أن يكون لهاته الاضطرابات إذا ما وقعت دور بنائي، من حيث كونها تساعد على إعادة إحياء جروحية سابقة، فيكون من واجب المراهق مواجهتها أو تجاوزها إن استطاع ذلك. وفي تقديمها لهذا الدور يمكن أن تنتج رد فعل عكسي وتجرب المراهق نحو مزيد من المعاناة والتثبيت على تصرف مرضي قد يستمر لسنوات، واضعا المراهق في حلقة مفرغة.

يرى Marcelli (1994) بان المراهقة تشكل تطور خاص ومحدد لإشكالية الاعتمادية، بالنظر إلى المشكلات الملازمة لعملية البلوغ وانعكاساتها على مستوى تصور الذات، وتصور العلاقة مع الآخر. إذ يطرح هذان النظامان معضلة مصيرية تتمثل في إعادة تنشيط عمليات الانفصال/التفرد وما لها من دور في ارضان هوية ذاتية مستقرة وثابتة تأتي كنتيجة لتجاوز ناجح لهذه المرحلة.

يلاحظ أن استخدام مفهوم الاعتمادية الذي تعرفه منظمة الصحة العالمية على انه: "حالة من التبعية النفسية والجسمية (العضوية) أو كلاهما معا لمادة ما. تنشأ هذه الحالة من الاستعمال المؤقت أو الدائم

لها". دفع إلى تحولات جديدة في تناول هذه الظاهرة، بل وغير من تناول بعض المفاهيم بفتح المجال أمام الرؤى والتوجهات النظرية الجديدة.

يلتقي مفهوم الاعتمادية مع مفهوم التبعية معا في نقطة نوعية. تتمثل في الحالة النفسية التي يعاني منها الشخص الذي يقبل على الانصياع إلى موضوع خارجي مهما كانت طبيعته. تتداخل هذه المفاهيم وتتقاطع وقد يحتوي الواحد منها الآخر حسب خصوصية الحالة لكن يبقى الإدمان كمفهوم رئيسي يعبر بصورة مباشرة عن إشكاليات التبعية والاعتمادية لدى شخص ما إزاء مادة بعينها.

1-السياقات النفسية لفعل الإدمان:

1-1-خلل التجربة العلائقية المبكرة:

ينظر إلى الموضوع على انه كل ما من شأنه تحقيق الإشباع (البيولوجي، النفسي، الجنسي)، ويقسم إلى موضوع كلي وموضوع جزئي (في إشارة إلى فرد مكتمل أو جزء منه)، وتساهم العلاقات الأولية مع الأشخاص-خصوصا الأم -التي تأخذ بمعنى العلاقة بالموضوع ويتم استدخالها من خلال الهوام اللاشعوري، تسهم في تأسيس البني الأساسية للجهاز النفسي.

بداية يتشكل الموضوع النفسي من تجربة الإشباع الأولية التي دفعت إليها الحاجة، يغلب على هذه الأخيرة طابع التكرار، وتوضح النظرية التحليلية على أن الرضيع يقوم بهلوسة الموضوع اعتمادا على الآثار الذكراوية للموضوع الأولي، وتشكل هذه العملية استثمار للجهاز النفسي لأجل إدراك موضوع الإشباع وإحداث انفصال ما بين الحاجة والرغبة.

يعتبر المرور إلى مبدأ الواقع حسب Pedinielli (1993) مكونا للرغبة، ويعتمد هذا التكوين على دور الموضوع الذي يسمح بإقامة تفاوت ما بين الاستثمار الهلوسي للإشباع والإشباع الحقيقي، المرور إلى الرغبة والمرور إلى مبدأ الواقع يخضعان لوضعية الموضوع (الحضور والغياب) ولخلل عملية تحقيق الرغبة.

في حالة الحرمان العلائقي المبكر، يطور الطفل نشاط البحث عن الأحاسيس عوض الأم، فيلجأ للبحث عن أحاسيس جسدية مؤلمة لديها بعد التدمير الذاتي لان غياب موضوع الاستثمار لا يمكن تعويضه بلذة اللجوء إلى نشاط عقلي أو جسدي وإنما بواسطة الاستثارة الذاتية الآلية للجسم. هنا يصبح عنف الاستثمار وطابعه التدميري متناسبا مع فقدان النوعية العلائقية للارتباط (Jeammet,2009).

يرجع الإدمان أو الاعتمادية إلى خلل في الاستدخال الهوامي للام-ثدي، فعندما يكون الموضوع الهوامي الداخلي مفقود يستعمل الأنا الأحاسيس والإدراك كبديل شبقي-ذاتي بدل استعمال السبيل الهوامي أو تصور النزوة. يطرحها مفهوم الهلوسة السلبية التي تفسر من خلالها مشكلة الاعتمادية، يتم ارضان

هذا النوع من الهلوسة عند الاتصال مع الأم وبالتالي تكون شاهدة على استدخال الموضوع الامومي ولها وظيفة الحماية ضد الصدمات. مشكلة محتويات من الصور والتصورات، وفي حالة الإدمان يصيب الخلل هذه المحتويات النفسية (Pirlot, 1997).

مفهوم الهلوسة السلبية من المفاهيم الفرويدية التي جاء ذكرها في "دراسات حول الهستيريا" غير أنه لم يلق الاهتمام الكافي إلا بمجيء Green الذي أكد على دورها في استدخال الإطار الامومي أين تتشكل النرجسية الأولية.

يعطي Green (1983) النرجسية الأولية صفة البنية، فهي بالنسبة اليه ليست مجرد حالة أو مرحلة من النمو، بل هي المؤطرة للانا، المحيطية بالنسبة له نظرا لدورها الاحتوائي.

ينظر كذلك إلى الهلوسة السلبية على أنها عملية إنكار وجود إدراك أو موضوع، والهلوسة السلبية للام تعتبر المؤسسة لنوع الغياب، حيث يستوجب على الإطار الجسمي للام والحامل للطفل أن يترك آثار لبنية داخلية مؤطرة ومحتوية، تخلق الهلوسة السلبية فضاء كامن ابيض، تحتل الأم الإطار الفارغ لهذه الهلوسة وتصبح بنية محتوية للفرد، قادرة على ارضان تصورات واستثمارات لمواضيع جديدة.

يمكن لهذه التصورات أن تصبح "مكان وموضوع التدمير الداخلي" (Green, 1995, p.315)، المادة المخدرة من شأنها إحداث تعزيز للسجل الحسي الذي بدوره يدفع إلى تحولات على مستوى إدراك الواقع. ويترافق هذا وحدث تغيرات في حالة الوعي التي تعوض بتجربة المعاش الهوامي، هنا يصبح الفعل الادماني معادلا لتجربة الإشباع الهلوسي ولتحقيق الإنكار لموضوع الرغبة أو لفقدانه، يضع الأنا خارج الواقع وخارج المجال التصوري تجنبا لأي عمل للتفكير (Aulagnier, 1979).

1-2- خلل السيرورة الدفاعية: (الاستدخال بدل الإدماج، خلل في الإسقاط/ استدخال)

تأخذ العلاقة بالموضوع في حالة الإدمان صبغة إشكالية على اعتبار أن هذا الأخير هو الحلقة الرئيسية التي تنبثق عنها بنية الأنا وأبعاده الدينامية المتمثلة في الدفاعات من خلال عملية التفاعل، وكذلك بالنظر إلى التعبير الهوامي على المستوى النفسي وبالأخص الهوامات العدوانية والعنيفة الناتجة عن الخوف من فقدان الموضوع أو مهاجمته بسبب خلل الفصل بين الفعل والفكر.

يقوم استهلاك المادة المخدرة بحصر آلية التقمص الاسقاطي، حينها تشكل عملية احتواء وربط تمثيلات النزوات التدميرية عن طريق تنشيط لبيبدو النرجسية، تشكل هدفا أساسيا لهذه العملية (Miel, 2002). في هذا السياق يتم تعويض آلية الاستدخال بعملية الإدماج الأمر الذي يساهم مبدئيا في بناء الموضوع الداخلي عن طريق إدراج روابط نزوية معه داخل الأنا (Gutton, 1984).

تستفيد المادة المخدرة من انقطاع العلاقات الموضوعية، ويأخذ الإدمان صيغة المحاولة الوهمية لتحقيق حداد الموضوع أو لاستبعاد الموضوع المضطهد. أين يتم مسابرة وتحريك عملية تشكيل الهوام الذبيقوم مقام الفعل بالنسبة لهوام الإدماج (Segal, 1970).

2- الاقتصادية النفسية للإدمان:

قسمت Aulagnier الطبيعة العلائقية لنا مع المواضيع الخارجية إلى ثلاث نماذج مقارنة وطبيعة الموضوع. يمثل النموذج الأول وهو الأهم بالنسبة لنا: يمثل العلاقة التي تربط المدمن بالموضوع-مخدرات.

يأخذ الموضوع لحظة الالتقاء الأولي فم-ثدي صفة السببية وراء اختفاء الحاجة التي تضمن البقاء والإحساس بالرغبة الشبقية الحسية. يحدث هذا الأمر في الحالة العادية (حالة وظيفة الإسناد)، أما عند غيابه (حالة غياب الإسناد) يصبح سببا في ارتداد حاجة مزدوجة-حاجة الجسم تضاف إليها حاجة اللذة-كونالطفل في هذه المرحلة لا يستطيع الفصل بين هاتين الحاجتين.

يستمر التآرجح بين سجلين علائقيين اثنين: سجل اللذة/سجل الحاجة. في حالة اللاتمايز يصبح الطفل مطالبا بالفصل بين اللذة الضرورية واللذة الكافية لان مستوى الصراع ينزل إلى درجة ادنى بحيث يمس سجلا واحدا بدل اثنين، وحتى يتمكن من المرور والانتقال من حالة التبعية المطلقة إلى حالة التبعية النسبية.

يسمح الانفصال بين اللذة الضرورية واللذة الكافية للطفل بالمرور من بنية علائقية لاتناظرية إلى علاقة

تناظرية، وهي حالة الاستثمار النزوي العادي الذي يستمر ويتشكل من خلاله النمو النفسي. بالمقابل ينتقل الارتباط العاطفي إلى بنية علائقية غير متميزة، غير متناظرة. يشكل خلالها الموضوع مصدر حصري لكل رغبة وتتم إزاحته إلى سجل الحاجات.

يستثنى مصطلح العاطفة مفهوم العلاقة المتبادلة أو المشتركة مع الموضوع ويعزو الأنا-je- للموضوع سلطة اللذة الحصرية الأمر الذي من شأنه أن يجعله الوحيد القادر، عندما يرغب في ذلك، على إشباع ما أصبح حاجة للذة. ومن جهة أخرى يصبح لديه قدرة عالية مقارنة بسجل المعاناة التي يفرضها مستقبلا (Aulagnier, 1999).

في ظل هذه الاقتصادية العلائقية يجد الإدمان تفسير له وتتضح معالم العلاقة الارتباطية بين الفرد ومادة الإدمان التي تأخذ في هذا السياق حالة الموضوع لأنها تتميز بكل الخصائص التي يحملها

الموضوع والموضوع الأولي. كما تضاعف التبعية التي تشكل ميزة أساسية لمرحلة البلوغ من تحقيق هذه الخاصة. فلا يستطيع المراهق التخلي عنها بل يستمر في تهيئة وتوسعة الفضاء النفسي الداخلي الذي يحتويها لتشكل جانب من شخصية إدمانية بامتياز.

3-العلاقة المرضية بموضوع الاعتماد:

ينظر إلى الموضوع في التحليل النفسي على أنه كل ما يمكن للأنا أن يتفاعل معه، يتقمصه، ويحدد له معالم ذاتيته ووجوده الجسدي والنفسي. واقعياً أو هوامياً. فهو يحتفظ بخاصية الإشباع به أو من خلاله. فمثلاً في المراحل الأولى (المرحلة الغمية) يشير الموضوع إلى ما يتغذى به تبعاً لهدف نزوات حفظ الذات. ويشير في ذات الوقت إلى ما يمكن إدماجه بلغة النزوة الغمية.

وكان فرويد (1895) قد أشار منذ البداية إلى الصعوبة التي واجهته في صياغة مفهوم الموضوع، وحين عرفه "بالمتقي الفار من الحكم"؛ أراد من ذلك توضيح استحالة تكوين تصور حول الموضوع والعلاقة بين الإشباع والموضوع. حول هذا الطرح سوف يتم تناول العلاقة التي تربط الفرد بموضوع الإدمان إلى الدرجة التي يأخذ فيها هذا الأخير مكانة أساسية في تكوين الأنا، الذات، والهوية باعتباره ما يمكن إدماجه (تناوله) داخل الأنا، وإعطاءه خاصية الهوية "أنا مدمن".

لا يحقق الطفل استقلالته انطلاقاً من تفاعلاته مع المواضيع الأولية تبعاً لوجودها أو عدمه. وإنما يتوقف الأمر على طبيعة البنية السوية التي تضمن أداء وظائفها بطريقة ملائمة محققة نمواً نفسياً سويًا. غير أن اختلال هذه الوظائف من شأنه أن يجر إلى اختلال في استدخال المواضيع. وهو ما يفسر العلاقة المرضية للفرد بموضوع الإدمان.

يذهب Ravit (2002) إلى القول بأن تجربة الإدمان تشبه إلى حد ما يجب أن ينتظره الرضيع من أم يعتبرها سندا له في أولى خبرات الحياة. انطلاقاً من هذا المعنى فإن كل ما لا يمكن تحمله من طرف الغلاف الامومي المساند يعاد تبنيه من طرف المدمن بمنطق آخر، وهو أن يصير موضوع الإدمان عضو حسي خارجي لإدراك النوعيات النفسية، وتبلوره بهذه الطريقة يحرك أولى الاختلافات العمق/الشكل.

للموضوع الأولي أربع وظائف أساسية، تعمل كل وظيفة على مستوى معين تبعاً لمراحل النمو العلائقي. ويدفع أي خلل في هذه الوظائف إلى خلل علائقي بالموضوع ويترجم عند المدمن في العلاقة بموضوع الإدمان التي تأخذ أشكالاً مختلفة: التملك، القهرية، الاعتمادية، والتدميرية.

يشكل الاحتواء أولى الوظائف التي يشترط امتلاك الموضوع للوظيفة ألفا Alpha المتمثلة في القدرة على الاحتواء، طرح حدود واضحة بين الأم والطفل، امتلاك فضاء داخلي كافٍ لاستقبال إسقاطات الطفل (القلق، العدوانية) وتحويلها. إذا فقد الموضوع كل هذه الخصائص بمقابل إسقاط الطفل شحنات

كبيرة من العدوانية والرغبات التدميرية، فان وظيفة الاحتواء تصاب بالخلل، والنتيجة عدم استطاعة الطفل تطوير جهازه الخاص بالتفكير وبالتالي يبقى تحت رحمة المحتويات التدميرية(القلق، النزوات)، ويصاب بالعجز أمام كميات نفسية سيئة التمثيل، ويطور بدل جهاز التفكير جهاز ل طرح الأفكار. وهو ما طلق عليه Bion(1959) الهجوم ضد الرابط الدال على فشل في وظيفة الاحتواء ومهاجمة العملية التي تؤدي إلى التفكير الرمزي.

تشير الوظيفة الرمزية إلى قدرة الطفل على تحويل التجارب المعاشة إلى محتويات نفسية قابلة للتمثيل. وتتحدد بعد اكتساب هذا الأخير لقدرة على التفكير، وبالنتيجة القدرة على الترميز. تلعب علاقة اللاتمايز الأولية بين الأم والطفل "الأم هي الرضيع والرضيع هو الأم" دورا أساسيا في عملية النمو السوي. يشير Winnicott إلى جملة من الأدوار التي تلعبها الأم في ظل هذه العلاقة Le و Le Holding و Handing، التي تسمح بالحفاظ على مستوى متدني من الإيثار وتطور جهاز للتفكير والترميز، إن بلوغ هذا المستوى من النمو يسمح للطفل بإعطاء رمزية للموضوع وبادراك تواجده في الخارج، ما يسمح بمعرفة حدود الأنا والاستمرارية في الزمان والفضاء وبناء العلاقات الموضوعية.

يضمن الموضوع الانتقالي حسب Winnicott 1951 مجموعة من الوظائف. فبامتلاكه هواميا مميزات الحضور الامومي يسمح بحدوث الانفصال في العلاقة الفمية مع الأم وإزاحتها على موضوع خارجي. حماية الطفل من قلق الانفصال وتجاوز غياب الوالدين. فتح هذا الطرح المجال أمام الباحثين للخوض في طبيعة وخصائص هذه المواضيع الانتقالية. فمثلا Milner (1979) أشار إلى مفهوم الموضوع الانتقالي الوسيط الطيع *Objet médium malléable* ودوره في تكوين الرمزية لدى الطفل، وفي القدرة على تمثيل عملياته النفسية. وركز Roussillon (2001) على نفس المفهوم من جانب دوره في عمليات التصور، وكيف أنه بالإمكان الاستعانة بالموضوع الخارجي كتصور لما هو داخلي كامن انطلاقا من مميزاته التي تتيح له الفرصة ليقوم مقام المواضيع الأولية الحقيقية ويؤدي وظيفتها. تتمثل هذه المميزات في:

- يجب أن يكون غير قابل للتدمير، حساس، القابلية لتحويل اللانهائي، متوفر دون قيد أو شرط، ولديه سمة الإحيائية التي تعتمد على قدرته في البقاء مقابل نزوات الفرد وحساسيته اتجاهها. يعتبر حضوره ضروري لوجود تصور ملموس، يستطيع الطفل فيما بعد استدخاله ما يعكس قدرته على التمثيل. وبالتالي يضمن هذا الموضوع بهذه الخصائص وظائف الانتقالية والليونة.

أطلقت Mc Dougall (2001) تسمية "ميلاد العلاقة أنا -العالم" التي تفسر من خلالها التطور غير السوي للموضوع الانتقالي في الحياة النفسية للطفل. في ظل هذا التطور ينظر إلى الاعتمادية كمرض

ينتمي إلى نضج غير عادي للظواهر الانتقالية. حيث يعمل الطفل في هذه المرحلة الوسيطة على خلق موضوع أو نشاط يملك خيالاً مميزات الحضور الامومي.

تكتمل الوظيفتان السابقتان (انتقالي وطيع) عند اكتمال نمو الوظائف السابقة. وترى Mc Dougall أن الخطر يكمن في عدم قدرة الطفل على اكتساب تمثيل للام الرعاية soignante. ومن أجل تحمل غيابها عاطفياً والمعاناة النفسية التي تترتب عن ذلك، يبقى الطفل الذي لم يصل بعد إلى هكذا تمثيل داخلي غير قادر على تحمل لحظات الشدة؛ فيلجأ إلى البحث عن تعويض في العالم الخارجي. ويصبح بإمكان الموضوع-مخدرات التخفيف من كل أشكال الضغط النفسي ولو مؤقتاً (Mc Dougall, 2001)

يواجه الفرد صعوبة في إدراك التصورات والعواطف كمحتويات عقلية بسبب خلل وظيفتنا الاحتواء والترميز، وبالنتيجة خلل العلاقة الامومية المبكرة، فيتم طرحها خارج النفس، إذ لا يمكن الاحتفاظ بها داخلياً للقيام بمعالجتها نفسياً بل يتم إجلائها باتجاه حاوية خارجية بحيث يمكن لهذه العملية المرور بالجسم (السيكوسوماتية)، أو عن طريق الفعل، وبهذا الشكل يصبح بإمكانه إيجاد فضاء للإرسان العقلي. وبالرغم من هذا تبقى قدرته على التنظيم متجاوزة بواسطة الاستئارة الجديدة.

وتذهب McDougall إلى القول بأنه: "عندما تتجاوز الأحداث الداخلية والخارجية قدراتنا الاعتيادية على احتواء وارسان الصراعات المتلاحقة فإننا نميل إلى: الأكل، التدخين، شرب الكحول، تناول الأدوية أكثر من المعتاد" (2001, p.75).

4-وظيفة الإدمان:

إن تعقد ظاهرة الإدمان وتشعب أسبابها ونتائجها على المستوى الفردي والمجتمعي دفع إلى البحث عن الوظيفة التي يلعبها الإدمان في حياة الفرد والمكانة التي تحتلها مادة الإدمان في تصورات الشخص مهما

كانت طبيعتها، درجة الاعتمادية عليها، والآثار الناجمة عنها في حيز الحياة.

من هذا المنطلق رأى Lacan (1975) بان المادة المخدرة توازي "محاولة للتحطيم"، بمعنى أن استعمالها يملك وظيفة التحطيم، التي تهدف في الأساس إلى محاولة إحداث انفصال بين الفرد ومكانته كموضوع في الواقع. وهي بهذا الشكل تأخذ صيغة المرور إلى الفعل أين تعتبر المادة المخدرة الوسيلة الحقيقية المتاحة لعلاج الواقع بالواقع.

بمقابل وظيفة التحطيم أشار Lacan (1966) إلى معنى "الإحساس بالحياة"، وهي على العكس تماماً من سابقها. حيث يشكل الإدمان محاولة لإحداث الارتباط أين يسعى الفرد لسد الغياب الذي يستشعره

على مستوى الرغبة، وبالتالي فإن الوظيفة الثانية للإدمان تتجسد عن طريق البحث عن الارتباط الذي هو بديل للإحساس بالحياة.

5- خصائص التنظيم النفسي للمراهق المدمن:

نظرا للتزايد الملحوظ في مشكل الإدمان على المخدرات بأنواعها، واتساع بُورتها في مرحلة المراهقة، فقد اتجه العديد من الباحثين لدراسة الخصائص الشخصية التي تميز المراهق المدمن عن غيره، وبالرغم من اعترافهم الصريح بصعوبة الخوض في هذا المجال نظرا لطبيعة مرحلة المراهقة، والتداخلات بين المجالات المختلفة إلى درجة يصعب معها حصر وتحديد دينامية نفسية خاصة بالمراهق المدمن، إلا أن البعض ومن بينهم Freud (1920) قد أشار إلى الميل إلى تكرار تناول المواد يتيح لنا قوة داخلية جبرية تدفع الفرد إلى تكرار التجربة بحيث يكون هو نفسه القائم بها. وحسب هذه الرؤية فإن المدمن يشبه إلى حد ما النمط العصابي الوسواسي ويتم تفسير تصرفاته بعرض: اضطراب التكرار. بالرغم من اعتراف Bergeret (1981) بعدم وجود بنية خاصة بالفرد المدمن، إلا أنه يلخص المميزات الأساسية للتوظيف النفسي لدى المدمن في القصور التقمصي والتخلي، حيث يتصف هذا الأخير بفقدان القدرة الوظيفية للإرصان، لتكوين الهوام والتخيل. واضعا الفرد أمام صعوبة إقامة الصلة بين الحقيقة الرمزية والحياة اليومية. حيث يترجم هذا النوع من التوظيف بواسطة نكوص التوظيف العقلي باتجاه السجل السلوكي، وبالأخص الفعل الإدماني.

يؤخذ الإدمان في ظل المقاربة التحليلية مأخذ المرض، فهو ينتمي إلى أمراض الفعل، وينكشف من خلاله الجمود في عملية التصور عن طريق تعبئة الفعل (Jeammet, 2005a)، يثمن هذا الاستدعاء بواسطة المحسوس كوسيلة فريدة لبلوغ العاطفة التي لا يملك القدرة على تعويضها بطريقة أخرى. يجد هذا الاستدعاء جذوره في العمليات الأولية أين يحدث التوظيف النفسي بواسطة التكرار أو الانعكاس، ما يطرح في المقدمة الإحساس والتحيين المستمر للإشكالية الجسدية. هنا يفهم الإدمان كضعف للتسجيل الرمزي (Pedinielli, 1994).

وتكمن أهمية الإدمان في اعتباره نمط حماية مقابل عملية التفرّد التي يواجهها المراهق. وتحل المخدرات محل الموضوع التقاطبي ضمن سلسلة إدمانية يتداخل فيها التدمير الذاتي مع الصراع من أجل التفرّد (Blos, 1984).

ويتفق الباحثون على وجود ثلاث خصائص سيكودينامية للتوظيف العقلي للمدمن تتمثل في: الدورية، الانفصال، والتنوع النفسي. يشير مفهوم الدورية إلى حالة التآرجح واللاتوازن الدائم بين الدفاعات

والنزوات (Braconnier & Caron, 1999, p.2466.2467)، يأخذ التنظيم في سياق هذا المتغير أشكال متعددة، يطرح Lebovici (1971) أحده مطلقا عليه مسمى التنظيم الاكتئابي، يفسر بتموضع المدمن في حلقة مفرغة تقوده من الحاجة القهرية إلى الشعور بالذنب، ومن الشعور بالذنب إلى الاكتئاب، ومن الاكتئاب نحو الحاجة.

يعاني المدمن من ضعف على مستوى الركن النرجسي لأننا وعلى مدى قدرة هذا الركن على المقاومة باستمرار. تبرز دورة أخرى مرتبطة بانتحار السوداوي يرى Grumberger (1971) أنها تأخذ خاصية العدوانية الدائمة نحو الذات.

تتباين الدورة الثالثة من خلال الوضعية الاكتئابية الهوسية، حيث يوضح Rosenfeld (1961) أن أنا المدمن يستمر بالضعف بسبب خطورة عملية الانشطار، وبالنتيجة عدم تحمل المعاناة الاكتئابية. حينها يرجع المدمن إلى آليات هوسية، لكن ردة الفعل هذه لا يمكن أن تحدث إلا بمساعدة المخدرات وعلى أساس هذا التآرجح فإن أنا المدمن ليس فصامي ولا هوسي اكتئابي.

6- الإدمان وإشكالية التكتم أو الاكستيميا:

ضمن النموذج التحليلي السيكودينامي وبالتحديد مع العصابات النفسية أخذت ملامح مفهوم التكتم في التبلور، أين واكبت محطات مختلفة تزامنت مع اهتمام المختصون في الأمراض السيكوسوماتية بتفسير اضطرابات التعبير الانفعالي لدى المصابين بالأمراض المزمنة. تحت مسمى الأميين الانفعاليين "illetres emotionnels" خلص Rusch 1948 إلى مجموعة من الخصائص التي تميز الشخصية السيكوسوماتية والمتمثلة في: شخصية طفولية مع تخلف أو توقف في تطور قدرات التعبير اللفظي والرمزي للعاطفة (Rusch, 1949).

في 1970 اهتم مختصون في الطب العقلي وباحثون في المجال السيكوسوماتي (Nemiah, Sifneos, Baston) بالتفكير العملي وهو المفهوم الذي أطلقه كل من Marty و M'Uzan 1962 لتفسير النماذج العاطفية والمعرفية الخاصة بالمرضى السكوسوماتيين وعلى رأسها: التفكير العملي الراهن والملمس، فقر الحياة الهوامية، الخيالية،

الأحلام. حيث ترجع هذه السمات المعرفية حسبهم إلى تخلف في تنظيم الشخصية.

بالتركيز على هذا المفهوم الأخير كمنطلق لدراسة المحتوى اللفظي خلال مقابلات نهجت فيها طريقة استثارة التداعي الحر والتعبير عن الهوامات لدى المرضى السيكوسوماتيين. لاحظ الباحثون أن ما يميز التفكير العملي عند هؤلاء المرضى هو تقلص في التعبير الانفعالي إضافة إلى انفجار انفعالي شديد

وسريع حيث أطلق Sifnéos 1972 على هذه الكوكبة مفهوم التكتم أو الاليسيتيميا. وهو اسم مشتق من اليونانية "a" يعني غياب، "Lexi" تعني كلمة و "Thymi" الانفعال. ويعني غياب الكلمات لوصف الانفعالات (Sifnéos, 1973). لا يقصد به هذا المعنى الحرفي وإنما في المجال النفسي يشير إلى: "مجموع الخصائص المعرفية والعاطفية التي ترجع إلى الحياة الانفعالية لبعض الأفراد وهو مفهوم وصفي" (Mekaoui, 2007, p96)، ويتضمن أربعة أبعاد تتمثل في:

1. صعوبة في التعرف أو التفريق بين الحالات الانفعالية.
 2. صعوبة في التعبير عن الحالات الانفعالية للآخر.
 3. حياة هوائية متقلصة، وبالأخص محدودية في أحلام اليقظة.
 4. نمط تفكير يتجه نحو المجالات الملموسة للوجود على حساب النواحي العاطفية، وهو ما أطلق عليه سابقا التفكير العملي (Bagby & autres, 1994).
- كما أن مفهوم الاليسيتيميا المتداخل في المعنى مع التفكير العملي وإضافة إلى البعدين الثاني والثالث يتضمن حسب Sifnéos خاصيتين أخرتين وهما:

- الميل نحو الرجوع إلى التصرف لحل الصراعات أو تجنبها.
 - قدرة الشخص على تقديم وصف تفصيلي للأحداث والمواقف والأعراض الجسدية.
- وبما أن هذه الحالة ليست مرتبطة ببنية أو تنظيم محدد فإن الأفراد الاليسيتييين يتميزون عادة ب: عواطف غير متلائمة (Haviland, Shaw)، هيئة جادة وعلاقات شخصية فقيرة مع الميل نحو الإدمان (Jaffe). صعوبة في التفريق بين الحالة الانفعالية والحالة الجسمية فالإحساس يظهر مكان الانفعال (احمرار الجلد، زيادة في نبضات القلب)، وهنا يطرح Freyberger (1977) شكلين من الاليسيتيميا: الأولية وتشير إلى عجز في الأحاسيس وليس الانفعالات، والثانوية التي تولدت عن تجربة صدمية في المرحلة ما قبل اللفظية تجعل الفرد غير قادر على التعبير عن الانفعالات بواسطة الطرق اللغوية التي لا تؤدي إلى أفراد سيكوسوماتيون فقط، وإنما أفراد يعانون من اضطرابات الضغوط التالية للصدمة، الإدمان، الإدمان المزمن على الكحول (Pirlot, 2014, p76).

في ذات سياق فإن الاليسيتيميا الثانوية ما هي إلا استراتيجية دفاعية هدفها حماية الفرد من العواطف

الدمرة، كونها ترتبط بالاستخدام المبكر والكبير لنوع من الرفض، الإنكار الإدراكي لأي عاطفة أو انفعال الذي يعكس تماما الهلوسة السلبية للعاطفة. وتؤكد Mc Daugall (1982) على هذه الخاصية الدفاعية التي

تمنح للفرد منذ الطفولة المبكرة الحماية ضد قلق فقدان الموضوع الذي لم يتمكن من عقلته بسبب غياب الإدماج الكافي للموضوع الامومي الحسن.

ليست الاكسييتيميا كخاصية حkra على الأشخاص المصابين بالاضطرابات السيكوسوماتية فقط، وإنما كما سبق الذكر لدى المدمنين. تظهر عند هؤلاء، وعند الغالبية منهم، من خلال خلل في إدراك الانفعالات وفي القدرة على اختبارها. تبقى هذه الخبرات أولية مجهولة ومنتشرة بالرغم من شدتها (Farges, 2002)؛ بالإضافة إلى صعوبة التعرف على الأحاسيس ووصفها، يكون التفكير لديهم متجه نحو الخارج ويرجع Zimmerman & al هذه الخصائص إلى ثلاث عوامل أساسية:

1. الميل نحو تجربة حالات الشدة الانفعالية اللامتمايزة التي غالبا ما ترتبط بصعوبة في تعديل

المشاعر السلبيه (Lane & Schwartz, 1987).

2. صعوبة التحكم في الوضعيات الضاغطة (Parker & al, 1998).

3. ميل متزايد نحو السلوك الادمانى (Guilband & al, 2003).

دفعت هذه الخصائص المحددة بدقة وعلى مستوى متعدد التخصصات إلى جعل الاليكسييتيميا سمة من السمات الشخصية. لكن بالمقابل كانت هناك قلة من الدراسات التي تناولت هذه الخاصية في مرحلة المراهقة نذكر منها دراسة Zimmerman & al (2006) حول الاليكسييتيميا وانحراف المراهق الذكر، دراسة Bregard & al (2005) حول الاليكسييتيميا والسلوك الخطر. ولهذه الأسباب يرى Zimmerman & al أنه بات من الضروري قياس وتحديد هذه السمة خلال المراهقة بالنظر إلى التغيرات الجسمية، النفسية والاجتماعية التي ترافقها وتؤدي إلى حالة من التثبيط الانفعالي التي تواكب التجارب الجديدة، وهذا ما أكدته الدراسات بأن المراهق يعتبر أكثر عرضة إلى اختبار ومعايشة تجارب انفعالية شديدة على الدوام أكثر من الطفل والراشد.

تتصادف مرحلة المراهقة مع نضج الجهاز الهرموني العصبي والمعرفي الذي يدعم نمو التعديل الانفعالي. يمكن أن تكون الاليكسييتيميا عاملا محفزا ينطوي ضمن العديد من الأشكال النفس-مرضية خلال المراهقة. من هنا يمكن القول بأن التعبير الانفعالي بمختلف أشكاله السوية واللاسوية يخضع لمبدأ النمو فيكون سبيل لتفسير تصرفات المراهق أو تجاوزها.

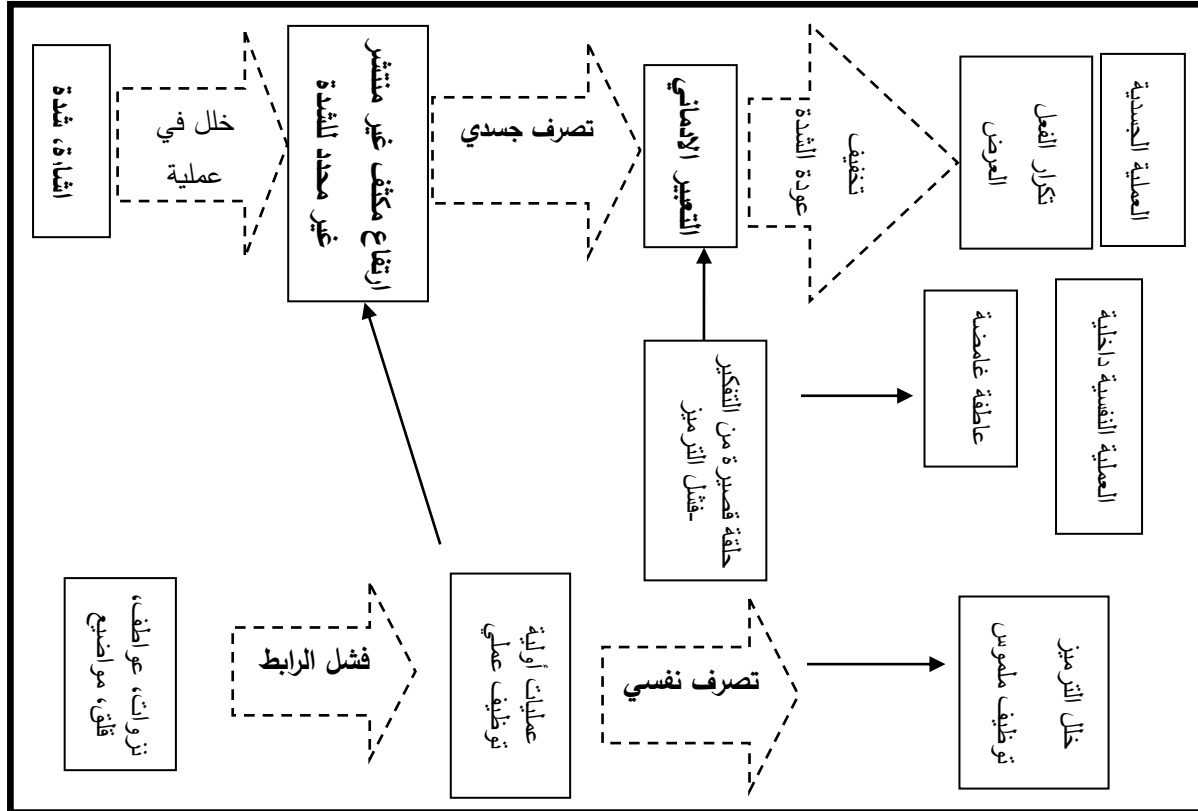
تنطوي خاصية الاليكسييتيميا ضمن جملة من أنواع التوظيف النفسي، من بينها التوظيف النفسي للمدمن. أطلق Sztulman (2010) عليها تسمية رقعة الشخصيات الحدية التبعية، حيث يكشف التوظيف

النفسي لديها عن إشكاليات مرتبطة بهشاشة الأنا وتتجسد في:

. هشاشة النرجسية والأنا.

- . عرضية الارصان الأوديبى الذي يفسر الرجوع الضعيف إلى آليات دفاعية ثانوية عصابية.
- . الدفاعات الأولية: الانشطار المرور إلى الفعل.
- . الفمية.
- . الصدمة النفسية.
- . إشكالية ارصان فقدان.

ويرى Acklin (1990) في دراسة حول هذه الخاصية بالاعتماد على اختبار الرورشاخبأنها ترجع إلى خلل في ارصان العواطف الأولية، وخلل في عمل الارتباط وخلل في التصورات العقلية. فالتفكك ما بين العاطفة التصور يفسر غياب الرابط المتجانس لدى الفرد المدمن مع مواضيعه الخارجية وبالتالي فان العودة المستمرة والمتكررة للمخدر تفسر سلوك التبعية المفعول عن طريق الجسم (تأثير المخدر. أحاسيس قوية، استثارة، الم)، الأمر الذي يدفع إلى التفكير في فعل الإدمان ضمن أمراض الرابط. وعند المراهق المدمن تكون الحلقة الادمانية في صلب الخلل الرمزي وهذا ما يفسره المخطط الذي طرحه كل من Khemiri et Derivois (2011).



(Khemiri et Derivois, 2011, p.38)

مخطط رقم 6: السلوك الإدماني (العمليات النفس داخلية-جسدية)

يضيف (Farges & Farges, 2002) أن الإكلينيكيين يفرقون بين التكتم كحالة والتكتم كسمة. ويكمن الفرق في البعد الزمني، حيث الحالة مؤقتة ومرتبطة بوضعية معينة، أما السمة فهي ثابتة في الشخصية ومستمرة في الزمن. وفي هذا الاختلاف سمة/حالة هناك تركيبات عيادية مقاربة ولكنها مدعومة بمفاهيم سببية مرضية مختلفة، ونظرا إلى الطرح السابق فإن دراسة هذا المتغير يتطلب إعداد أدوات عيادية خاصة لقياس بعد التكتم وفي سياق البحث عند المدمنين.

أجرى (Ziolkowki, 1995) دراسة على مجموعة مكونة من 50 رجل بمتوسط عمر يقدر بـ: 41 سنة، مدمنين على الكحول، حيث استخدم سلم تورينوتو للتكتم TAS، توصل خلالها إلى أن الاليكسيثيميا مؤشر للانتكاسة لدى الأشخاص الذين يعانون من الإدمان على الكحول.

وفي الدراسة التي نشرت سنة 1990 (Taylor, 1990) باستخدام نفس السلم السابق وMMPI وBDI اختبار مينوسوتا وسلم الاكتئاب، طبقت على عينة مكونة من 44 رجل متوسط السن لديهم 37.7 سنة يعانون من الإدمان على الأدوية النفسية وفي حالة استشفاء من يوم إلى 7 أيام للإقلاع عن الإدمان. حيث خلصت النتائج إلى أن 50% منهم الكسثيمييين، وبالتالي يمكن القول أن الاليكسيثيميا مركب استعدادي للسلوك الإدماني (تناول الكحول أو الأدوية النفسية)، بإمكانها أن تعوض الخلل في الأنظمة الدفاعية وفي قدرات الأنافي التحكم وتعديل الانفعالات والنزوات مقابل وجود الحصر، الاكتئاب والأعراض الجسدية كمركبات ثانوية لعدم قدرة هؤلاء الأفراد على التحكم وتعديل العواطف المؤلمة.

كما كشفت الدراسة التي أجريت بايطاليا من طرف (Troisi, 1998) باستخدام TAS (بالإضافة إلى مجموعة من الأدوات الأخرى من بينها المقابلات) مع مجموعة من الشباب متوسط العمر لديهم 20 سنة، يستهلكون القنب الهندي، وخلال الفحوصات المتعلقة بالقبول في الجيش. تضمنت المجموعة المكونة من 133 شاب من بينهم 29 مدمنين، 59 متعاطين، و45 منهم متعاطين عرضيين. وخلصت النتائج في سلم التكتم أن 41% من المدمنين اليكسيثيمييين، مقابل 19% للمتعاطين و11% للمستهلكين العرضيين.

المبحث الثاني: المرور إلى الفعل نحو الآخر:

يتحدد مفهوم الفعل في هذا الجانب بالاتجاه نحو المواضيع الخارجية. والتي تأخذ رمزيتها من طبيعة العلاقة بالمواضيع الأولية. يقع الخيار بالتفريغ الخارجي وفق محددات معينة تتحكم في الحركة النزوية اللبديية والعدوانية التي تتغذى على سيناريو الهومات المشبعة بنزوة الموت والتدمير. يأخذ الموضوع الداخلي المههد للتكامل النفسي مكانة محورية في تبلور سياق الفعل، وتشكل خصائص الموضوع وطبيعة العلاقة التي تأسست في مراحل مبكرة لدى الشخص أهم المحددات التي تصف السلوك الذي ينتجه الفرد

خلال الفعل (الاندفاع، العدوانية، العنف، التدمير)، كما تعكس الرغبة في القضاء على الموضوع الخارجي وإفناءه شدة وقوة الصدمات العلائقية التي عايشها الفرد. بهذا التصور يقدم المراهق على ارتكاب الفعل أي كان نوعه (السرقه، الاعتداء الجنسي، القتل، العنف) رغبة منه في تجاوز تهديد المواضيع الداخلية الصدمية المهدة، أو لاحتواء الإيثاره الناجمة عن تلك الحقيقة الداخلية التي تزاوجت مع عملية البلوغ. أو حتى للبحث عن تكامل نفسي-جسدي تتحقق من خلاله عملية التقردن التي تشكل أول وأهم المسؤوليات التي يتعين على المراهق القيام بها في هذه المرحلة. يبقى الفعل نحو الخارج يشكل معضلة كبيرة في مجال علم النفس من ناحية البحث عن تصنيف له (السواء واللاسواء)، من ناحية المسببات المرضية التي يتعين على المشرفين على المراهق التصريح بها لإيجاد سبل التكفل الأمثل بعيدا عن التداخل مع المجالات القانونية، العقابية، الاجتماعية.

تحت هذه الرؤية يتم عرض أشكال من الفعل المنحرف المتمثلة في: الاعتداء الجنسي، القتل، والسرقه، بهدف إبراز خصوصية كل نوع والوقوف على التداخل الحاصل بينه وبين مرحلة المراهقة. أو بلغة أخرى المكانة التي يأخذها الفعل في عملية المراهقة، بهدف البحث عن نموذج نفسي-إجرامي للفعل يسمح بتوحيد الآراء.

I-الاعتداء الجنسي:

يطرح التحليل النفسي بنية الفرد ضمن سلسلة من التصورات التي تسجل على مستويات متعددة: نفسية-جسدية-علائقية من النمو النفس-جنسي، يترتب عن هذا التسلسل تبلور الهوية الفردية مستقبلا. وتتوقف مجمل العمليات النفسية للنمو خلال كل مستوى على التركيبة الداخلية للطفل مقابل الطبيعة العلائقية التي تربطه بالمواضيع الأولية.

بداية تتمايز هوية الأنا تبعا لعلاقة فمية يسيطر عليها طابع الإشباع البيولوجي وحالات اللذة/الراحة التي يوفرها الموضوع الأولي أم-ثدي. يتحرر الأنا تدريجيا فيما بعد من حالة اللاتجزئة وتبعاتها أين لا يكون الطفل عرضة فقط لتبعية وجودية كاملة بل ولاستثمار نفسي-جنسي تحكمه المنعكسات والأحاسيس الجسمية الأولية المتمركزة في المنطقة الشبقية.

ينتقل فيما بعد الاستثمار الجسمي نحو المنطقة الشرجية، تلعب المادة الوسيطة (البراز) بالإضافة إلى الموضوع الخارجي دورا فعالا في إسناد الطفل لتجاوز قلق الانفصال وارسان نموذج تعلق سوي وقواعد نرجسية صلبة. يستمر الطفل في صراعية علائقية تأخذ هذه المرة صبغة جنسية على اعتبار أن الشبقية متمركزة في المنطقة الجنسية الراشدة. لا يمكن بلوغ هذه الأخيرة من دون المرور بعملية البلوغ

التي يعتبرها فرويد (1905) مرحلة تحول نفسي جذري، فهي محطة حاسمة في مستقبل الشخصية الراشدة. يتطلب من الطفل إدماج التحولات أو التغييرات الناتجة عن البلوغ في مخطط التمثيلات وبدائل بناء الهوية، الأمر الذي

يحمل الجنسية الطفولية باتجاه صيغتها النهائية.

يقسم Gutton عملية البلوغ إلى مراحل مختلفة: "البلوغ بالنسبة له هو المعادل النفسي للبلوغ ويعني الالتزام البلوغي بتوظيفاته وتوظيفاته المضادة التي تهدف إلى نزع الطابع الجنسي للتصورات المحرمة (زنا المحارم) المؤدية إلى اختيار الموضوع المحتمل المناسب. والمراهقي ويعني عمل الارصان الناتج عن البلوغي، أين ينزع الطفل الطابع الجنسي للعنف عن نزواته، وينتقل إلى عمل ذاتية وتاريخية الفرد" (Gutton, 2012, p.13).

مع مجيء البلوغ تتداخل الإثارات، القلق والمخاوف الناتجة عن هجر معالم وتقمصات الطفولة والتعديلات النزوية. يمكن أن تظهر العلاقات الجنسية الطفولية والعلاقات الجنسية خلال المراهقة من جديد وفيما بعد بشكل صدمي. فالحدث البلوغي يجنس الذكريات الطفولية التي لم تدرك حتى اللحظة الراهنة كاحتمال جنسي (Lauru, 2004).

يتم تناول الجنسية من طرف التحليل النفسي في نطاق واسع انطلاقاً من اعتبارها ووفقاً للمنطقات الأولية نفس-جنسية، وحين ذاك فهي تتشكل من هوامات واعية وغير واعية تهدف إلى توليد اللذة. تتجاوز إشباع الحاجات الفسيولوجية وتغطي إثارات ونشاطات مختلفة عند الفرد. على غرار هذا لا يمكن فصلها أي الجنسية عن بناء الفرد" يتشكل الفرد عن طريق جنسيته" (Ceccarelli, 1995, p.205). حتى لو اعتقدنا بوجود ذكورة وأنوثة مرتبطة مسبقاً بالجانب التشريحي البيولوجي لا يتوقف هذا التفاعل الدينامي ما بين الجسمي-النفسي والنفسية-الجنسية. حيث يتطلب الأمر حسب Green (1975) وجود تمثيل جنسي داخلي لكل هذه الأبعاد. فحسبه أن كل ما يتم تمثيله في الثنائية الجنسية ليس جنس الآخر، بل ما نفعله بجنس الآخر، وما يحمله جنسنا في نظر جنس الآخر.

تخضع الهوية لمبدأ التفردين، وتشكل الدرع بالنسبة للصحة النفسية فهي نتاج عمل التوحد النفسي الذي يضمن الإحساس باستقرار وتناغم الأنا (Molinier, 2002)، وتنطوي الجنسية ضمن هذا العمل وتتطلب هي الأخرى إضافة إلى الوجود المتزامن لتمثيلات الأنوثة والذكورة والية النشاط/ الفتور استثمارات متوازنة مع المواضيع الأولية حتى تضمن فعلاً جنسياً سوياً.

1- منشأ الفعل الإجرامي الجنسي:

بعد مد وجزر بين علم الإجرام، علم النفس الإجرامي، وعلم النفس المرضي الإجرامي حول الخلفية التي يجب أن تعتمد لفهم الفعل الإجرامي الجنسي. منح Bessoles للمنشأ النفسي مكانة جوهرية لفهم "مركب المنشأ الإجرامي" للفعل الجنسي، معتبرا "عدم وجود معتد جنسي وإنما معتدين على الجنس" (Bessoles, 2006, p76). وفي محاولة منه لتأكيد هذا الطرح يستشهد بالمحطات التطورية التاريخية التي قامت على دراسة الفعل الجنسي الإجرامي. فمثلا يعرف Esquirol الأمراض الجنسية بالهوس الغرائزي الأحادي بمعنى الهذيان الجزئية. أما Pritchard فيعتبرهم "مجانين أخلاقيين"، وي طرح Lambroso فرضيته الرجعية أين يؤكد على العيب الوراثي الذي يقف خلف هذا النوع من الفعل. ولأول مرة يتحدث Krafft-Ebing عن الشذوذ الجنسي. وتحت هذه الخانة يعتبر Moll الاعتداء الجنسي ضد الأطفال على أنه تشويش حسي بمعنى شذوذ للغريزة مقابل الموضوع.

من جهته استمر Ellis بالبحث حول التشويش الحسي وقسمه إلى مجموعتين: الشبقية الرمزية والجنسية المثلية. أما من ناحيته فقد فضل Hesnard إرجاع الاعتداء الجنسي ضد الأطفال إلى شذوذ في الهدف وليس الموضوع. ومؤخرا يمكن الحديث عن Aulignier 1975، Balier 2008، 2005، 1988، Ciavaldini 2003، 2005، الرواد في دراسة الفعل الجنسي تحت غطاء الثلاثية شذوذ/ شذوذية/ ذهان. مما سبق يمكن الإشارة إلى أن المحاولات التي سعت إلى إيجاد تفسير علمي دقيق للفعل الجنسي الإجرامي بشتى أشكاله لم تستطع تبرير موقفها دون الرجوع المباشر والحتمي للمنشأ النفسي باعتباره الدعامة الأساسية التي يجب الوقوف عليها لفهم هذا النوع من الفعل وتحديد معالمه الداخلية وهو ما تعلق بالنواة المركزية في الشخصية، والخارجية المرتبطة بطبيعة الموضوع والهدف الذي يرجى بلوغه.

2- تعريف الاعتداء الجنسي:

ورد تعريف جريمة الاعتداء الجنسي في القانون الجزائري في المواد 334-37-337 ضمن جرائم العرض على النحو التالي:

"هو الفعل الفاحش الذي يقوم به الشخص عمدا ضد شخص آخر من أحد الجنسين دون رضاها الظاهر والمفترض في بعض الحالات. وقد ورد في هذا الصنف من الاعتداء في قانون العقوبات تحت عنوان انتهاك الآداب، وفيه حالتين: الاعتداء المصحوب بالعنف، والاعتداء المجرد من العنف".
(http://droit7.blogspot.com/2013/10blog_post_9741.htm)

وتتفرع من هذا الباب جرائم الزنا، اللواط، والاعتداء الجنسي على الأطفال، التحرش الجنسي، والإكراه الجنسي، والبغاء وزنا المحارم.

أما من وجهة نظر الجهات الحكومية الكندية فهي تأخذ الاعتداء الجنسي ككل "فعل ذو طابع جنسي مع أو دون احتكاك جسدي مرتكب من طرف شخص دون رضا الشخص المستهدف. في بعض الحالات خاصة الأطفال، بواسطة مساومة عاطفية أو ضغط. فهو فعل يهدف إلى إخضاع شخص آخر لرغباته الخاصة بواسطة السلطة، استخدام القوة، أو الإكراه. تحت التهديد الضمني أو الصريح. ينهك الاعتداء الجنسي الحقوق الأساسية للإنسان بما في ذلك السلامة البدنية، النفسية والأمن الشخصي. وينطبق هذا التعريف على كل فعل ذو طابع جنسي مهما كانت طبيعة العلاقة التي تربط بين الضحية والمعتدي عليها" (Guénette, 2012, p.4).

إن الاعتراف بحدوث الاعتداء الجنسي الذي يتطلب تطبيق القانون، ومن خلال ما جاء في التعاريف يستدعي الوقوف على بعدين أساسيين، يتعلق البعد الأول بطبيعة العلاقة التي تربط المعتدي بالضحية، والبعد الثاني طبيعة الفعل الجنسي المرتكب. وبالضرورة تؤخذ العلاقة طبيعة تسلطية يفرضها المعتدي على الضحية سواء عن طريق الإغراء أو عن طريق السلطة. يرجو المعتدي من خلالها توليد إثارة جنسية أو يعتدي بعنف دونما احترام للنمو النفس-جنسي للضحية، فهي بالنسبة له مجرد موضوع تسلط أو تحكم.

وأما طبيعة الفعل الجنسي في حد ذاته فيتضمن استخدام المعتدي للضحية كمصدر للإثارة والإشباع الجنسي مهما تمثلت إجراءات الفعل (ملامسة، تحرش، اغتصاب...).

بالنسبة للرخاوي يعتبر انحرافا جنسيا كل استعمال للجنس دون الوفاء بمواصفاته الإنسانية الأحدث أو في غير ما يؤدي ووظيفته البشرية. الجنس الذي يكون فيه الألم أكثر من اللذة. بحيث يصبح فعلا طاردا ولاجاذبا لمن يمارسه هو انحراف (المازوشية)، والجنس الذي يحل فيه الجزء أو الرمز محل الشخص كله يعتبر انحرافا (الفيتيشية أو التوثين)، والجنس الذي يتحقق من غير البشر يعتبر انحرافا، والجنس الذي لا يحتمل أن يحقق وظيفة التنازل ويكتفي بوظيفة التواصل يعتبر انحرافا (الجنسية المثلية)، والجنس الذي لا يرتبط بآخر إذ يلغيه أو يستعمله مسقطا عليه ذاته لا أكثر (يصبح نوعا من الاستمنا من خلال الآخر) يعتبر انحرافا، والجنس الذي يمارس عن طريق القهر بأنواعه ضد كل مستويات الإرادة يعتبر انحرافا (الرخاوي، 2019).

3-سببية المرور إلى الفعل الجنسي عند المراهق:

تشكل المراهقة باتفاق الباحثين مرحلة حرجة في حياة الإنسان. يتم فيها اختبار ما تم استدخاله خلال الطفولة، فالرصيد النفسي الذي تشكل سابقا يتعرض للاحتكاك والتفاعل المباشر وبصورة حتمية مع التغيرات الجسمية الفسيولوجية لمرحلة المراهقة. وضعية كهذه تستدعي حسب Houffmann "عملية اختيار بالنسبة للمراهق أين يكون الموضوع هو جنسيته... يشعر المراهق جراء هذه المحطة الجنسية بالقلق ويسمح المرور إلى الفعل وحده بالنجاة من هذه الوضعية، فهو تقوية لإحساس الفرد في صلب أنا أكون" (Houffmann, 2012, pp.8.9).

يشكل الفعل الجنسي صيغة من صيغ المرور إلى الفعل التي تظهر بأشكال مختلفة ونسب متفاوتة حسب طبيعة وتركيبية المجتمع الذي تظهر فيه، الأمر الذي دفع إلى ضرورة استعجال البحث حوله مقارنة والتنامي المستمر له. على غرار هذا ارتأ الباحثون الوقوف على الدوافع التي تقف وراء الفعل الجنسي لدى المراهق، فكانت العديد من الأطروحات التي حاولت تفسير هذه الحوافز المرتبطة ارتباطا وثيقا بالاعتداء الجنسي.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسات الإكلينيكية حول الاعتداء الجنسي أخذت الكثير من الوقت حتى تهيكلت وانتظمت، حيث جاءت إسهامات كل من Gebhard et al 1965، و Groth et al 1979 للإجابة على التساؤل حول الدوافع الظاهرة والكامنة للمعتدين جنسيا. كما ركزت تلك التي أجراها Shoor et al (1962) و Lewis et al (1979) على استكشاف عالم المعتدين المراهقين (Dozois, 1994).

أما من ناحية الدوافع التي تقف خلف هذا النوع من الفعل وبالتحديد في مرحلة المراهقة فقد كان لكل من Becker 1994، Dorios 1997، Burton et al 2002، Thomas et Fermow 2004، و Seto et al 2010 وجهة نظر قائمة على مفهوم دورة إعادة إنتاج الفعل أو انتقال الإيذاء الذي يعتبر كظاهرة عبور من وضعية الضحية إلى وضعية المعتدي. نتحدث هنا عن تكرار اضطراري للفعل الجنسي يتيح للمعتدي المراهق الإحساس بالسيطرة والتحكم خلال المرور إلى الفعل، يمكن لهذا التفسير أن يفهم كآلية تعلق أو تقمص بالمعتدي.

من الناحية العيادية يمكن قراءة هذه الحالة على هامش الاضطرابات التالية للصدمة. فحين يتم الاعتداء على الطفل من طرف البالغين (وفي الأغلب من المحيط القريب منه) تحدث عملية التقمص لاشعوريا -تقمص لفعل الاعتداء- أو أعمق من هذا تقمصا بالمعتدي. تولد عن عملية قلب النزوة إلى الضد (Sabourin, 2009)، وهي "الحالة التي يتحول فيها هدف نزوة معينة إلى ضده بالمرور من النشاط

إلى الفتور والعكس، يتحول الفتور إلى نشاط ويرتد على الآخر انطلاقاً من الشخص ذاته. فهي ارتداد من الأنا إلى الموضوع" (لابلانث وبنطاليس، 2008، ص.411). وفي وضعية الاعتداء الجنسي وبسبب عدم نضج أنا الطفل بعدما كان في حالة فتور يصبح في حالة نشاط.

تطرح Ferruta (2009) مفهوم التقمص بالمعتدي وفق توجيهين مختلفين ومتكاملين. يركز توجهه Ferenczi (1932) على الجانب العلائقي ويمنحه وضعية مركزية للفهم، وتأخذ A. Freud (1936-1972) بالجانب البنوي. ولعل تركيزنا سيكون أكثر على التوجه الأول.

يرى Ferenczi بأن التقمص بالمعتدي هو الآلية النفسية التي يقوم فيها الفرد بإلغاء ذاتيته ليصبح بالتحديد ما يريده الآخر، وبما أن حاجة الراشد تسود على حاجة الطفل يلجأ إلى تقسيم الذات ضحية الاعتداء للمحافظة على هامش من الحياة النفسية. يصنف Joseph Sandler & (1983) التقمص بالمعتدي في خانة الدفاعات المرتبطة بالعلاقة بالموضوع التي تستدعي قلب الأدوار ومزيج من التقمص الاسقاطي. التوظيف النفسي الذي يسمح بالإبقاء على الرابط مع الأجزاء المسقطة (Ferruta, 2009).

يشكل الاعتداء الجنسي في المراحل المبكرة من حياة الفرد عامل خطر في احتمال إعادة ارتكاب الفعل، وهذا من خلال التمسك بآلية التقمص بالمعتدي. وهو ما يجعل الفرد أكثر استعداداً لإعادة إنتاج ما عاناه سابقاً، ولكن وفقاً للثنائية نشاط/فتور يميل الفرد إلى الشروع في الفعل الجنسي بمقابل التخلي عن وضعية الضحية.

كما ذهبت الدراسات إلى القول بوجود علاقة سببية بين الاعتداء الجنسي في مرحلة الطفولة والانحراف الجنسي المستقبلي. وشكلت الهوامات الجنسية المنحرفة إحدى العوامل النفسية الداخلية الأكثر مساهمة في فهم السلوك الجنسي ومؤشراً دالاً على العود الجنسي (Salter et al, 2003، Lambie et al, 2002). يعيد الضحية إنتاج الفعل بواسطة التقمص بالمعتدي في محاولة منه لتجاوز الصدمة سواء بإعادة الاعتداء أو بالتقليد الجسدي والمعنوي للشخص المعتدي، أو بتبني بعض رموز القوة التي تشير إليه. وتعكس الهوامات الجنسية المنحرفة (FSD) والمرور إلى الفعل الجنسي التقمصي محاولة الفرد للتغلب على المخاوف، حيث يقوم ببناء سيناريوهات هوائية راهنة لإغلام بعض الجوانب لاستثارة الإحساس بالتحكم والسيطرة وتعويض الإحساس بالعجز والسلبية التي سببتها الصدمة. يشير الميل نحو هذه الآلية إلى هشاشة هوية الفرد لحظة الاعتداء وإلى شدة الصدمة (Pilon, 2015).

من جهته Dorias أكد على السببية القائمة على إعادة إنتاج الفعل الجنسي من طرف الضحية، فالمبرر الأساسي لتلك إعادة حسة هو الاستراتيجية الكيفيتين التي تضمنها. استراتيجية العابر Passeur، واستراتيجية المنتقم Vengeur. أما الأولى فتسمح للمراهق الذكر بالمعالجة الرمزية للصدمة والخروج رمزياً

منتصرا من الاعتداء المرتكب ضد الآخر، والثانية تبرر نية الانتقام بالاعتداء على شخص آخر (Dorias, 1997). واعتبر Sioui أن الاعتداء الجنسي خلال المراهقة يمكن أن يتم من خلال أربع أشكال تشكل محركا أساسيا لوقوعه وهي:

- ✓ الفعل باعتباره تسوية حساب: وهي نفسها الاستراتيجية التي وصفها Dorias باستراتيجية المنتقم.
- ✓ الفعل باعتباره خطوة جريئة: حيث يؤكد المراهق وجوده من خلال فعل الاعتداء. بل ويستعمل لسد الفراغ العلائقي مع المواضيع الخارجية.
- ✓ الفعل باعتباره منفذ: نظرا لكونه ضحية اعتداء سابق، فإن المراهق يميل إلى استحداث الفعل للتخفيف من الوصم الاجتماعي الذي يلاحقه. الأمر الذي يفسر قلب الأدوار؛ الضحية يصبح معتدي.
- ✓ الفعل باعتباره لذة تعويضية: يمثل الفعل في هذه الحالة لذة أو إثارة يهدف المراهق من وراءها إلى التخفيف من الإحساس بالقلق وكسر الروتين اليومي. تنتشر هذه الحالة لدى المراهق الذي عانى من صدمات أو تجارب حياتية محبطة. الأمر الذي يفسر عدم الارتباط وبالضرورة بين التعرض للاعتداء الجنسي في الطفولة وإعادة إنتاج الفعل مستقبلا (Sioui, 2007).

4- سيكودينامية الاعتداء الجنسي:

لا ينظر إلى المرور إلى الفعل الجنسي إلا من خلال العنف المرتبط بتغيرات المراهقة بالرغم من عدم وجود حتمية سببية مباشرة في معايشة التحولات الجسمية بطريقة عنيفة. لكن يبقى هذا النوع من الفعل مخرجا متاحا للفرار من عنف التحولات البلوغية.

يحاول Roman (2004) تفسير المرور إلى الفعل الجنسي المراهقي بتأييد وجهة النظر هذه بالاستناد إلى آراء مختلفة. فإعادة تنشيط الهوامات المحرمة وهوام قتل الأب تحت تأثير عملية النضج الجنسي ما هي إلا صورة من صور العنف خلال المراهقة حسب Marty (1997). وبما أن هذا المصير حتمي فإن المراهق يحاول التخلص منه بإقلابه إلى الضد " استثمار الفعل يسمح للمراهق بالفرار من تجربة كونه مفعلا بواسطة التغيرات المرتبطة بالبلوغ، وفي ذات الوقت دليل على القطيعة في عملية الارصان بالنسبة للنماذج أو المعالم الجديدة (نموذج نرجسي-هوياتي، وموضوعي تقمصي) (Jeammet, 1997).

يتم التفكير في الفعل الجنسي أثناء المراهقة من خلال إثارة الشدة بين تجربتين مختلفتين في سجل الصدمة: الصدمة البلوغية الخاصة بالمراهقة، والصدمة المتورطة في الفعل العنيف (Roman, 2004).

يبدو أنه من الصعب أن يقوم بالفصل بين التجربتين السابقتين، فالبلوغ بكل ما يحمله من دلالات نفسية مصيرية يستدعي تجنيد كل الإمكانيات الذاتية والعلائقية لمواجهة، وحدث الفعل في هذه المرحلة بالذات يستدعي التساؤل حول الأنماط الدفاعية التي يعتمدها المراهق في مواجهة هذا التهديد المزوج.

وأين يمكن تصنيف صدمة الفعل مقارنة والصدمة البلوغية؟ وهل يمكن إيجاد تفسير لها انطلاقاً من إطار مرجعي ضمن الثنائيات: الأنا/ الموضوع، الذات/ الآخر، المعتدي/المعتدى عليه أو الضحية؟ هذه المرة جاءت الإجابة من الدراسات المعمقة التي أجراها Balier على المعتدين جنسياً. واستعرضها في مؤلفه تحت عنوان " التحليل النفسي للسلوك العنيف" بالرجوع إلى تسلسل مفاهيمي مرتبط بمستويات ثلاث. أين طرح فكرة الشذوذ الجنسي التي يصنفها ضمن المستوى الأصلي، كون التوظيف النفسي لها يرجع إلى مستويات بدائية لدرجة قربها من الذهان. لكنه يصادف تعقيداً كبيراً مع التشكيلات النفسية المنتمية إلى الفئة الحدية، فقد اعتبرها ذهانات باردة أو بيضاء. تحت تأثير الشغف الجنسي تدور الجنسية باعتبارها نمط اقتصادي حول نرجسية قضيبية يكون فيها الفرد مدفوعاً نحو طريق عنيف كما لو كان متملكاً بواسطة قوة خارجية. يسمح الغياب الكلي للتعاطف بتحقيق الفعل العنيف، وينعكس هذا الغياب مكان الجزء الهش داخل الفرد. يتم طرحه ومهاجمته في المشهد الخارجي بواسطة انشطار الأنا مقابل الميل الوشيك نحو التفكك الذهاني، وهي اللحظة نفسها التي يتم فيها إلغاء الحياة النفسية واستبدالها بمشهد خارجي حقيقي.

إن استكشاف الهوامات المهيأة للفعل الجنسي العنيف بإمكانها أن تكشف المشهد الأصلي لحظة ظهورها، يؤدي هذا المشهد إلى توليد قلق العدم الذي لا يستطيع الفرد تحمله. فمثلاً في حالة الاغتصاب فإن الهلوسة السلبية لمشهد شديد الاستثارة وصدمي يتولد لحظة بروز فكرة الاغتصاب. على غرار السيرورات النفسية العميقة التي خلص إليها Balier (1990-1996) في دراسته لعدد كبير من المعتدين بحكم عمله كخبير في المحاكم الفرنسية، فإن المستويات الثلاثة التي ذكرها سمحت بتصنيف وتفسير أشكال من الفعل الجنسي العنيف (Boucher, 1998). ففي السجل الأصلي الذي يرجع إلى ما سماه Balier بالشذوذ الجنسي القريب من الذهان كما سبق القول، وليترجم كمقاومة ضد الإبادة، ليس هناك أي تصور في مواجهة التهديد الذي يشكله الفراغ. من الناحية السببية يشير Balier بأن المنتمون لهذا المستوى يجدون أنفسهم أمام خطأ وجودي في نظر أوليائهم، وينحدر منهم أولئك الذين يقدمون على أفعال جنسية أكثر عنفاً تترجم بإبادة الضحية؛ ومثال ذلك حالة الاغتصاب "اللاتمايزي" (سواء من ناحية جنس الضحية/ أو أنماط الإيلاج). فالتحدي يكمن في مقايضة العلاقة اختراق/مخترق وكآلية الحدود، كون هذا المستوى يرجع إلى نقص الاعتراف في نظر الوالدين وبالأخص الأم. وينطوي ضمنه كل الأفعال الجنسية العنيفة ضد الأطفال (سفاح القربى، أو البيدوفيليا، الاغتصاب مع قتل الضحية، اللواط).

يفهم الفعل الجنسي ضمن السجل الأولي من خلال إشكالية البحث عن المثل الآخر على أمل بلوغ حب الأم باعتباره الموضوع الأولي الذي فقد وظيفته في تحقيق الإشباع، وعلى مستوى الذات كموضوع داخلي غير

مكتمل التكوين. تتشكل سيرورة الفعل في المستوى الأولي بالبحث عن الرغبة بداخل إنكار وضعية الموضوع. ويصنف ضمن هذا السجل التحرش الجنسي وبالأخص على ضحايا في مرحلة ما قبل البلوغ. يطرح Balier سجلا ثالثا يصنف فيه الفعل الجنسي ضمن حالة العصاب، ويفهم بمنطق الثنائية: العلاقة الجنسية/المحرم انعكاسا لوجود أنا أعلى مقابل المركب الأوديبي. أنماط الفعل في هذا المستوى هي زنا المحارم مع وجود تعلق عاطفي بالضحية.

إن اعتماد Balier (1996) على الخلفية التحليلية لتفسير الفعل الجنسي سمح بطرح نماذج نفس-مرضية متنوعة أمطت اللثام عن ديناميات نفسية عميقة لدى القائمين بالفعل، إن فهم هذا الأخير بهذه الصيغة وعن طريق العوامل التي طرحت يتماشى مع مفهوم الرغبة وتجلياتها الذي طرحته Klein (1957). الرغبة الأولية التي تشكل جزءاً من التجهيزات الغريزية في المراحل الأكثر بدائية وتلتقي في جانب منها مع مفهوم الانحراف "Déflexion" في نزوة الموت، تكون الرغبة في الوقت ذات هي غريزة الحياة (عن طريق معرفة الحاجات والاندفاع نحو الموضوع) وغريزة الموت. تسمح حالة الإشباع بتموضع حسن تستثمر العلاقات مع الموضوع ومع النمو يستحسن المراحل الليبيدية والاندفاعات التي تهدف إلى إقامة علاقات حب مع الموضوع، ولكن في حالة ما إذا كانت عمليات تكامل الأنا لا تستطيع تهيئة موضوع حسن ومحبوب يتواجد بعيداً عن الموضوع السيئ عن طريق الانشطار، تأخذ الرغبة حينها شكل مرضي يتجسد في هجوم تدميري وعنيف (Ravit , 2004).

يعالج Bouchet-kervella (2001) موضوع الاعتداء الجنسي ضد الأطفال بالاعتماد على التقاسير السابقة لمفهوم الشذوذ والشذونية. في حالة يسمح الطفل للمعتدي يتقمص أم مثالية تعكس له تأمين تكامله الجسدي ومثاليته، يعاش ذلك الطفل كمثيل خارجي حيث الجمال مثالي والشبقية مفرطة، ويتيح إنكار الاختلاف بين الجنسين وبين الجيلين التحكم في الإحساس غير المحتمل للإقصاء من المشهد الأولي وإعادة بعثه في شكل نمط لفعل نرجسي، وتهدف التبادلات ذات الطبيعة الأمومية أكثر منها الجنسية إلى تجسيد تصور للتكامل بين الأم والطفل الذي لا يريد ولا يستطيع المعتدي التصريح بها. ربما لكونها مفقودة منذ عهد بعيد. كذلك فإن الدفاعات تكون متمركزة حول الرجوع إلى التدمير والصدمات البدائية غير واردة بسبب استبعادها عن النفس وتأثيرها المضطرب بواسطة انشطار جذري وإنكار للعواطف المقلقة. ويخص القلق هنا حالة إبادة رهيبية، لا مبررة، للخط الفرد/الموضوع في العلاقات مع الآخر، ويقوم تمثيل الهوية على مثالية القدرة القضيبية المرممة.

أما في حالة الشذوذية فتدرك الضحية بكونها ضعيفة وسلبية، وهذا ما يعيد إحياء المعاشات الطفولية المأساوية. ويؤدي من جهة إلى اقتحام مفاجئ من طرف الانشطار الذي يشكل حماية للانا، ومن جهة أخرى إلى لحظة من الخط الذهاني داخل/خارج. يتم إلغاء هذه الحالة التي يطلق عليها Bouchet-Kervella مسمى التقمص المربك بواسطة تأكيد القدرة القضيبية (كما نصادفه في حالة الاغتصاب دون شبقية، أو بواسطة القتل بالقضاء على الموضوع الدال على عودة الآثار الصدمية). ويتم التقمص مباشرة بالصور الوالدية القاهرة والقاتلة (Bouchet-Karvella, 2001).

5- السياقات النفسية في خدمة المرور إلى الفعل الجنسي:

تبدو ظاهرة الاعتداء الجنسي من طرف المراهق للمختصين على درجة عالية من الغموض والغرابة. وتبعث إلى التساؤل حول حقيقة الدوافع والآليات التي خلفت هكذا نوع من الفعل. تجد هذه التساؤلات غايتها حسب (Roussillon, 2010) في علم النفس الإجرامي التحليلي، الذي يهدف إلى دراسة الفعل المنحرف، ويتجاوز هذه الغاية بالوقوف على بعد واحد إلا وهو البعد النفس-مرضِي بطرح إطار شامل ومتكامل. فهو يهتم بالفرد من ناحية تاريخه، حالته النفسية، المميزات الشخصية، علاقته بالضحية (السن، الجنس والروابط العلائقية)، سياق حصول الفعل والبعد السلوكية "العملي" له، الذي يشكل في الواقع ومن خلال الأنماط الملموسة للجريمة عبارة عن تفرغ للإثارة غير الخاضعة للعقلنة، ولكنها تقصح عن طريق الفعل عن شيء ما من إشكالية صدمية سابقة يتم تجاوزها، ولكنها بحاجة إلى وعاء خارجي يحتويها، كونها رسالة مؤقتة حتى من جهة جوانبها الأكثر تدميرا.

سوف نتطرق في هذا الجانب وبالاعتماد على وجهة النظر السابقة إلى السياقات النفسية التي تموضعت وتفاعلت في مرحلة الطفولة واستمرت مع الفرد خلال المراهقة إلى حين لحظة ظهور الفعل، ونعتبرها مساهمة بدرجة كبيرة في تحقيقه بالصورة والاختيار الجنسي الذي يقع من خلاله مقارنة والأشكال الأخرى من الفعل عند المراهق المنحرف.

5-1- التبعية في خدمة الفعل الجنسي:

يرجع الباحثون الاعتداء الجنسي وبالأخص حالة الاغتصاب خلال مرحلة المراهقة إلى سير متنوعة، لكنهم يصرون على التقائها ككل عند مسألة خلل عملية المراهقة على مستوى عملية الانفصال-التفرد الذي يأتي تحت طائلة مصطلح الذاتانية subjectivation. تتولد الذاتانية عن المصير النزوي وتعمل بواسطة: الرمزية، التحوير، الاستعلاء، عمليات تسمح بإحضار النزوة إلى النفس على شكل تصور وعاطفة (Goldberg et Givre, 2004).

ينعكس الخلل في الروابط الفردية الهشة التي فشلت في تشكيل الفرد ضمن موقعه داخلية متكاملة ومتآلفة، تظهر ميزات في الاختلاف الواضح عن سندها الخارجي، موجهة بواسطة أوديب قادر على التحمل النفسي للقلق وللصراعات المتأصلة للنمو النزوي والصدمات المبكرة التي أرهقت الطريق العقلي (ما قبل شعوري) الدفاعي والإرصاني الذي منذ ذلك الحين أصبح أقل قدرة على احتواء ومعالجة الإثارة النزوية. وبالتالي اللاتوازن في الثنائية تصور/إدراك.

يبقى هؤلاء الأفراد وبهذه الخصائص في حالة تبعية للتعديلات الخارجية، يفرضون في استثمار الإدراك. وفي الرجوع إلى الفعل كمسار لتدفق الشدة. وبالتالي يقعون في حالة تبعية للمحيط الموضوعي الذي يتم استدعائه ليؤكد احتواءه وعلى الأغلب تحويل أو نقل الرسالة المحتواة بداخل الفعل (Chagnon, 2014).

في مرحلة المراهقة يتموضع التساؤل حول مصير الفرد بداخل معالجة الواقع الخارجي على وجه الخصوص. يتم إعادة تنشيط الميكانيزمات البدائية التي يستدعي إليها التخوف من هذا الجسم الغريب والبحث عن مواضيع جديدة، يكون الهدف من هذا إحداث عملية إرصان رمزي للجسم بواسطة عمل الرابط ما بين النزوة والموضوع المناسب.

يقع الصراع حول الوجود. ويصبح الرهان هو المحافظة على استمرارية هذا الوجود والتناسق في صورة

الذات "يبدأ حينها عمل الحداد ليس فقط على الانفصال عن الأم ولكن أيضا على أجمل توقعات القوة النرجسية" (Goldberg & Givre, 2004, p.142).

تصبح المراهقة مسرحا لإعادة إحياء القلق الاكتتابي والانفصال المضخم بواسطة المواجهة مع الصراع الأوديبي والجروح النرجسية المترتبة عنه.

5-2-الاكتتاب مقابل الفعل كدفاع:

هو عملية فسيولوجية تكيفية. كما يعتبر لحظة من التذبذب في توازن الفرد أثناء مواجهة التغيير في استثمار المواضيع القديمة في شكلها السابق. يمكن اعتباره على الأقل من عوامل عملية النضج العادية وبالتالي لا يمكن فصل إشكالية الاكتتاب المراهقي عن التحولات الجسمية الخاصة بهذه المرحلة التي تعتبر مصدر لتذبذب الهوية (Dayan, 2011)، ليس هناك وبهذه الصفة حالة اكتتابية واحدة بل يشير Braconnier إلى وجود ثلاث نماذج للإشكالية الاكتتابية تعيد تنشيط ما حدث في المرحلة الأولى من الوجود.

✓ **اكتتاب الحياة:** عامل محوري لعملية المراهقة؛ من جهته Gutton يفضل تسمية هذا النوع بمفهوم الاكتتابية وتعني: "الجاهزية للإحساس بالعاطفة المكتتبه، والعملية التي تظهر من خلالها هذه العاطفة،

والنشاط النفسي في نظر الموضوع الغائب الذي يعتبر مفقوداً (Gutton, 2012, p231)؛ منظمة للنمو الفردي "يساهم الارصان الاكثابي في عملية تعديل الاستثمارات، يحمي من القلق الشديد والخطر الانتحاري. كما تساهم الاكثابية في إدماج الحركات النزوية الصراعية وتتيح تأسيس أنا متناسق" (Dayan, 2011, p.744).

✓ **اكتئاب التخلي:** يرجع هذا النوع إلى عنف الغياب، يشعر المراهق هنا بالفراغ؛ يشير Braconnier إلى وجود صراع بين الانفصال عن المواضيع الوالدية من جهة والارتباط الجديد مع الموضوع الجنسي. يكون أنا المراهق في هذه الحالة في حالة خطر، ويشعر بالإحساس بالتجاوز هذا ما يؤدي إلى إحساس بالعجز والتخلي، يصبح حينها الخطر الاكثابي سيد الموقف. هذا النوع من الاكثاب هو مقياس للفراغ الذي يشعر به المراهق إزاء العالم المحيط به، فيكون البحث المطلق عن الموضوع ومخاطر الاعتماد عليه.

يرى (Jeammet & Rufo, 1998) أن المراهق يتجنب هذه الحالة بالرجوع إلى الفعل. "المرور إلى الفعل الذي يكون نحو الذات أو نحو الآخر، مع الإحساس بالتخلي الذي يرافق المرور إلى الفعل، الآليات الدفاعية المستخدمة تكون من نوع: الإنكار والانشطار وهو ما يشير إلى خطورة السياق الماوراء نفسي المستخدم؛ فهي إعادة إحياء للإحساس بالتخلي الذي يظهر في مراحل مبكرة، والمراهقة باعتبارها مرحلة ثانية من الانفصال تعييد تنشيط هذا القلق" (Bonnot, 2009, p3).

✓ **اكتئاب النقص:** من مميزاته هشاشة الهوية وتقدير الذات المنخفض، اهتمام شديد بالجسم، ردة الفعل للدفاعية من نوع جنون العظمة لأنها تتولد عن متطلبات أنا مثالي عظيم (Braconnier & Close, 2008).

تبقى الحالات الاكثابية السابقة في حدود الوصف لا تتجاوز الطبيعة الصراعية التي ترافق عملية البلوغ والنمو المراهقي، ولا تبرز العلاقة الارتباطية بالفعل بالوضوح الذي نتحدث عنه بالرغم من أنها كذلك. فالفعل الذي يشهد على فشل في الارصان، استحضر القصور في الوظيفة الأولية العلائقية، في الاحتواء وصاد الإيثار، والنوعية السيئة للتبادلات العلائقية المعاشة خلال الطفولة (Mazoyer, 2012)، يأخذ صيغة دفاعية ضد حالات الاكثاب السابقة الذكر.

5-3- الخزي والإحساس بالذنب:

تكمن أهمية المراهقة بمقابل مراحل النمو الأخرى في حياة الإنسان في كونها الحاضنة الوحيدة لكمية هائلة من الإيثار ذات المصدر الجسدي التي تبحث عن الإشباع عن طريق لذة التفرغ. إن المصدر الجسدي لهذه الإثارة يجعل المراهق في حالة اختلال داخلي، ويضطره للقيام بعمل نفسي مهم مقابل المعاش العنيف الذي يترجم الصعوبة البالغة التي تواجهه في تعديل انفعالاته والتحكم فيها.

إن الإحساس بالخزي الذي يظهر خلال هذه المرحلة من العمر، ويتجسد في كوكبة من الانفعالات (الخوف، العجز، الغضب، الحزن، فقدان الأمل...) يعبر عن "جملة من المحتويات العقلية التي تطفو إلى السطح ضد إرادة الفرد" (Tisseron, 1992) بمقابل الآخر وبالصورة الجسدية التي يسعى المراهق جاهداً أن يسند لها دور الاحتواء لكل هذه الانفعالات.

يشير الإحساس بالخزي إلى حالة من الشدة ما بين الأنا ومثاليته، ويشهد على فشل الأنا بمقابل مشروعه النرجسي" (Raoult & Labrune, 2014, p.16)، بسبب فشل جهاز صاد الإثارات ووظيفة الاحتواء التي تلي تجربة الانفصال في أداء مهامها (Hermann, 1943). يهدف هذا النوع من الأحاسيس إلى تهيئة فضاء للسريّة والخصوصية النفسية تدريجياً، مصاحباً في ذلك عملية التفردن ليس على المستوى الكلي للفرد وإنما على مستوى المعاش الصدمي للمراقبة ولهذا عادة ما يليه مباشرة كمحاولة للترميز. يظهر الإحساس بالخزي في المواجهة المفروضة والحتمية للمراهق مع جسم جديد لا يستطيع التحكم به والسيطرة عليه. يسبق الإحساس بالذنب ويمهد له، فهما إحساسان مرتبطان ببعضهما البعض متكاملان. وفي الغالب يكون لهما نفس الوظيفة إلا وهي التخفيف من الأثر الصدمي، وبواسطتهما يصل المراهق إلى حالة من التحكم مقابل ما يفلت منه.

يعبر الشعور بالذنب عن "القلق المرتبط بعملية التقاطب، ويؤدي إلى درجة معينة من التكامل داخل الأنا. كما يسمح بالحفاظ على تصور حسن للموضوع وفي ذات الوقت فكرة تدميره" (Winnicott, 1962, p.40). مرة أخرى، يعتبر المراهق الحاضن والوسيط للعنف البلوغي الذي يزيد من الشدة النزوية ضد القواعد النرجسية وهشاشة دفاعات الأنا. يصبح هذا الأخير عرضة للعديد من القوى التي تنشط على مستوى سجلين اثنين: في

الأول يأتي الهجوم من الداخل ويتمثل في التصريح بإعادة جنسنة الصور الوالدية نظراً لإعادة إنعاش الأوديب، وفي الثاني يأتي الهجوم من الجسم الخاضع للبلوغ؛ والذي يتم معاشته كموضوع خارجي مهدد للتوازن. كل العنف النابع من اللبيدو ومن المواضيع الخارجية (الموضوع جسم، المواضيع الوالدية) يكون في حالة نشاط ضد الأنا، وهنا تتحدد قدرته بقدرة دفاعاته على حمايته من هذا الهجوم الذي يستهدفه.

وفقاً لهذه السيرورة، فإن الإحساس بالذنب الذي كانت آثاره سابقة في العلاقة مع المواضيع الأولية (الأوديب) وعاود الظهور مع الهومات الجنسية التي وجدت غايتها في التحرر النزوي المدعوم بلبيدو البلوغ. وتتزوج مع الإحساس بالخزي المرتبط بالصراع على المستوى الجسدي ونظرة الآخر لهذا الجسم الغريب والمهدد، للمحافظة على مكانة بنائية في عملية المراقبة. وبالرغم من شغف المراهق في ظل هذه الظروف بالاستقلالية وبناء الهوية الناتجة عن العملية الثانية للتفردن-الانفصال، وكذا تعديل مثاليات

الأنا وتقمصاته. فان الخطر يكمن في احتمال أن تأخذ هذه العملية النفسية مسارا مغايرا عما هو مرغوب، وتدفع إلى إحداث تغيير في الاقتصادية النزوية التي تتغذى على الشعور بالذنب والإحساس بالخزي نحو المرور إلى الفعل.

6-السياق النفسي للفعل الجنسي:

يبدو أنه من الضروري التركيز على التغيرات الجسمية التي تحصل في مرحلة المراهقة. فإدراك صورة الجسم والهوس النرجسي، إضافة إلى العديد من المتغيرات الكامنة تعتبر ضرورية لبناء شخصية الفرد.

بالموازاة وخلال نفس المرحلة يكون البحث عن اللذة، اللذة الجنسية، الفضولية الانجذاب، مشحونا بعنف المشاعر الذي بدوره يدفع إلى إنعاش الهوامات الأوديبية ويتيح احتمالية المرور إلى الفعل الجنسي من طرف المراهق(بالأخص زنا المحارم ضد الأخوة كونه الأكثر إتاحة).

في ظل كل هذا لا يكون النمو النفس-جنسي بمنأى عن التأثيرات السابقة، فالبلوغ يؤدي إلى اختلال في صورة الجسم، وتتلقى الحياة العاطفية والجنسية بعض التعزيز. كما ينضج الحكم النقدي ولكن ليس كلية، وبالأخص في المجال الجنسي الذي يتمحور حول التقمص والتوجه الجنسي. وبالنتيجة يعلو المرور إلى الفعل على الفكر وعلى التعبير اللفظي(Hasevoets, 2001).في ظل هذه الاقتصادية المشحونة يصبح التساؤل حول سياق المرور إلى الفعل الجنسي المنحرف ضروريا وملحا في للإجابة عليه.

6-1-السطوة النزوية:

ظهر مصطلح نزوة السطوة لأول مرة سنة 1915 وقد اسند لها فرويد ثلاث خصائص أساسية تتمثل في: السيطرة عن طريق القوة، التحكم والتدمير. وصنفها منذ 1920 ضمن النزوات غير الجنسية ولكن بإمكانها أن تنتشر بالليبدو ثانويا من خلال ارتباطها مع السادية.

حسب Denis فهي تتشكل من مركبتين لبيديتين مرتبطتين ببعضهما البعض، وهي الحالة التي يمكن تفكيكها عن طريق القوة إلى وجهتين متميزتين: الاستثمار في السطوة، والاستثمار في الإشباع. أين يكون الموضوع ذاته للسطوة وللإشباع معا.

يمنح موضوع السطوة الذي هو موضوع خارجي للاستثمار من طرف الفرد الذي قد يرغب في الاستيلاء عليه وإنشاء إشباع نزوي معه، بالمقابل يستمر الموضوع الذي يرفض كونه مساعدا لعملية الارصان كموضوع سطوة (Joulain &Marnette, 2009).

يصر Roussillon على أهمية عملية الجنسنة، التي نرى بأنها بارزة بوضوح شديد خلال المراهقة، بالنسبة إليه كل ما يفلت من هذه العملية يكون مهددا بواسطة سطوة التكرار، تحت طائلة ما وراء مبدأ

اللذة، يشير مفهوم السطوة إلى ميل بدائي متأصل في اللاشعور يدفع الفرد وبالقوة نحو تكرار أفعال متطابقة لا سيما الأكثر إيلاما وتدميرا بهدف استيعاب وإدماج التجارب غير المرغوبة، بالنتيجة كل ما هو غير جنسي يمكن ويجب أن يجنس (Roussillon, 2008).

تشكل المحتويات الجنسية التي تبرز بقوة خلال مرحلة البلوغ والتي لا يملك المراهق سبيلا لاحتوائها نظرا لارتباطها بالجنسية الجسمية. ما يشير إليه من وجهة نظرنا Roussillon بكل ما يفلت من المراهق ويقع تحت سطوة التكرار التي يعطيها Gilbert تسمية «نزوة النزوة» أين يتولد التدمير نتيجة «جنون السطوة».

من ناحية أخرى نجد هذه الآلية مفعلة بشكل جيد في حالة الفعل الجنسي بمختلف أطيافه. فحسب منطق نزوة السطوة فإن نمط حدوثه الذي يعكس البشاعة، التطرف، التدمير والوحشية الأشد رعبا، يشير إلى قسوة سادية تشهد هي الأخرى على عدم وجود مكان نفسي (Bessoles, 2008).

تكون النزوات الجنسية في خدمة العنف بحيث لا تتجه السطوة التي يسعى الفرد لممارستها بالضرورة نحو موضوع جنسي، فالأمر يتعلق بالسيطرة، بالسحق، وبتأمين تملك نهائي دون احترام للموضوع. وذلك بممارسة تحكم سادي وقهري عليه (Kernberg, 1992).

ينتشر هذا النوع من الرغبات بكثرة لدى المعتدين جنسيا. ففي الدراسة التي أجراها Darke (1990) على عينة من المعتدين الراشدين توصل من خلالها أن الاعتداء الجنسي كان هدفه الأساسي هو إذلال وإنقاص من قيمة الضحية، وأن 90% منهم أشاروا إلى أنهم يبحثون من خلال الفعل عن تفرغ للغضب والرغبة في السيطرة أكثر من بحثهم عن الإشباع الجنسي، وبالتالي فالسادية التي تتغذى من نزوة السطوة حسبه مركب أساسي لفهم دينامية الاعتداء الجنسي.

هدف نزوة السطوة ليس المعاناة وإنما نفي الآخر، فهي ليست جنسية بل تتحد ثانويا مع الجنسية وهذا ما يدفع التساؤل حول حقيقة الفعل الجنسي كونه جريمة متخفية برداء جنسي (Bessoles, 2011).

حسب وجهة النظر هذه. تكون مكانة الموضوع حسب العلوم الجنائية الإكلينيكية عند هذا المفترق:

✓ السيطرة وغريزة التملك. تسمح اللاغيرية بالتحكم بالبحث في الغيرية وذلك بطمس هويتها فتصبح الموضوع دون موضوع.

✓ التملك، التحكم والهيمنة عن طريق القوة أو السلطة (يكون للآخر وظيفة نفعية، استغلال، إرضاء جنسي، مصلحة) من مثل زنا المحارم المتكرر بالنتقل من الضحية الأكبر سنا إلى الأصغر سنا.

✓ تدمير الفرد إذا حاول التهرب من السلطة.

✓ التحكم في الاستتارة (بواسطة الإسقاط، لا يريد المعتدي معرفة أي شيء حول رغبته ويريك الآخر عن مصدر الإثارة)، وهي حالة البؤس البرانويك بمتغيراته الاضطهادية وتأويلاته الشبه هذيانية.

ونظرا لهذه الحتمية ينطلق الفعل من توجه مزدوج: المرور إلى الفعل والرجوع إلى الفعل (Bessoles, 2012). يعرف مفهوم الرجوع إلى الفعل بالتحديد بخطأ أساسي في عملية العقلنة، يدير المجرم الجنسي الأحداث الإجرامية بطريقة متتابعة، فالروابط التي تجمع العواطف والتصورات تكون مقطوعة أو غير موجودة، وتحمل هذه القطيعة على الروابط ما بين تصورين اثنين هما: ليس هناك توقع، ولا آثار لاحقة. لا ينطوي الرجوع إلى الفعل ضمن المرور إلى الفعل الذي يشير إلى انزلاق للهوام نحو عملية تحقيقه. فتلاحم الأفعال الإجرامية حول الصراعات الكامنة تدعو إلى تسليط الضوء على وجود أسبقية نرجسية وجودية سائدة في الفعل (Balier, 2000).

يأخذ الفعل في العود الجنسي وظيفته المهدئ الذاتي autocalmante، بمقابل كون الضحية موضوع تهدئة-ذاتية objet autocalmant. فالتكرار الإجرامي يعمل كمسكن للاستثارة التي لا تقتصر على ما هو جنسي فقط؛ وبالضرورة على ما هو تناسلي. بل يشير-أيالتكرار- إلى التملك النزوي، وإلى التجاوز العاطفي المختزل في تعبيرات موجزة من التفرغ للاستثارة الصافية. السيطرة النفس-مرضية في هذه الحالة ليست جنسية، حتى وإن تعلقت بالمنطقة الجنسية تشريحيا. إنما هي حسية وحركية. والدليل على ذلك الوحشية التي تظهر على جسم الضحية والتي تؤكد على أن ما هو جنسي لديه مرجعية جزئية ومظللة؛ لأن الضحية لديها دور الموضوع المهدئ وهي بنفس درجة الفعل ذو نشاط التهدئة الذاتية.

يتميز التوظيف النفسي للمعتدي الجنسي بخلل عام في التنظيم الهوامي وبصورة عامة للخياالي. مع مسح العمليات التمثيلية، تنطوي هذه الخصائص ضمن نظام يتيح للفرد الحماية النسبية مقابل إعادة ظهور واقع استعاد صفاته من الوحشية الأولية-الحسية الأولية للاختلاف-، يتشكل هذا النظام من عمليات نفس-حركية يستخدمها المصابون بالأمراض السوماتية الخطرة، فهي بالنسبة لهم استراتيجية مضادة للصدمة. هنا يصبح المرور إلى الفعل معادلا للمسكن الذاتي مقابل طغيان الاستثارة، يستعين في ذلك بخصائص نزوة الموت لتخفيض حالة الشدة الناتجة عن الحرمان الهوامي وخلل التمثيل العقلي. الأمر الذي يشهد على استحالة التوقعات الاقتصادية للجهاز النفسي.

يملك نشاط المسكن الذاتي بعد عملي. ففي حالة العود وبلغة إكلينيكية تكون الأغلفة النفسية الأولية مفككة بالمقابل هناك دعوة إلى الاحتواء. بمعنى احتواء المعتدي من تجاوزات الاستثارة الداخلية (مثال ذلك الدعوة إلى إجراء خصاء كيميائي).

بهذه المنطقية ينظر إلى الاعتداء الجنسي كفعل عملي؛ وهو ما يدفع إلى القول بأن المعتدي بحاجة إلى استثارة أكثر ليهدئ. تشكل هذه الأخيرة محاولة لحرمان الموضوع من الغيرية وهي في الأصل مرآة

عاكسة لرهانات الحرمان من الذاتية لدى المعتدي. ولأن التفكير بالنسبة له يعمل وفق نمط عملي أولي من مميزاته تثبيط الفكر والتصور. وتأسس الاختلاف على الانشطار الحسن/السيئ مع إفراط في الوجود والاستثارة يكون الهدف من كل هذا هو اختزال الموضوع إلى مجرد مكان نفعي «موضوع اللاموضوع» أي موضوع مفرغ من محتوياته اللبديية (Bessoles, 2005a).

6-2- الهوام، الهوام الجنسي، الواقع والخل:

يرى Marty (2012) أن عملية المراهقة هي اختبار للمراهق في قدرته على ربط الاستثارة بالتصور، بالإضافة إلى إعطاء رمزية لهذه التجربة الصدمية، المُفككة للشخصية والغريبة. فالمراهقة في الأساس هي عملية أكثر منها فترة حياتية كونها تتميز باقتحام العنف البلوغي للمجال النفسي والجسمي معاً، والذي بإمكانه أن يتطور تحت شكل هوام بلوغي شعوري ولاشعوري كمحاولة لتمثيل الغموض الذي يميز الجنسية.

يتحول هذا العنف بصورة عادية بواسطة نشاط التمثيل الذي يضمه الهوام لكن وبالمقابل بإمكان هذا التحول أن يصبح مصدراً للاضطهاد كون النشاط الهوامي مكتسحاً، غير مُحْتَوٍ وغير مكبوت كفاية، مما يجبر المراهق على القيام بمواجهة التحريض على تفعيل الحياة الهوامية. يفشل الهوام في أداء عمله المتمثل في تمثيل النشاط النزوي وبالتالي خلل في كفته. هنا يظهر التهديد بتفعيل هوام قتل الأب أو زنا المحارم الذي يعود إلى نشاط نفس-جنسي سابق.

ترتبط الهوامات البلوغية بعقدة الأوديب، وتساهم في تنظيم الحياة النفسية للمراهق بالسماح له بإيجاد مخرج للإشكالية الأوديبية. وهي عملية ضرورية للعبور إلى الذاتية؛ الاستقلالية النفسية، والى البحث عن الموضوع التناسلي. "تجد الحياة النفسية مصدرها في حركية الاستثارة النزوية عن طريق البحث عن الإشباع بتفريغ الشدة - الطريق الأقصر-، أو التحول بعمل العقلنة(التمثيل، الكبت، الترميز)-الطريق الأطول-" (Marty, 2012, p347). يشكل الهوام تصوراً لهذه الحركية النزوية باعتباره وظيفة نفسية ذات آثار حقيقية سواء على الحياة النفسية أو على الواقع الخارجي للتطور والنمو الجسمي وتصرفات الفرد، تكون أولى العمليات النفسية مصدراً للهوام الممثل للنزوات اللبديية والتدميرية (De Abreu E Silva, 2004).

تتناوب النزوات والهوام في حركية متعكسة أين يشكل كل واحد منهما منفذاً للآخر عن طريق عمليات الإشباع والحرمان أو الإحباط، تعبيرات الرغبة ومشاعر الحب والكره. تساعد الهوامات البلوغية المراهق على تجاوز تجربة المراهقة عندما يتم كبتها. فهذا الأخير يترجم قدرة المراهق على التحكم في صراعية الحياة النفسية أين يتم استدخال الهوام وإخضاعه للرمزية بدل الميل نحو الفعل بإسقاط هذا العنف

الداخلي على مواضيع خارجية. لكن عندما يستحيل عمل الكبت ولا يكون مستعدا حتى لمواجهة قمع النزوة يصير الهوام مُضطهدا، ويثبت النشاط اللبدي تحت أشكال شاذة من الجنسية الطفولية. وعندما تجتاح هذه الهومات المراهق ذو الهشاشة النفسية بإمكانها أن تساهم في لحظات من التيه أو حتى ظهور اضطرابات خطيرة في النمو. يتحكم لحظتها العنف بالحياة النفسية لاستحالة استدخال السيناريوهات الهومية (Marty, 2013).

أثار Lacan مفهوم البناء الرياضي للهوام، أين يتم تناول هذا الأخير ومحتوياته ووظيفته بالنسبة للحياة النفسية بمنطق رياضي بحت. يتم تشكيل هذا البناء ضمن مقاربات متعددة على مرحلة المراهقة، تتمثل هذه المقاربات في: إعادة ارضان، تغيير الهوام، بناء مستقر للهوام، جنسنة الهوام، وإعادة تسجيل الهوام (Haie & Donville, 2007). ويطلب كهدف رئيسي من المراهق القيام بإرضان كل ما هو بدائي وأيضا كل السيناريوهات الهومية المحرمة مع الأخذ بعين الاعتبار لعملية البلوغ.

في ظل كل هذا الجو المشحون بالمهام المترتبة على المراهق، يصبح المرور إلى الفعل معادلا لحقيقة الهوام. فهو يصف الفراغ في الفكر من جانب انهيار التصورات وروابطها، ومن جانب الغياب الأولي للإرضان العقلي الذي يتسم بالبدائية. ويظهر التوظيف النفسي للمراهق المعتدي جنسيا خلا في عملية الاستدخال وعدم توافق عمليات التمثيل العقلي. كما تبدو الدينامية النفسية فقيرة، عادية وتكرارية. ويؤكد Bonnet 2008 على وجود شذوذ مؤقت خلال المراهقة، يملك وظيفة الإجبار على المرور لبلوغ الجنسية الراشدة. في خضم هذا المنطق ينظر إلى الاعتداء الجنسي للمراهق ضد الأطفال كأخر مخرج دفاعي متاح. ويعتبر Lebovici 1956 هذا النوع من الشذوذ عملية مؤقتة لا يمكن تجاهلها بالنسبة للمراهق عندما لا يكون بالاستطاعة تحقيقها على المستوى الهومي. فالإشكالية بالنسبة لهذه المرحلة تتجسد في كون عقدة الأوديب ليست نفسها، ليس فقط قلق فقدان القضيب أو عدم امتلاكه. بل تترجم عند الذكر عن طريق الإجابة عن السؤال: كيف يستخدم هذا القضيب في العملية الجنسية؟ (Quentric, 2014). الإجابة عن هذا السؤال تفتح المجال أمام الحياة الهومية لطرح سيناريوهات شاذة تجد مصدرها وتتغذى على موروث التصورات الأولية التي تتحدد مع الاستثارة الجنسية للبلوغ

لتدفع بالمراهق نحو منحرف الفعل أو الاعتداء.

يعمل هذا الموروث الأولي على تثبيت الفرد تحت شكل من أشكال الجنسية الطفولية، بسبب خلل عملية الكبت ينتج الشذوذ الذي يأخذ أشكالا متعددة من مثل: المتعة النزوية (بالنظر، السادية...)، التقمص المؤقت مثل حب الشبيه (الجنسية المثلية) أو حب طفل شبيه بما كان عليه الشخص آنفا (الاعتداء الجنسي ضد الأطفال). يرى Pimmier أن النمو يستمر عاديا في حالة ما لم يدفع إغواء الوالد

نحو هوام قتله. إذا يتولد الشعور بالذنب. لكن بالمقابل يؤدي هذا الشعور اتجاه الطفولة نتيجة التثبيت إلى إعادة إحياء الأوديب بسبب عدم تحقيق هوام الإغواء الذاتي للأب. سواء كون هذا الأخير مغو موضوعيا فلا يكون بحاجة إلى هوام، أو العكس هناك غياب كلي للأب من الاستثارة الجنسية (لا مزيد من الهوام). هنا يترك الطفل معلقا تحت رحمة الأم مما يستوجب عليه بعدها إنكار قلق الخصاء الامومي حسب مختلف الإجراءات الشاذة. وفي كل الحالات فان ضعف هوام الإغواء يؤدي إلى تثبيت الشذوذ الطفولي وعودته في شكل شذوذ راشد ما يعطيه مظهر تناسلي (Piommier, 2006). وهو ما يصوره Ciavaldini عندما يطرح سيناريو الفعل من خلال حالة المعتدي الجنسي Gilles الذي كان يتابعه. حيث يتتابع تطور الفعل وفق الشخصيات التالية: «طفل في حالة الشدة، يرغب في أن يكون مُخترق»، «الطفل المُخترق-يهدئ»، «الأم-الحاضرة المُخترقة» (Ciavaldini, 2006).

وسعى Lounis من جهته إلى طرح المميزات الخاصة بالهومات الجنسية بالاعتماد على مفهومي العمليات الأولية والثانوية. حيث يتميز الفكر بكونه تعبيراً هلوسياً للإشباع لارتباطه بمنطق اللاشعور. بينما يكون هناك نوع من التحكم والتنظيم للتصورات العقلية للإشباع. وخصت هذه المميزات درجة الارصان والإدمان على الهومات الجنسية التي تغذي الفعل الجنسي عامة والمنحرف أو الشاذ خاصة.

جدول رقم 6: مميزات الهومات الجنسية حسب درجة الارصان

المميزات	حسنة الارصان	سيئة الارصان
التكامل الأنا والوعي	تناغم الأنا، لعب واعي، تحكم ما بين: الخيالي والواقعي	عدم تناغم الأنا، قلة (أو عدم) وعي، (هومات لاشعورية من النوع النشط)
مرحلة الانطلاق أو التفعيل	مصاغة، حسنة الارصان مبتدعة	من النوع الوسواسي
مرحلة النشاط	إيقاع الاستمناء مرن، وظيفي	إيقاع الاستمناء غائب، أولي
الأدوار	لهو قوي، تعارض: الرغبة/المحرم	لهو ضعيف، تعارض شديد: الرغبة/المحرم
الإشكالية	قليلة الانحراف، متنوعة، متغيرة	متطرفة، متسلطة ومحتكرة ثابتة
التجاوز أو التعدي	ضعيف، غير مباشر، رجعي	شديد، مباشر، لا رجعي (سادية شديدة القوة، قاتلة)
الاستعراض القضيبى	واقعي دون إفراط	متطرف، كاريكاتوري، واقعية مفرطة
الشدة	من النوع المرن، مشروطة	من النوع التملكي، عزلة تامة
الإذلال	من النوع الغامض (خليط من الخزي والاستثارة)	شديد، صدمي
وظيفة الإسناد الخارجى	ضعيفة، شبكية قوية	قوية، شبكية ضعيفة

وظيفة تسيير المتعة	متحكم فيها، قليلة الاجتياح، تبعية ضعيفة	متطرفة، بارزة، تبعية قوية
وظيفة التسوية رغبة-محرم	تسوية نهائية	قطبية متناقضة، صراعية
وظيفة التحكم في العلاقات	ضعيفة من نوع التعاطف	قوية من نوع التملك

(Lounis, 2014, p.107)

6-3- غياب المعالم البنيوية:

أكدت العديد من الدراسات على وجود علاقة ارتباطية بين التعرض للاعتداء الجنسي في مراحل مبكرة من الحياة وبالأخص مرحلة الطفولة والميل نحو إعادة تكرار الفعل مستقبلاً أو ما يطلق عليه دورة الاعتداء الجنسي (Jespersen, 2006 Doreleijers et al, 2009 Seto et Lalumière, 2009 Fermouw et Thomas, 2009 Seto et Lalumière, 2010 Vermeiren et van Wijk, Kerthoffs, Hart, Loeber). يقع المعتدي تحت رحمة إعادة تفعيل الاعتداء الذي تعرض له، وبالاستناد إلى التملك النزوي الذي يسيطر عليه يميل إلى إعداد سيناريوهات هوائية تعيد له مشهد الاعتداء ولكن هذه المرة بأخذ مكان المعتدي. يتغذى الفعل من هذه الذاكرة الصدمية وفق آلية التقمص بالمعتدي واضطرار التكرار الذي يشحنه بمشاعر (الكره والغضب والرغبة في الانتقام). ويرى Ferenczi (1935) أن بإمكان هذه الذاكرة الصدمية أن تجعل الضحية في مواجهة الإحساس بالألم، فقدان الأمل، الإحساس المفاجئ بأنها في حالة خطر، الذعر، الموت الوشيك. الأمر الذي يدفع إلى خطر الاستناد إلى هذه الانفعالات والمشاعر في بناء فعله الخاص وشدوذه الجنسي.

تدفع هذه المحتويات الصدمية مع الشحنة الانفعالية التي ترافقها إلى التفكك وتمنع المعتدي من التعرف على ذاته لحظتها، وهو ما يلاحظ عند وصفه للحظة الفعل. لم أكن أنا، لم أستطع التحكم بالأمر فهو يفوقني، كأني شخص آخر لحظتها. منشغلاً بالدفاع ضد الشلال الانفعالي الذي يدفع به نحو الجنون. خط الأدوار الذي تحدث عنه Ferenczi (1908-1912)، يشهد على اللاتنظيم للمعالم البنيوية التي لم تبلغ العصاب بعد. يشمل هذه التنظيم ما قبل أوديب على بنيات نفسمرضية تنصدر السيكوباتين والذهانيين. يوصف الميل نحو الفعل كحظة حقيقية من تفكك الشخصية وكلحظات من انهيار الوضعية «الذاتية» «هذا يتجاوزني، عندما يملكني لم أكن أنا» (Bessoles, 2006).

6-4- الآليات الدفاعية البدائية وتغيب الاستعانة بالموارد الخارجية:

في الدراسة التي أجرتها الباحثة Stumpe (2008) حول بنيات الشخصية لدى القائمين بالاعتداء الجنسي ضد القصر، وقفت الباحثة على حقيقة الدفاعات التي يتخذها هؤلاء لتجاوز القلق والانفعالات المصاحبة لحظة المرور إلى الفعل ولم تتعرض الباحثة للنظام الدفاعي فقط بل تعدته إلى معرفة الوظيفة

الكامنة التي يسند إليها المعتدي اعتقاداً منه بفاعليتها وقد توصلت الباحثة إلى أن أهم الدفاعات وأكثرها استخداماً هي دفاعات بدائية من مثل الانشطار والإنكار التي لا تضمن حسبها وتحت أي شكل من الأشكال تسوية دفاعية ولا تسمح بتجاوز القلق.

يفرض الانشطار نفسه أمام مسامية الحدود بين الداخل والخارج وأمام التهديد الصادر من طرف الداخل والخارج. يأتي الانشطار لإيجاد حل لمسألة الاستمرارية فرد - موضوع. عن طريق إدخال قطيعة جذرية. هنا تفهم العملية الدفاعية بداخل العنف العلائقي الارتباطي مقارنة والخطر الذي يحمله الالتقاء مع الموضوع وبسبب "الخوف من الانهيار" Winnicott 1971 كون النتيجة الحتمية لعدم حل الوضعية السابقة أو إيجاد تسوية مناسبة هي الانزلاق الذهاني. فيصبح الانشطار على النقيض. في خدمة الإحساس بالوجود "من أجل الاستمرار في الإحساس بالوجود ينسحب الفرد من نفسه ومن التجربة الحية" (Roussillon, 1999, p.141).

تتصف الدفاعات لدى المعتدي الجنسي بكونها ذات خاصية تثبيطية كثيفة ما يعكس تصحر نفسي، غير متجانسة للسماح بتجاوز القلق المتذبذب، قلق الخفاء، فقدان الموضوع الهوياتي، بالإضافة إلى وجود آثار لدفاعات فوبية بدائية: إسقاط الصور المشحونة بالعدوانية والتدمير. تفسح هذه الدفاعات المجال أمام كوكبة دفاعية سلوكية: تثبيط، هوس، نرجسية (Stumpel, 2008). وتعمل على تغييب الاستعانة بالموارد الخارجية لدى المجرم الجنسي. فالأمر يتطلب وجود بنية مستقرة كفاية وصورة جسم عملية؛ يعمل هذا التغييب على حصر الاختلال العام في عمليات التفرغ والعلاقة بالموضوع (LeClaire, 1971).

6-5- هشاشة الغلاف النفسي:

يعتبر تشكل الجهاز النفسي عملية إبداعية يقوم بها الفرد، حيث تمنح مفاهيم الحدود أو الأغلفة النفسية زاوية أصيلة وإضافية لوجهة النظر التحليلية لتمثيل دينامية العلاقات بين: الداخل-الأنا، الخارج-الأخر وأيضاً بين: المحسوس-الجسم والتفكير-الفكر.

وقد طرح فرويد فكرة وظيفة الحماية ضد الإيثرات الخارجية، واسند هذه الوظيفة لجهاز صاد الإيثرات

الذي يقع على تخوم الجهاز النفسي ومع وجود العلاقة الثنائية ومفهوم الفضاء الانتقالي أراح Winnicott الصراعية النفسية نحو حدود النفس بين الداخل والخارج. أين يضمن الموضوع الامومي الحسن احتواء النفس المقسمة بين حاجات الأنا والنزوات الجنسية (Melier, 2005).

تتميز وظيفة الاحتواء التي تطورت من كونها آلية من آليات جهاز صاد الإيثرات على المستوى الفسيولوجي والتشريحي للنفس-جسم: وتضمن الحماية من الإيثرات الخارجية إلى طبقة أكثر عمقا وإرصانا من الجهاز النفسي تتمثل في الحماية الخارجية والداخلية. ويؤكد (Bion,1962) على أن وظيفة الاحتواء ألفا Alpha تتميز بقدرة الفرد على إدماج بعض أنماط العلاقة مع الأم، وتسمح له بتفكير أفكاره. لكن وبالمقابل هناك بعض الأفراد لا تكون هذه الوظيفة لديهم مستدخلة كفاية ما يؤدي إلى تجمع معاشات غير خاضعة للإرصان وبالتالي صدمية.

يؤكد (Bessoles,2006) على استحالة فهم الجريمة الجنسية دون الاستناد إلى الخلفية النفسجسدية والتوجه النفس-مرضي حيث لا يمكن إهمال إسهامات Dolto 1981 حول العلاقة بالجسم النفسي Fankow 1983 وخلل جهاز صاد الإيثرات وجدلية الأنا/اللاأنا وحسبه فهي تشهد على هشاشة الأغلفة النفسية الأولية.

7- خصائص التنظيم النفسي للمراهق المعتدي جنسيا:

لا تتفك إشكالية تحديد أنماط التوظيف النفسي لدى المراهق المعتدي جنسيا تطرح نفسها في كل مرة على المختصين والباحثين في هذا المجال. فحصر الأنماط بشكل دقيق يبدو صعبا، بل ومستحيلا في ظل عدم تمايز البناء النفسي للمراهق، الذي لا يزال تحت وطأة صراع الهوية والبحث عن مرسى آمن لعملية التفردين. إضافة إلى الانعكاسات المترتبة عن البلوغ الجنسي. تحت تأثير كل هذا ارتأى الباحثون استنباط أو إسناد التوظيف النفسي للمراهق من زاوية الفعل الجنسي إلى التوظيف النفسي للراشد مع القليل من التحفظ في طرح المفاهيم (التنظيم بدل البنية).

كشف Ciavaldini من خلال أول وأكبر تحقيق فرنسي تم إجراءه على 176 سجين معتدي جنسيا، عن خلل التنظيم النفسي لهؤلاء الأفراد؛ وعن قلة التجهيز في مواجهة تصاعد الاستثارة أو القلق العام سيء التمثيل، دفاعات اسقاطية مع فرط استثمار الإدراك الخارجي مما أدى إلى تبعية كبيرة بمقابل المحيط، فقر قدرات التمثيل؛ الترميز؛ والإزاحة. وهو ما يقلص من القدرة على الاحتواء والتحكم في الاستثارة، عدم انتظام القدرة على التمثيل النزوي، عدم نضج وعدم اكتمال بنيوي (Ciavaldini, 1999).

من الناحية الإكلينيكية، يدفع ضلوع المراهق في الفعل الجنسي سواء أكان المراهق قائما به أو ضحية

له حسب Roman إلى طرح التساؤل حول:

- مكانة العنف الجنسي في عملية المراهقة.

- المكانة الاجتماعية لهذا العنف.

تعتبر تجربة العنف الجنسي خلال المراهقة اختبار للوضعيات التكمسية والهوياتية، إذن فهي تنظيم مناقض لعملية المراهقة يشهد على بلورة الرهانات المدعومة بواسطة تحريك الثنائية نزوة الحياة/نزوة الموت بداخل الفعل الجنسي. ونعلم جيدا أن وقت المراهقة يشكل مجالاً للتجربة بامتياز. بالنتيجة الفعل الجنسي العنيف يملك وظيفة الحماية ضد خطر اللاتنظيم الذي تحمله اختلالات المراهقة. لتوضيح الأمر عمد Roman إلى دراسة مجموعة من المراهقين الذكور وعددهم 10، 5 منهم يتراوح سنهم ما بين 13 إلى 14 سنة أقدموا على ارتكاب الاعتداء الجنسي، و5 آخرين سنهم ما بين 14 إلى 17 سنة أقدموا على الاغتصاب. باستخدام اختبار الرورشاخ واختبار تفهم الموضوع. في الأخير وقف الباحث على النتائج التالية:

- بالنسبة للمجموعة الأولى هناك أربع محاور كبرى يمكن الإشارة إليها:
- إصابة القواعد النرجسية التي تترجم من خلال الرورشاخ بآثار إصابة على مستوى (التكامل أو الوحدة)، ترافقه صعوبة في ارضان العلاقة مع الموضوع (عدم استقرار التصورات، سيطرة نمط اضطهادي في العلاقة مع الموضوع).
- تعثر عملية ارضان الوضعية الاكتئابية بسبب شك هوياتي يفسر بعرقلة الارضان الثانوي وترجمته على شكل تصورات مكتملة.
- تتميز الالتزامات الهوياتية بمسح الفروق بين الجنسين، مما يؤدي إلى تمثيلات بشرية مبتذلة أو مندمجة؛ أو حتى استبعاد تمثيلات الانوثة، وتفعيل لصورة الزوج دون احتمال وجود صراعية لوضعيات الاختلاف.
- ضعف الرابط الجيلي. غالبا ما يتم تجنبه أو عدم تسميته-يمكن النظر إليه كشكل من أشكال التباعد (المسح) للهوامات المحرمة والوالدية.
- أما بالنسبة للمجموعة الثانية فقد تم تقسيمها إلى مجموعتين فرعيتين، الأولى في السجل الذهاني (تثبيط شديد ورفض)، والثانية بإنتاجية كبيرة.
- بالنسبة للمجموعة الأولى هناك عدم التزام ذاتي أو حتى انكسار في مواجهة التقنية الاسقاطية، بالرغم من وجود حركية لإعادة التأمين الهوياتي. كما تبدو إشكالية التخلي كبيرة بسبب الانهيار الاكتسابي.
- وبالنسبة للمجموعة الثانية: هناك إصابة في القواعد النرجسية مع وجود آثار للهجوم على التكامل أو الوحدة الذاتية (في الرورشاخ مثلا وجود استجابات محورية، الازدواج).
- تتسم عملية معالجة الوضعية الاكتئابية بالإنكار الشديد للانفصال. يلجأ المراهق إلى الارتكاز على دعامة إدراكية ذات مرجعية راهنة (التواجد داخل المركز). أو إلى نمط من الارتداد السادي.

- هشاشة الالتزامات التكمسية بالنظر إلى التصورات الإنسانية غير الملائمة. يشكل الاختلاف بين الجنسين سند هش بالنسبة لعملية الارصان، كما أن الاختلاف بين الأجيال وإن وجد فهو غير متاح للاستناد عليه كنموذج لتنظيم الاستثمارات.
 - أدت خصوصية المادة الإسقاطية إلى إعادة إحياء الهوامات المحرمة والوالدية.
 - تدفع الآليات الدفاعية المتمثلة في الإنكار، آثار الانشطار، الإزاحة في العلاقة مع المختص إلى التفكير في تنظيم نفسي من السجل الشاذ.
- وقد تمكن انطلاقاً من هذه المعطيات من إرجاع هذه الخصائص إلى سجلين أساسيين الأول خاص بالعنف الأولي، والثاني يرجع إلى العنف الأصلي. وينطوي هذان النوعان تحت ثلاث أنماط من التوظيف النفسي وهي: النرجسي، الذهاني والشاذ. وتميز التوظيف النفسي بثلاث عوامل رئيسية:
- إصابة القواعد النرجسية.
 - شك هوياتي.
 - محو الاختلاف بين الجنسين.
- لكنه أكد على أنه "لا يمكن الحكم نهائياً على تطور الشخصية. بل يجب تذكر خاصية الحماية المتناقضة للعنف في مرحلة المراهقة ومكانتها في عمليات إعادة التنظيم التي تترأس هذه الفترة من النمو النفسي-العاطفي" (Roman, 2004, p.132). فالتوظيف العقلي يبدو أقل اختلالاً، ويظهر أكثر من خلال أنماط من التوظيف الحدي الذي يهيمن عليه عدم النضج، الصراع ضد الاكتئاب. ما يكشف عن الكيفية التي يستكمل بها المعتدي الجنسي بواسطة تملك الموضوع البيدوفيلي كل أدوار المشهد الأولي لتجنب التهديد الصدمي، الاكتئابي، أو الذهاني الخاص به (Chagnon, 2005).
- يبدو أنه من غير الممكن الحديث عن حالة راهنة لتنظيم الشخصية لدى المراهق المعتدي جنسياً. وقد أكد (Chevalier & Descham, 1997) عدم وجود اختلافات واضحة بالنسبة لسمات الشخصية بين المراهق المرتكب للفعل الجنسي والمراهق المرتكب لأنماط أخرى من الأفعال الإجرامية (السرقه، العنق... إلخ). كما أظهرت العديد من الدراسات الرجعية والتنبؤية بأن المراهق خلال الجريمة الجنسية يأخذ نفس أشكال السلوك عند الراشد. وتأكيداً على ذلك أشار Fehrenbach & al إلى أن المرور إلى الفعل الأكثر انتشاراً لدى المراهق هو التحرش الجنسي بنسبة 59%، الاغتصاب 23%، الافتضاحية 11%، و7% لأشكال أخرى من الاعتداء الجنسي دون اتصال جسدي مباشر مع الضحية. وفي الدراسة التي أجراها Wesserman & Koppel تبين أن 59% من الفعل ينطوي على شكل من أشكال الاختراق الجنسي 3% علاقة جنسية، 12% اتصالات فموية جنسية، وفي 62% من الحالات الملامسة أو الاحتكاك

التناسلي. وأشار (Davis & Leitenberg, 1987) أن الأطفال ضحية الاعتداء الجنسي على صلة مباشرة أو غير مباشرة مع المراهق المعتدي.

إذا ما اعتبرنا أن الخصائص السيكودينامية التي دفعت المراهق نحو اختيار الفعل الجنسي شبيهة بتلك التي تميز الراشد (الجانب الإجرائي للفعل، أنواعه، أسبابه...) مع بعض التحفظ حول مركبات أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها (العلاقة بالضحية، الدوافع، الوصم، احتمال التكرار والاستمرارية...) فإنه يمكن تناول البنية النفسية للمراهق من زاوية نظيرتها عند الراشد، وانطلاقاً من هذه الاعتبارات أعطى Lafortune تصنيفات محددة لهذه الأخيرة معتمداً في ذلك على العديد من الدراسات التي امتدت لسنوات (1952-2000).

فيما يتعلق بالبيدوفيلي: ينطبق الوصف التالي على التنظيم النفسي الذي يتميز بتقلص القدرة على التعلق، الحاجة إلى التبعية الطفولية، هشاشة نرجسية، عدم نضج تمثيلات الذات والآخر، تجنب للعاطفة، عدائية، اهتمام زائد بالبحث لدى الأشخاص عن مواضيع الإشباع، انخفاض القدرة على المشاركة الوجدانية ومعايشة سيئة للواقع في السياق العلائقي.

القاتل الجنسي: تحفيز زائد بإمكانه تجاوز آليات التحكم الشخصي، خصوصية الواقع، خلل في اختبار الواقع، اضطراب في التفكير، تمارس الاحتياجات الداخلية ضغطاً قوياً يمكن أن يظهر تحت شكل أفكار اضطهادية وتوتر على المستوى العاطفي، ويلاحظ وجود حصر، خلط انفعالي، مشكلات نرجسية. وعلى هذا فإن القتلة الجنسيين يمثلون على العموم شخصية حدية مع دفاعات الإسقاط ونقص تقدير الذات، مثناة، انشطار أكثر انتشاراً.

الفصاميين المنحرفين جنسياً (الاغتصاب): صورة سلبية عن الذات، اختبار سيء للواقع (Lafortune, 2006).

II-المرور إلى فعل القتل:

جريمة القتل هي فعل "البقاء"، وهي محاولة للتخلص من استثارة تعمل على إزالة روابط التمثيل، وتقوم في حالة الفشل باستحداث مبدأ توليد الذات تحت مسلمة "الموضوع منطقة تكميلية"، في هذه الحالة يعتبر الفضاء ثنائي القطب ضروري لهذا المبدأ والنموذج الأصلي هو اللوحة المزدوجة ثنائي/أم. لا يمكن تعزيزها في إطار إجرامية المراهق. هذه الصيغة المزدوجة ترادف على المستوى النفسي فضاءات متراسة من الأنا/لا-أنا وتقابل نفس التلاحم الذي يجمع في بعض الأحيان المجرم/الضحية (Bessoles, 2005a).

1-الجريمة: القتل، الموت:

تشكل جريمة الموت أحجية كبيرة بالنسبة لسلوك الإنساني، ويزيد من وصم الغرابة ارتباط المراهق بها وبالموت الذي يقدمه. إذ يمنح مقترح يربط بين النسق المرجعي المراهقي، وإجرامية المراهقة. ما يسمح بتسطير وتوضيح الرؤية حول احتمالية المنشأ الإجرامي (Bessoles, 2005a). الجريمة هي فعل، وهي دلالة على القتل الذي يرجع في المعنى إلى كلمة الموت. على المستوى المفاهيمي تستمد كلمة جريمة "Crime" من اللغة اللاتينية Crimen من نفس مجموعة (Cernere) يحصر، و (Cribum) يغربل-فيالأصل كان يعني «ما الذي يخدم الفرز، أو القرار»، ثم تخصص في «القرار القضائي» واستعمل بعدها كناية ليدل على ما يستند عليه هذا القرار، التظلم، التهمة وفي الأخير الفعل المرتكب نفسه. وهو: خرق خطير للضمير وللقانون، أما الاستعمال المشترك فكلمة جريمة تعني "القتل" (Laffont & Servant, 2012, p. 1119).

حسب قاموس Le petit Robert في اللغة اللاتينية كلمة قتل تعني: فعل قتل كائن إنساني، وفي ذات الوقت تشير إلى الشخص الذي يقتل شخصا آخر. يقابلها كلمة Homicide المركبة من مقطعين: Homo= إنسان (Homme) و Coedere بمعنى القتل. وبالتالي القتل (Homicide) هي فعل القتل العمدي أو غير العمدي لكائن إنساني، أو إزهاق روحه، واعتداء على حياته وترتب عن ذلك موته، ويقصد بهذا الأخير مفارقة الروح للجسد (الريامي، 2006). بمعنحالة عدم الوجود، حالة استنزاف بداخل وحدة تستثني الحدود، الاختلاف، الانفصال وتوتر الأضداد. هو حالة غير مزدوجة في جوهرها، لا موضوع ولا فرد. حالة التوازن الكلي التي تشكل مصير كل عمليات التوازن (Gordon, 2003).

من الناحية الإجرامية يمكن أن يكون فعل القتل اندفاعي، ترصدي، فريد أو متكرر، معزول أو مرتبط بجنح أخرى، ارتجالي أو منظم، بذكاء أو مبهم (دوافع مبهمة)، موجه أو غير موجه نحو ضحية محددة. وفي الأخير حسب الأهداف المبتغاة منه (Cochez, 1999).

وتقدر النسب العالمية للموت بسبب جريمة القتل حسب إحصائيات ONUDC (ديوان الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة) 2010 حوالي 468.000 من المجتمع العالمي. 36% من إفريقيا، 31% من أمريكا و 27% من آسيا و 5% من أوروبا.

2-فعل القتل والكوكبة المفاهيمية:

بالرغم من تعدد واختلاف الجرائم التي يتورط فيها الإنسان من حيث الخطورة والآثار النفسية والجسدية والاجتماعية المترتبة عنها. تبقى جريمة القتل تحتل رأس الهرم الإجرامي، نظرا لما تتميز به من بشاعة وانتهاك لحرمة الحياة الإنسانية التي كرمها الله. فعلا يصنفه القانون تصنيفا إجراميا إذا كان الدافع إليه غير مبرر،

وتختلف لأجل ذلك العقوبات الموازية حسب طبيعة الفعل والأحداث التي سبقته، والسيرورة التي جرى بها، والوسائل والسبل التي استخدمت والطرق التي تعامل بها القائم بالفعل مع ضحيته بعد الموت.

يصر القانون على معرفة أدق التفاصيل التي تحيط بالفعل حتى يتمكن من تحديد العقوبة الأنسب. فمثلا القتل الذي يأتي عن طريق الخطأ أو عن طريق الدفاع عن النفس لا يؤخذ نفس مأخذ الفعل العمدي أو الذي يستخدم فيه العنف، والعمد الذي يحدث فجأة ليس كالذي يتم التخطيط له، وحتى بالنسبة لطريقة التعامل مع الجثة.

بالنتيجة القتل فعل مركب لا يمكن فهمه أو تقرير عقوبته دون الوقوف على الكوكبة المفاهيمية المرتبطة به، ومن ذلك مفهوم الخطورة، الخطر، العنف، العدوان، الاندفاعية، اللامبالاة، القسوة... إلخ. يتعين على علم النفس الإجرامي كمهمة أساسية القيام بتوحيد هذه المفاهيم، وإيجاد ترابط حدثي وزمني بينها لتفسير سياق المرور إلى الفعل العنيف وتحديد الأبعاد الداخلية والخارجية التي تتضح من خلالها على مستوى النفس أو الفعل.

يتلخص مفهوم العدوانية في " النزوة التي لا تتأكد فيها عملية التحكم، فنحن في سجل التعبير النزوي والتعبير العاطفي" (Milaud & al, 1992)، الذي ينكشف في "تصرفات حقيقية أو هوائية تهدف إلى الإهانة، وإلحاق الأذى أو التدمير" (Dozot & al, 2000, p115)، ونزوة التدمير من المحتمل أن تتحول نحو الخارج، أو نحو الداخل، بإمكانها أن تؤدي إلى تجسيدات سادية-مازوشية، واقع جد معقد يعكس صورة عن العديد من أساليب الحياة النفسية. لا تنطبق العدوانية فقط على العلاقة بالموضوع أو بالذات نفسها؛ ولكن على العلاقات بين مختلف الأركان (الأنا، الهو والأنا الأعلى) بتحديد موقع نزوة الموت التي تعتبر المصدر (Fiatte, 2005).

كيف يمكن تحديد موقعها وقد وصفها فرويد ذاته بأنها نزوة صامتة وطالما تتصرف داخليا كنزوة الموت فهي تظل صامتة، ولا تظهر لنا إلا عندما تتحول إلى الخارج كنزوة للتدمير ولفك الارتباط" (Nicoliadis, 2009). أما العنف فيرجع إلى أفعال حقيقية وليست هوائية ضد الآخر. والتي من المحتمل أنها تهدد التكامل النفسي (Milaud & al, 1992). من ناحية أخرى التعريف الأساسي لنزوة الموت يحمل على مبدأ التفكك والقصور الذاتي، وهو نمط لا تسببه عوامل إكلينيكية تظهر في السادية من خلال التدمير مثلا. وإنما هذا الجانب الذي يعمل بصمت ويتموضع في مظهره الاقصائي للعلاقة مع الموضوع (Roghe, 2015). يسعى علم النفس الإجرامي إلى فهم دينامية الفعل وتحديد ما يحيط به بهدف إحداث موائمة بين الفرد ومشروعه الإجرامي يتيح هذا المستوى تناول مفهوم الخطورة الذي يحمل معنى

حالة الخطر من جهة، واحتمالية العدوانية من جهة أخرى. وفي هذا يرى Degreef (1995) أن حالة الخطورة تضع الفرد أمام تيار حتمي يصبح ارتكاب الجريمة والأفعال العنيفة أمر لا مفر منه. لا تفهم العدوانية إلا من خلال نزوة الموتوزة العدوان التي هي تمثيل لجزء من نزوة الموت الموجه نحو الخارج بهدف تدمير الموضوع (Freud & A. Freud, 2001) لبلوغ هذا الهدف يتطلب الأمر تبني اقتصادية نفسية شديدة الغرابة يمكن وصفها بحالة التوقف في الاقتصادية العاطفية بالموضوع بحيث تشير إلى الوضعية التي لا يُظهر فيها الشخص أي ألم أو لذة أو خوف أو رغبة (Robert, 2000). كيف يمكن فهم حالة دون عاطفة يتساءل (Cupa, 2012): عندما يطرح فرويد منطقة اللامبالاة ما بين اللذة والألم، وهي منطقة ترجع إليها كل حركة نفسية جسدية تتخطى عتبة الوعي وتتأثر باللذة وبالألم إلى أبعد حد، لتقترب من الاستقرار الكامل للإحساس بكل منهما. بين هذين الحدين (حد الألم/حد اللذة) يوجد حد اللامبالاة الذي يتولد عن حركة مؤقتة أو دائمة من اللاموضوع. يكون خلالها الفرد منفصلاً عن الموضوع، ولا يستثمره. يأخذ الموضوع ميزاته كموضوع بالنسبة للفرد، ويعمل الأنواعلى تجريده من ميزاته، ليتحرر الفرد من ذاتيته. حالة اللامبالاة هذه هي تظاهرة للتدمير الأصلي. ويتطلب كذلك درجة من الاندفاعية تعكس عدم قدرة الفرد على تأجيل الاستجابة السلوكية من النوع العدواني، وما تحمله من عنف التفريغ النزوي (Senninger, 2007).

3- الفهم الدينامي للمرور إلى الفعل:

لا يمكن بأي حال من الأحوال نفي التشابه الحاصل بين الفعل في الوضعية التحليلية أو في الوضعية الإجرامية. فكلاهما يكشف عن الصعوبة التي يواجهها الفرد في التعبير اللفظي فيلجأ إلى التعبير عن طريق الفعل. في ظل هذا يتجلى الصراع النفسي الداخلي (التعبير بالفعل ضد الآخر أو ضد المحلل): المرور إلى الفعل، الفعلنة، التفعيل، حقائق أو مظاهر يبرز من خلالها السجل النفس-مرضى للفرد في الوضعية التحليلية والدينامية للفعل بالنسبة لعلم النفس الإجرامي (Ficher, 2003).

3-1- العلاقة بالموضوع في المرور إلى فعل القتل:

وصف Gacono & Meloy (1987) الأفراد العنيفين بأنهم أصحاب حالات عقلية بدائية وأشاروا إلى أن العلاقة بالموضوع واختيار الضحية هما ميزتان أساسيتان لفهم المرور إلى فعل القتل. بالنسبة للأفراد الذين يهاجمون ضحايا غرباء بطريقة عشوائية تماماً. يصفهم بأنهم يتميزون بتصورات مواضيع داخلية منتشرة وبدائية، سواء من الناحية الإدراكية أو المفاهيمية. يتحدد الآخر بالنسبة لهم عن طريق الحضور الجسدي وغياب التمايز الانفعالي والعاطفي، يمكن أن يكون الاعتداء شديد وبإمكانه إحداث حالة بين-نفسية دون موضوع لحظة المرور إلى الفعل. قد يكون هناك تفكك مؤقت بين تصورات

الذات والآخرين، وهي خاصة من خصائص النكوص الحاد للشخصية إلى مستوى توظيف ذهاني وفي الأخير بإمكانه أن يتخلى بطريقة مزمّنة عن علاقاته مع الآخرين لخدمة تصورات الموضوع الذهاني الذي يكون في ذات الوقت مضخم ومضطهد. كما يستخدم هؤلاء الأفراد الانشطار، الإسقاط التقمصي، الإنكار كآليات دفاعية رئيسية.

بالنسبة للعالم الداخلي، أي في نواة اللاشعور، حيث القانون النزوي هو المسيطر، يحدث كما لو أن الجهاز النفسي أصبح مستهترا، وفي العالم الذي يشكل أصل الحلم حيث يمكن للاستثمارات أن تتسحب من تمثيل -الموضوع- إلى طريقة أخرى حرة ومكتملة، أين يمكن للإشباع أن يكون كلياً ومستقلاً عن الموضوع؛ حيث يكون الموضوع باعتباره فرداً متجاهلاً، وكذلك الأمر بالنسبة لقوانين حفظ الذات واختبار الواقع. كلما كانت المواضيع داخلية عميقة كلما كان صعباً التفريق بين الموضوع والنزوة (Bienvenu, 1995).

3-2- الجريمة كحل نفسي: بين الهذيان والجريمة:

هل يمكن للجريمة أن تصبح حلاً نفسياً بدل الإصابة بالجنون؟ للتملك الإجرامي معنيين متضادين: يتعلق الأول بالآثار ما بعد الصدمية وما يترتب عنها. أما المعنى الثاني فيرتبط بالمجرم ومكوناته من الولاء النفسي والعقائدي تحت المسمى الإجرامي (عندما يجيب المجرم بقوله: هذا يفوقني، اضطررت للقتل، استسلمت للأوامر). الذي يشهد على وجود فضاء ثالث يجعل من الجريمة ضرورة لضمان تهديد أكثر إجرامية (إذاء الذات أو الذهان). بين الجريمة أو الهذيان فإن أبسط ألم للجريمة يصبح حلاً نفسياً حتى لا يصاب بالجنون. تتشكل الهوية الإجرامية كمرشح لرهان من النوع الذهني. هل تصبح الجريمة انطلاقة من الأفعال الإجرامية محاولة تشكيل فاشلة لحاوية نفسية مختلة أو مسامية، خانقة لمحتوياتها النفسية.

بمنطق نفسي إجرامي يصبح الفعل التدميري ضرورة ملحة، فهو الذي يقيد المنهجية النفسية لسيناريو الفعل، للسلوك المخفف، وللفضاء المتراص والزمنية الملتحمة. لا تبدو هذه الضرورة كعودة للمكبوت، بل تظهر أمام تقاطع مسدود للتمثيل. ليس على شكل محتويات نفسية وإنما على شكل فضاء حاوي أو مكان نفسي للإرصان. الأمر الذي يدفع إلى القول بأن المشهد الإجرامي للفعل خاصة من ناحية الرعب المتكرر، وغياب مشهد نفسي حاوي بما فيه الكفاية أو حتى مهدئ من أجل استقلاب المحتويات الإجرامية.

يشبه هذا المشهد النفسي تفعيل للسجل الأولي الذي تحدثت عنه Aulagnier تحت مسمخاً في كتابة السيناريو التصويري، يحدث التمثيل حقيقة كما لو أنه ليس غلافاً نفسياً بما فيه الكفاية؛ أو غائباً كلياً هذا الخلل في جروحية التمثيلي لا يمر دون أن يكشف عن فشل في تحقيق الهوامي (Bessoles, 2012).

3-3- الجريمة كألية للتخلص:

يشكل الصراع العلائقي خلال المراهقة محطة أساسية يستعان بها لتفسير كل التدايعات النفسية والسلوكية لهذه المرحلة. لا يتعلق الصراع بالموضوع فقط بل يشمل العلاقة بالجسم، بالتناولي، بالبلوغ، وبطبيعة العمليات النفسية التي تحقق الانفصال/التفردن وآليات النشاط/الفتور. تتلخص مشكلة المراهقة في المعانات النرجسية الهويةتية، يبحث المراهق عن حل لها كما أشار Roussillon وفق أربع أشكال: عن طريق الموضوع (لاكتتاب). عن طريق الفعل (التصرف أو المرور إلى الفعل)، عن طريق الجسم (الجسدنة)، أو عن طريق الشذوذ.

إن اختيار الفعل خلال المراهقة يعبر عن انسداد بالنسبة للموضوعية والذاتية. وهي ما عبر عنها Green بالحالة التي "لا يأخذ فيها الرفض اللاواعي لبدايات الوجود (الطفولة المبكرة) استقلاليتها عن طريق العزل. بل على العكس من ذلك، بالاعتماد على الموضوع ينجو الكائن من الأخطار، وهي حالة فتور مثمرة تقوده نحو الزخم العلائقي والانجاز الشخصي" (Jeanneau, 1999, p.1608).

تظهر الجريمة في هذه المرحلة كمحاولة للتخلص من حالة الفتور التي وصفها Green بأنها حالة أصيلة للطفل الخاضع لتملك الرعاية الامومية. ومرة أخرى حالة الفرد الخاضع للبلوغ. يتعلق الفشل الذي تثيره الجريمة بالسبل الداخلية. فهي لا تتبع منهجية الآليات الدفاعية ولكن تتبع سبل أوليات التخلص. "وتتعارض معها بكونها-أولويات التخلص- ترمي إلى تحقيق حالة التفريغ (التصريف) ولا إلى إزالة خطر التوتر. بل أن وظيفتها تتلخص في الحل التدريجي للتوتر من خلال تغيير الشروط الداخلية التي تولده" (لابلانوش وبنثاليس، 2008، ص.131). فالتخفيف الملاحظ الذي يحدثه الفعل الإجرامي يستجيب بهذا التفعيل لحالة فرط التخدير الحر على المستوى الداخلي.

نموذج آخر لأولية التخلص وهو القلب إلى الضد حيث يكمن الخلل لدى المراهق المجرم إلى قلب حالة الفتور إلى حالة فتور-شدة حيث الجريمة هي المحاولة المجهضة للتخلص (Bessoles, 2005a).

3-4- تناذر الأم الميتة:

يرى Green مرة أخرى بأنه من الممكن قراءة الجريمة كنداء يائس لمعاش أمومي فاشل، ويتساءل حول المنطلق الأصلي السببي؛ أين يستدعى «البلوغي-البداي» كفرصة ثانية لتصحيح الخلل الأولي، لكن تأتي الجريمة لتشهد على فشل هذه الفرضية الثانية. فجريمة الأم الميتة تثير من الناحية الإكلينيكية والنظرية ثلاث توجهات لتفسير هذه الفرضية:

- . تشوهات على مستوى الضبط أم/طفل.
- . فشل الوظيفة الامومية لصاد الإثارات.
- . استجابات الأم لنداء الطفل.

يكشف هذا الاختلال عن صدمات مجهرية يعاد تنشيطها تحت مسمى البلوغي. يتشكل هذه الجانب من كمية العاطفة غير المُمثلة، لا تترك أي أثر للاستثارة التي تولد حساسية مفرطة لتفعيل الجريمة، ومنجهة أخرى؛ تكشف عن المأزق الوهمي وعدم بلوغ الموضوع الانتقالي (Bessoles, 2005a).

4-التنظيم النفسي للمراهق القاتل:

يتأثر التنظيم النفسية لدى الأفراد القائمين بجرائم العنف بطبيعة الفعل المرتكب والمتغيرات النفسية الداخلية التي تتصف بالاختلال والهشاشة، وقد أصبح من الواضح أن هذه التأثير متبادل. بحيث يمكن فهم تنظيم الشخصية من خلال الفعل والعكس صحيح.

من مميزات البنية الحدية أن تكون تصورات الذات وتصورات الموضوع منشطرة وقطبية، الأمر الذي يؤثر على تأويل العواطف. بحيث يمكن للغضب أن يصبح هيجانا؛ الشعور بالحقد والانتقاد يمكن أن تعاش كإصابة نرجسية عميقة. كما يمكن لهذا الإدراك المتطرف والنقاطي للعواطف أن يزيد من خطر المرور إلى الفعل العنيف (Meloy, 1992).

بالرجوع إلى علم النفس المرضي تسمح الثلاثية «عصاب/شذوذ/ذهان» بوصف أولي مؤقت:

- بالنسبة للذهاني يندرج الفعل الإجرامي تحت الإغفال-ويشهد في الواقع على عودته-، الفعل الإجرامي معادل للذهيان.

- بالنسبة للعصابي: الفعل الإجرامياخذ قيمة الهفوة *Acte manqué*.

- بالنسبة للشاذ: يأخذ الفعل الإجرامي وظيفة استكمال الإنكار (Bessoles, 2005a).

يرى Bergeret (2009) أن لدى الأفراد ذو السجل الذهاني نقص في استدخال العنف الأصلي مما يؤدي إلى فرط العنف وصعوبات في عملية التثبيط. في الواقع؛ عندما لا يسمح التفاعل بين الطفل والمحيط بالمرور إلى عالم أوديب منظم ولكن يشترط أن يقوي نوعا ما الخيال العنيف تصبح التصرفات الوحشية شائعة في الوضعيات المعقدة والضاغطة بالنسبة للفرد.

في دراسة مقارنة أجرتها Hirschelmann على عينة مكونة من 39 حالة محكوم عليهم بارتكابهم جريمة قتل بفرنسا، قسمت الباحثة العينة إلى 21 سجين تم استيفائهم من مؤسسة عقابية لا يعانون من أي اضطراب عقلي لحظة ارتكابهم للفعل. و18 حالة متواجدة بوحدة للمرضى الصعاب (UMD) مصابون بالذهان. وفتت الباحثة على بعض الخصائص النفسية الدينامية. حيث وجدت بالنسبة للمجموعة الأولى بعض العوامل الاكتئابية، علاقات موضوعية سطحية وصراعية، محيط أسري مضطرب وعنيف؛ أيضا؛ قبل المرور إلى الفعل فان هؤلاء الأشخاص يعانون من صعوبة في معاشة الوضعيات غير المستقرة، بإمكان هذه الصعوبة أن تؤدي إلى خسارة الحياة الاجتماعية أو العاطفية وهو ما يساهم في التخطيط

للفعل الذي يستثمر إما بكونه اندفاعي أو تم التخطيط له، لكن تبقى النتائج المباشرة ملاحظة. يتميز هؤلاء كذلك بسرعة الغضب، فقدان السيطرة، لديهم برودة عاطفية، دوافع الفعل تكون دون التعرض للإهانة، جرح نرجسي أو تصفية حساب.

أنواع جرائم القتل التي نصادفها مع هذه المجموعة لدينا: الجرائم النفعية، شبه قانونية، عاطفية. ولدى المعتدي انطباع بأنه يعتدي على نفسه؛ بلغة أخرى؛ الحدود بين الذات والآخر غير واضحة ما يشير إلى أن الضحية غير متميزة. أما بالنسبة لمجموعة الذهانين فقد وقفت الباحثة على قلق تجزئة شديد. نمط علائقي يتميز بالانطواء على الذات والانعزال. ينحدرون من أسر مضطربة حيث الوظيفة الوالدية غائبة دوماً.

يحدث فعل القتل خلال مرحلة ذهانية. وتكون الجريمة إما اندفاعية أو مخطط لها، ويرجع الدافع إلى تصور مشوه للواقع أو إلى إحساس بالتهديد العام، ولامبالاة اتجاه الضحية. بعد الفعل هناك غياب للإحساس بالذنب حيث يسلم نفسه مباشرة (Hirschelman, 2014).

على حسب نوع الشخصية، الاضطرابات الإكلينيكية والأعراض الأكثر انتشاراً تم التطرق للفعل من طرف Senninger & Fontaa 1999 لأجل وصف المرور إلى فعل القتل والتنظيم النفسي المصاحب له. وقد حاول الباحثان قدر الإمكان إعطاء صورة عن كل النماذج الإجرامية وإسقاطاتها النفسية. يمكن أن نلاحظ ذلك من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 7: تصنيف المرور إلى الفعل

الشخصية	مميزات المرور إلى الفعل
نفحات هذيانية وخط عقلي	عالم خارجي مدرك كعنيف، هلاوس، أفكار هذيانية. انسداد مرجعي بالنسبة للتجارب الماضية أو للحلول يتعلق الأمر بأن يُقتل أو يُقتل، يكون المرور إلى الفعل مهماً.
هوسية	شخص أقل خطورة في غياب الإحساس بالقوة المطلقة، الإثارة والهيجان الحسركي المضطرب (لا توجد أعمال عنف منظمة). حالات هوس مفرط (احتمالية الأفعال العنيفة) حالات مختلطة (وجود أفعال لا يمكن التنبؤ بها ويحتمل أن تكون عنيفة)
سوداوي	خطر الانتحار، المرور إلى الفعل الغيري (قتل الأقارب)، بوجود العوامل الهذيانية.
تسمم، إدمان على الكحول	يمكن للكحول أن يحرر القوى اللبديية المثبطة: مرور إلى الفعل أكثر خطورة في حالة وجود هذيان أو غير (احتمال قتل زواجي)
شخصية سيكوباتية	عدم استقرار، هيجان، اندفاعية وعدم القدرة على تجاوز الإحباط: انفصال أو فشل في العلاقات، عنف متناسق عموماً في الواقع: ردة فعل عنيفة اتجاه التصرفات التي يتم تأويلها كعنف جسدي/نفسية.
عصاب	لا يحتمل العنف، آليات دفاعية لحماية نفسه (عنف ذاتي)، القتل نادر.
شدوذ	عنف مرتبط بتصرفات سادية/مازوشية، غياب الشعور بالذنب والصراع النفسي الداخلي، حاجة معتبرة للتحكم وبإمكانه المرور إلى الفعل في حالة غيا التحكم.
ذهان	هذيان الاضطهاد أكثر احتمالاً أن يدفع إلى المرور إلى الفعل وحتى القتل

(Borges, 2006, p. 32)

حاول الباحثان من خلال هذا العمل الوقوف على وصف دقيق لدينامية الفعل العنيف (القتل) وربطه بالخلفية النفسية في محاولة لحصر الخصائص الداخلية. وقد وقفا كذلك على متغير الخطورة بالنسبة لطبيعة الفعل، ونجد ذلك عندما يكون هناك تزاوج بين خصائص شخصية معينة والإدمان حيث يشكل الكحول عامل خطر في زيادة احتمالية المرور إلى الفعل وكذا أن يكون هذا الأخير أكثر خطورة. كما أشارا بالنسبة لأغلبية التصنيفات أن ما يميز التوظيف النفسي هو خلل في إدراك الواقع الخارجي بسبب اضطراب البنى العلائقية الداخلية التي تم استدخالها مبكراً، سيطرة القوى النزوية بسبب قوتها وشدتها بمقابل خلل في القدرة على التحكم.

يتميز التوظيف النفسي للفعل العنيف بأنا هش، ضعيف، حساسية مفرطة اتجاه الإصابات النرجسية، المصحوبة بالشعور بالعظمة الطفولي، آليات دفاعية مثل: الإنكار والانشطار. وتكون العلاقة بالآخر تحت رحمة التملك، نمط العلاقة بالموضوع أولي يتم استدعاءه خلال الوضعيات التي يصعب فيها التحكم. يولد هذا الشكل لعلاقة التملكية وعواطف شديدة وقوية من العدا، الغضب والكرهية التي يتموقعها تعرق العمل النفسي الذي يغزى من طرف هومات وعواطف مؤلمة (Coutanceau, 1992).

بعيدا عن التصنيفات التي تبدو ظاهريا شبيهة بالتصنيفات المرضية المعروفة (DSM, CIM) بالرغم من كونها ليست كذلك. تعتبر خصائص الضحية من بين المتغيرات المهمة لتصنيف الجرائم وفهم طبيعتها وديناميتها الداخلية. فمثلا في الحالة التي يكون فيها الشخص في علاقة عاطفية مع الضحية (أولياء، أطفال، زوج، صديق، أقارب) عادة ما تحدث الجريمة بعد تهديد داخلي أو خارجي يولد تنشيط للجهاز العصبي اللاإرادي، يترافق ذلك بتهديدات لفظية ومواقف دفاع أو هجوم. يطلق على هذا النوع من مسمى الفعل العاطفي. من ناحية أخرى ومع المرور إلى الفعل السيكوباتي أو الذي يترافق باضطراب نرجسي لا يستطيع الفرد إدراك الآخر كشخص منفصل عنه يستحق العطف وإنما يدرك كامتداد سيكودينامي لتمثيلات الذات العظيمة للقاتل. يتطلب هذا النوع من الفعل انتباه، تخطيط، وانفصال عاطفي. أما بالنسبة للحالة التي يكون فيها الرابط العاطفي بالضحية ضعيف أو منعدم يصنف الفعل ضمن جرائم العنف الافتراضي أو الغائي (بمعنى أن الضحية يعتبر وسيلة). يوصف التوظيف النفسي للفعل بأنه عملية إزاحة عاطفية على الضحية ويتم اختيارها وفقا لخصائص محددة مسبقا.

في حالة الإزاحة العاطفية يتم إدراك الضحية بالنظر إلى مدى انسجامها مع تصور الموضوع الداخلي للمعتدي، بمعنى الصورة البصرية المبحوث عنها بيأس في المحيط الخارجي والهوام المستدخل. تكون في ذات الوقت مكروهة وغير مرغوبة، تولدت هذه الخصائص عن صورة أمومية أو عشيق سابق،

ويصبح بإمكان الفرد تجريدتها من قيمتها أو على العكس جعلها مثالية. لهذا يختار ضحيته بالاعتماد على خصائص جسدية محددة ويكون مدفوعا في ذلك بواسطة نزوات جنسية وعدوانية (Meloy, 1988).

7-العلاقة بالموضوع في حالة العود:

في علم الإجرام وبالضبط في حالة العود، فإن الهدف من تكرار الجريمة هو السيطرة على الموضوع بواسطة القوة أو السلطة. لا يمكن أن يخضع الموضوع للموضوعية. وهذا ما يمنحه مكانة خارجية مختلفة لا يستطيع المجرم الولوج إليها. ينظر إلى الموضوع باعتباره:

- كل ما بإمكانه تحقيق التحكم في غريزة التملك (تسمح حالة اللاموضوعية بتسيير دقيق للغيرية وذلك بالقضاء على هويته، فيكون الموضوعون موضوع).
- التملك، التحكم والسيطرة بالقوة أو السلطة (للآخر وظيفة نفعية خالصة، الاستغلال، الإرضاء الجنسي، المصلحة). وهو نموذج سفاح القربى المتكرر الذي ينتقل من ضحية إلى أخرى.
- تدمير الفرد إذ ما حاول معارضة أو رفض السلطة (الولاء الخالص وطاعة الأوامر حرفيا).
- التحكم في الاستثارة (بواسطة الإسقاط، لا يريد المجرم أن يعرف أي شيء حول رغبته، يربك الآخر بمصدر الاستثارة). وهو قوام العظمة في كل الأشكال الإجرامية بمتغيراته الاضطهادية وتأويلاته الهذيانية المفرطة.

المرور إلى الفعل الإجرامي ينطوي ضمن المرور إلى الفعل باعتباره تفعيل للمجال الهوامي في الواقع. مسار هذا التصرف ينتقل من الخيال إلى الواقع، وينطوي أيضا ضمن الرجوع إلى الفعل باعتباره تجنباً لنفس المجال الهوامي أو مزيج بين الخيالي والواقعي. مسار هذا التصرف مرة أخرى يتجنب أو يستهدف الخيالي لينتج الحقيقي الإجرامي فقط (Bessoles, 2012).

III-جريمة السرقة:

بالرغم من كونها أكثر الجرائم انتشارا وخطورة في كل المجتمعات، حيث صارت تشكل خطرا حقيقيا على ممتلكات الأفراد، إذ تعد من القضايا التي لا تخلو جلسات المحاكم يوما إلا ونظرت في واحدة منها على الأقل (نصر الدين، 2006، ص.225)، تبقى السرقة الفعل الوحيد الذي لم يحظ بالدراسة الكافية والمفسرة له. وينجر عن هذا تفسير شخصية السارق التي تشكل أحجية في حد ذاتها بالنسبة للمختصين في علم النفس، علم النفس المرضي وبالنتيجة على النفس الإجرامي.

يبقى إذا هذا النوع من الفعل على هامش الدراسات النفسية والتحليلية التي من المفروض أنها تعطي فهما أكثر عمقا حول السيرورات النفسية المتفاعلة، التاريخ الدينامي وطبيعة العوامل الماورائية المهيأة

للفعل. إلا أنها فضلت تناوله تحت مظلة السلوك المنحرف، السيكوباتي، أو الشخصية المضادة للمجتمع. وبالتالي فتفسير هذه الأنماط يعني تفسير فعل السرقة دون الرجوع إلى عزله عن هذه الخلفية. يحتاج هذا النوع من الفعل إلى الوقوف على تاريخ العلاقة بالموضوع لدى المراهق، الاختلال الذي واكب هذا المسار، مكانة الموضوع، رمزيته، وبناءه في السجل النفسي الفردي إلى درجة إحداث الانفصال عنه. هذا كله مقابل العلاقة بالموضوع المسروق، الفراغ المسجل في طرفي المعادلة يمنح تصور حول جانب من جوانب هذا الفعل.

الهوام الذي يغذي هذه العلاقة له نصيب هو الآخر في مجرى الفعل حيث يفسر المبادلات التي تحدث بين الداخل والخارج، وكيف يحتل الموضوع ككل أو جزء منه مقابل التهديد الذي يشكله عند التقاءه، اختراق للغلاف النفسي للمراهق الذي يقبع أساساً تحت طائلة عمليات البلوغ/الانفصال/التفردن.

• **التعريف:** جاء في لسان العرب سَرَقَ منه الشيء سَرَقاً، وسرقة. كما يقال: اسْتَرَقَهُ بمعنى سَرَقَهُ، والسارق عند العرب من جاء مستتراً إلى حرز فأخذ ما لا لغيره، فإن أخذه من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومحترس، وأن منع ما في يده فهو غاصب ومنتهب (ابن منظور، 1969، ص. 155).

1- انحراف مسار النمو وتفسير الفعل:

1-1- السرقة موضوع سند أو/وموضوع مفقود:

يحتاج الفرد لكي ينمو نمواً نفسياً سويًا إلى علاقة مستمرة ومستقرة مع المواضيع الخارجية التي تضمن حداً معتبراً من التفاعل والاستثمار. كما يتطلب الأمر خصائص نفسية تحقق من خلالها وظيفتها الإشباع والإحباط للرغبات والحاجات الأولية للنمو.

يتفق الباحثون حول أهمية العلاقة الموضوعية المبكرة ويتحدث Winnicott عن انقطاع وظيفة الحماية التي يضمنها Holding. يتولد عن هذا الانقطاع معاناة نفسية داخلية شديدة تترافق بقلق الهجر اللاشعوري، معاناة تبقى كامنّة في أغلب الأحيان. في ذات السياق يؤدي النقص في عاطفة الأم باعتبارها أولى الاستثمارات الموضوعية إلى منع الشخص من تعلم الشعور بالحب، وتعلم التقمص، وبالتالي تصاب علاقاته بالتشوه (حرمان في التعلق بالموضوع)، يواجه الطفل سلسلة من التجارب غير الآمنة تعرقل وبصورة مباشرة عملية إزالة التوهم (Kohut, 1971). خلال هذه العملية عادة ما يمارس الفرد السيطرة القهرية على الموضوع بسهولة، مؤقتاً، وبالمواجهة التدريجية مع الواقع بسبب الإحباط المتكرر وعدم الإحساس بالأمان ليصبح غير قادر على استدخال مثالية نرجسية.

يبلغ الفرد هذا الحد من النمو الذي لا يسمح فيما بعد وضمن آليات أخرى بتكوين بُنية نفسية عبر عنها

Kohut بمسمى «استدخال بنيوي» حيث لا يوجد هناك احتمال تحقيق التقمص. وبالنتيجة هوية خاصة، ونفس الأمر بالنسبة للانا-الواقع الذي لا يتم استدخاله إلا جزئياً.

تتطلب عملية الخروج من الوهم من الوالدين أن يشكلا جهاز صاد إشارات جيد، فالعنف الأساسي ثم العدوانية الحرة تغزو الأناغير الناضج وتسوق الفرد نحو الفعل في محاولة منه لاسترجاع السيطرة ولإيجاد «موضوع إصلاح» يسمح بدوره بإصلاح الجرح النرجسي. في هذه الحالة يصبح الليبيدو في خدمة العنف والعدوانية لعدم وجود بنية مُنظمة (Bergeret, 1995). هناك إذا صراع بين النزوات الموجهة ضد الموضوع والحاجة المثالية الملحة المتمثلة في إصلاح الجرح النرجسي بواسطة فعل إرضاء خارجي.

مع استمرار عملية النمو يستمر الموضوع في دوره الذي يتمثل في المساعدة على تطوير العمليات الثانوية وبناء مبدأ الواقع. يعتبر الموضوع الخارجي مرجعي من خلاله يعاد تنشيط العلاقات الموضوعية المستدخلة في سن مبكرة. يعمل هذا التنشيط على تنظيم سلوك الفرد وكذا ردود فعله. ويعاد إحياء المستدخلات السابقة في العلاقات بين-الشخصية الراهنة للفرد (Caligor & Clarkm, 2010).

يشكل الموضوع في هذه الحالة ما يطلق عليه مسمى الموضوع الاتكالي وهو ما معناه أن يرتبط الفرد بالموضوع الخارجي (المسروق) بعلاقة-إسناد، أو بعلاقة-فقدان. تُحمل هذه الخصائص (إسناد-فقدان) على الخصائص النفسية التي تبلورت في ظل الروابط العلائقية السابقة للفرد.

1-2-وظيفة الموضوع المسروق:

يرى Lesourd انه في كثير من الأحيان لا يطلق المراهق على الأشياء التي سلبها من الغير تسمية الأشياء المسروقة، وإنما هي مجرد استعارة. والاستعارة هي الاستعمال الذاتي لغرض من أغراض الغير، من الناحية القانونية يعتبر فعل امتلاك شيء هو في الأصل ملك للغير. استيلاء على شارة، سرقة لخصائص، لسمة من الآخر لا يستطيع الفرد امتلاك هذه الأشياء القيمة. يأخذ الموضوع في هذه الحالة وظيفة تعزيز النرجسية لحظة امتلاكه؛ يصبح فعل السرقة الطريقة والوسيلة الوحيدة لبلوغ هذا الهدف، ليس مستبعداً أن يتم التخلي عن الموضوع المسروق فيما بعد. فقيمه الحقيقية تكمن في جعل الفرد خلال فترة حيازته فراد ذا قيمة، وتعزيز استحقاقه لموضوع الأنا (Lesourd, 1998).

يطرح Winnicott مثال الطفل ذو 8 سنوات عند سؤاله عن امتلاكه لبطانية أجاب مباشرة-فهو يعلم أن الموضوع الذي سأل عنه هو موضوع محدد-أجاب بأنه لا يستعمله إلا نادراً، يقصد Winnicott في هذه الحالة الموضوع الانتقالي الذي لا يمكن نسيانه، لم يتم كبته فهو رمز للام، وهو موضوع حقيقي، وهو

نفسه موضوع السرقة ذات الميل المضاد للمجتمع. هل يدرك الطفل حقيقة الموضوع المسروق؟ هل يصبح هذا الموضوع لحظة سرقة مستحوذا هوميا؟ هل أن شجب هذا الفعل يستدعي الواقع الدال بالنسبة للطفل

بأنه قد تحرر من الرابط البدائي للام؟

تشكل السرقة في حالة الميول المضادة للمجتمع نداء للام البدائية المكبوتة. تشهد على أمل بأن يتم الاستجابة للنداء. في هذه الحالة ليست مجرد عقلنة واعية لمعاملة عادلة بين الأخوة مثلا، بل تمت جذورها لاشعوريا إلى فضاء يمكن الاعتماد عليه كما حدث سابقا، ويبقى الأمل عن طريق القيام بالفعل في هذا الحق المؤكد (Cailucoli, 2005) في استحقاق الموضوع.

تناول التحليل النفسي مطولا مفهوم الموضوع وفق هذا المنطلق (Winnicott, Lacan, Freud). فموضوع الواقع الخارجي لا يتطلب خصائص مادية معينة وإنما تكمن أهميته في الوظيفة التي يؤديها مقارنة والموضوع النفسي الداخلي (وظيفة التعزيز، السند، إشباع النزوة، إشباع الرغبات). بالرغم من كل هذا فالموضوع المسروق يملك وظيفة مبتدلة لا تتطوي تحت طائلة الانحراف، تتمثل في إتاحة الفرصة للمواجهة بين الأناوالفعل الخطير. في هذه الحالة ليس للموضوع أي قيمة مادية وبالإمكان التخلي عنه مباشرة لحظة الفعل، لان المجازفة تفعل السرقة وحدهما ذو دلالة بالنسبة للفرد، المواجهة المباشرة بين الأناوالفعل الخطير والمنحرف تعتبر محاولة يثبت من خلالها المراهق بأنه "يستطيع". الموضوع السببي في هذه الحالة بعيدا تماما عن حقيقة الموضوع. ولكن باستطاعته إرجاع الفرد إلى قوته، كمشهد لقدرته الذاتية على ارتكاب الفعل. الموضوع المستخدم في هذا النوع من السرقة هو موضوع قضيبى؛ وهو الذي يعتقد الفرد أن امتلاكه يتيح له ضمان قوته.

تضاف إلى هذه الوظيفة التي يقدمها الموضوع المسروق إلى جملة الوظائف الأخرى التي يضمنها الموضوع النفسي، بالرغم من اختلاف الخصائص المميزة لكليهما. لكن في ذات الوقت لا يمكن الحكم عليها بالاضطراب خصوصا في ارتباطها بمرحلة المراهقة. لأنها تخفي في طياتها وفي بعض الأحيان حسب Lesourd (1998) محاولات لتأسيس علاقة راشدة مع الموضوع. فهذه المواضيع ليست نادرة في المرور المراهقي؛ ولا تؤكد بالضرورة الدخول في انحراف معين بالرغم من التصورات الاجتماعية التي تشكل منفذا مباشرا لها نحو الانحراف الاجتماعي، العلاقات المنحرفة بالموضوع يمكن اعتبارها كشحنة للاستمتاع، شحنة للمرور إلى الفعل المنحرف-السرقة-حيث يسمح الامتياز بالتمتع بموضوع الواقع.

2- منشأ فعل السرقة:

يؤكد Bowlby (2006) على وجود العديد من الدراسات المعمقة (Burt 1925، Cart Saunders & col 1943) التي بحثت في أسباب انتشار السلوك المنحرف، غير أن ظاهرة السرقة تبقى غامضة بالرغم من التصورات التي شهدتها مجالات علم النفس.

في البحث الذي نشر سنة 2006 حول الشخصية والحياة العائلية لـ 44 شاب سارق، أجرى الباحث دراسة معمقة ومقارنة غطت جوانب الشخصية، استخدم فيها الملاحظة، اختبارات الذكاء والشخصية. تراوح سن أفراد العينة ما بين 9 و16.2 سنة، وأنواع الفعل المرتكب جاءت ضمن أربع درجات: الدرجة الأولى تضم الحالات التي ارتكبت الفعل مرة واحدة، الدرجة الثانية بعض السرقات فقط، الدرجة الثالثة: سرقة عرضية منذ مدة، الدرجة الرابعة: سرقات خطيرة متعددة ومنذ مدة طويلة تصل في 7 حالات إلى ثلاث سنوات، أما الخصائص الطبيعية فقد تمثلت في 5 مجموعات: عادي، اكتتابي، دوري فرط المزاج، غير عاطفي وفصامي.

وقف الباحث على وجود عامل مشترك بين أفراد العينة يدفع إلى تفسير سببية فعل السرقة ويعطي معنى للتصنيفات أو التنظيمات البنوية من خلال الوقوف على خصائصه المنتشرة مع المعطيات التي تم جمعها عن الحالات. يتمثل هذا العامل في الارتباط بين الطبع غير العاطفي وهو الأكثر انتشارا لدى أفراد العينة وسلوك السرقة. فمن بين 23 حالة مارست سرقات مستمرة 14 منهم لديهم طبع غير عاطفي و93% من بين 14 تعرضوا للانفصال المطول خلال الخمس سنوات الأولى من الحياة. كذلك من بين 23 حالة مارست السرقة المزمدة 61% منهم تعرضوا إلى انفصال مطول خلال الخمس سنوات الأولى من الحياة. شكل الانفصال المبكر والمطول عن الأم أو عن البديل عنها عامل أكثر أهمية في تطوير الطبع المنحرف واضطراب السلوك. وكان لردود الفعل الانفعالية للوالدين وبالأخص الأم اتجاه الطفل جانب مهم في تفسير هذه السببية، فالطفل الذي يعيش في جو من: الغضب، العنف، النقد، الإهمال، الحصر، فرط الحماية، عدم الاستقرار الانفعالي لديه القابلية أكثر لتطوير الطبع المنحرف.

وأشار الباحث أنه نتيجة للأحداث الصدمية الراهنة التي يعيشها الشخص والاستجابة الاكتئابية التي تصاحبها يمكن أن تتضمن سلوك السرقة كعرض من الأعراض الممثلة لها. حيث يسرق الطفل كتعبير عن رغبة في استرجاع المفقود.

تتمثل الدينامية الداخلية التي تشكل من خلالها فعل السرقة وفق ثلاث محطات رئيسية في تطور الفرد. تتمثل هذه المحطات في:

2-1-الحرمان في المواضيع الأولية:

بمعنى الانفصال المطول خلال السنوات الأولى عن الموضوع الأولي المتمثل في الأم أو البديل عنها، وسواء كان هذا الانفصال نهائي (الموت، الطلاق) أو مؤقت (الاستشفاء...) ولكن لمدة طويلة. في هذه الوضعية تتفاقم النزوات الليبيدية والعدوانية بسبب الإحباط المصاحب للانفصال، يطمح الطفل في الإشباع الليبيدي عن طريق السرقة. بعض المواضيع البديلة بإمكانها أن تصبح رمزا لعاطفة الموضوع (حليب، لعبة، هدية)، لكنها لا تعوض الموضوع الأصلي المفقود؛ فالإشباع الليبيدي لا يحدث لمجرد الحالة التي يكون فيها الموضوع (الغياب والحضور) ولكن بتملكه داخليا، وبالتالي لا تحدث هذه الرموز البديلة الإشباع الكافي، فيظهر الأمر في سلوك السرقة.

يستمر الفرد في هذا السلوك، وينتقل إلى استخدام العنف (السرقة مع استخدام العنف، السرقة بالتحطيم) رغبة منه في تملك كل المواضيع الجميلة التابعة للموضوع الاصلي. تأخذ هذه الرغبات الليبيدية شكل الفمية، الشرجية، التناسلية. ولا ريب في وجود مركبة ليبيدية قوية في تشكل السارقين المزمنين.

2-2-الانتقام نتيجة الحرمان:

تلعب العوامل الليبيدية دورا أساسيا في تفسير فعل السرقة كما سبق القول، لكن العدوانية لها نصيب هي الأخرى في إحداث هذا السلوك. تتغذى العدوانية من النزوات الليبيدية. تظهر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في هذا الفعل بسبب غياب التثبيط النزوي، وغياب العلاقة الشخصية المستقرة، يشكل هذا الحرمان الشديد سواء على المستوى العلائقي أو على المستوى الداخلي النزوي ما يدفع للقيام بالفعل كصورة من صور الانتقام من الموضوع الذي تسبب في إحداث هذا الضرر؛ وإلحاق الأذى به وجعله يعاني بالرغم من أن النزوات الليبيدية والعدوانية اتجاها الوالدين ليست مسببة للانحراف لكن خصائصها المميزة هي ما يدفع إلى القول بهذه السببية.

2-3-اضطراب المنعكسات العاطفية:

يعاني اللص من صعوبة في الشعور بالعاطفة والتعبير عنها، وبالتالي صعوبة في الحصول على علاقة مع الموضوع. في الحالة العادية وعن طريق التقمص والاستدخال. يخلق الطفل ارتباط ما بين المحسوس والسلوك، يلعب الأنا الأعلى في هذه الحالة دور المحافظ على العلاقة بالموضوع بتثبيط النزوات المتضادة. يتبلور الأنا الأعلى مع وجود حب الموضوع وبالتالي لن يكون هناك أنا أعلى بغياب حب الموضوع، وليس هناك داع لعمله المتمثل في المحافظة. في حالة السارق غير العاطفي ليس هناك أي علاقة مع موضوع الحب وبالنتيجة ليس هناك أنا أعلى لتنظيم النزوات الليبيدية والعدوانية.

2-4-تشكل الهوام المرعب:

بسبب التصحر العاطفي الذي يسيطر على العلاقة بالموضوع الامومي المفقود أصلا والنتائج عن عدة أسباب من بينها: عدم وجود استثارة عاطفية (الحب)، بسبب فقدان أو غياب الموضوع؛ تطوير عاطفة الكره والحداد اتجاه الموضوع الذي كان سببا في إحداث هذه الحالة. تكتسح عواطف الكره والحداد السجل العاطفي الموجه للمواضيع الأولية ولمن يمثلها.

تغذي هذه الأحاسيس الفضاء الخيالي للفرد، خاصة الجانب الذي يمثل الموضوع الأمومي الذي يصبح مع هذا الإحساس محبطا، مليء بالعداء والرغبة في الانتقام. يتولد الهوام عن هذا السياق عن طريق الاستدخال ويصبح الشخص متملكا بواسطة مواضيع سيئة يصل هذا التملك إلى درجة اعتبار الذات نفسها على درجة من السوء.

تسيطر على السارق غير العاطفي هومات سيئة عن الموضوع وعن ذاته، هومات تعوض الوضعية الواقعية ويزيد طول الانفصال تثبيتها ووضع جذورها في الفضاء الخيالي. يرى الطفل العالم الخارجي من خلال هذا الهوام كانعكاس لصور مرعبة ومليئة بالغضب وبالتالي يشعر بأنه غير جدير بالثقة والمحبة ويعمل على تأويل كل الوضعيات وفق هذه المعادلة.

2-5- سببية الشعور بالذنب:

يشير السياق المتتالي الذي يتشكل الفعل من خلاله إلى عدم قدرة الشخص القائم به على تطوير علاقة مع المواضيع والمحافظة عليها. يفسر هذا الخلل عن طريق تشكل الهوام كما سبق القول، وأيضا عن طريق الشعور بالذنب الذي يطغى على إحساس السارق قبل وبعد الفعل.

يلاحظ أنه لا يحتفظ بالأشياء المسروقة ويقوم بتقديمها فوراً لأي شخص آخر، كما أنه لا يطلب أي شيء من الآخر كتعبير صريح عن عدم أحقيته في أي شيء ما يولد الشعور باللامبالاة (Bowlby, 2006, pp82.116)

3- أشكال من الفعل:

تأخذ السرقة بمختلف أشكالها نسب مرتفعة من معدلات الجريمة. وتمتد أثارها لتشمل المجالات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع. وبالرغم من هذه الخصائص المميزة لها فهي لا تثير رغبة الباحثين في تناولها بالدراسة، ولا يشكل السارق موضوع للخطاب الطبي والنفسي (Malandain, 2017)، مقارنة والمعتدي الجنسي أو القاتل مثلاً.

يتميز المجرم السارق بنمط إجرائي فريد مقارنة وأشكال الجريمة الأخرى، لا يميل في كل الأحوال للظهور، يمارس المراوغة، التخفي ولا يترك آثار بعد ارتكابه للفعل. لا يتم وصفه كشخصية مرعبة تخضع لخيال إجرامي تسوده القسوة العاطفية والرغبة التملكية السادية في إحداث آثار صدمية على الضحية. بل

يوصف في الروايات كشخصية شديدة الذكاء والحنكة لحظة الفعل، وفي طريقة تعامله مع الموضوع الذي يرغب في الحصول عليه.

تعتبر السرقة المرضية إحدى أشكال السرقة التي تم تسليط الضوء عليها لأول مرة منذ 1888 من طرف الطبيبان الفرنسيان Marc & Esquirol، وصف هذا النوع من السرقة بأنه مرتكب بطريقة لإرادية، لا يمكن التحكم فيها.

يتميز Kleptomane أو المهووس بالسرقة باستحالة مقاومة الاندفاع المتكرر لسرقة الأشياء، حتى وإن لم تكن ذات منفعة أو قيمة مادية؛ يشعر الفرد بزيادة التوتر قبل السرقة، ويشعر باللذة، الراحة والإشباع بعد ارتكاب الفعل. لا يشكل هذا الأخير تعبيراً عن الغضب أو الرغبة في الانتقام، ولا يحدث مباشرة بعد هذيان أو هلوسة. لا يمكن فهمه عن طريق اضطراب عقلي آخر مثل اضطراب السلوك أو نوبة هوسية، أو شخصية مضادة للمجتمع.

يتميز هذا النوع بكون الأشياء المسروقة ليست ذات قيمة بالنسبة للسارق، يدرك هذا الأخير بأن الفعل الذي يقدم عليه لا يكون ذو أهمية، وعادة ما يتم إيقافه ما يدفع به إلى الشعور بالاكتئاب والذنب اتجاه الفعل المرتكب (Vincent, 2013).

ولا تزال البحوث حول هذا الفعل في مهدها. ويربط البعض السرقة المرضية باضطراب التبعية (اللعب المرضي)، ويشير البعض الآخر إلى انتمائها إلى اضطراب الوسواس القهري (الشراء المرضي). أو مرتبطة بتشخيصات أخرى مثل الاكتئاب (Baylé & col, 2003).

في دراسة أخرى أجراها مجموعة من الباحثين بعنوان: تقييم برنامج علاج فردي لمراهقين سارقين، على مجموعة مكونة من 286 مراهق مدانين بالسرقة (بما فيها السرقة المرضية). تمت مقارنتهم مع مجموعة ضابطة. تضمن البرنامج العلاجي مزيج من الخدمات المجتمعية، غرامات مالية، رسائل اعتذار قدمت للضحايا، مشاهدة فيديوهات مضادة للسرقة والإرشاد الفردي والأسري.

كشف تحليل الانحدار أن العديد من المتغيرات المرتبطة بعوامل الخطر ارتبطت بشكل كبير مع نتائج العلاج الأقل فعالية. بالرغم من أن 88% منهم كانوا قد استكملوا العلاج. وسجلت مجموعة البحث ارتفاع معتبر مقارنة والمجموعة الضابطة فيما يتعلق بمتغيرات: المسؤولية الشخصية، انخفاض احتمال العود خلال متابعتهم لمدة سنتين (Kelly & col, 2003).

يشكل النشل أحد أساليب السرقة ذو المميزات الخاصة التي تجعلها مختلفة عن باقي الأنماط. من الناحية الإجرائية يقوم السارق بتجريد الشخص من ماله الذي يحمله أثناء وجوده في مكان عام وخلال

مزاولته لحياته اليومية العادية، لا يترك آثار عقب ارتكابها تساهم في تتبع الجاني وهذا ما يجعل منها أكثر جرائم الأموال انتشارا (أبو الروس، 1987).

يتميز هذا النوع بكونه ذو عائد مادي جيد، لا يحتاج القائم به سوى إلى الخفة والسلاسة في الحركة، بعيدا عن العنف، يمارس هذا النوع من السرقة إما بشكل فردي، أو على شكل عصابات منظمة. يختار السارق مواقع وأوقات وظروف معينة. كالأماكن المزدحمة، حالات الأفراح، افتعال المشاجرات، مشاغلة الضحية (الطراونة، 2007).

وفي محاولة للبحث عن الأسباب التي تقف وراء ارتكاب السرقة لدى مجموعة من تلاميذ المدارس الابتدائية بالعراق. قسمت الباحثة سميرة كاظم الفعل إلى نوعين: سرقة عفوية، وسرقة منحرفة. ينطوي تحت هذا التقسيم أشكال أخرى أحصتها الباحثة في: السرقة الكيدية التي يرتكبها الطفل عقابا يصيب من خلاله الشخص المسروق بالهلع والفرع، يخفي هذا الشكل في طياته دوافع عدوانية اتجاه الآخرين. سرقة حب التملك تمتد أسبابها النفسية إلى مرحلة مبكرة من النمو النفسي الذي يربط بين الطفل والام وينطوي على إشباع حاجة بدأت مع النزوع للاستحواذ على المستوى العاطفة.

يمكن للطفل أن يرتكب السرقة كتعبير صريح منه عن حب المغامرة والاستطلاع وهي شبيهة بالدوافع الموجودة لدى المراهق في الرغبة بالمخاطرة وارتكاب الفعل الذي تدفع إليه تغيرات مرحلة البلوغ. كما يمكن للطفل أن يسرق لتحفيز ذاته وللظهور بمظهر مقبول اجتماعيا (البطل مثلا)، وفي الأخير يمكن أن ترتبط السرقة بدوافع مرضية أعمق من أن يقف عليها تعريف بسيط كهذا (كاظم، 2007).

خلاصة:

يتفق المنظرون في مجال علم النفس عامة، علم النفس التحليلي وعلم النفس التحليلي الإجرامي خاصة على أن الفعل المنحرف يتشكل من العديد من المحددات. يقف البعض منهم عند محاولة تفسيره على المحددات النفسية الكامنة؛ يمتد هذا الإطار التفسيري للفعل إلى مراحل عمرية ترمي بجذورها إلى الطفولة الأولى، وما يتضمنه العالم العلائقي الذي ترسم بداخله أولى ملامح الشخصية ومميزاتها. يؤكد الكثيرون على أهمية العلاقة الوالدية في بناء فضاء نفسي يسمح للطفل بتحقيق رغباته وبناء ذاته من خلال معيار التفاعل المتوازن بين الحاجات والاستجابات التي يضمنها المحيط الخارجي. في هذا السياق تكون الأم هي المصدر الرئيسي لتحقيق التوازن من خلال جملة الأدوار التي تقوم بها (Handing et Handing).

يتحدد الطرح السابق الذي تم فيه تناول أشكال مختلفة من الفعل بالسياق التحليلي الذي يعمل على الكشف عن متغيرات الفعل وفق نموذج مفاهيمي متكامل. يتضمن الديناميات السابقة للفعل بما في ذلك تلك الموجودة في العالم الخارجي (الموضوع الإجرامي)، لحظة الفعل والحالة التي يكون عليها الفرد، بالإضافة إلى مرحلة ما بعد الفعل. تسمح النظرية التحليلية بمفاهيمها الغنية التي تقدم وصفا دقيقا عن الواقع النفسي الداخلي للفرد خلال هذا المسار، الذي لا يجب تجاوز أي مرحلة من مراحلها أو أي عامل من العوامل المسببة له بفهم السياق عامة مهما كان شكل الفعل.

أشكال الفعل التي تم تناولها في هذا الفصل مختلفة ومتنوعة، يقدم عليها المراهق لأسباب متعددة، التبرير الوحيد الذي يقدمه هو حالة الاجتياح التي تنتابه أثناء التنفيذ بحيث تضعه خارج المشهد، وكأنه لا يسكن الجسم الذي يمتلكه، حالة لا يستطيع القائمون على اعداد أو تنفيذ برامج الضبط الاجتماعي إيجاد تصور واضح لها وبالتالي لا يمكن احتواءها، تعديلها أو ضبطها. ليبقى المراهق تحت رحمة الموجات الانفعالية التي تنجر عن عملية البلوغ يضاف إليها صعوبة استدخال تجربة الفعل في السجل النفسي. تلك إذا حال المراهق اليوم في ظل كل هذه الدينامية الداخلية-العلائقية-الإجرامية.

الإطار الميداني: إجراءات الدراسة ون نتائجها

الفصل الرابع: الدراسة والميدانية وإجراءاتها

تمهيد

1- مجموعة البحث

1-1- معايير انتقاء مجموعة البحث

1-2- خصائص مجموعة البحث

2- منهجية الدراسة

2-1- المنهج العيادي

2-2- استقراء النتائج

3- أدوات الدراسة

3-1- المقابلة نصف الموجهة

3-2- اختبار الورشاخ

4- الضبط الإجرائي للفرضيات

5- إجراءات الدراسة

خلاصة

تمهيد:

في هذا الفصل يتم تناول المنهجية التي استخدمت للإجابة على تساؤلات البحث والتي تدور حول سياقات المرور إلى الفعل عند المراهق المنحرف من خلال اختبار الرورشاخ (فعل جنسي، القتل، الانتحار، والإدمان). حيث يتطرق إلى: نوع المنهج المستخدم، الإجراءات المعمول بها خلال المقابلة، طريقة اختيار مجموعة البحث وخصائصها؛ المحطات التي مرت بها معالجة المعطيات، والجوانب الأخلاقية (صيغة الموافقة المستنيرة).

سوف تكون هناك إشارة بشيء من التفصيل والتعليل لأسباب اختيار المقاربة البحثية التالية دون سواها من المقاربات التي استخدمت في دراسات نفسية حول مرحلة المراهقة وإشكالية الانحراف. كذلك الأمر بالنسبة للأدوات التي تم تبنيها في سياق المنهج، أدوات ذات طابع إكلينيكي بحثت أتاحت الحصول على معطيات في قالب متسلسل مترابط يسمح بالتتبع التدريجي للبناء النفسي للمراهق على ضوء متغيرات المرحلة؛ بروز الفعل ودينامياته الفاعلة، والتداعيات التي تشكل رؤية الآخر وما يمكن أن يحويه صدى كل هذا؟ مقارنة وتطلعات على درجة من الغموض بالنسبة للمراهق نفسه. الأدوات العيادية أيضا التي سمحت بمواكبة كل هذا تخضع للإطار التحليلي المستخدم في تأويل المعطيات ومنحها رمزية خاصة، بالإضافة إلى مكانة نفسية تفسيرية تفسح المجال لما لا أمام تأريخ ومعلمة جديدة في حياة المراهق المنحرف.

فيما يلي سنتطرق إلى مجموعة البحث طريقة اختيارها وخصائصها. يليها منهج الدراسة وأدواته (المقابلة النصف موجهة واختبار الرورشاخ). التذكير بالفرضيات والفرضيات الإجرائية، وفي الأخير إجراءات الدراسة.

1- منهجية الدراسة:

إن البحث في سياقات المرور إلى الفعل عند المراهق المنحرف يخضع حسب المقاربة الكيفية التي تنتبهاها الدراسة الحالية لمنطق بنائي متدرج. كما أن عزو هذا المنطق للنموذج التحليلي الدينامي يسمح بتوجيه مراحل البحث اللاحقة.

من ناحية أخرى فإن المعنى الذي يمنحه المجال الإكلينيكي للباحث لا يتيح له فرصة التجرد من وضعية الممارس الباحث؛ وبالمقابل من المسؤوليات الإبتيمولوجية المرتبطة بمنهجية البحث.

كما أن ازدواجية مكانة الشخص ضمن مجال بحثه؛ وخاصية حرية الانتقال بين البحث والممارسة، الممارسة والبحث؛ بالإضافة إلى طبيعة الواقع "La réalité" المبحوث حوله، والكيفيات المنهجية التي يتم التعامل بها مع المعطيات. دفع نحو حتمية اختيار المنهج العيادي في المرحلة الأولى من البحث واعتماد

طريقة كيفية في استقراء نتائجه في المرحلة الثانية. حيث تتضمن الأولى مرحلة الالتقاء مع المراهق المنحرف وتطبيق الأدوات العيادية وقد أطلق عليها A. Green (2000) "الوقت الذي يحدث خلاله". بينما تشمل الأخيرة عمليات الارصان وإيجاد المعنى في إشارة إلى "وقت إخضاعه للفكر".

الأهم بالنسبة للمقاربة الكيفية هي البحث عن المعنى. لذا تتميز بالتعقيد فيما يتعلق بتفسير وتحليل الظاهرة الإنسانية؛ كما تقوم طريقة استقراء النتائج حسب Paillé & Mucchielli (2005) على عملية إعادة الصياغة، التفسير، التنظير للتجربة الشخصية. لا يتطلب الأمر وفق هذا المبدأ في التناول التقدير الكمي ولا العمليات الحسابية لتأكيد صدقها وشموليتها، لأن نتائجها عبارة عن كيفيات، عن امتداد، وعن تصور للموضوع. ولهذا السبب يعرف عنها:

- أنها مقارنة إنسانية؛ حيث إن تشكيل المعنى يأخذ بعين الاعتبار الكائن الإنساني، تصوراتها عن الواقع وعن ذاته.
- بنائية؛ تتيح للباحث بناء موضوع بحثه وأدواته التي يركز عليها لبلوغ ذلك المعنى.
- الاحتكاك المباشر بميدان البحث، ويتعين على الباحث الرجوع المتكرر والمستمر للمعطيات الميدانية وهو ما يعطي مصداقية أكثر.
- عملية نشطة بالنسبة للباحث؛ فمهمة تشكيل المعنى هي إبداع خاص بالباحث، مهمة صعبة يستثمر فيها نشاط فكري صارم، وبالرغم من قلة المعيارية يبقى هذا الأخير متيقظ لكل المعطيات التي تحمل معنى. في الغالب يشكل الباحث طريقته الخاصة لفهم واستيعاب موضوع بحثه. فليس هناك سبل مباشرة ولكن معالم لصياغة المعنى.

اتخاذ المراهق المنحرف موضوعا للبحث، واعتماد خطابه الذاتي ولغة جسده كما جاءت في المقابلة النصف موجهة. بالإضافة إلى استجاباته عن مادة الاختبار؛ في محاولة لإرصان نموذج بنائي دال على سياقات الفعل يراعي فرضيات البحث ذات البعد الإسقاطي، يتماشى ومبادئ الطرح الكيفي في شقه العيادي. فلا يخفى على أي باحث درجة التعقيد التي يفرضها تناول المراهق المنحرف سواء من حيث عمليات الاستثمار التي يسعى لتحقيقها أو موائمتها: عمليات البلوغ، المعاشات الطفولية، الفردانية... الخ. أو من ناحية بروز الفعل المنحرف في السجل الشخصي والتداعيات المترتبة عنه. يضاف إلى كل هذا وضعية المواجهة التي يفرضها الالتقاء العيادي مع الباحث.

يتعين على الباحث بمقابل هذا التعقيد، وبدرجة أقل على المراهق. منح الأفضلية للأبعاد الإنسانية التي تلعب دور فعال في تشكيل المعنى الذي يسعى البحث الحالي إليه. في هذه الحالة تسمح الطريقة

العيادية ببروز عوامل دفاعية (النقطة وتداعياتها)، بإعادة تشكيل التجربة الشخصية، وبتفريغ كل هاته المحتويات في نموذج بنائي للسياق.

1-1- المنهج العيادي:

تقوم الطريقة الإكلينيكية على دراسة فرد أو مجموعة من الأفراد في وضعية محددة أو في حالة تفاعل والغرض الأساسي من ذلك هو الوقوف على دينامية أو توظيف الشخص؛ يعمل الباحث الإكلينيكي إذن داخل/وعلى العلاقة مع موضوع بحثه بالمحافظة على مسافة معينة تتيح الحصول على ذلك الهدف وطبعاً بالاستناد إلى أدوات بحثية خاصة.

يمكن الحديث عن خصوصية التناول العيادي والتيتكنم في تحليل تموقع الباحث العيادي بمعنى تعديل مسافة التفاعل بين الفرد الباحث والفرد المبحوث. وعليه خلال الطريقة العيادية ذات التوجه التحليلي لا يمكن ولا يجب اختزال العلاقة بين الباحث العيادي وموضوع بحثه إلى مجرد علاقة بحثية تشكل جزءاً أساسياً من هذا البحث. (Blanchard, 1999)

ببني المنهج العيادي في هذه الدراسة سعينا للوقوف على سياقات الفعل المنحرف عند المراهق، واقع نفسي مرتبط بظاهرة اجتماعية في تنامي مستمر حسب ما تشير إليه الإحصائيات في جل المجتمعات دون استثناء، سياقات تضمنت الديناميات الفاعلة لدى المراهق؛ المؤدية للفعل والمفسرة له في ذات الوقت. لم نجد بديل عن الوضعية العيادية للوقوف على هذا الواقع. فقد أتاح لنا الالتقاء المباشر مع أفراد مجموعة البحث وتسجيل كل الاستجابات التعبيرية اللفظية وغير اللفظية داخل فضاء تفاعلي عيادي بين الباحثة والمراهقين القائمين بالفعل؛ كما ساهم غياب الأخصائي النفسي في أماكن إجراء البحث (مركز إعادة التربية، المركز الوسيط لعلاج الإدمان)، وتقديم الباحثة من طرف المشرفين على المراهقين بالمؤسسات المذكورة بصفتها أخصائية نفسانية باحثة، بتفعيل هذه الحقيقة التي تدور حول موضوع حساس ويتطلب أن نتعامل معه بحساسية، بالأخص النظرة القانونية والاجتماعية لهذا السلوك.

وقد كانت كذلك الطريقة الأمثل لجمع المعلومات وفهم المراهق، ومعايشه، وتجربته الفريدة في الفعل من أجل توضيح معناه على المستوى الفردي والعلائقي.

وبما أن الهدف هو إعطاء معنى للمعطيات التي تم جمعها واستخلاص فهم غني ومفصل لأحداث الفعل كما عاشها وأدركها القائمون بها. فإن المنطق العيادي ذو المنحى التحليلي سمح لنا ببناء نظرة وليس قطيعة بين ما هو نفسي وما هو إجرامي في الفعل.

1-2- استقراء النتائج:

بما أن هدف الدراسة الحالية هو الوقوف على سياقات-أوسياق-الفعلمن خلال التعبيرات الاسقاطية، فإن الاعتماد على مخرجات التقصي العيادي الذي شكل الوقت الأول من منهجية البحث ضرورة لا بد منها لاستقراء معنى السياق. معنى قائم على نموذج مفاهيمي متدرج، متكامل ومتسلسل.

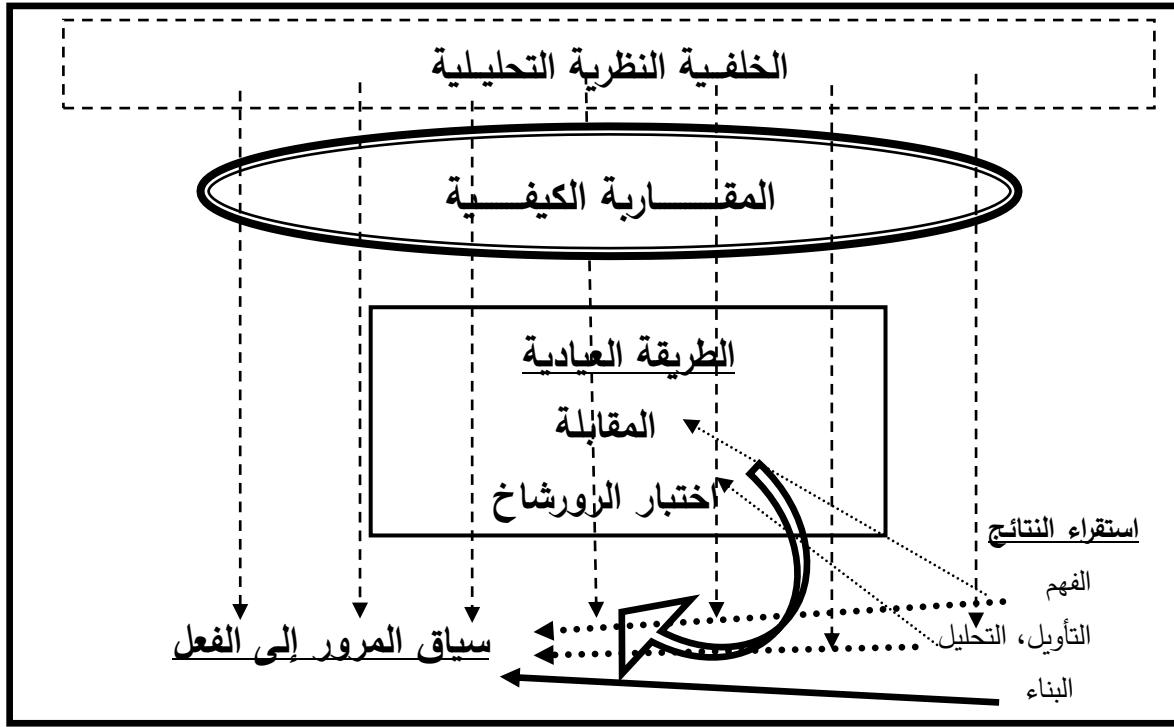
في الواقع، "تتطلق عملية الاستقراء من ظواهر واقعية جزئية متفرقة لتنتهي إلى حقائق عامة؛ هذه الأخيرة قد يطلق عليها مسمى احتمالات في المرحلة الأولى، أو فرضيات في المرحلة الثانية، نظريات في المرحلة الثالثة، وقوانين في مرحلة النضج الأخيرة. لهذا فهي تتعامل مع عنصرين رئيسين: الحقائق الجزئية التي تستند إليها والحقائق العامة التي تهدف إلى استكشافها" (صيني، 2010). خلال هذه السيرورة يتطلب الأمر تدخل جملة من العمليات الذهنية التي تصب في إطار التحليل الكيفي، يقوم بها الباحث وتتمثل في: الملاحظة، الإدراك، المقارنة، التقييم، الدمج، الربط، التقييم، التسمية والوصم. يكون الهدف منها إرساء العلاقات وإقامة بناء مترابط لشكل ولمعنى (Mucchielli, 2006) السياق. حيث يتم التعامل مع جميع المعطيات المستقاة من المبحوثين وفق هذا المنطق التحليلي الكيفي.

الواقع الاسقاطي الذي يكشف عن سياق المرور إلى الفعل واقع معقد، فهو ينهل من العديد من المصادر، التي تحددت من خلال بحثنا في الخلفية النظرية التحليلية، في معطيات الطريقة العيادية بشقيها التقني والعلائقي، وكذلك في طريقة استقراء وآليات الفهم، التأويل والبناء. محاولة تجسيد هذا الواقع في نموذج مفاهيمي تصوري يشمل ثلاث مستويات أساسية تنطلق من طبيعة القلق المرتبط بالعلاقة بالموضوع، وطبيعة الحدود النفسية التي تشكل الوجه الكامن للسياق، ومستوى العدوانية واتجاهها الذي يعكس المستوى الظاهر للسياق. كل هذا لا بد أن يجد له مكانة تفسيرية في سيرورة المراهقة.

حسب رأينا فإن النموذج الكيفي التحليلي والاسقاطي يعطي طابع علمي فريد وشامل من نوعه لواقع الفعل في فترة المراهقة، كما يوفر "معايير تفسيرية لنفس المفاهيم المتأصلة في الفروع النظرية [علم النفس الإجماعي، علم الإجرام...]. يدعم في ذات الوقت وضع وموقف الباحث في مجال علم النفس الإكلينيكي، ويساهم في إرساء قواعد مفاهيمية لمقاربة البحث" (Gilbert, 2006).

سنقوم في هذه المرحلة بتتبع المراحل المنهجية المذكورة سابقا بدأ من الخلفية النظرية التي تؤسس للدراسة الحالية وصولا إلى التزاوج بين الطريقة الإكلينيكية ومراحل استقراء النتائج، حيث تمثل خطوط الأسهم المتقطعة التأثير العام للخلفية النظرية على مجمل محتويات البحث، كما وتمثل الأسهم ذات الخطوط الرفيعة الاستعانة بعمليات الفهم والتحليل والتأويل فيما يتعلق بمعطيات المقابلة، أما بالنسبة

للسهم ذو الخط العريض فيمثل الاستعانة بعمليات البناء والتشكيل لبلوغ سياقات-أوسياق-المرور إلى الفعل. يتجسد الأمر في المخطط التالي:



مخطط رقم 7: المنهجية البحثية

2- أدوات الدراسة:

في هذا العنصر سنتطرق للأدوات المستخدمة في الدراسة الحالية والمتمثلة في المقابلة النصف موجهة واختبار الزورشاخ. مع توضيح أسباب اختيار هذه الأدوات عن غيرها. بالنسبة لأي دراسة علمية يعتبر اختيار الأدوات البحثية خطوة مهمة في مسار البحث، وعليه يجب التأكد من القيام بالخيار المناسب الذي يخدم منهجية البحث ويسايرها، بالإضافة إلى كونها-أيالأدوات-منتعمل بخصوصيتها ومميزاتها على أجراً فرضيات البحث وبلوغ أهدافه.

2-1- المقابلة نصف الموجهة:

يعتبر Quentric (2013) أن المراهقة هي المرحلة الأقل موائمة للالتقاء العيادي مقارنة والتقلبات النزوية، الهويةانية، والعلائقية التي تثير الدفاعات والمقاومات. وفي ظل هذا الازدواج من الشدة والكبت بالإضافة إلى الكوكبة الدفاعية المستخدمة، يطرح المراهق المنحرف إرادته في التجاوز أو التحرر من كل رضوخ، وليتجنب كل وضعية بإمكانها أن تشبه إلى حد ما محاولة للتقرب من الراشد أو وضعية طلب اتجاهه.

بالمقابل تشكل العلاقة البحثية ذات الطبيعة العيادية حسب Roman (2003) عملية إعادة اختبار لكل الروابط التي يستدعي إليها المراهق ذو المعاناة النرجسية الكبيرة، وبالتالي إعادة تفعيل القدرة على استثمار الروابط، وبالأخص استثمار المواضيع النفسية الخاصة باعتبارها كما سبق الذكر: ليست خطرة، ليست سامة، ليست صدمية أو حتى مولدة للصدمة.

من ناحية أخرى طرح Widlöcher (1975) فكرة النشاط النفسي الداخلي الذي يتولد خلال المقابلة البحثية. فبعيدا عن كون هذا النشاط تعبيراً عن الأفكار، فهو يتضمن المحتويات-التصورات، وأيضاً العواطف وقوة الاستثمارات، وفي جزء من هذا النشاط الداخلي سواء من جهة الباحث أو من جهة المبحوث تتفاعل عمليات نفسية من جنس التحويل والإسقاط. وهو السبب الذي من أجله يؤكد Blanchard (1999) أنه لا يستطيع ولا يجب على الباحث إهمال العلاقة التي تربطه بالمبحوث لأنه يشكل جزءاً منها. بما أن نوع المقابلة المعتمد في البحث هو المقابلة النصف موجهة فإن التأكيد على صيغة الأسئلة المطروحة واحترامها، منح الوقت الكافي للمبحوث لبلورة إجاباته، مع الأخذ بعين الاعتبار لكل ما يحدث داخل هذه الصيرورة ونقصد بذلك الصمت، الانقطاع، الإيماءات؛ دون مقاطعة. واحترام الإطار الذي تم وضعه مسبقاً حتى يتمكن المبحوث من التحرك بحرية بداخله. تبيننا إذن تعليمة معينة لطرح الأسئلة كان Blanchet et al (1985) قد أشاروا إليها وهي:

- تعليمة تحت على **خطاب سردي** «أرغب في أن تحدثني عن...، كيف حدث هذا بالنسبة لك». تم تبني هذه الصياغة بالنسبة لأسئلة المحور الأول وبعض النقاط من المحور الثاني (سوابق الفعل، السيناريو السابق للفعل، وأحداث الفعل). ولأن المعطيات التي نرجو تحصيلها متعلقة بماضي المبحوث (مكبوتات، صدمات، أحداث) وبالتالي تتطلب عملية السرد وتتيح له القيام بتداعياته. ما يُمكننا من الحصول على معلومات ربما لم تخطر على بالنا. وتساعدنا أثناء التحليل بعد ربطها بمعطيات التقنية الاسقاطية. وهذا ما أكده الباحثون (Bazire et al, 2018) بأن المقابلة العيادية البحثية التي تتدرج ضمن مقاربة تحليلية تتميز بنوع من الخصوصية. لأنها تتطلب إنتاج خطاب يدور حول معاش نفسي أو إشكالية محددة، تؤثر بصورة مباشرة على الفرد. يتعلق الأمر بتفعيل قدرة الفرد على السرد والتفكير الذاتي حول مشكلة ما. وهذا ما يؤدي حتماً إلى إعادة تنشيط الصراع النفسي المحتمل ارتباطه مع المادة المستدعاة. تولد هذه التعليمة مستويين من الخطاب: يرجع الأول إلى مسار سردي يأتي استجابة لها. والثاني إلى منطلق انفعالي وهوامي ناجم عن الإشكالية التي أثرت.

- تعليمة تحت على خطاب متعلق بالرأي»أرغب في أن تحدثني عن...، وماذا يمثل ذلك بالنسبة إليك». تم تبنيها في المحاور المتعلقة بأحداث الفعل، أي المحور الثاني (بعد الفعل) والمحور الثالث والرابع. تتطلب مجهود فكري دقيق من طرف المراهق يقربنا من إدراكه بخصوص الفعل المرتكب والانفعالات المصاحبة له.

كذلك تم الوقوف على النقلة وتداعياتها لتحديد طبيعة العلاقة بالباحثة ومن ثم الاستدلال على طبيعة العلاقة بالموضوع.

المقابلة التي تم تبنيها في هذا البحث تقوم على هذه الرؤية التي تتشكل ضمنها العلاقة بالمراهق في سياقات وجودية مختلفة ظاهريا، ومتماثلة تماما من حيث العمليات النفسية التي توّطرها والطبيعة الداخلية للمراهق. عددهم 15مراهق، تم لقائهم، 04منهم في المركز الوسيط لعلاج الإدمان بالمؤسسة الجوارية للصحة العمومية CISA، 09 بمركز إعادة التربية عبد الواحد خزناجي سطيف CSR، مراهق واحد (01) بمصالح المستشفى الجامعي سعادنة عبد النور بسطيف CHU، وآخر بالمؤسسة الاستشفائية للأمراض العقلية بعين عباس سطيف EHSP.

تم إجراء أربع مقابلات بالنسبة لأغلبية الحالات (14 حالة)، اثنان منها بمعدل ساعة ونصف لكل مقابلة نصف موجهة. فيما بقيت المقابلتين الأولى والرابعة دون تحديد للوقت؛ قدمتها صيغة الموافقة المستنيرة. تضمنت كل من المقابلتين التاليتين محاور محددة مسبقا؛ ومقابلة أخيرة كانت بهدف الإشارة إلى بعض نتائج التحليل الأولي للمعطيات التي تم جمعها (مقابلة الاسترجاع) أو توجيه المبحوث نحو جلسات المتابعة النفسية سواء التي استطعنا نحن تقديمها أو مختص نفسي آخر. وتم الاستعانة بـ:

- QICPAAS (Questionnaire d'Investigation Clinique Pour les Auteurs d'Aggression Sexuelle).
- MEPS (La Méthode d'Entretien pour le Passage à l'acte Suicidaire).

- شبكة المقابلة المستخدمة من طرف Stumpel (2008)

بالإضافة إلى نقاط أخرى تم صياغتها في خضم هذا البحث من أجل الوقوف على الفرضيات المطروحة.

2-1-1- محاور المقابلة:

✓ المحور الأول: التاريخ الشخصي، يتضمن:

• التاريخ العلاقي:

- الوالدين: الطبيعة العلائقية مع الوالدين، الصور الوالدية، الاستثمارات والتقمصات.

- الإخوة والأخوات: الطبيعة العلائقية، الاستثمارات.
- علاقات أخرى: أقارب، أصدقاء، جيران، علاقات خاصة (عاطفية، جنسية)
- التاريخ التعليمي: التمدرس، النتائج الدراسية، المستوى التعليمي، الاستثمارات في عملية التعلم، مشكلات عملية التعلم، الانقطاع عن الدراسة، معاشية الانقطاع، ردود فعل الوالدين.
- العمل: طبيعة العمل أو المهنة الممارسة، العائد المادي، العلاقات في مجال العمل، الاستثمار في العمل، المشكلات.
- التاريخ الصدمي: الأحداث الصدمية: (طلاق الوالدين، الانفصال، الموت، الغياب المبكر) التعرض للعنف (اللفظي، الجسدي، الجنسي)، طبيعة النوم، الأحلام، معاشية الأحداث الصدمية: القيام بفحص نفسي سابق. المتابعة النفسية والطبية.
- أوقات الفراغ: كيفية قضاءها، الأنشطة الممارسة خلالها، أماكنها، الأصدقاء.
- ✓ المحور الثاني: المرور إلى الفعل
- سوابق الفعل: سوابق من التفعيل Acting-out، عنف، اعتداء، محاولة انتحار، حوادث، هروب من المدرسة، طرد، مشاجرات.
- السيناريو السابق للفعل: هومات، اندفاع، تخطيط، أحلام، تكرار الاضطراب.
- المرور إلى الفعل: وصف الأحداث التي تضمنها المرور إلى الفعل، التوقيت، المدة، المكان، الأدوات والطرق المستخدمة، الاستثمارات (العواطف، الأفكار) في الحدث، تكرار الفعل، استخدام مواد مساعدة (مخدرات، أفراد)، المشاعر خلال الفعل (اللذة، الراحة، استتارة، شدة، ملل، حماس، عدم الرضا)، استخدام العنف في الفعل.
- بعد الفعل: المشاعر (الإحساس بالذنب، الخزي، الندم، تقدير الذات)، تقدير الفعل (عادي، غير عادي)، تقدير الحالة لحظة المرور إلى الفعل (عادية أو غير عادية)، الشعور بالمسؤولية اتجاه الفعل.
- ✓ المحور الثالث: التواجد داخل المؤسسة بما في ذلك اللجوء إلى المؤسسة والارتباط المترتب عليه بسبب الفعل (العقوبة، العلاقات)
- ✓ المحور الرابع: تقييم الفعل، النظرة للمستقبل.

2-1-2- تبرير اختيار المقابلة نصف الموجهة:

كما هو ملاحظ فقد تضمنت هذه الأداة أربع محاور متسلسلة وفق مسار زمني يستمر منذ التاريخ العلائقي الأول (الطفولة المبكرة) إلى غاية المرحلة التي تلي حدوث الفعل؛ مروراً بأحداث الفعل وآليات حدوثه والمشاعر التي ارتبطت بالوضعية المنحرفة التي يعيشها المراهق.

لم يكن هذا المسار مقترحاً وبهذا الترتيب عبثاً بل جاء بعد الاطلاع على العديد من البحوث النفسية التي قامت على دراسة المراهق والفعل المنحرف؛ وبالاستعانة بها تم صياغة بعض الأسئلة كما ذكر سابقاً. ومنها كذلك تم استنتاج أن إجراء المقابلة العيادية مع المراهق المنحرف يجب أن يتم وفق نمط معين نظراً لخصائصها العيادية الفريدة وانعكاساتها على الدينامية النفسية الداخلية لهذا الأخير من جهة؛ ولوجهة نظر الباحثة حول دينامية الفعل محل الدراسة من جهة أخرى.

في بداية الأمر كان الهدف من وراء تطبيق المقابلة هو جمع المعلومات الكافية حول المراهق بالإضافة إلى محاولة الوصول إلى وصف دقيق للفعل والاستعانة بكل هذه المعطيات في فهم وارسان نموذج للفعل من خلال تطبيق اختبار الرورشاخ كخطوة لاحقة. لكن بعد إجراء اللقاء الأول الذي تم فيه التعريف بالباحثة وتقديم صيغة الموافقة المستنيرة، وتوضيح طبيعة العمل المطلوب المشاركة به من طرف المراهق. ثم إجراء مقابلتين تناولتا التاريخ الشخصي وتاريخ الفعل وكل المضامين التي احتوتها المحاور السابقة؛ تحول الهدف من استخدام المقابلة من مجرد وسيلة بحثية لجمع المعلومات فقط نحو هدف آخر سيأتي ذكره لاحقاً بعد عرض الملاحظات المسجلة خلال العمل السابق والتي تعتبر سبباً لهذا التحول. وقد تمثلت هذه الملاحظات في:

- حتمية القيام بإجراءات البحث (تطبيق المقابلات وتمرير الاختبار) في ذات الوضعية السابقة بالرغم من إمكانية تأثر نتائج الاختبار بالحالة النفسية للمراهق، ونظراً لاحتمال عدم إمكانية استكمال الإجراءات السابقة لأسباب تتعلق إما بهروب المراهق من المركز، أو عدم الاستمرارية في التردد على مراكز ومصالح العلاج لأسباب شخصية.

- صيغة الموافقة المستنيرة التي ساهم تطبيقها في التخفيف من حالة الحصر وبالتالي الدخول بأريحية في المقابلة. خاصة فيما يتعلق بطوعية المشاركة وحرية الانسحاب في أي لحظة. الأمر الذي سمح للمراهق بالتحرك من كل الوضعيات السابقة والعمل على بلورة الطلب ولو بطريقة غير مباشرة للاستفادة من اللقاء مع الباحثة العيادية وعمل السند اللازم في ظل كل الظروف السابقة.

- التركيز على إقامة تسلسل منطقي في تناول الأحداث (الحياتية والتركيز على تناول الفعل بالتحديد والتفصيل اللازم دون إهمال السياق النفسي الذي يحدث فيه ومن خلاله).
 - حالة القلق والحصر بدرجات متفاوتة بالنسبة إلى النظرة للمستقبل، سواء بسبب الوضعية القانونية التي يتواجد بها المراهق، نظرة الآخرين له (وضعية مؤقتة)، أو وضعية الطلب غير المباشر اتجاه الباحثة.
 - إدراك المراهق باطلاع الباحثة على محتويات الملف الشخصي (القانوني، الإداري، الصحي، النفسي والبيداغوجي)، الأمر الذي يضعه في مواجهة مع طبيعة وحقيقة الفعل المرتكب من جهة والعلاقة بالباحثة من جهة أخرى.
- بالنظر إلى كل هذه الاعتبارات التي يمكن تصنيفها ضمن تداعيات النقلة أصبح الهدف من استخدام المقابلة النصف موجهة هو:
- السماح للمراهق بتهيئة تصور واضح عن الفعل: حيث لا يمكن حصر صيرورة المقابلة عند مستوى محادثة بين طرفين، فقد ساهمت إلى حد ما في مساعدة المراهق المنحرف على القيام بعمل نفسي (يعتبر ناتجا عن خصوصية المقابلة العيادية البحثية). من خلال:
 - دور المقابلة البحثية العيادية الذي يشكل الغلاف النفسي بالمعنى الرمزي الحاضن لكل هذه العواطف والانفعالات التي يبديها المراهق في وضعيات مشابهة.
 - بهذه الصيغة تكون المقابلة المعتمدة في الدراسة الحالية أرضية خصبة لكل الإسقاطات التي تدفع إليها حالة الاستثارة العاطفية والانفعالية. الأمر الذي يسمح للمراهق مرة أخرى بالتخلص منها إذا ما أتاحت له الفرصة لذلك. وهو ما لوحظ عند تناول المعطيات النفسية والأحداث المصاحبة للمرور إلى الفعل، حيث حدث إنكار أولي للفعل ومحاولة لتهوين الأحداث بسبب عدم استكمال الإجراءات القانونية وسماع الحكم (بالنسبة للمراهق المتواجد بمركز إعادة التربية)، أو الخوف من المسائلة القانونية (بالنسبة للمراهق المتردد على المركز الوسيط لعلاج الإدمان ومصالح المستشفى الجامعي).
 - أظهرت استخدام الإنكار مرة ثانية لتجنب الأحاسيس السلبية (الندم [الانتحار]، الإحساس بالذنب [السرقعة، العنف]، الخزي [الاعتداء الجنسي])
 - صعوبة الوعي بالسياق الذي حدث من خلاله المرور إلى الفعل مما دفع إلى الإنكار الواعي كمحاولة لتأجيل التصريح بوقائع الفعل. لأن هناك وحسبه - أي المراهق - ما هو أهم بالمواجهة (الإحساس بالذنب، الإقرار بالمسؤولية) للحفاظ على توازن نفسي نسبي.

- يعتبر هذا العمل النفسي الجبار الذي يؤديه المراهق المنحرف أساسيا للقيام بعملية ارسان للفعل ودافعا محفزا نحو سيرورة إسقاط محتوياته الداخلية، وبلغة أكثر دقة سياقه عند تقديم مثير بصري مبهم متمثل في بقع الحبر في اختبار الرورشاخ.

ولتوضيح كل ما سبق من آليات متفاعلة ونتاجة عن تطبيق المقابلة البحثية العيادية، تجدر الإشارة إلى رأي كل من KimetDerivois (2003) حول الأبعاد الدينامية التي تقوم عليها المقابلة العيادية في دراستنا هذه وهي:

- بعد نفسي-داخلي يتجسد من خلال إعادة معايشة التاريخ الفردي والتجارب الطفولية، المعاشات الراهنة وكل العواطف والانفعالات المصاحبة، تأتي المقابلة البحثية العيادية لإعادة تنظيم مفهوم الأنا، وحسب الطرح الروجرزي يمتلك كل فرد قدرة فطرية يطلق عليها: الميل نحو الاستحداث، تعمل هذه الأخيرة على تنظيم الكيان والحفاظ عليه. ومن خلال إتاحة الفرصة للتعبير والتفكير داخل المقابلة يقوم الفرد بإعادة تنظيم أناه.

- بعد بين-ذاتي يتيح الإنصات الموجه نحو الهدف البحثي والمتمثل في الوقوف على سياقات المرور إلى الفعل عند المراهق الجانح، يتيح كذلك تطوير فضاء نفسي ثالث، يشبه الفضاء الانتقالي الذي يطرحه Winnicott وهو فضاء وهمي يساهم في إعادة تشكيل الفكر.

- بعد إسقاطي وفيه يرى Barus 1986 أن الباحث يشكل الموضوع الأول لبحثه، ولا يمكنه-أي الباحث-إنكار حدوث البحث بداخله أولاً؛ بالرغم من الميل نحو الموضوعية. فالمقابلة تثير تغيرات نفسية لدى الباحث لا يتم إدراكها إلا بعد حين.

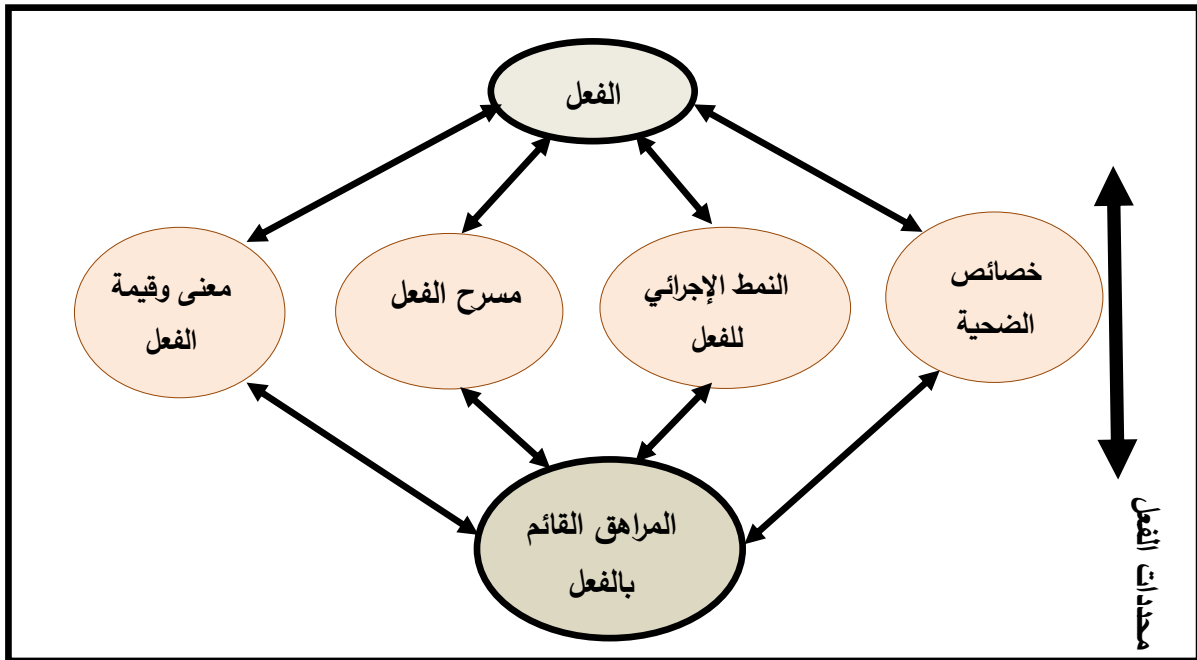
- 2-1-3- طريقة التعاطي مع معطيات المقابلة:

جاءت محاور المقابلة كما سبق القول بترتيب معين يسمح بتخطيط مسار الفعل، وحرية التنقل بين التاريخ الشخصي، العلائقي. وبين لحظة الفعل وتفاصيلها، وصولاً إلى واقع ما بعد الفعل. في محاولة لفهم الحياة النفسية للمبحوثين. وطبعاً بتبني النموذج التحليلي الذي يحدد ويتحكم في جميع استراتيجيات وآليات التدخل خلال المقابلة. كما أن أهمية المعطيات المستوحاة من المقابلة تكمن في كونها تنقل لنا واقع ما قبل الفعل حتى وإن كان لا ينتمي لمسار إجرامي محدد. تسمح لنا بإمكانية ربط ذلك الواقع بالوضع الراهنة للمراهق مروراً بلحظة الفعل؛ هذا التنقل يكاد يكون مستحيلاً لولا هذه الأداة. وعلى إثر هذه الرؤية تم التعامل مع معطيات المقابلة كالتالي:

-تحليل الفقرات الواحدة تلو الأخرى بالاعتماد على المنهجية المذكورة سابقاً في العنصر المعنون بمنهجية البحث.

- في ذات السياق تتيح لنا الطرق المستخدمة في علم الإجرام، علم النفس الإجرامي برسم هذا المسار وفق نمطية معينة تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المساهمة في بلورة تفسير نفس-إجرامي للفعل. وعليه تم تفرغ معطيات المقابلة بالاستناد إلى طريقة التحليل الخاصة بالتحقيق الإجرامي المعتمدة من طرف Heurtevent (2011) حيث قمنا بإحصاء 04 محددات تخدم توجه البحث الحالي وهي:

- خصائص المراهق القائم بالفعل.
- خصائص الضحية (الموضوع الإجرامي): مادية أو معنوية.
- الأنماط الإجرائية للمرور إلى الفعل.
- المعنى والقيمة النفسية للفعل بالنسبة للمراهق.



مخطط رقم 8: محددات تحليل الفعل

يتم اعتماد هذه الطريقة فقط في تحليل حالة واحدة في كل نوع من أنواع الفعل المشار إليها في البحث الحالي. بحيث نقف على كل واحد من المحددات الأربعة بالتفصيل والتحليل حتى نتمكن في الأخير من رسم ملامح واضح لسياق الفعل.

2-2- اختبار الرورشاخ:

الرورشاخ اختبار إسقاطي مكون من 10 بطاقات ذات أبعاد محددة (24،13X19،97) تحتوي على بقع حبر بأشكال وألوان مختلفة منذ ظهوره سنة 1926 على يد هيرمان رورشاخ وإصدار Psychodiagnostic تواليت وتنوعت الدراسات التي اعتمدها، مما أدى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى إثبات فعاليته كأداة بحثية وكتقنية تشخيصية في مجال العلوم النفسية.

بتعليمه بسيطة يقوم فيها الشخص بالاعتماد على قدرته في التخيل بوصف ما يترأى له في البطاقة. وبلغة علم النفس الإسقاطي، يقوم بإسقاط عوامل مختلفة تقع في عالمه الداخلي والقيام بتداعيات لفظية بالاستعانة بوسيط غير محدد وغامض يتمثل في بقع الحبر.

البقع المنسوخة على البطاقات كلها متماثلة على محور مركزي عمودي، تستجيب بهذا الشكل إلى إيقاع فضائي أساسي، تتحدد خصائصها الموضوعية بواسطة: الشكل، اللون، التضليلين والعلاقة بين الصورة/العمق. يظهر المثير وكأنه وحيد أو مفكك، ثابت أو غير ثابت، محدد أو غامض، فاتح أو قاتم، مشتت أو كلي، وقبل كل هذا مشكل وغير منتهي، كلي وغير مكتمل، ممتلئ وفارغ (De Traubenberg, 1994, p.124).

أثناء الالتقاء مع هذا المثير لا يكمن التحدي بالنسبة للشخص في المواجهة بين عالمين داخلي/خارجي (إدراك/تصور) وإنما في استخدام منظمات النشاط الرمزي بمقابل الاستشارة البصرية الناتجة عن المثير. حسب هذا النموذج تأخذ الاستشارة مسار العمليات الأولية للجهاز النفسي من أجل بناء ارتباط جسدي؛ ثم إلى رمزية أولية وثانوية. تحاكي من جهة رابط الخبرات الأولية بواسطة التجربة الجسدية وأيضا آثار الموروث الأسري، ومن جهة أخرى الرقابة المرتبطة بالمحرمات في إرسانها الثانوي. تحمل الاستجابة الإسقاطية علامة هذا المسلك النفسي الداخلي في كيفية تجسده والاختلال الذي يصيبه (Roussillon et al, 2007, p.609). يمنح التعبير عن هذه الخصائص فرضيات حول القيمة الرمزية الممكنة لهذا المثير، نداءه، التماسه. تتوقف هذه القيمة على مستوى التوظيف النفسي (De Traubenberg, 1994, p.124)؛ وبنفس الطريقة على العلاقة بالفاحص، وضعية التمير التي بإمكانها أن تصبح وسيط يترجم من خلاله الفرد صراعاته النفسية وقلقه. (Chabert, 1998).

تسمح الأداة الإسقاطية بالأخص في الوضعية التي لا يكون فيها الفرد نفسه متقدما بالطلب، كما بالإمكان أن يكون شكاكا ومنغلقا خلال المقابلة بسبب صعوبات التعبير والعقلنة؛ تسمح بتوسط هذه العلاقة المثقلة بالقلق والإسقاط، وعلى وجه الخصوص، بفهم بعض الأبعاد الكلاسيكية المتعلقة بطبيعة القلق، سجل الدفاعات، نوع العلاقة بالموضوع، أنماط التوازن بين الاستثمارات الموضوعية النرجسية (تصور الذات/تصور الموضوع). للوصول أبعد من التشخيص؛ أي لتقييم الموارد والهشاشة النفسية التي تشكل نقاط ارتكاز لمناقشة حالات إعادة التكيف الفردي. فإذا كان الإسقاط لا يخبرنا شيئا عن المرور إلى الفعل في حد ذاته، في ديناميته وثقله الاقتصادي. فحتما سيكون له معنى اعتمادا على أنماط التوظيف العقلي للفرد وللسياق الذي وجد فيه (Chagnon, 2004).

2-2-1- تبرير أسباب اختيار الرورشاخ:

تولد الميل لاستخدام تقنية الرورشاخ لدينا من نوعية المعطيات التي نرجو تحصيلها بمقابل موضوع البحث المتمثل في المراهق المنحرف، خصائصه المميزة، وطبيعة العلاقة التي تربطنا بموضوع البحث. كل الوضعيات التي تم فيها الالتقاء بالمراهق أثارت موجات انفعالية تحاكي الوصف المذكور سابقا. وكشفت عن إشكاليات التاريخ العلائقي التي يتميز بطابعه الصدمي السام أو المرضي. وبالرغم من أنها ميزت الفضاء النفسي الذي تمت فيه إجراءات البحث إلا أنها-أيالموجات الانفعالية-شكلتبالنسبة للمراهق دافعا محفزا لإرسان الفعل من خلال المنتج الاسقاطي ففي حين بدا المراهق:

- متوترا وشكাকা خلال اللحظات التي سبقت تمرير الاختبار، ونظرا لحقيقة الوضع المتعلق باحتمال عدم استكمال إجراءات المحاكمة(بالنسبة للموضوعين بمركز إعادة التربية). فقد بدت كلمة اختبار(الرورشاخ) محاولة من طرفنا للكشف عن حقيقة الفعل المرتكب.
- إنكار الفعل أو إنكار الرغبة الأولية الدافعة للمرور إلى الفعل، لم يكن ذو فعالية أمام خصوصية مادة الاختبار.

- كذلك دفعت الإتاحة غير المشروطة التي تشهد لها الوضعية الاسقاطية، والتي تصبح ممكنة بفضل الخاصية غير المباشرة للتعليم، المعتمدة في ذات الوقت على غياب إشارة دقيقة لنوعية المثير والطابع غير الدقيق لاقتراحها (Roussillon et al, 2007). فرصة للمراهق للقيام بتصريح ضمني عن الفعل المرتكب من خلال إما: بطاقة ممثلة له أو في سياق التدايعات المرتبطة بالبطاقات ككل. هذا العمل النفسي الجبار الذي قام به المراهق يعتبر نداء موجه للطرف الآخر للقيام بدور السند في هذه الوضعية ذات الخصائص النفس-إجرامية مقابل حقيقة داخلية على درجة من الاختلال تهاجم وتهدد الوجود؛ وهو الواقع الذي عبرت عنه Nina Rausch بقولها: "التجربة التي يعيشها الفرد أمام البقعة ذات محتوى متغير للغاية تمتد من مجرد وصف بسيط لحقيقة موضوعية إلى معاش خيالي أكثر ذاتية، لا يصدق"(De Traubenberg, 1994, p.124).

2-2-2-المرجعية المعتمدة لتمرير اختبار الرورشاخ:

إن التأويل التحليلي للتقنية الاسقاطية عزز على نحو كبير استخدامها كأداة للتقصي وللتقييم في الإطار التشخيصي، وكوسيلة نفسية ما ورائية في البحوث في مجال علم النفس العيادي وعلم النفس المرضي (Chabert, 1993)؛ كما أن السياق الذي يتم فيه تمرير التقنية يتموضع في علاقة بين أطراف ثلاثة: الفرد، الاختبار، الفاحص. لذا تعطي Chabert 1997 في (Castro, 2006) أهمية قصوى للطريقة التي يتم بها تمثيل النزوات، الصراع، القلق والدفاعات من خلال استجابات الاختبار. وبما أن التعليمية

تدفع بالفرد إلى إسقاط ما يجري على مستواه النفسي على بقع الحبر، فانه من المحتمل صياغة فرضيات حول التوظيف الدينامي للفرد الذي تم تطبيق الاختبار عليه.

في ظل هذه الرؤية نتفق مع Gamache (2010) على أن أحسن مقارنة تستخدم في البحث هي تلك المستوحاة من النظرية التحليلية؛ فهي تتميز بكونها تعطي الأهمية لكل الوضعية الاسقاطية في تأويل الاختبار، أي للاستجابات، للعلاقة مع الفاحص، للتعليقات خارج الاختبار وللطريقة التي يظهر ويتصرف بها الفرد. وعليه تم تطبيق الاختبار الاسقاطي في جلسة واحدة مخصصة لهذا الغرض. ووفقا لطريقة نمطية معروفة وهي: تمرير الاختبار، إجراء التحقيق ومرحلة الخيارات.

2-2-3- طريقة التعاطي مع نتائج الاختبار:

كثيرا ما نعيد التذكير بالهدف الرئيسي للدراسة الحالية وهو الكشف عن سياقات المرور إلى الفعل من خلال الرورشاخ عند المراهق المنحرف ليس لمجرد الذكر وإنما للسماح للمتتبع بالوقوف بذات المكان الذي نحتله داخل البحث ومواكبة سيرورته بالتدرج إلى حين تحقيق هذا الهدف. الوضعية التي نتحدث عنها تشمل بعدين اثنين: بعد سياق الفعل المنحرف لدى المراهق، وبعد التقنية الاسقاطية. حيث نسعى لبلورة نموذج مفاهيمي أصيل ومتسلسل في مرحلته، متدرج البناء ومتداخل من حيث التأثير حول الفعل. بعد العمل على تحليل بروتوكولات الرورشاخ وفق منهجية كلاسيكية معروفة لدى المدرسة الأوربية. والوقوف على المستويات الثلاث التي تم تحديدها في الفرضيات (القلق المرتبط بالعلاقة بالموضوع، مستوى الحدود، والعدوانية واتجاهها). نعمل على استخراج العناصر الكمية والكيفية المتشابهة في بروتوكولات المبحوثين؛ الهدف من وراء هذا هو البحث عن نماذج موحدة إن وجدت بمقابل أشكال الفعل التي أخضعت للدراسة (الانتحار والإدمان) و(العنف والقتل، الاعتداء الجنسي، السرقة). باستخدام الإجراءات الاستقرائية المتمثلة في الفهم، التحليل والبناء.

طبعاً لا يتم الأمر إلا بالاستناد إلى معطيات المقابلات فهي التي ساعدت من جهتها في نقل الواقع المعاش لدى المراهقين، طبيعة وصيرورة الفعل المرتكب.

نعمل كذلك على أن يكون نموذج السياق أكثر شمولية بحث يضم المتغيرات التي تشهدها مرحلة المراهقة والسبب في ذلك هو الإشارة إلى احتمالات التغيير الكامنة التي يمتلكها المراهق المنحرف والتي وقفنا على أهميتها وقدرتها على السير بالمراهق نحو إعادة إحياء عملية التقرن.

من جهة أخرى وإذا ما تجسد هذا النموذج بالصورة التي نسعى إليها فانه يسمح بالوقوف على الفروق فيما يتعلق والبنية المركزية للشخصية المنحرفة عن غيرها. لإعادة النظر في سبل وطرق إعادة الإدماج التي تتبناها المؤسسات المجتمعية.

3- مجموعة البحث:

حسب Graomont (2010) فإن الدراسة المتزامنة للعديد من خصائص المرور إلى الفعل مقابل مجموعة متنوعة من الجنج تبدو ضرورية للقيام بوصف، أو على وجه التحديد؛ بفهم الديناميات الكامنة وراءه-الفعل-. ومع تأكيد Kazemian وLeblan 2003 أن فهم النمط الإجرائي للفعل «Modusoperandi» لا يتم إلا من خلال إخضاع أشكال متنوعة من الفعل للدراسة والمقارنة؛ وهو ما أيدته نتائج الدراسة التحليلية التي أجراها الباحثان حول نوع ومسار المرور إلى الفعل الإجرامي لدى المراهقين. حيث ساهم وصف أنواع متعددة من الفعل في إبراز خصائصه، ومع إقرار Carpentier (2009) بالصعوبات الملازمة لدراسة المراهق المعتدي جنسيا والتي تتولد من التباين داخل المجموعة الواحدة، سواء أكان ذلك عند مستوى الفعل أو عند مستوى الخصائص الفردية لهؤلاء المراهقين؛ المعروف عنهم بأنهم عينة غير متجانسة (Van Wijik، Bullens et Doreleijers، Hart-Kerkhoffs، Loeber، Vermeiren).

وجاء على لسان Gourlaouën-Couton (2005) من خلال دراستها لفعل الاغتصاب ضد الأطفال: "أنه من الجراة أن نرغب في توحيد تفسير حول الاغتصاب مقارنة والمتغيرات المتنوعة. كما أن أخذ كل واحد منها بعين الاعتبار يجعل أي دراسة مستحيلة تقريبا. ومع ذلك؛ يجب ألا يمنع تعقد المشكلة أي بحث تحت ذريعة أنه يمكن أن يكون غير مكتملا أو متحيزا" (p.108). وخلص Husain إلى القول "أن القوانين العلمية تجمع الأشخاص على أساس التشابه وليس الهوية، فالاهتمام يجب أن ينصب على ما هو مشترك بينهم. وهذا يعني ببساطة أن ليس كل شيء مشترك" (Kaplan, 1964; Husain, 1991). وبالتالي فتبرير طريقة اختيار مجموعة البحث جاء نتيجة لهذه التوجيهات والاعتبارات. وعليه انصب تركيزنا على تحديد المعايير التي تجعل من أفراد مجموعة البحث تنطوي تحت خصائص مشتركة تسمح لنا بتطبيق الأدوات البحثية.

3-1- معايير انتقاء مجموعة البحث:

تم تشكيل مجموعة البحث بطريقة قصدية من مجتمع المراهقين المنحرفين؛ مع إعطاء الأهمية والأولوية لبعض المعايير الخاصة بكل مجموعة فرعية، ثم الخاصة بكل فرد من أفراد مجموعة البحث.

• **معايير الانتقاء العامة:** تتضمن المعايير التي تمس عملية قبول أو رفض الفرد داخل مجموعة البحث مايلي:

- **معيار السن:** قامت الدراسة الحالية على فهم سياقات المرور إلى الفعل المنحرف عند المراهق، وعلى إثر هذه الصياغة تم إشراك الأفراد الذين لا يزيد سنهم عن 22 سنة ولا يقل عن 13. وعلى أساس هذا المتغير تم استبعاد 4 حالات (إدمان) عن مجموعة البحث لأن سنهم كان يفوق 23 سنة (حيث إن إجراءات استقبال الحالات بالنسبة للمركز الوسيط تقرض تقديم وثيقة تثبت هوية الشخص، ولأن هناك

ممن يتقدم لطلب العلاج رفقة طرف آخر قد يكون الأم، الأب، صديق أو الأقارب، يقدم هذا الطرف البيانات الخاصة بالشخص دون تدقيق في صحتها. ثم توجه الحالة إلى الباحثة رفقة تلك البيانات المسجلة، ننطلق بعدها في إجراءات البحث ليتبين في المقابلة اللاحقة أن سن المبحوث يتجاوز 23 سنة وبالتالي نضطر إلى توقيف إجراءات البحث، إقصاء الحالة من مجموعة البحث، والانطلاق في إجراءات التكفل).

- **معيار الجنس:** كل أفراد مجموعة البحث من الذكور. يرجع السبب في هذا الاختيار إلى كون المراهق الذكر أكثر ميلا نحو المغامرة والمخاطرة وبالنتيجة نحو المرور إلى الفعل المنحرف. وبالرغم من عدم وجود إحصائيات محلية دقيقة حول هذا الواقع وأن أغلب المراكز الموجودة على التراب الوطني مخصصة للذكور فقط، إلا أن الإحصائيات العالمية تؤكد هذا الواقع (انحراف الأحداث غالبا ما يكون لدى الذكور: كالميل نحو جرائم العنف 98%، جرائم الجنس 95%، محاولة القتل 96%). كما أن مرحلة المراهقة هي أكثر فترات الحياة التي ينطلق منها المسار الإجرامي سواء خضع فيما بعد لاحتماية استمرارية أم لا، ومعنى ذلك أن يستمر المراهق في مجال الإجرام أو يتخلى عنه (Bernnan, 2012).

- **طبيعة التواجد داخل المؤسسة:** يعكس هذا المعيار الوضعية التي يكون فيها المراهق المنحرف بالنسبة للقوانين التي تنظم عمل المؤسسة. بالنسبة للمراهقين المتواجدين بمركز إعادة التربية فان الوضعية التي تمت فيها إجراءات البحث شملت الحالات التي يكون فيها الوضع مؤقت، أي أن المراهق لا يزال خاضع للإجراءات التي تتحدد من خلالها طبيعة العقوبة مقارنة والفعل المرتكب. أما بالنسبة للانتحار فالأمر لا يختلف عن سابقه، حيث انه من الضروري أن يكون المراهق قد تجاوز مرحلة الخطر وقادر على التجاوب مع الباحثة خلال المقابلة وكذا الدخول في الإجراءات القانونية المعمول بها في المستشفيات (التصريح بالفعل للسلطات). ومع حالات الإدمان يشترط أن يكون المراهق قد أدلى بكل المعلومات الشخصية حتى يدخل ضمن السجل الإحصائي للمدمنين المتابعين للعلاج بالمركز ضمن النظام الخارجي، وضعية كل المراهقين الذين شملتهم مجموعة الدراسة هي وضعية مؤقتة. وقد ساهمت إلى حد بعيد في بلورة سياق الفعل وهو ما جاء ذكره عند طرح الأدوات البحثية المستخدمة (المقابلة النصف موجهة واختبار الرورشاخ).

- **غياب الاضطرابات العقلية:** تم على إثر هذا المعيار استبعاد حالتي إدمان، وحالة انتحار بسبب الإصابة بالذهان (فصام وهذيان) بالنسبة لحالتي إدمان تم تشخيصهما بعد إجراء المقابلة الثانية من

- حسب OMS فإن مرحلة المراهقة تستمر تقريبا من 10 إلى 19 سنة، وحسب دراسات المتخصصة في مدى الانتشار فان مرحلة المراهقة تمثل الفئة العمرية بين 15 و24 (Devernay et Viaux-Savelon, 2014, p.1).

طرف الطبيب المختص، فصام حاد وليس محاولة انتحار). بالاعتماد على المعطيات المتوفرة في ملف المراهق داخل المؤسسة أو المركز (الفحوصات المتخصصة).

- **الموافقة على القيام بإجراءات البحث والتوقيع على صيغة الموافقة المستنيرة:** حيث يشترط أن يوافق المبحوث على كل إجراءات البحث عن طريق الاستفادة من قراءة وشرح الصيغة والإجابة على التساؤلات المطروحة وتوضيح كل غموض مرتبط بالبحث. أما بالنسبة للمراهق الأقل من 18 سنة أي أقل من السن القانوني المسموح به فيتم تقديم صيغة الموافقة المستنيرة الخاصة بالولي ويكون التعامل معها بنفس الآلية والطريقة التي تم بها مع المراهق الذي تجاوز سنه 18 سنة وبحضوره. وعلى إثر هذا فان كل المبحوثين الذين تم إسنادهم لمجموعة البحث قد وافقوا ووقعوا هذه الصيغة (أنظر الملحق رقم 02).

- **عدم الخضوع لتمرير اختبار الرورشاخ من قبل:** هذا المعيار تم وضعه لأسباب تتعلق باحتمال أن تتزامن الإجراءات التطبيقية للبحث الحالي مع إجراءات بحوث أخرى، أو أن يكون الأخصائي الممارس على مستوى هذه المؤسسات قد قام بتمرير الاختبار وهو الاحتمال الذي تم تفنيده بسبب غياب المختص النفسي (بمركز إعادة التربية والمركز الوسيط لعلاج الإدمان) أو عدم توفر الاختبار أساسا (مصلحة الاستعجالات الجراحية، والطب الداخلي)، وعليه فان نتائج البحث قد تتأثر في حالة ما تم تمرير الاختبار مرتين وفي وقت متقارب.

• **معايير الانتقاء الخاصة:** وتشمل هذه المعايير بعض الخصوصيات فيما يتعلق بأفراد مجموعة البحث، وهي:

- **الفعل والوضعية القانونية الموازية:** يساهم هذا المعيار في تحديد البعد الإجرامي للفعل، وإيجاد مساحة مشتركة بين علم النفس وعلى الإجرام التي هي غاية هذا البحث، كذلك بالرغم من احتمال أن يكون من بين المعايير العامة إلا أننا نرى فيه توحيد لخاصية من خصائص مجموعة البحث تحت طائلة البعد القانوني، يسمح لنا بتحقيق تجانس في الخصائص بين أفراد مجموعة البحث. لتجنب أي لبس حول التداخل في المفاهيم (الشخصية المضادة للمجتمع، السيكوباتية، البنية الحديدية...)، كما أن السند القانوني يبدو أكثر وضوحا بالنسبة لموضوع الدراسة. ويشترط بهذا أن يكون المراهق قد ارتكب نوع من أنواع الفعل التي تم تناولها بالدراسة في البحث الحالي بالإضافة إلى خضوعه للإجراءات القانونية لتحديد التدخل المناسب لوضعيته.

- **طبيعة الفعل المرتكب:** من بين أهم المعايير الخاصة التي تم اعتمادها في تكوين المجموعات الفرعية هي طبيعة الفعل المرتكب وعلى أساسه تم تقسيم أفراد البحث إلى مجموعتين رئيسيتين تحملان

خاصيتا المرور إلى الفعل نحو الداخل (الذات)، والمرور إلى الفعل نحو الخارج (الآخر). ثم كإجراء لاحق تم تقسيم كل مجموعة إلى مجموعات فرعية؛ أين خضعت المجموعة الأولى إلى ثلاث تقسيمات تتمثل في: فعل السرقة، فعل العنف والقتل، والاعتداء الجنسي. بينما تضمنت المجموعة الثانية كل من: فعل الانتحار وفعل الإدمان. كما تجدر الإشارة إلى أن هذا التقسيم الذي تم على أساس اتجاه الفعل المرتكب يتضمن في طياته شرط آخر وهو أن يكون اتجاه الفعل نحو الخارج (الآخر، الأشياء المادية) أو نحو الداخل (الذات) أكثر سيطرة. مثلاً وجدنا أن المرتكب للقتل قد تعاطى المخدرات لكن هذا التعاطي لم يبلغ حدود الإدمان، وإن اتجاه الفعل المسيطر والمعاقب عليه وهو الفعل نحو الآخر.

على إثر هذان المعياران ستمم الإشارة إلى كل المواد القانونية التي تضبط هذه الأنواع من الفعل وتحدد البعد الإجرامي الكامن بها وكذا العقوبة الموازية لها في خانة الملاحق. (أنظر الملحق رقم 01)

3-2- خصائص مجموعة البحث:

كما تجدر الإشارة كذلك إلى وجود بعض الخصائص الفردية الأخرى (السن، سوابق الانحراف، طبيعة الفعل، العقوبة أو التدابير)، بالإضافة إلى عدد المقابلات أين سمحت الفرصة مع بعض المراهقين بسبب مكان إجراء الدراسة وتوقيتها من القيام بعدد أكثر من المقابلات المبرمجة في إجراءات البحث. بالنسبة لهذه الأخيرة، نؤكد على أن عدد المقابلات التي تمت من خلالها إجراءات البحث مع كل فرد من أفراد المجموعة هو ثلاث مقابلات بالإضافة إلى جلسة تمرير الاختبار، أما عدد المقابلات الفائض عن ذلك فقد تم إجراءه بهدف تقديم حوصلة عن العمل الذي تم خلال الجلسات السابقة وبرمجة جلسات للمتابعة النفسية، ولأسباب تتعلق بالتواجد المستمر بالمؤسسة، وأوقات الفراغ، وبطلب من الأفراد أنفسهم. بالإضافة إلى تناول الإجراءات القانونية والعلاجية المتبعة حسب كل حالة، والملاحظات المسجلة. تم جمعها في الجدول التالي:

جدول رقم 8: الخصائص الفردية لأفراد مجموعة البحث

ملاحظات	العقوبة المقررة	الإجراءات المتخذة (قانونية، علاجية)	اللقاءات		السوابق القانونية	طبيعة الفعل المرتكب	السن		رمز الحالة حسب الفعل والمؤسسة
			عدد جلسات المقابلة	جلسة تمرير الاختبار			لحظة ارتكاب الفعل	إنهاء إجراءات البحث	
تعاطي الكيف. التدخين، عنف، سرقات سابقة لم يتم التبليغ عنها.	8 أشهر حبس نافذة	الوضع بالمركز	04	01	/	سرقة بالتعدد	17 سنة و 8 أشهر	18 سنة	CSR.V.1

فرار متعدد من المركز	8 أشهر حبس نافذة	الوضع بالمركز	01	04	شاهد في قضية سرقة	السرقه المقترنة بظرف الكسر	16 سنة و8 أشهر	17 سنة	CSR.V.2
سراقات متعددة مقترنة بالكسر، فرار متعدد من المركز.	6 أشهر حبس نافذة	الوضع بالمركز	01	04	/	السرقه المقترفة بالتعدد	17 سنة	17 سنة	CSR.V.3
عنف ضد الأصول، ضد زميله بالمركز، تناول المخدرات والحشيش	وضع في إطار تدابير الحماية	تحويل من مركز حماية الطفولة نحو مركز إعادة التربية	01	04	/	العنف	18 سنة وشهرين	17 سنة و4 أشهر	CSR.VIO.4
فرار من المركز، تناول المشروبات الكحولية	3 أشهر سجن نافذة	تحويل إلى مركز تأهيل الأحداث	01	04	حيازة أشياء مسروقة، الاعتداء بالضرب	تخريب ملك الغير، إحداث الضوضاء وإقلاق راحة السكان، والشكر	18 سنة	18 سنة ونصف	CSR.VIO.5
تعاطي المخدرات، عنف وتعدي.	سنة حبس نافذة	الوضع بالمركز	01	04	/	القتل الخطأ	17 سنة و9 أشهر	18 سنة	CSR.H.6
انتهاء مدة الوضع مباشرة بعد سماع الحكم النهائي.	سنة حبس نافذة ثم تخفيض المدة إلى سنة أشهر	الوضع بالمركز	01	04	/	الفاعل المخل بالحياء ضد قاصر (5 سنوات)	15 سنة و9 أشهر	16 سنة وشهر واحد	CSR.AS.7
إدمان على السجائر. فرار من المركز	8 أشهر حبس نافذة	الوضع بالمركز	01	04	شاهد في قضية عنف	الفاعل المخل بالحياء ضد قاصر (12 سنة)	16 سنة و5 أشهر	16 سنة ونصف	CSR.AS.8
تبول لا إرادي، فرار متعدد من المركز. فحص متخصص. 02 جلسات للمتابعة النفسية	سنة حبس نافذة	الوضع بالمركز	01	06	/	الفاعل المخل بالحياء ضد قاصر	15 سنة وشهر واحد	15 سنة و9 أشهر	CSR.AS.9
تناول الأدوية النفسية منذ سن 15، فحوصات متخصصة، 02 جلسات للمتابعة النفسية	/	المتابعة بالمركز	01	06	/	الإدمان	--	18 سنة وشهرين	CISA.T.1
إدمان منذ سن 17، فحوصات متخصصة، 03 جلسات متابعة نفسية	/	المتابعة بالمركز	01	07	/	الإدمان	--	22 سنة	CISA.T.2

إدمان منذ سن 14، فحوصات متخصصة، 3 جلسات متابعة نفسية	/	المتابعة الخارجية بالمركز	01	07	/	الإدمان	--	22 سنة و3 أشهر	CISAT.3
إدمان منذ 15 سنة، فحص الطبيب العقلي، غياب متكرر عن المواعيد	/	المتابعة الخارجية بالمركز	01	04	/	الإدمان	--	19 سنة	CISAT.4
محاولات انتحار سابقة فرار من المنزل العائلي	/	الاستشفاء، التوجيه نحو المتابعة المتخصصة والنفسية	01	04	/	محاولة الانتحار	16 سنة وشهرين	16 سنة و3 أشهر	CHU.TS.1
محاولات انتحار سابقة الاستعانة بمختص نفسى لجمع المعطيات	/	الاستشفاء، المتابعة المتخصصة والنفسية	01	03	/	محاولة الانتحار	--	19 سنة و5 أشهر	EHSP.TS.1

يتضمن الجدول كما سبق القول بعض الخصائص الفردية المرتبطة بالفعل المنحرف. حيث نلاحظ أن سن أفراد مجموعة البحث يتراوح ما بين 15 و23 سنة تقريبا. وأن طبيعة الأفعال المرتكبة تتباين من حيث الخطورة. ففيما يتعلق بفعل السرقة نجد السرقة بالتعدد والسرقة المقترنة بظرف الكسر. ونجد الاعتداء الجنسي ضد القصر (حيث سن الضحية بالنسبة لـ CSR.S.3 لا يتعدى 5 سنوات)، أما بالنسبة للخانة الأخيرة فقد تضمنت الملاحظات المسجلة حول تصرفات المبحوثين. تصرفات تفسر التفاعلات التي تسبق الفعل أو تليه، الفحوصات المتخصصة التي أجريت بطلب من القائمين على المؤسسة (فحص الطب العقلي، الطب العام والطب العصبي).

4- الضبط الإجرائي للفرضيات:

قامت الدراسة الحالية على الفرضية التالية:

- تتشكل سياقات-أوسياق-المرور إلى الفعل عند المراهق المنحرف من خلال ثلاث مستويات متداخلة، متفاعلة ومتكاملة تتمثل في: مستوى القلق المرتبط بالموضوع، مستوى الحدود (الداخل/الخارج)، مستوى العدوانية واتجاهها (نحو الذات/نحو الآخر).

وبما أنه تم اعتماد اختبار الرورشاخ بمرجعية تحليلية كأداة بحثية للكشف عن سياق المرور إلى الفعل، وأن هذا السياق يتضمن ثلاث مستويات فسوف نتطرق بعد التذكير بالفرضيات الجزئية ببعض من التفصيل للمرجعيات المعتمدة في الاستدلال على تلك المستويات لضبطها إجرائيا.

- الفرضية الجزئية الأولى: القلق المرتبط بالعلاقة بالموضوع

يظهر القلق عند تواجد المراهق في وضعية مواجهة مع الموضوع الإجرامي (الضحية/الجسم/الممتلكات) وهو ما يعيد إحياء أشكال القلق التي تم استدخالها في مراحل النمو المبكرة. ننتظر أن نجد:

من خلال الرورشاخ:

عندما نتحدث عن مفهوم القلق من وجهة النظر التحليلية فإننا نشير حسب Freud (1993) وبصورة مباشرة إلى طاقة حرة، أي إلى استثارة نزوية تبحث عن التفريغ المباشر بأي طريقة ممكنة. تعكس فكرة التفريغ هذه ذلك النشاط الحسي-الحركي المدرك من ناحيته الحركية ومن الإحساس الجسدي الذي يخلفه لدى الشخص. فهو في الأساس ينتمي إلى السجل لذة/ألم.

تبعاً لهذا المنطق فالقلق عبارة عن عاطفة، تشكل عملية دفاعية بالنسبة لئلا تدفق الاستثارة النزوية وكذا التجاوزات الخارجية. تتلخص هذه العملية في وظيفة حفظ الذات التي يضمنها القلق سواء في جانبه الاقتصادي أو من ناحية الإرضان الهوامي (Freud, 1993).

يسمح الرورشاخ بفضل خاصية الإسقاط بتحديد أنماط العلاقة بالموضوع لدى الفرد، مهما يكن نمط العلاقة التي يملكها هذا الأخير سواء أكان ذلك في سجل تبادلي، نرجسي، انعكاسي spéculaire، تملكي، اضطهادي، تبعي، أو بدائي.

وقفت Chabert على هذه الحقيقة بالإشارة إلى خصائص البطاقات حيث عبرت: "نعلم أن البطاقتين أو II تنشطان الأنماط العلائقية حيث يفترض أن تتحرك الاستثمارات النزوية من النوع الليبيدي أو العدوانية" (Chabert, 1987, p.107)، يرجع الأمر إلى خاصية الأزواجية أو التناظرية على شكل نمط علائقي نرجسي أو موضوعي، عدواني أو ليبيدي.

بالإضافة إلى إمكانية "بروز تظاهرات قديمة، بدائية، لمعاش نفسي سابق للغة اللفظية يمس لدى الفرد التجارب المرتبطة بالاتصال اللذة/الألم المرتبطة بالعلاقة الأولية التي تسمح له بالانفتاح على محيطه" (Chabert, 1983, p.87)؛ تتيح البطاقات XIII و IX و X الوصول إلى هذا الواقع لتمييزها بالقدرة على دفع الفرد للنكوص نحو علاقة الفرد بمحيطه البدائي.

يأخذ القلق كما هو معروف ثلاث أشكال رئيسية مختلفة نوعياً حسب التنظيمات النفسية:

- القلق الذهاني المعروف بقلق التجزئة والذي يتولد عن قلق الموت.
- القلق عند الحالات الحدية، يظهر تحت شكل قلق فقدان أو الانفصال الناتج عن العلاقة الاتكالية.
- القلق العصابي، يأخذ مدلول قلق الخفاء المنبثق عن العلاقة الثلاثية.

كل أنواع القلق التي بإمكانها أن تظهر لدى المراهق الممثل لمجموعة البحث تتبثق عن هذه الأشكال الثلاثة الرئيسية. وللوقوف على هذا المستوى من سياق الفعل فإننا نستند إلى المؤشرات الدالة على وجود القلق في القائمة التي اقترحها Anzieu (1970) في (Richelle et al, sans, p.108):

- R منخفض، إنتاجية قليلة.
- %G نسبة الاستجابات الكلية منخفضة.
- DbI+Dd+D_o (ج جت + ج + ج ف) مرتفعة.
- عدد قليل من الاستجابات الحركية K.
- استجابات التضليل.
- استجابات لونية خالصة C pur.
- استجابات من النوع فق Clob (فاتح قاتم).
- ج بشر + ج تشر + جنس + دم % أصغر من 15.
- الرفض. صدمة اللون. صدمة اللون الأحمر. صدمة فق.
- ملاحظات حول التناظر.

تضيف Richelle & al إلى أن هناك خصوصية في ظهور القلق ضمن بروتوكولات الرورشاخ تتعلق بكل تنظيم نفسي على حدا:

فبالنسبة لقلق الخفاء يستدل عليه من خلال وجود استجابات الصدمة بالأخص اللون الأحمر والدم، استجابات من النوع فق Clob التي ترجع إلى صور قوية وخطيرة. استجابات تطرح إشكالية البتر دون أن يكون هناك مساس بالتكامل الجسدي، أو بتعبيرات عن مشاعر الانزعاج. كما أن هذا النوع من القلق يأخذ أشكال مختلفة حسب طبيعة البنية العصابية: مرنة مع نوع من التعبير اللفظي؛ صلبة مع استثمار للجزيئات الصغيرة (D_o, Dd, DbI)، مثبتة مع عدم وجود الرفض؛ وخائفة.

أما بالنسبة للبنية الذهانية، فلقلق يظهر من خلال البروتوكول في إصابة تكامل العمليات الفكرية وانهيار الفهم الملائم للواقع، ويتجلى كل هذا في:

- %F+ نسبة التشكيل الجيد جد منخفضة، تتبعها عدد الاستجابات الشائعة.
- G استجابات كلية تناظرية، Contaminées، Confabulées.

تحدد الاستجابات سواء عن طريق إدراك شكلي دون إحساس ونوعية سيئة، أو ببروز نزوي ظاهر، غير مقنن وغير مشكل (ل خالص، استجابات فق)، مع محتويات مجزئة (ج بشر)، سيطرة العمليات

- بالنسبة لكل المؤشرات المعتمدة بالنسبة للرورشاخ هناك معايير خاصة بالمراهق يتم الرجوع إليها أثناء التفسير (أنظر الملحق رقم 07)

الأولية، تكامل اللون الأبيض للبطاقة مع البقعة يعكس عدم التمايز بين العمق والشكل، بين الذات والآخر، ومحتوى الاستجابات يعكس قلق التجزئة وإصابة التكامل الجسدي.

وفي الأخير وحسب (De Tychey, 1986) فإنه من الممكن التعرف على قلق فقدان انطلاقاً من استجابات الفرد في بروتوكول الرورشاخ أو بالطريقة التي يدخل بها في العلاقة مع الفاحص:

- وجود استجابات ذات صبغة شرجية (Schafer, 1957)مذكور في (De Tychey, 1986).
- وجود استجابات «اتصال» في الحركة K، أو إنسانية (M)، أو حيوانية (FM) وش حر متجاوزة (Fast & Brodel, 1967) مذكور في: (De Tychey, 1986).

- وجود استجابات تدل على إشكالية الولادة. (Timisit, 1986)
- وجود تعليقات تدور حول انتقاد الذات. (De Tychey, 1986)
- وجود تعليقات تدور حول المثالية أو الاحتقار اتجاه الفاحص، الاختبار أو وضعية تمرير الاختبار. (Fast & Brodel, 1967) مذكور في: (De Tychey et Chabert, 1986)

بالنسبة للعلاقة بالموضوع:

يرتقي مفهوم الموضوع في التحليل النفسي ضمن مراحل متتالية تنتهي إلى طرح فهم معين له، يأخذ الموضوع مكانة أساسية بالنسبة لدينامية النزوات فهو الذي تصل: به ومن خلاله إلى هدفها، باعتباره وسيلة محتملة للإشباع، يمتلك سمات فريدة تتحدد من خلال التاريخ الطفولي بشكل رئيسي (لابلاش وبنطاليس، 2008). في حقيقة الأمر هو عبارة عن: تصور نفسي مستهدف من قبل النزوة، تصور هوامي ناتج عن الحياة الطفولية تمتد جذوره في الحياة النفسية الداخلية وعلى الأقل في جزء من اللاشعور ويعاد إحياءه خلال التجارب العلائقية اللاحقة، وبالتالي لا يمكن أن نعتبر أن العلاقة الموضوعية مجرد علاقة الفرد بالآخر وإنما تسير من قبل الصور المستدخلة سابقاً عن الموضوع (Gaudriault, 1990).

للتأكيد على هذا الارتباط تساءلت Gourlaouen-Couton (2002) (ذكر سابقاً) فيما إذا كان هناك اختيار حقيقي للموضوع في حالة الفعل العنيف، وبالتحديد حول ماذا يمكن أن يمثله الطفل بالنسبة للمعتدي؟ وما هي الخصوصية التي يمتلكها حتى يتمكن من إحياء رغبته؟ واستنتجت في الأخير أن هذا النوع من الفعل لا يمكن أن يحدث نتيجة الصدفة فاختيار الطفل كموضوع للفعل الجنسي يحقق انعدام الاختلاف بين الأجيال وبين الجنسين الذي يرجع إلى إشكالية أوديبية. وأشارت (Bouchet-Kervella, 1996) في تعريفها للشذوذ الجنسي أن الفعل يتأسس وفق نمط علائقي ما قبل تناسلي خاضع للمثلية.

من جهته Rosenfeld 1960 أشار إلى وجود دينامية علائقية مع المادة المخدرة. تحتل هذه الأخيرة مكانة في الحياة العلائقية للفرد المدمن فهي معادلة للموضوع، يقف على طبيعة هذه العلاقة حيث يسمح الانشطار

من خلالها بنقصد الموضوع المثالي من جهة. وتتيح للمدمن تفعيل نزواته التدميرية دون الخوف من الارتداد السادي من طرف الموضوع، ومن الشعور بالذنب ضد الميول العدوانية التدميرية.

وبما أن هذه العلاقة أصبحت واضحة فإن الاستدلال عليها باستخدام الرورشاخ دفع الباحثين إلى الوقوف على المواضيع النفسية في بعض البطاقات خاصة البطاقات الوالدية I، VII، X. من خلال الاستجابات الحركية، أو البشرية. استجابات الصدمة Choc والاستجابات من النوع فق Clob، العلاقة بالباحثة، وبالنسبة إلينا للاستدلال إن أمكن على بعض خصائص الموضوع الذي نقصد به صراحة في هذا البحث الموضوع الإجرامي الذي من خلاله يتحقق هدف الفعل.

• الفرضية الجزئية الثانية:

تظهر إشكالية على مستوى الحدود النفسية الداخل/الخارج عند المراهق المنحرف.

من خلال الرورشاخ:

الحديث عن مستوى الحدود الداخل/الخارج يقود بصورة مباشرة إلى مفهوم «الأنا-الجلدي» الذي وضعه Anzieu (1985) والوظائف التي أسندت إليه وعلى وجه الخصوص وظيفة الاحتواء التي سمحت بتفسير العديد من الإشكاليات على المستوى النفس-مرض، والمستوى البنيوي.

تتيح هذه الوظيفة من جهة الاستثمارات العلائقية الوقوف على أنماط خاصة يمكن تصنيفها ضمن سجلين اثنين: يهدف الأول إلى إنشاء وتعزيز الحدود الفاصلة بين الداخل والخارج (الحاجز)، الذي يسعى الفرد من خلاله إلى مواجهة فرط الاستثارة الآتية من الخارج. أما الثاني فهو على النقيض، يظهر على شكل اقتحام (اختراق) مرتبط بوظائف تسلط الضوء على عملية إسقاط الحركات النزوية الداخلية.

يمكن الوقوف على طبيعة هذا المستوى بالاعتماد على الرورشاخ المعروف عنه بأنه اختبار للحدود لتمييزه بخصائص شكلية (تناظر البقع، التناوب بين البطاقات ذات اللون الأحادي والبطاقات المزوجة الألوان...)، حيث تسمح بعض المؤشرات بتقييم نوعية الحدود بين ما ينتمي إلى الفرد (الداخل) وما ينتمي إلى العالم (الخارج). تتمثل هذه المؤشرات في:

- نسبة الاستجابات الشكلية ش% وأيضاً ش+%. بحيث تشير نسبة ش% الأقل من 70% إلى أن الفرد يملك حدود مسامية وغامضة Floues. بالإضافة إلى وجود عدد محدود من الاستجابات الشائعة (شا) حسب Weingarten & Korn 1967. (Timsit, 1974).

- المحددات الشكلية أو تلك التي يطغى عليها الشكل تشهد على التركيز على شكل البقعة، على محيطها (ش% وش% موسعة) إذن على استثمار الحدود؛ ش+% تعطي الأهمية للمحيط المسيطر في

التمثيلات (الفضة، مناسبة، وغير متوافقة مع الواقع الإدراكي) ولفاعلية هذا الاستثمار. كما أن هشاشة ش+ % تشير إلى الخلل الذي يدور حول ترسيم حدود الذات/ اللذات، وأن الإفراط في ش وذلك بغناها ب ش+ يشير إلى الاستثمار المفرط للدفاعات. بالإضافة إلى هذا فإن وجود تمثيلات جسدية جزئية، متقطعة لا بأس بها في بروتوكول المراهق تشير إلى صعوبات في التحكم في حدود الأنا/ اللأنا أو تقلبات في تمثيل الذات/ اللذات. (Emmanuelli & Azoulay, 2008, p.116)

- على مستوى المحتويات فإن وجود حدود نفسية متميزة ومرنة تسمح للفرد باكتساب تمثيلات لمحيط مستمر، متكامل وفي سجلات موحدة. بالمقابل يجب الانتباه إلى وجود الكثير منها خلال المراهقة بمرجعية إنسانية أو حيوانية خرافية مثل: عفاريت، جنيات، تماثيل. أو تمثيلات جسدية متقطعة، جزئية. الأولى يمكن أن ينظر إليها ضمن عملية تفعيل الانفصال المسند بواسطة الخيال والاستذهان. والتي تعتمد في الأساس على مرجعية ثقافية تتخلل الألعاب والأدب الموجه للمراهق. والثانية يمكن أن تشير بالأخص عندما تكون كثيرة إلى صعوبات في الحكم في الحدود الأنا/ اللأنا؛ أو إلى تقلبات في تمثيل ذات غير متجانسة.

- تترجم الحدود المسامية بوجود العديد من الاستجابات التي تشهد على غموض الحدود مثل: تصورات سيئة التمثيل، غياب الاتساق الداخلي للاستجابة، البحث عن حدود تفصل بين الداخل والخارج، وجود استثمار مفرط للحدود عن طريق استجابات جلدية «réponses peau» (Chabert, 1986). يهدف هذا النوع الأخير من الاستجابات إلى وضع سطح حاوي، وتتمثل في كل التعبيرات التي تشهد حسب (Chabert, 2007, p.595) على "المجهود الذي يبذله الفرد لتمثيل جلد ثاني، غلاف إضافي، مادي ولموس، يأتي لسد الثغرات المحتملة للحدود النفسية".

وحسبها دائما فإن مسامية الحدود تؤدي إلى حدوث وظيفة مزدوجة من خلال الرورشاخ. من جهة يحاول الفرد وبالقوة وضع حدود حاجزة، مسدودة وحماية عن طريق الاستعمال الكثيف للمحددات الشكلية. ومن جهة أخرى بالنسبة لوظيفة الاحتواء التي تحدث حركات نزوية متجاوزة للحدود عن طريق استعمال اللون دون شكل، وحركات نكوصية أو مدمرة. فنجد لدى الحالات الحدية مثلا استعمال اللون مع أسبقيته على الشكل؛ وهو ما يشير إلى خلل في الكبت الذي يقترب من التفريغ النزوي ويشهد على الميل نحو الفعل. فيصبح من الصعوبة على الفرد الذي يمتلك حدود مسامية احتواء الشحنة النزوية داخل النفس.

استثمار الحدود في هذا النوع من الاستجابات يرتبط دائما بمثلثة سلبية أو ايجابية؛ في استجابات مثل: «ثوب خشن»، «معطف أميرة»، تنتشر بكثرة في بروتوكولات المراهقين؛ ويمكن اعتبار الإفراط فيها كمؤشر على هشاشة الحواجز الداخلية/الخارجية.

- من ناحية أخرى تعتبر المحتويات «حاجز-اختراق» التي أشار إليها كل من Fischer & Cleveland (1968) من بين الاستجابات التي تنطوي ضمن الاستجابات من النوع «الجلد». حيث تتمثل الاستجابات من النوع الحاجز في سعي الفرد إلى تأكيد الجوانب المحيطية المحددة للمدرك مثل: وعاء الزهور، فارس بدرع. أما الاستجابات من النوع اختراق فهي تتكون من محتويات ذات سطح مخترق مثل: الأشعة، حشرة سحق. حيث وضع Fischer نظام لتقدير الاستجابات من النوع حاجز/اختراق يتضمن 7 مجموعات من الاستجابات من النوع حاجز؛ و 6 مجموعات من استجابات اختراق، أما النتيجة فهي مجموع الإجابات المقدره بالحاجز B أو الاختراق P (أنظر الملحق رقم 2).

يتم تنقيط استجابات الحاجز بالنسبة ل:

- كل محتوى ذو بنية أو حدود دقيقة.

- كل ما يتضمن مفهوم الإخفاء، التغطية، الحماية، أن تكون محمية.

- كل ما يحدد أو يشكل الفضاء.

- كل ما يكون آليا مرتبط بالجسم (الجواهر).

- كل ما يملك صفات خاصة بالسطح.

يتم تنقيط استجابات الاختراق بالنسبة ل:

- الاستجابات التي ترجع إلى حدود مختلة، مخترقة، أو للاتصال بين الداخل والخارج.

- المحتويات ذات الحدود الفضة (السحاب)، هشة أو نفاذية.

بالنسبة ل Fischer & Cleveland فإن ارتفاع في مجموع استجابات الحاجز يترجم صورة ذات متكاملة،

وهو ما يشير مجازا إلى وجود أنا مع حدود جيدة.

ترى Emmanuelli & Azoulay (2008) أن المؤشر حاجز/اختراق يواجه ارتفاع معتبر خلال المراهقة

عما هو عليه في المعيار الذي وضعه العالمان Fischer & Cleveland (4B > 2P)، بالأخص لدى المراهقين

الواقعين تحت رحمة عملية المراهقة أي منذ سن 14 سنة.

لدى المراهق الذي يتميز بالهشاشة ارتفاع في القطبين يترافق بانعكاس في النتيجة $B < P$. عندما يكون

هناك ضعف في مرونة المبادلات بين الداخل والخارج يتولد خلل في وظيفة جهاز ما قبل الوعي المتصلب

بشدة (حالة الإفراط في استثمار الحواجز، إفقار)؛ أو عدم فاعلية (حواجز محطمة، مخترقة هوميا).

• الفرضية الجزئية الثالثة:

تتحرر العدوانية كنتيجة للدينامية السابقة (القلق وإشكالية الحدود) وتتخذ اتجاهها إما نحو الذات

(الإدمان والانتحار) أو نحو الآخر (الفعل الجنسي، العنف، القتل والسرقة).

من خلال الرورشاخ: ننتظر أن نجد

العواطف عبارة عن مركبات غريزية بنائية وأساسية للجهاز النفسي، تنشط وتتطور تحت تأثير المحيط العلائقي الخارجي مشكلة بذلك نظام للدوافع الكامنة وراء النزوات العدوانية والليبيدية على حد سواء. يعرف الإنسان تنوعا في حالاته العاطفية خلال مراحل النمو النفس-جنسي، ويشهد الاستدخال الأولي لها على مصدر الهوام، العلاقات الموضوعية (حسنة/سيئة)، تصور الذات والموضوع الملازم له. ويسمح الاستدخال الثانوي لها بتطور الأنا؛ تطورا يتيح مقايضة الرهانات المرتبطة بمفاهيم الاختلاف في الأدوار، حب الموضوع، المحرمات الوالدية والاختلاف بين الأجيال (Kernberg, 1992). من جهته Bergeret (1984) يؤكد على البعد العاطفي الذي يشكل العدوانية، يتضمن هذا البعد جانب شقي موجه نحو الذات (مازوشية)، أو موجه نحو الآخر (سادية). تسمح عملية الليبية libidinalisation بإرسان هذه الطاقة الحرة مع مراحل تكوين الشخصية.

يشهد الإنسان نماذج عاطفية مختلفة (الغضب، الحقد، الكره، التهيج، الرغبة، الاشمئزاز...) خلال نموه وتطوره؛ تكون هذه الأخيرة مرتبطة أساسا بتجارب اللذة/الألم التي يخلفها التفاعل مع الموضوع، وجود هذا النوع من العواطف الكامنة بالإضافة إلى نوع محدد من العلاقة بالموضوع، ضعف الأنومستوى تكامل الأنا الأعلى. بالإمكان أن يدفع إلى ظهور العدوانية في شكلها الموجه نحو الذات أو نحو الآخر. "في اللحظة التي يظهر فيها الفعل... هناك تشكل لواقع جديد يفرض نفسه لاحقا لتبرير الطرح نحو الخارج أو الارتداد نحو الذات للنزوات العدوانية التي لا يمكن التحكم بها" (Bergeret, 1998, p. 114).

العديد من المفاهيم التي كانت قد طرحت وارتبطت بصورة مباشرة بالعدوانية أو كانت من بين تداعياتها. يأتي مثلا مفهوم التدمير-الذاتي (Kernberg, 1997) auto-destructivité باعتباره سمة مميزة للشخصية، ليست حكرا على تنظيم بعينه؛ وعلى إثرها تصنف الشخصيات إلى مستويين اثنين: أعلى وأدنى. يشمل المستوى الأدنى شخصيات مازوشية ذات قطب حدي أو ذهاني، بإمكانها القيام بعملية جنسنة أولية للحاجات المازوشية؛ أين تظهر الميول المازوشية الشاذة أو العدوانية والتي يتم تفريغها نحو الخارج أكثر منه نحو الجسم. بالمقابل نجد الشخصيات المازوشية ذات المستوى الأعلى التي تنتظم حول النمط الأوديبي.

الاستعانة باختبار الرورشاخ أصبح ممكنا لقياس العدوانية، وتتبع تطور هذا النوع من القياس عبر نتائج البحوث النفسية يظهر التنوع في تناول مفهوم العدوانية في تظاهراتها ومركباتها الكامنة. يشهد كل من (Gacono & Meloy, 1994) على الاستخدامات المتكررة للاختبار (Elizer, 1949 Rader,) (Megargee, 1972; Sommer & Sommer, 1958; Sommer, 1957) في المقارنة بين مجموعات من الأفراد

العنيفين، في التكهّن بالمرور إلى الفعل، وفي إبراز بعض السمات الطبيعية. يعتبر وجود العدوانية في بروتوكول الرورشاخ مؤشرا على نوع من الشدة النفسية الداخلية؛ وعليه يقترح (Exner, 2000) وجود استجابات من النوع (AG) [حركة عدوانية] و (MOR) [وجود موضوع ميت، مدمر، ضرر، مجروح، مسحوق، أو عاطفة الانزعاج لموضوع ما]، بالإضافة إلى مؤشرات أخرى تأتي في سياق المقاربة النظرية التي قام عليها النظام الادماجي.

بالنسبة لـ Timist (1974) فالعدوانية هي احتمال لصراع داخلي، يرافقه ارتفاع في الاستجابات من النوع (Dbl) (Richelle & autres, 2017). من جهته Franck (1994) يدعم المؤشرات المتعلقة بصعوبة تعديل التجارب العاطفية ($FC < CF + C$)، بضعف التحكم الإدراكي ($F + \% < 70$)؛ التي بالإمكان أن ترتبط بالمرور إلى الفعل.

وقد اشار هيرمان رورشاخ من قبل إلى وجود ثلاث أشكال من نمط الرجح الحميم (T.R.I) المرتبط بالعدوانية، تتمثل هذه الصيغ في:

- **T.R.I** : من النوع المنطوي مع وجود استجابات جزئية كبيرة ببيضاء Dbl، في هذه الحالة هناك تثبيط للعدوانية التي تترجم عياديا بغياب الإحساس بالأمان، فقدان الثقة بالنفس، الانزعاج، تأدب مفرط، وفي بعض الأحيان بميول اكتئابية.

- **T.R.I** : منبسط مع وجود Dbl، عدوانية موجهة نحو الخارج؛ بمعنى ظاهرة. يمكن أن تترجم عياديا بالمعارضة، العناد، فكر جدلي أو تشاؤمي. بإمكان هذه الصيغة أن تتحقق ولكن بشرط أن ترتبط بنوع معين من الألوان الصريحة (قيمة اللون القابل للتغيير $FC < CF + C$).

- **T.R.I** : متكافئ الانبساط والانطواء مع وجود Dbl، تقاطب، عدوانية موجهة نحو الذات ونحو الآخر في نفس الوقت، تصبح موضوعية بواسطة الشك، التردد، والميول الوسواسية (Richelle & autres, 2017). في ذات السياق طرح Bohm (1955) قاعدة مفادها:

- **T.R.I** منطوي خالص (مثال: 6/3) هنا نتحدث عن إحساس غير واعي بالنقص، مع حاجة لاواعية للتقدير.

- **T.R.I** منبسط خالص (مثال: 3/6) حاجة واعية إلى التقدير مع إحساس لاواعي بالنقص. (Richelle & autres, 2017, p. 136)

- من بين المؤشرات كذلك التي ذكرها (Neau, 2005) والتي أنتت نتيجة دراسة أجراها على مجموعة من الذكور ارتكبوا جرائم ذات طابع جنسي (الاعتداء، القتل)، وجد أن بروتوكولات هؤلاء الأشخاص تتميز بالتثبيط، التحكم، وجود $F\%$ مرتفع مقابل عدد قليل من الاستجابات.

- وأيدت نتائج الدراسة التي أجرتها كل من (Léviellee & Lefebvre, 2008) ما ذكر سابقا، وأكدتا من جهتهما أن هناك فرط في استثمار الواقع الملموس والتحكم في النزوات عن طريق وجود نسبة مرتفعة من F%.

- كما أشار Timsit (1974) إلى نمط أخير للعدوانية، أطلق عليه ما يسمى «العدوانية الشرجية» يمكن أن تظهر (بالأخص مع النموذج الوسواسي في العصابات) عن طريق ارتفاع ملحوظ في عدد الاستجابات الجزئية الصغيرة، خاصة إذا شملت الاستجابات من هذا النوع طابعا معقد بسبب ارتباطها بمحتويات سادية.

- وجود استجداء اتجاه الفاحص (Léveillé, 2001).

- ترى Gamache (2010) أن غياب المؤشرات العدوانية في الرورشاخ لا يشير إلى أن النزوات العدوانية لا تسيطر على الفرد، بل على العكس، هذه الملاحظة يجب ربطها مع الفعل. فعندما يتم تصريف العدوانية فإنها تجتاح المشهد النفسي ولا تولد أي شدة داخلية؛ فهي منسجمة مع الذات، وأيضا فإنه من العادي ألا نستطيع إيجاد آثار للعدوانية في بروتوكول الرورشاخ. بالنتيجة لا يجب تأويل غياب مؤشرات العدوانية من خلال الرورشاخ كغياب للعنف أو العدوانية لدى الفرد. والعكس صحيح؛ وجود العدوانية في البروتوكول ليس مؤشرا على الميول العنيفة.

هنا يمكن القول إن بعض المؤشرات التي تم الإشارة إليها فيما سبق والمرتبطة بالعدوانية وطرق تصريفها ينبغي اعتمادها في الوقوف على دلالة العدوانية في ارتباطها بأشكال المرور إلى الفعل التي تم تناولها مع الحرص كل الحرص على ضرورة التعامل مع بروتوكول كل حالة بصورة كلية وليس بصورة جزئية تتفق مع كل خاصية منفصلة.

5- إجراءات الدراسة:

إن محاولة فهم الفعل المنحرف لدى المراهق حسب توجه هذه الدراسة وضعنا أمام حتمية مدى تأثير الفضاء الذي يتواجد فيه المراهق المبحوث. فضاء تعدد بالنسبة إلينا بتعدد أشكال الفعل التي تم تناولها. بالإضافة إلى ذلك فإن محاولة فهم السياق الذي يحدث فيه ومن خلاله لا يمكن بأي حال أن يكون دونما إشارة إلى أنه تم في مرحلة ما بعد الفعل. ربما بأيام قليلة، أشهر أو سنوات؛ وعلى إثر هذا نذكر أن الدراسة الحالية تمت عبر أربع أزمنا وتتمثل في: اختيار أماكن القيام بالإجراءات التطبيقية، وقت خاص بتمرير صيغة الموافقة المستنيرة، وبعدها مقابلة جمع المعطيات، وتطبيق الاختبار.

5-1 اختيار أماكن إجراء البحث:

إجراء أساسي أولي لاستكمال مسيرة البحث. مروراً بالإجراءات الإدارية المرتبطة بطبيعة القبول داخل المؤسسة، والسماح بالالتقاء وجهاً لوجه مع المراهق، وتسخير الإمكانيات المتاحة عن طريق إجراء مسحي للمؤسسات التي يمكن أن تضمن كل ذلك. وعليه تمت الإجراءات على النحو التالي:

1. تقديم طلب لكل من:

. المدير العام للمؤسسة العمومية للصحة الجوارية لولاية سطيف-حي حشمي-يتضمن طلب الموافقة على إجراء البحث بالمركز الوسيط لعلاج الإدمان (نسخة من الطلب مؤشر عليها بالموافقة: أنظر الملحق رقم 3).

. المدير العام للموارد البشرية للمستشفى الجامعي سعادنة محمد عبد النور بسطيف، وبموافقة رئيساً مصلحتنا الاستعجالات الطبية والجراحية، ونظراً لقلّة الحالات فقد اضطررنا إلى تمديد فترة البحث (نسخة من الطلب مع الموافقة ونسخة من التعلية المصلحية مع التمديد في الملحق رقم 3).

. المدير العام للمؤسسة الاستشفائية للصحة العقلية بعين عباس. تم التأشير بالموافقة من طرف الطبيب الرئيسي لمصلحة الطب العقلي. تمت الدراسة ما بين نوفمبر وديسمبر 2017. أما بالنسبة للمجموعة الثانية والتي تضمنت أشكال من المرور إلى الفعل نحو الآخر (السرقه، الاعتداء الجنسي، القتل) فتمثلت الإجراءات في:

2. تقديم طلب للقيام بالبحث لكل من:

. مديرة مركز إعادة التربية والتأهيل بحي بلير بسطيف، تم رفضه مباشرة وإعادة توجيهنا نحو المديرية العامة لإدارة السجون بالأبيار، الجزائر العاصمة.

. مدير المديرية العامة لإدارة السجون بالأبيار لم نتلق أي رد يذكر.

. تقديم طلب إلى النائب العام بمجلس قضاء سطيف. لم نتلق أي رد كتابي سوى إعادة توجيهنا إما

لقاضي الأحداث بمحكمة سطيف أو إلى مديرية إدارة السجون بالأبيار.

. مدير مديرية النشاط الاجتماعي لولاية سطيف. حيث تم الموافقة على طلب استكمال الإجراءات

التطبيقية للبحث بمركز إعادة التربية عبد الواحد خزناجي.

. مدير إعادة التربية أين تم اعتماد الموافقة السابقة.

. قاضي الأحداث بمحكمة سطيف للموافقة النهائية على استكمال إجراءات البحث بمركز إعادة

التربية (نسخة من الطلب مؤشر عليها: أنظر الملحق رقم 3).

3. الاتصال بمديرية الشرطة لولاية سطيف للحصول على الإحصائيات المرتبطة بظاهرة الانحراف في حدود ولاية سطيف وبالتحديد مع مسؤول فرقة التدخل والوقاية الخاصة بالأحداث. حيث تم رفض الطلب دون تقديم مبررات. وتم توجيهنا لتقديم طلب لمدير الأمن على مستوى الولاية وهو الإجراء الذي امتنعنا عن القيام به لأسباب شخصية.

نظرا لما سبق فقد تم إجراء الدراسة بالأماكن التالية:

- **المركز المتخصص في إعادة التربية عبد الواحد خزناجي بسطيف:** يعتبر المركز الوحيد الذي يعمل بالنظام المفتوح. التابع لوزارة التضامن الوطني والتشغيل. يستقبل المراهقين الأحداث الأقل من 18 سنة، الخاضعين لنظام قانوني محدد، يضم أحداث موضوعين في إطار تدابير الحماية (دون جنح أو جرائم، أو بطلب من الأولياء)، أحداث في إطار عقوبة/حماية وهي الفئة المستهدفة في البحث الحالي (مع جنح وجرائم) تم انتقاء بعض أفراد مجموعة البحث من بينهم. استمرت فترة إجراء البحث من 22 مايو 2017 إلى غاية أوت 2018. حيث تم تكييف العمل حسب ظروف تواجد المراهقين بالمركز (الفرار، العطل، الخرجات). مع الحرص على إجراء ثلاث مقابلات وجلسة خاصة بتمرير الاختبار لكل مراهق. تم استبعاد 4 حالات للأسباب التالية:

. عدم إمكانية استكمال إجراءات البحث بسبب الفرار من المركز (حالتين).

. الإصابة باضطرابات نفسية حادة (حالة واحدة بسبب الوسواس القهري).

. التحويل إلى مراكز أخرى (حالة واحدة: الفرار، ارتكاب جنحة السرقة، وتجاوز السن 18).

- **المركز الوسيط لعلاج الإدمان:** تابع للمؤسسة العمومية للصحة الجوارية، يقع بالعيادة المتعددة الخدمات السعيد بن تومي بحي الهواء الجميل بسطيف. تم إنشائه تبعا لأحكام القانون رقم 04-18 المتعلق بالوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية وقمع الاستعمال والاتجار غير المشروعين بها. وقد جاء هذا القانون كضرورة لتخيير الفرد بين العلاج أو العقاب بالسجن، وعلى إثر ذلك تكفلت وزارة الصحة ببناء وتهيئة الفضاءات اللازمة لاستكمال تلك العملية. انطلقت الإجراءات البحثية بالمؤسسة منذ 08 جوان 2017 وحتى فيفري 2018. بلغ العدد الإجمالي 16 مبحوث. وتجدر الإشارة إلى أن غياب المختص في الطب العقلي بالمركز سمح لنا وبتسهيلات من الطبيبة المشرفة على استغلال المكتب الخاص به أين تم القيام بالبحث. وبعد إخضاع المراهقين للمقابلات النصف موجهة والاطلاع على الخلفية العلائقية وتأكيد الإدمان. بالإضافة إلى الأسباب أخرى، تم الاحتفاظ بـ 4 مراهقين:

. الإصابة باضطرابات عقلية (أعراض تفكك، فصام، هذيانات) بسبب تناول المطول أو المفرط

للمؤثرات العقلية (حالة واحدة).

- . وجود أمراض مصاحبة (الصرع، الإعاقة العقلية والحركية) (حالتين).
 - . عدم استكمال إجراءات البحث وبالأخص تطبيق الاختبار بسبب الانقطاع عن المركز نهائياً (03 حالات).
 - . طول مدة الانقطاع بين مقابلة وأخرى (حوالي 3 إلى 4 أشهر) وعدم قدرة المراهق على تذكر محتوى المقابلات السابقة (حالتين).
 - . معيار السن (04 حالات)
 - المستشفى الجامعي سعادنة محمد عبد النور بسطيف. تمت الدراسة بكل من مصلحة الاستعجالات الطبية (3 حالات)، وحالتين بمصلحة الطب الداخلي بسبب صعوبة إجراء المقابلات بمصلحة الاستعجالات لغياب مكتب خاص بالفحص النفسي. وقد تمكنا من استكمال الإجراءات البحثية مع حالة واحد بسبب:
 - . صعوبة التواصل اللفظي بسبب الإصابة البليغة على مستوى الحنجرة (محاولة انتحار بتناول مواد حارقة) بالإضافة إلى تحويل المريض إلى مستشفى الدويرة (حالة واحدة).
 - . الانقطاع عن المواعيد بسبب الحالة الصحية (حالة واحدة).
 - أما مدة إجراء البحث بهذه المؤسسة فقد استمرت من 27 جويلية 2017 إلى 02 فيفري 2018.
 - المؤسسة الاستشفائية للصحة العقلية عين عباسية: على غرار المؤسسات الأخرى فقد تمت الدراسة بها ما بين شهر نوفمبر وديسمبر 2017؛ تم العمل مع حالة واحدة ومن ثم استبعادها بسبب خطأ في التشخيص (إدمان وذهان بدل انتحار). بالمقابل تم الاستعانة بمختص نفسي متربص لاستكمال إجراءات البحث مع حالة انتحار واحدة.
 - من خلال عرض لأماكن القيام بالدراسة وحدودها الزمنية سوف ننقل إلى عرض الإجراءات التطبيقية.
 - تكونت مجموعة الدراسة كما سبق وأشرنا من 15 مراهق من جنس ذكر تم تقسيمهم إلى مجموعتين حسب اتجاه الفعل وتم بعدها:
- 5-2- أخلاقيات البحث (تمرير صيغة الموافقة المستنيرة):
- كل بحث علمي يشكل الإنسان موضوعاً له يتطلب على أقل تقدير إجراءات علمية وعملية تربط الباحث بمسؤولياته الأخلاقية والعلمية. انطلاقاً من هذا المبدأ تم اعتماد صيغة الموافقة المستنيرة مع المشاركين (اتفاقية هيلسنكي Helsinki 1964 لأخلة البحث العلمي، بالجزائر قانون جويلية 2007 لأخلاقيات الممارسة العلمية الإكلينيكية). سمحت هذه الأخيرة بتوضيح خطوات الدراسة والضوابط الأخلاقية للإجراءات البحثية التي سيشاركون بها (نسخة من صيغ الموافقة المستنيرة: أنظر الملحق رقم 4).

- يشترط الدخول في إجراءات البحث التطبيقية موافقة المشارك بالإمضاء على الصيغة. قبل ذلك يتعين على الباحثة إبلاغ كل مبحوث بدرجة كافية ومناسبة، وإعطائه المدة اللازمة للتفكير، لفهم المعلومات التي يجب أن تكون شاملة حول: هدف البحث، ومنهجيته، والأطر الزمنية المخصصة لكل مرحلة. العائدات التي يجنيها المبحوث من مشاركته إن وجدت.
- في الحالة التي يقل فيها سن المبحوث عن 18 سنة كاملة قمنا بإعداد صيغة خاصة بالولي، إتباع نفس الإجراءات السابقة مع ضرورة تواجد المبحوث أثناء المقابلة. مع حالة واحدة كانت الأم هي الممثل الشرعي عن المراهق وفي الحالات أخرى كان الأب.
- موافقة المبحوث تعني عدم تعريضه للضغط أو الإكراه بسبب وضعية يتواجد فيها (الوضعية القانونية بالنسبة للمراهقين). ويتم إبلاغه بان هذه الموافقة قابلة للإلغاء. وأنه قادر على الانسحاب في أي لحظة من لحظات إجراء البحث دون تقديم مبررات أو التعرض لإجراءات مخالفة للمسؤوليات الأخلاقية أو القانونية.
- التأكيد على سرية البيانات التي تم جمعها وهوية المراهقين المشاركين بالبحث، لهذا السبب تم تعديل بعض التواريخ والمعطيات الدالة بصورة مباشرة على المبحوث، وترميز المعطيات المتعلقة بالهوية بالاعتماد على صيغة تشمل اسم المؤسسة وطبيعة الفعل المرتكب لكل مبحوث وجاءت على الشكل التالي:

جدول رقم 9: ترميز مجموعة البحث

الترميز النهائي	الرمز	طبيعة الفعل	الرمز	اسم المؤسسة أو المركز
CSR.V	V	السرقعة Vol	CSR	المركز المتخصص في إعادة التربية Centre Spécialisé de Rééducation
CSR.AS	AS	الاعتداء الجنسي Agression Sexuelle		
CSR.VIO	VIO	العنف Violence		
CSR.H	H	القتل Homicide		
CISA.T	T	الإدمان Toxicomanie	CISA	المركز الوسيط لعلاج الإدمان Centre Intermédiaire des Soins en Addictologie
CHU.TS	TS	محاولة الانتحار Tentative de Suicide	CHU	المستشفى الجامعي سعادنة عبد النور Centre Hospitalo-universitaire
EHSP.TS	TS	محاولة الانتحار Tentative de Suicide	EHSP	المؤسسة الاستشفائية للصحة العقلية عينعباسة Établissement Hospitalier Spécialisé de Psychiatrie

-التأكيد على مبدأ احترام الإنسان، حرية وسلامته النفسية.

- الإجابة على كل الأسئلة المطروحة بطريقة واضحة وشاملة (خاصة فيما يتعلق بتمرير الاختبار).
والتساؤل حول التأثيرات التي يمكن أن يخلفها البحث من الناحية النفسية ولهذا السبب قمنا بإجراء مقابلة أخرى لتقديم بعض المعلومات حول النتائج الأولية للبحث نزولا عند طلب المبحوثين وبتوجيه البعض منهم نحو مختصين نفسانيين لمتابعة العلاج. أو تقديم جلسات للمتابعة النفسية نظرا لظروف إجراء البحث كما ذكر سابقا.

- سمحت هذه الخطوة في حالة الموافقة عليها بالإمضاء (من طرف المراهق أو الممثل الشرعي عنه)، بالدخول في المقابلة البحثية بسهولة بعد أن تعرف المبحوث على الباحثة وعلى ما يتعين عليه القيام به.

5-3- جمع المعطيات من خلال المقابلة:

كل مراهق تم لقاءه بصفة منفردة فيما بعد في مقابلتين بحوالي 90 دقيقة لكل مقابلة، في جلستين منفصلتين وبعد تحديد موعد سابق لكل منها. تم تكوين مجموعة البحث الأولى كما سبق الإشارة حسب اتجاه الفعل المرتكب: المرور إلى الفعل نحو الذات. وقع الاختيار على نوعين من الفعل هما الانتحار والإدمان. تم خلال هذا الالتقاء مائة معطيات كل مراهق حسب البروتوكول المذكور في المقابلة. عن طريق أسئلة نصف موجهة تدور حول معاش الفعل ضمن سجلات مختلفة: التاريخ الفردي، العلائقي، الصدمي. ثم السجل النفسي الذي يواكب الفعل. وفي الأخير مرحلة ما بعد الفعل.

اللقاءات كانت بصفة دورية للمراكز في كل مرة يلتحق فيها مراهق جديد، كما قمنا بمراعاة تخصيص مكان واحد ومحدد لإجراء المقابلات وتمرير الاختبار. واحترام نظام عمل المؤسسات التي أجريت بها الدراسة.

تم اعتماد طريقة الكتابة على الورقة بالنسبة لمعطيات المقابلة التي تم تحصيلها من المبحوثين، لان التسجيل الصوتي يتطلب الحصول على موافقة المصالح القائمة على المؤسسات التي أجريت بها الدراسة، ونظرا صعوبة الحصول على هكذا تصريح وللإجراءات المعمول بها في المؤسسات التي قد تأخذ وقت طويل بالإضافة إلى احتمال الرفض من قبل المؤسسة أو من قبل المبحوث نفسه إذا ما حاولنا القيام بالأمر خلال المقابلة (التسجيل يكون بالهاتف النقال)، فقد قمنا بتسجيل بعض النقاط الكبرى خلال المقابلة، حتى نتجنب أن يتحول نمط المقابلة إلى استجواب مباشر خصوصا وان وضعية المراهقين لا تسمح بتبني هذا التوجه الذي يشبه كليا الوضعيات السابقة (تحريات الشرطة أو الدرك)، وضعيات ضاغطة لا تتيح التفاعل في جو من الثقة والإحساس بالأمان، وتعيد إلى الواجهة الإشكاليات الدفاعية التي تعيق التعرف على المراهق وعلى معاشه النفسي العلائقي المبكر والحاضر بالأخص المتعلق بالفعل.

بعد هذا الإجراء تم تدوين كل المعطيات التي طرحت خلال المقابلة مباشرة بعد انتهاءها مع الحرص على ذكر بعض أقواله.

5-4-تمرير الاختبار:

آخر محطة في مسار الإجراءات التطبيقية تمت في جلسة منفردة، بعد القيام في نهاية المقابلة الأخيرة بالتمهيد لها وإعطاء نظرة عن الاختلاف في الطبيعة الإجرائية لجلسة تمرير الاختبار، حاولنا قدر المستطاع ودائما بحسب ظروف المؤسسة توفير مكان محدد (طاولة ذات حجم معين، وضعية جلوس مريحة، مراعاة ساعات العمل حتى نتمكن من تجنب الإزعاج والأصوات المرتفعة). كل هذا كان بهدف تحديد سياقات المرور إلى الفعل في واقع يتميز بالتناقض بين حقيقة الفعل المرتكب واستجابة الطرف الآخر (الانعكاسات العلاجية والقانونية). بالإضافة إلى كل ذلك في وضعية بحثية وهي الخاصة التي تميز الاختبار الاسقاطي المتمثل في الرورشاخ.

- بعد استكمال الإجراءات الخاصة بالبحث حددنا موعد آخر للقاء المراهقين الذين شكلوا أفراد مجموعة البحث كان الهدف منه تمكين المراهق من الاطلاع على النتائج الأولية للبحث. شرح بعض النقاط المهمة التي تم تناولها خلال المقابلات، إعطاء الفرصة للمراهق للتساؤل حول إمكانيات العلاج والتكفل المتاحة. بالإضافة إلى تجنب الانقطاع المفاجئ عن الصيرورة النفسية التي وضع بها المراهق خلال البحث.

خلاصة:

يأتي هذا الفصل ليلم بالإطار المنهجي والإجرائي للبحث الحالي، فقد تم التطرق لمنهجية البحث وأدواتها المكتملة والمساهمة في إبراز سياق الفعل المنحرف لدى مجموعة البحث التي تأسست هي الأخرى وفق منهجية إجرائية علمية.

اختيار وتحديد عدد أفراد مجموعة البحث بتبني جملة من المعايير الخاصة والعامّة؛ تم على إثرها قبول أو رفض الأفراد داخل المجموعة. معايير تتماشى في جانب منها مع أهداف الدراسة والفرضيات التي تبحث فيها من جهة، ومع إجراءات البحث وأدواته من جهة أخرى.

يؤسس هذا الفصل كذلك القاعدة العلمية للدراسة الحالية التي حاولت الإلمام قدر الإمكان بالأبعاد النظرية المرجعية التي تتماشى والمقاربة الكيفية ذات البعد التحليلي؛ بالأخص فيما يتعلق بالأدوات المستخدمة التي تعتبر حلقة الوصل لحظة تفعيلها؛ بين الخلفية النظرية والواقع البحثي. أجرأة هذه الأدوات يسمح بالتقصي حول الفرضيات التي تأسست لأجلها هذه الدراسة؛ أجرأة تبلورت كما سبق الإشارة على أساس خلفية نظرية تحليلية تم تبنيها باعتبارها مقاربة يمكن أن تتيح الوقوف على سياق الفعل المنحرف لدى المراهق في الوسط المحلي.

تم الاعتماد على المقابلة النصف موجهة ضمن مسار تدريجي يرجع بالمراهق إلى مراحل سابقة من حياته ثم ينقله إلى حاضر حيث يكون عليه مواجهة حقيقة الفعل المرتكب، ومحاولة بناء تصور نفسي حول ما يرتبط به من تداعيات انفعالية، سلوكية، إلى ردود الفعل المجتمعية. بالإضافة لاختبار الرورشاخ حيث آلية الإسقاط تلعب دور أساسي في الكشف عن سيرورة الفعل المنحرف، آلية تقف عند ثلاث مستويات تم تحديدها في الفرضيات الإجرائية. حيث تُمكن الآليات المستعملة والتي تميز كل أداة من هذه الأدوات، وبمقاربة تحليلية بنائية من تتبع الدينامية الداخلية في ارتباطها بالواقع الخارجي الحالي؛ بمعنى أن المزوجة بين هاتين الأدوات يسمح من جهة بمواكبة حقيقة الفعل على المستوى الخارجي (طبيعة الفعل المرتكب والمتغيرات الموقفية)، ومن جهة أخرى التفاعلات الداخلية (العلائقية، الاقتصادية).

تمهد هذه الإجراءات المنهجية لتلقي المعطيات الميدانية والعمل على طرحها وتحليلها وفق نظام محدد، في محاولة لاستخلاص معنى الواقع المرتبط بالفعل المنحرف لدى المراهق.

الفصل الخامس: مناقشة النتائج على ضوء فرضيات البحث

تمهيد

1-مناقشة فرضيات البحث

1-1-مناقشة نتائج الفرضية الأولى

1-2-مناقشة نتائج الفرضية الثانية

1-3-مناقشة نتائج الفرضية الثالثة

1-4-مناقشة نتائج الفرضية الرابعة

2-نتائج البحث

تمهيد:

إن إشكالية الفعل المنحرف في ارتباطها مع مرحلة المراهقة تفتح شهية الباحث للخوض فيها. إشكالية على درجة من الأهمية في علم النفس العيادي لما لها من انعكاسات على كل مجالات حياة المراهق. الأمر الذي يبرر امتدادها عبر فرع علم النفس النمو، علم الإجرام، علم القانون، علم الاجتماع. امتداد وتفرع يوازي حجم مشكلة الانحراف التي تحتاج إلى سياسة تكفليه تضمن إعطاء الأهمية للبعد الإنساني الفردي للمراهق المنحرف، بهدف تجنب إشكالية العود بالدرجة الأولى والقضاء على الانعكاسات السلبية للانحراف، ثم تحقيق تكفل نفسي اجتماعي يتوافق مع خصوصية الفعل لدى المراهق. وضمان إعادة الإدماج التي تعكس مدى نجاح تلك السياسات.

المراهق المنحرف وصم اجتماعي يلحق بالفرد مباشرة بعد ارتكاب الفعل والخضوع للإجراءات القانونية؛ تتشكل في ذهنه هوية جديدة يتعين عليه التعايش معها ومع الانعكاسات التي يحملها أفراد المجتمع اتجاهه. هوية يجب أن تتم موائمتها مع متغيرات الشخصية التي لا تزال في طور التكوين. وربما تشكل بالنسبة إليه معاش صدمي آخر يضاف إلى سجله النفسي الحافل بالأحداث والاستثمارات النفسية ذات المحتوى الصدمي السام. هنا يتبادر إلى الذهن العديد من التساؤلات حول هذا الواقع المشحون الذي يوشك أن ينفجر في أي لحظة: ما هي طبيعة الاستثمارات التي يعمل المراهق المنحرف على تفعيلها في ظل هذا الجو؟ ما هي الآليات النفسية الداخلية التي يستخدمها المراهق لمواجهة التهديد الهوياتي الجديد الذي يمكن أن يسوقه نحو مستقبل إجرامي وهوية على درجة من الغرابة بالنسبة لفرد يعاني في الأصل من غرابة داخلية مقلقة مرتبطة بمتطلبات النمو؟ إلى أي درجة يمكن للفعل المنحرف أن يشكل جزء في تركيب الهوية؟ ما هي المكانة التي يحتلها في ظل حتمية سيرورة النمو؟ ما الوظيفة التي يؤديها ضمن هذه السيرورة؟ وان كانت حقا هناك وظيفة للفعل المنحرف ضمن عملية المراهقة هل يمكن اعتباره إن حدث مطلب من مطالب النمو؟ ما الفاتورة التي ينبغي على المراهق تسديدها من أجل توظيف الفعل المنحرف لفائدة عملية النمو؟ هل يمكن أن يستعان بهذا الواقع في بناء سياسات الضبط الاجتماعي، إعادة الإدماج، التكفل التي تتبناها المؤسسات المسؤولة على اختلاف برامجها؟

للإجابة على كل هذه التساؤلات سوف نعمل في هذا الفصل على مناقشة نتائج فرضيات البحث الثلاث بالترتيب. حتى يتسنى لنا مواكبة تمثيل السياق الذي نسعى إليه بعد استقراء نتائج البحث بصورة عامة وشاملة.

1- مناقشة فرضيات البحث:

قامت الدراسة الحالية على تساؤل رئيسي مفاده: مما تتشكل سياقات المرور إلى الفعل من خلال اختبار الرورشاخ عند المراهق المنحرف؟ التركيز في هذا التساؤل ينصب على مفهوم السياق الذي ينطوي ضمنه المرور إلى الفعل؛ كما حاولنا سابقا تحديد مفهوم السياق فانه يشكل بالنسبة إلينا خاصية فريدة تسمح بتجسيد المسار النفسي الدينامي للفعل من خلال مؤشرات الرورشاخ المدعومة بمعطيات المقابلة، مسار رمزي يشمل محددات متنوعة ومتفرعة عبر أبعاد مختلفة.

الاستعانة بتحليل معطيات المقابلة الذي تم اجراءه في الفصل الخامس يفيدنا إلى حد منا في معرفة النمط الاجرائي الذي تم من خلاله الفعل، ويفيدنا الاعتماد على الخلفية التحليلية في تقصي ذلك المسار على مستوى تقسي-داخلي، الذي يرجع في جانب منه إلى واقع بدائي علائقي، الطبيعة العلائقية التي تُحمّل عليها العلاقة بالموضوع الاجرامي لا يمكن الاستهانة بها، كما لا يمكن كذلك تجاوز الظروف المحيطة لحظة الفعل؛ الرجوع إلى الرأي القائل بضرورة المزوجة بين كل هذه المتغيرات لهدف واحد يتمثل في إيجاد نموذج متكامل للتدخل يمكن تطبيقه وتعديله حسب خصوصية كل حالة يصبح ضرورة ملحة بالأخص إذا كان المراهق المنحرف هو المعني بهذا التدخل.

هنا ينبغي التذكير بالاستراتيجيات التي يهدف تطبيقها على المراهق والتي يجب ان تراعي في جانب منها تأثير تغيرات البلوغ، أن تكون على درجة من المعيارية من أجل تتبع كل تشعب يمكن ان يرافق المرور إلى الفعل بكل اشكاله لدى المراهق.

بالاعتماد على معايير الرورشاخ التي استخلصت من الدراسة التي أجرتها (Azoulay & al, 2007) على عينة من المراهقين والشباب (عددهم 280، سنهم ما بين 13 و24 سنة). سيتم في هذه الخطوة مناقشة نتائج الرورشاخ الخاصة بأفراد مجموعة البحث بصورة عامة. ثم في مرحلة لاحقة سيتم التطرق للفرضيات الواحدة تلو الأخرى وصولا إلى الفرضية العامة. وفي الأخير سيتم استخلاص نتائج البحث.

جدول رقم 10: محددات الرورشاخ لأفراد مجموعة البحث مقارنة مع المعايير

العوامل										المعيار
RC %	Ban	H%	A %	F+%	F%	Dd	D%	G%	R	
35	/	16	44	65	61	10	44	43	26	الرمز
22	4	22	66	75	44	/	55	44	9	CSR.V.1
33	3	08	75	50	33	25	50	25	12	CSR.V.2

28	2	14	35	28	50	25	50	21	14	CSR.V.3
27	3	9	72	81	54	9	63	27	11	CSR.VIO.4
36	2	18	27	40	45	/	90	9	11	CSR.VIO.5
18	/	56	25	25	50	43	31	25	16	CSR.H.6
30	1	50	40	40	50	10	50	40	10	CSR.AS.7
38	1	53	50	34	73	26	69	3	26	CSR.AS.8
44	1	22	55	33	33	/	77	22	9	CSR.AS.9
40	3	13	40	18	53	33	46	20	15	CISA.T.1
33	/	8	25	5	83	08	16	75	12	CISA.T.2
36	1	27	54	30	45	/	63	36	11	CISA.T.3
25	1	33	41	37	33	8	66	25	12	CISA.T.4
30	2	10	60	0	40	/	10	90	10	CHU.TS.1
46	2	7	69	37	30	15	38	50	13	EHSP.TS.1
32.4	1.7	23.33	48.93	35.53	47.73	13.46	51.6	34.13	12.73	المتوسط

■ معايير الرورشاخ لعينة فرنسية
■ أشكال الفعل نحو الآخر
■ مؤشرات مضطربة
■ أشكال الفعل نحو الذات

هذه الخطوة نعتبرها ممهدة ومكاملة في ذات الوقت لما سيأتي بعدها من تحليل ومناقشة فرضيات الدراسة؛ في هذا العنصر سنعتمد على المعطيات الإحصائية لبروتوكولات الرورشاخ لأفراد مجموعة البحث المتمثلين في 15 مراهق متواجدين بمؤسسات ذات نظام عمل داخلي (مركز إعادة التربية، المؤسسة الاستشفائية للأمراض العقلية)، أو مؤسسات بنظام عمل خارجي (المركز الوسيط لعلاج الإدمان، المؤسسة الاستشفائية)، بسبب أشكال متعددة من الفعل (الإدمان، الانتحار، العنف، القتل، الاعتداء الجنسي، السرقة). التحليل الاولي سيكون بالاعتماد على معايير الرورشاخ المستوحاة من الدراسة المعيارية الفرنسية.

الملاحظة الأولى لنتائج البروتوكولات لكل فرد من أفراد مجموعة البحث تعيدنا إلى الاعتبارات المنهجية التي تم اعتمادها في اختيار مجموعة البحث والتي تؤكد على صعوبة إيجاد عوامل مشتركة بين أفراد المجموعة الواحدة (نفس الفعل)؛ بحيث يؤكد Ciavaldini فيما يتعلق ببروتوكولات الرورشاخ وتفهم الموضوع أن: "النتائج الأولية سمحت بالوقوف على تنوع المعطيات المحصلة". (1999, p.153).

لا تقوم المقارنة بين نتائج الدراسة الحالية ومعايير الرورشاخ بشكل حقيقي لأن المعايير المعتمدة مرتبطة بمراهقين وشباب غير خاضعين للفحص، بينما مؤشرات الرورشاخ لأفراد مجموعة البحث ترجع

إلى سجل المرور إلى الفعل؛ لكنها تصبح مرجعية إذا ما نظرنا إلى المؤشرات المعتمدة في أجراًة فرضيات البحث.

النظرة الأولية بالمقارنة مع المتوسط الحسابي في الجدول تشير إلى وجود تباين في جميع المؤشرات، يأخذ مع البعض منها درجة طفيفة %D، %D، %G، بينما يأخذ التباين درجة كبيرة مع البعض الآخر %F، %F، %R.

بالنسبة لعدد لاستجابات R المنخفضة فإننا نلاحظ فارق كبير يصل إلى 14 استجابة بالنسبة للمعيار (R=26)، مع عدم وجود تباين كبير في هذا المؤشر بالنسبة للمجموعتين (الفعل نحو الذات، الفعل نحو الآخر)، مؤشرات في غاية الأهمية لتفسير الإشكالية التي تمس عمليات التفكير، استثمار الذكاء، والقلق. طبعا لا يمكن تناولها منفردة بل يجب الاخذ بعين الاعتبار لسلسلة من المؤشرات (G, D, Dd, K, E,) (Clob, IA) في إطار التحليل الكيفي وهو ما اتفقت عليه دراسة كل من Bastin & Timsit (1987)، جدعوني (2011)، Dejonghe & al (2007). نمط التناول يغلب عليه الطابع الجزئي (D=51,6) يندرج في تفسير الإشكاليات السابقة، ويشهد ارتفاع ملحوظ بالنسبة للمجموعة الممثلة للفعل نحو الخارج، ما يدل على أن الاستجابات الجزئية تشكل سند ادراكي، الاهتمام الملحوظ بالواقع الإدراكي تصاحبه ميول نشطة ومتطلبة اتجاهه، يمكن ارجاعها إلى الوضعية المؤقتة المرتبطة بالفعل والجوانب القانونية المترتبة عنه، تختلف هذه الأخيرة عن مثيلتها في المجموعة الثانية. الواقع الذي تم فيه اجراء الاختبار (مركز إعادة التربية) هو واقع مشحون بالقلق والحصر خصوصا اتجاه عواقب الفعل، تمنح أداة الاختبار في هذه الحالة شحنة قلق إضافية لان بإمكانها أن تكشف عن حقيقة الفعل الذي خضع للإنكار من طرف أغلبية أفراد هذه الفئة.

مستوى تشكيل %F منخفض، والامر ذاته بالنسبة لمستوى التشكيل الجيد %F، مؤشرات تأخذ مكانة مهمة في فهم طبيعة الحدود؛ الملفت للنظر بالنسبة لهذين المؤشرين هو وجود تباين ملحوظ في النسب حسب اتجاه الفعل، حيث ينخفضان بدرجة أكبر لدى المجموعة الممثلة للفعل نحو الذات. ما يفسح المجال أمام فرضية ضعف التحكم بالواقع الخارجي مع صعوبة في استقرار الواقع الداخلي. بالتحديد وجود إشكالية على مستوى الحدود داخل/خارج وهي ذات النتيجة التي توصل إليها Birot (1993) في دراسته لفعل الانتحار حيث أشار إلى ضعف التشكيل الذي يغطي هشاشة الحدود التي بإمكانها أن تعزز المرور إلى الفعل. بينما يأتي هذان المؤشرات (F, F+) بدرجة أكبر نوعا ما مع اتجاه الفعل نحو الاخر في هذا الجانب تميزت بروتوكولات الرورشاخ لافراد ارتكبوا الفعل الجنسي في دراسة Dejonghe & al (2007)

بنفس الخصائص. فالأداة الإسقاطية يتم ادراكها كمحاولة للكشف عن حقيقة الفعل وبالتالي يجب التمسك وهميا بحدود صلبة تمنع أي تسرب سواء مباشراً أو غير مباشر عن تلك الحقيقة. بالنتيجة يمكن التأكيد على إشكالية الحدود لدى المراهق الذي يميل نحو المرور إلى الفعل بصورة عامة.

هذه الملاحظات تعطينا نظرة أولية عن طبيعة ودينامية المحتويات النفسية الكامنة المرتبطة بتفسير مؤشرات الفعل لدى المراهق، بالمقابل تكشف لنا عن أهمية الأداة الإسقاطية في تقصي أغوار هذا الواقع. وتؤكد لنا مرة أخرى على أن السند الإدراكي للاختبار ما هو إلا أداة تتيح نوع من الاستمرارية بين المشهد النفسي والواقع الإسقاطي، تشجع على ظهور التاريخ الشخصي، وتعري الثغرات الموجودة على مستوى النفس على شكل استكشاف للخلل الذي يمس عملية الترميز، عن طريق اقتراح إزاحة الفعل إلى الفضاء الإسقاطي الذي يشكل دعم رمزي لخلل عملية الترميز (Roustant, 2017).

1-1- مناقشة نتائج الفرضية الأولى:

جاءت الفرضية الأولى بالصيغة التالية: يظهر القلق عند تواجد المراهق في وضعية مواجهة مع الموضوع الإجرامي (الضحية/الجسم/الممتلكات) وهو ما يعيد إحياء أشكال القلق التي تم استدخالها في مراحل النمو المبكرة.

سنقوم بالإشارة إلى معايير الرورشاخ المرتبطة بأشكال القلق التي تناولناها في الفصل الخاص بمنهجية البحث وأجراً فرضياته، وكذا المؤشرات المستوحاة من بروتوكولات الرورشاخ لأفراد مجموعة البحث، مناقشة نتائج البحث في خضم هذه الفرضية سيكون بتحديد أشكال القلق من خلال اختبار الرورشاخ التي ظهرت لدى المبحوثين في مستوى أول، بطبيعة الحال إن كان هناك نوع من القلق المسيطر، ثم التطرق للعلاقة بالموضوع الاجرامي الذي يأخذ مكانة جوهرية في الدينامية العلائقية الاجرامية، الهدف من وراء هذا هو التأكيد على العامل الخارجي المتمثل في الموضوع الاجرامي ودوره في تحريك القلق وفق مسار انعكاسي ينطلق من إثارة الجهاز الخارجي (صاد الإثارات)، تفعيل العمليات الثانوية ثم العمليات الأولية، هذا المسار الترابطي نحو اللاشعور يسمح بتدفق الخبرات السابقة على شكل تمثيلات مسقطة على مادة الاختبار التي وضعت أساساً للكشف عن هذا الواقع الداخلي الذي يرجع إلى مراحل مبكرة من حياة الفرد. ليس بالضرورة أن تكون الصورة بهذا الوضوح المقترح بالرغم من أننا نرجو أن تكون كذلك، لكن العلاقات الموضوعية المبكرة، طبيعتها، خصائصها هي من تحدد أشكال اختيار العلاقة بالمواضيع اللاحقة ومن بينها طبعاً الموضوع الاجرامي، وطريقة التفاعل معه وفق نفس النموذج

التفاعلي العلانقي الموضوعي السابق. ما يسمح لنا بطرح التساؤل حول إمكانية بروز خصائص الموضوع الاجرامي من خلال استجابات المبحوثين على الاختبار.

تتيح لنا كذلك الاستعانة بمعطيات المقابلة والتحليل المزدوج الذي خضعت له بصبر أغوار هذه الحقيقة، الوقوف على حقيقة الموضوع الاجرامي، مكانته في دينامية الفعل، طبيعة العلاقة التي تربطه بالقائم بالفعل، وبالتالي تتيح المقارنة بين النموذج التحليلي الاجرامي للمقابلة والنموذج الاسقاطي للاختبار بصياغة هذا الواقع، ومنه صياغة المستوى الأول من سياق الفعل المتمثل في الثلاثية: الموضوع الاجرامي-القلق-الفعل.

جدول رقم 11: محددات الورشاخ المرتبطة بأشكال القلق لدى أفراد مجموعة البحث بالمقارنة مع معايير

الورشاخ لعينة فرنسية

Refus	IA	Clob	C'	E	K	D°/Dd/DbI	G	R	العوامل	
									الرمز	
	15>	/	/	/	/	3/10	43	26		
3	11	/	/	/	1	0/55	44	9	CSR.V.1	
1	16	/	/	/	/	25/50	25	12	CSR.V.2	
/	35	1	/	/	1	25/50	21	14	CSR.V.3	
3	36	/	/	/	/	9/63	27	11	CSR.VIO.4	
2	63	/	/	/	1	0/90	9	11	CSR.VIO.5	
1	56	1	/	/	2	43/31	25	16	CSR.H.6	
1	20	/	/	/	1	10/50	40	10	CSR.AS.7	
/	34	2	/	/	4	26/69	3	26	CSR.AS.8	
1	22	/	/	/	2	0/77	22	9	CSR.AS.9	
1	20	1	/	/	2	33/46	20	15	CISA.T.1	
/	00	1	1	/	/	8/16	75	12	CISA.T.2	
1	27	1	/	/	1	0/63	36	11	CISA.T.3	
/	50	1	/	/	/	8/66	25	12	CISA.T.4	
1	20	/	/	/	1	0/10	90	10	CHU.TS.1	
2	7	/	/	/	1	15/38	50	13	EHSP.TS.1	

معايير الورشاخ لعينة فرنسية أشكال الفعل نحو الآخر
 مؤشرات مضطربة أشكال الفعل نحو الذات

أربع محاور رئيسية يمكن من خلالها استقراء النتائج المدونة أعلاه وبالتالي الوقوف على المستوى الأول من السياق المتمثل في القلق المرتبط بالعلاقة بالموضوع، تتمثل هذه المحاور في:

1- مؤشرات

الرورشاخ جاءت أغلبها بتباين كبير عن المعايير العادية على وجه الخصوص تلك التي تغطي أنماط الإدراك (G, D, Dd)، درجة الحصر (IA)، بالإضافة إلى مؤشرات أخرى كغياب الاستجابات اللونية (C)، التضليل (E)، الاستجابات من النوع (clob)، انخفاض استجابات الحركة الإنسانية (K)، في بعض البروتوكولات منعدمة، دلالة على وجود شحنة داخلية تتمثل في القلق. في هذا لخصت دراسة Bastin & Timsit (1987) علاقة العدوانية بفعل القتل في بروتوكولات ضعيفة من حيث الإنتاجية مع غياب الاستجابات اللونية.

2- التحليل الكيفي بالاعتماد على محتوى استجابات المبحوثين يشير إلى وجود أنواع من القلق، البعض جاءت متجاوزة داخل نفس البروتوكول؛ حسب Diatkine (1995) هذا الأمر يفسر بعدم اكتمال النضج الذي يجعل من الدينامية النفسية السائدة تتأرجح بحسب تقلبات النمو والتجارب الراهنة، دون استثناء نوعية الموضوع الواقعي والالتقاء معه. هذا الطرح يشير إلى سببية ذلك التجاور، وإلى الواقع الذي تم فيه تمرير الاختبار أين تتأثر المادة المسقطة بطبيعة العلاقة بالآخر (الباحثة)، بوجود وسيط (مادة الاختبار) ضمن دينامية الفعل.

3- وجود نمط قلق سائد داخل البروتوكول، وبالنسبة لجميع أفراد مجموعة البحث، عن طريقه يمكن قراءة الطبيعة العلائقية (تبادلي، نرجسي، انعكاسي، اتكالي، موضوعي، عدواني، لبيدي).

4- بالاعتماد على النقاط السابقة يمكن استخلاص بعض المؤشرات من خلال البروتوكولات تكون دالة على الموضوع الاجرامي، أو على الفعل، ويمكن التأكد منها بالاستعانة بنتائج تحليل المقابلات.

عند هذا المستوى يظهر القلق كمؤشر أولي لبداية السياق، يأخذ الطابع العلائقي صبغة صراعية في العلاقة بالموضوع، هذه الأخيرة تتغذى على النماذج العلائقية المبكرة أو تنبع من إشكاليات أو معاشات راهنة. يختار المراهق الممثل لمجموعة البحث التواجد رفقة الموضوع الاجرامي بسبب امتلاكه لخاصية الاشباع سواء كان في إطار سادي، مازوشي، يغلب عليه التكرار أو يكون منعزلا. خاضع للعقاب أو يجلب مشاعر مؤلمة (الإحساس بالذنب، الخزي، الحزن). عن طريقه يتحقق التفرغ بصورة تدريجية مع مستويات السياق اللاحقة، يأتي من خلال الرورشاخ بشكل رمزي ذو دلالة مرتبطة بالفعل، أو بشكل مباشر. القلق الذي يثيره يأخذ معاني متعددة من بينها صراع مرتبط بالوجود راسخ في مرحلة المراهقة، كتهديد خارجي ضد تكامل الهوية والنرجسية معا وبالتالي الدفاع عن طريق العنف يكون مبررا، أو داخلي يساهم في تبلور نواة إجرامية للشخصية.

يأخذ الانشطار مكانة محورية كدفاع أو لتفسير دينامية الفعل من ناحية العلاقة الموضوعية؛ تشمل هذه الآلية النماذج العلائقية والصور الوالدية، ومع بعض الحالات تشمل الانا، وهو الأمر ذاته الذي أشار إليه Roman (2000) حول الأشكال التعبيرية للانشطار (انشطار الانا/انشطار الموضوع) لدى المراهق، أين يستخدم المراهق آلية الانشطار ضمن توجيهين رئيسيين الأول كدفاع متناقض ضد خطر اللاتنظيم، والثاني كعملية انشقاق/التحام، يعمل على تنظيم التحام أجزاء الانا بالاستناد إلى العنف المؤسس للتجربة الصدمية.

نتيجة لحدوث الانشطار وبسبب طبيعة النماذج العلائقية المبكرة التي تميزت بالاضطراب الشديد من الناحية العاطفية أو من ناحية فرض الرقابة، فانها لا تستطيع أن تشكل سندا أمام الهجوم المزدوج للبلوغ ولإعادة إنعاش الصراعات العلائقية السابقة في الهنا والان بمعنى اثناء الالتقاء المباشر مع الموضوع الاجرامي.

لا يملك المراهق الممثل لمجموعة البحث السند الداخلي والخارجي لمواجهة حالة اللاتنظيم، لتكامل الذات، الهوية والنرجسية، يظهر الفعل كمثل وحيد للتعبير عن هذه الدينامية الداخلية؛ فعند المراهق المنحرف يلاحظ دوماً بأن اللذة يسيطر على جزء من الانا، بينما يظهر النضج في الجزء الاخر الذي يرجع إلى عملية البلوغ (De Abreu E silva, 2004)، من هنا يمكن اعتبار آلية الانشطار كأحد العوامل المساهمة في تشكل سياق الفعل انطلاقاً من طريقة التعاطي مع الموضوع الاجرامي الذي يشكل من جهته مصدراً للإشباع والألم معا.

يظهر قلق الانفصال كنمط مسيطر على الاقتصادية العلائقية للمبجوثين لكن يمكن القول بوجود كل أشكال القلق (العصابي، الحدي، الذهاني)؛ كما أنه مع بعض البروتوكولات لا يمكن تحديد طبيعة القلق بسبب الدفاعات المستخدمة وهو ما أكده Stumpel 2008 على هذا الأساس يمكن القول بأن طبيعة القلق التي تميز العلاقة الموضوعية لدى المراهق المنحرف لا ترتبط ببنية موحدة، ولا اتجاه فعل واحد وهو ذات الرأي الذي اتجهت اليه LaRoche (2000) حيث صادفت وجود مختلف تنظيمات الشخصية، العلاقة بالموضوع لدى الافراد البيدوفيليين.

يتم الاستشهاد على هذا الطرح من خلال بعض استجابات المبحوثين كالتالي:

الرمز	الاستجابة...التحقيق
6.R	هذو زوج عباد لاصقين في بعضاهم هذا وهذا شوفي هكذا.
7.R	زوج عباد ثاني صاي. التحقيق: ماشي عباد كاملين مانعرف لاه.
5.R	ريسان تاع عباد وكرعيهم زوج كلي عباد.

بانلي قصر وكاين مورا لقصر جبل	8.R	(CSR.H.6)
بانلي عبد وخانقينو ومطلع يديه للفوق	10.R	
بابور كبير توالو جزيرة فيها كلي دار نصف دار	12.R	
هذي شغل أما وبابا مع بعض هذا الكحل بيانو زوج عباد مع بعض انا بانولياالشيخ ولعجوز	3.R	(CSR.AS.7)
أمي كي عادت رايحة تزيد.	6.R	
هذي عقرب كل حاجة وحدها شويما ماتقدر تتلم مع بعض تعلق.	11.R	(CISA.T.3)
زوج قلوبا قاستهم لكحولة توال بعضاهم وتفرقوا راكي تشوفي فيهم بعاد على بعضاهم	2.R	(CHU.TS.1)

إشكالية الخساء لدى أفراد مجموعة البحث برزت بشكل متفاوتي البروتوكولات كإشارة إلى أن المراهق يقبع تحت رحمة الصراع الذي تولده عملية البلوغ، وقد أكدت كل من Emmanuelli & Azoulay (2001) انه بالإمكان الاعتماد على الاستجابات المرتبطة ببعض البطاقات التي تُبرز الطريقة التي يلعب بها قلق الخساء وتتشط بها الحركات النزوية، في هذا يأخذ الجزء العلوي من البطاقة II قيمة رمزية للقضيبي، كما تكشف الدينامية العلائقية في البطاقة III عن طريقة معالجة النزوات اللبديية أو العدوانية، أما البطاقات IV وVI فترتبط بالتقمصات الجنسية وبشكل مباشر برمزية قضيبيية. معالجة قلق الخساء بالصورة التي ترتبط بمتغير النمو تأخذ نمطين أساسين: أولهما التمثيل؛ حيث تشهد استجابات بعض المبحوثين على هذا النمط كدليل على نوعية هذه العملية، فعاليتها، وبالنتيجة محاولة ارضان الاوديب؛ في البطاقة II تظهر قدرتهم على فرض الرقابة على الدينامية النزوية من خلال التركيز على تمثيل الجزء من البقعة ذو الرمزية القضيبيية، والسيطرة على اللون بواسطة المحدد الشكلي F و F%:

الرمز	الاستجابة...التحقيق	المحدد الشكلي
(CSR.VIO.4) 3.R	هذو...زي لقرون برك... هذو لحمورا زي قرون	F=54%, F+75%
(CSR.AS.8) 3.R	هذو كرعين... هذا لمر بيان زوج كرعين	F=73%, F+34%
(CISA.T.2) 3.R	هذو زوج كلوات تاع العبد... عرفتهم كلوات هذي كلوة وهذي كلوة منا من الفوق ومن من تحت العرق لي خارج منهم يصفي الماء تاع corps ياخي هذي هيا خدمتهم.	F=83%, F+5%

بينما تشهد استجابات أخرى على درجة القلق المرتبط بتمثيل التقمصات الجنسية، ويظهر على شكل خوف أو صعوبة في التحكم في هذه الوضعية تظهر إشكالية الخساء في سجل موضوعي ونرجسي على حسب رأي Birot (1993):

الرمز	الاستجابة...التحقيق	التنقيط
(CSR.V.2) 8.R	هذا تتين مالف نشوفو في الميكي لي يلعب في تيليفيزيون...تتين يشدهلو كامل واش نقولك تتين هذا لي من قدام راسو منا يخرج النار تاعو ياخي تتين يخرج النار من فمو	G Kan-(A)/feu

GF+(H)	كي شغل وحش ولا واشهني...بيان وحش من بعيد ماشي الشكل تاع عبد وحش...شكل تاعو يدين تاع عبد شوفي كيفاه مدايرين الوحش برك هو لي يديه جابين هكذا وزيدي كرعيه ثاني شوفي وهذا الذيل تاعو من لوراء وهذا راسو بيان مليح.	4.R	(CSR.AS.7)
DK- (H) clob	وحش ولا يخوف شبح ياخي هكذا يسميو...بيان واقف هكذا شبح كي تهزي الورقة	4.R	(CISA.T.1)
G K (H)Vet clob	وحش...يخلع شوفيه مليح واكديلي عليه...قلتي عيشك اسمحيلي برك انا خلعتي حبيبت نتأكد منك	4.R	(CHU.TS.1)

يظهر كذلك الرفض في البروتوكولات كدليل على محاولة لتجنب قلق الخصاء الذي يعكس نمط المعالجة الثاني، ففيما يتعلق بالبطاقة II يأتي الرفض مع مبحثين (1 و 5 و 10 و 15)، البطاقة IV مع (1 و 4 و 9)؛ والبطاقة VI في البروتوكول 15. تصاحبه تعليقات الرفض (مايبيان فيها والو، مافهمتهاش، ماعرفتهاش، شويا واعرة)، الانتقاد (لاه موسية هكذا)؛ طلب السند من الباحثة (تاعاه هذا يعيشك)؛ حركات: رمي البطاقة، تحريكها في كل الاتجاهات، التخلص منها؛ بالإضافة إلى حركات الرأس.

بينما النمط الثالث الذي يتمثل في دوي هائل retantissement massif للقلق، وهي الحالة التي ينتمي فيها لسجل الانفكاك (استجابة فجأة)؛ ويشير صراحة إلى الصعوبة البالغة في تسيير هذا النوع من القلق وسيطرت الصراعات المصاحبة للصور الوالدية التي تحمل خبرات الخصاء ومحرماته، من أمثله نجد:

الرمز	الاستجابة...التحقيق	التنقيط
(CSR.V.1)	9.R هذي غابة شاعلة فيها النار	Dkop C Bot/feu
(CSR.V.2)	5.R هذو زوج ريسان تاع عباد وكرعيمه كلي عباد تحكمي الراس وحدو تنحيه تقطعيه وتحطيه	D kp- Hd

يتم تحديد طبيعة القلق انطلاقاً من طبيعة العلاقة بالموضوع؛ وبما ان الفرد يعيد انتاج الصور المدركة والمثبتة خلال الطفولة، فان نوع وشدة الروابط مع المواضيع الأولية تتحكم في اتجاه الروابط مستقبلاً، الأمر الذي يفسر بـ: إما أن المراهق المنحرف لم يستطع تجاوز بعض مراحل النمو العاطفي بطريقة سليمة، أو أن بعض العمليات النفسية تعمل عند مستوى تطوري أدنى (De Abreu E silva, 2004)؛ الأمر الذي يفسر طبيعة العلاقة بالموضوع لدى المراهق الممثل لمجموعة البحث. يأخذ الموضوع الاجرامي مكانة رمزية في سياق المرور إلى الفعل، كما ويثبت وجوده من خلال استجابات الرورشاخ لدى بعض المبحوثين، تساعد المزوجة بين هذه الأخيرة وبين نتائج تحليل المقابلات توضيح الامر. يتشكل الفعل الذي يأخذ قيمة تعويضية كبديل عن فشل وظيفة المواضيع الأولية واضطراب الاستثمار معها (تكرار نماذج التجارب العلائقية)؛ في المرحلة التي يكون الموضوع هو الانا والانا هو الموضوع، يشعر

المراهق المنحرف بأن الموضوع الاجرامي جزء لا يتجزأ عنه وبالتالي فتملكه أو السيطرة عليه عن طريق الفعل يصبح أمر حتمي للقضاء عن القلق المتولد عن الاحتكاك به، تأخذ العلاقة بالمواضيع الأولية شكل امتزاجي (زوج عباد لاصقين، زوج عباد حاطيين يديهم على بعضاهم)، انعكاسي (كيف كيف تقول *photoscopie*، يشبهو لبعضاهم، يشبهلو من ومن، زي كناي من ومن)، تشير إلى وضعية لاتمايز حقيقي عن الموضوع؛ يلجأ المبحوث (CSR.V.1) الذي يتميز بكونه سارق غير عاطفي للاستثمار في الموضوع الاجرامي (الخال) الذي يعتبر بديلا عن الموضوع الاولي المتمثل في الام لتعويض الحرمان العاطفي، ويتجسد الفعل مع المراهق (CSR.AS.9) في ظل دينامية السطوة وبالرجوع إلى نفس مسرح الاعتداء الأول من اجل تحقيق الازاحة بجانب المثل الجنسي وتعبيرا عن مرحلة بدائية من النمو يعتبر الموضوع الاجرامي الذي يتميز بكونه موضوع دون ليبدو ممثل لمرحلة صدمية في العلاقة بالمواضيع الأولية. بالمقابل ومع أشكال الفعل نحو الذات يعتبر المبحوث (CISA.T.4) المادة المخدرة التي تتمثل في سيجارة (الزطلة) وطريقة تعاطيها (ضبابية وغياب الحدود) كوسيلة لسد الفراغ العلائقي وبسببها يتم انكار إشكالية فعل الإدمان. ويهدف المبحوث (CHU.TA.1) إلى تحقيق هوام الكمال عن طريق فعل الانتحار الذي يأخذ معنى الادماج الفمي التدميري. مع هؤلاء المبحوثين يأخذ الموضوع الامومي صور مهددة خطرة (عقرب عندها بزاف الرجلين، حشرات تاع الماء، حشرة شفيتها شوفي معايا، خفاش، شغل حشرات)، من جهتها تظهر الصور الابوية (قرون تاع شيطان وجهو ماراهوش واضح كلي شبح شاعلة فيه النار، بابور فيه الباش لي طالع ويتحرك بالريح) مهددة أو مفرغة من وظيفتها بمعنى تصورات الموضوع أكثر بدائية وتدهورا حسب LaRoche (2000)؛ وهو مايفسر الميل إلى التدمير أو التملك (الذات/الآخر) في أشكال الفعل السابقة لان القلق المتولد عن التواجد وجها لوجه مع الموضوع الاجرامي يتغذى على نماذج علائقية سابقة ويعتبره المراهق مهدد حقيقي لانا. تأتي هذه الدينامية على شكل نكوص في عملية النمو إلى مراحل بدائية في العلاقة بالموضوع وفي ذات الوقت تظهر الخلل الذي يصيب عمليات الترميز والارصان في معالجة المشاعر (الإحباط، الألم، الرغبة، حب التملك والسيطرة) والصور المتولدة عن التفكير أوالتواجد وجها لوجه مع الموضوع الاجرامي، يسقط المبحوثين تلك الخصائص على المواضيع الخارجية (الموضوع الاجرامي) وبالتالي يصبح حسب جدعوني (2011) خطرا ومهددا، بل والعلاقة معه تصبح مهددة للاندماج النفسي.

أو تأتي على شكالاتكالي (أمي كي عادت رايحة تزيد، زوج قلوبا توال بعضاهم) تملكي (دايرهم في الكاج)، ينظر المراهق (CSR.VIO.4) إلى العنف على أنه تفرغ نزوي يمثل هجوم على الرابط الاجتماعي

الذكوري، يرمي بجدوره في إشكالية عميقة ترتبط بصعوبة في الارصان الرمزي للخصاء؛ بينما يختار المبحوث (CSR.AS.7) ضحية قاصر تحققنوع من الشبقية لترميم النرجسية. يستعمل المراهق (EHSP.TS.1) طرق مختلفة لتنفيذ الفعل (تقطيع الشرايين، تناول مادة خارقة) لبلوغ التحكم المطلق بالجسم، هذا الأخير يأخذ مكانة الموضوع المهمل في العلاقة الأولية.

شبه موضوعية (بابور كبير توالو جزيرة فيها كلي نصف دار، ريسان تاع عباد وكرعيم كلي عباد تحكمي الراس وحدو تنحيه تقطعيه وتحطيه). يختبر المراهق (CSR.H.6) الإحساس بالذنب الناتج عن الاحتكاك بالموضوع الاجرامي الذي برز بوضوح في بروتوكول الرورشاخ، شكل القتل منفذ صدمي من خلاله استطاع المبحوث استحضار تجربة صدمية علائقية عميقة تتمثل في فض العقد النرجسي في خضم العلاقة بالمواضيع الأولية.

كما نسجل نفس الملاحظة لدى المبحوث (CSR.AS.8) حيث تأتي استجاباته بطريقة ترابطية على نفس نمط تبلور بروتوكول المبحوث الذي سبقه، تتضمن إشارة للموضوع الاجرامي (بيان طفل صغير عبد يعني، يبانولي زوج بصح نأكدلك على الصغير يعني قل مني هكذا عرفتو من اللون تاعو جاي وردي لون الجلد تاعو كي عاد عريان، راجل صغير هذا لي في النص راجل صغير وحاكمينو، حبسي شوي اسناي نقولك يبان طفل صغير ماشي طفل jeune-يضحك- حاكمينو يبان ماقدرش يهرب حاكمينو في زوج شيواش راهم يديرولو قشو ولا من مانعرف حوايجو). وهو ما يؤكد على أهمية هذا الأخير باعتباره عامل خارجي يساهم في تشكيل سياق الفعل من خلال الرورشاخ.

في الأخير يمكن القول بأن القلق المرتبط بالعلاقة بالموضوع لدى المراهق المنحرف يعاد احياءه بوجود محرك خارجي (الموضوع الاجرامي) يتغذى في جزء منه على تغيرات البلوغ والاشكاليات المصاحبة له؛ وفي الجزء الاخر على معاشات صدمية مبكرة؛ بإمكان كل هذا أن يتبلور من خلال دينامية اسقاطية (ترابطية مباشرة أو غير مباشرة) تثيرها بقع الحبر.

1-2- مناقشة نتائج الفرضية الثانية:

في هذا العنصر ستتم مناقشة الفرضية القائلة بوجود اشكالية على مستوى الحدود الداخل/الخارج لدى المراهق المنحرف بالاعتماد على نتائج تحليل اختبار الرورشاخ لدى الحالات الممثلة، بالاعتماد كذلك على ثلاث محاور. يتضمن المحور الاول تركيبية الغلاف النفسي ونقصد بذلك عمليات التكوين وارتباطها في مراحل النمو بالجوانب العلائقية (الوالدية)، كيف تكونت لدى المراهق المنحرف، آليات التكوين، شديدة

المسامية(نفوذية) أو متصلبة. في المحطة الثانية نتناول نوعيتها نشير بذلك إلى كل المفاهيم بهذا الحقل بمعنى الاغلفة النفسية، الانا الجدي، وفي المحور الاخير نتناول وظيفتها التي تكون في الغالب خائرة أو مصابة بالخلل،وبالتالي غير قادرة بتلك الخصائص على أداء وظيفتها في احتواء الاستثارة الزائدة او التعامل معها مما يؤدي إلى احتباس الطاقة ونظرا للتركيبية الداخلية للمراهق المنحرف لا يصبح بالإمكان تسيورها أو التحكم فيها، هنا يظهر الفعل كسبيل وحيد متاح لتفريغها، في حالة معينة فان تسيير الطاقة الخاضعة للاحتباس يخضع لمبدأ التفريغ الفوري (الانتحار)، أو التفريغ المتسلسل (الادمان)، بالنظر إلى نفوذية شديدة بالإضافة إلى الاندفاعية يضطر المراهق إلى تفريغها نحو الخارج (القتل، العنف، الاعتداء والسرقة).

جدول رقم 12: محددات الورشاخ المرتبطة بمستوى الحدود النفسية الداخل/الخارج لدى أفراد مجموعة البحث.

الرمز	العوامل	F%	F+%	F% élargi	B/P	TRI
	المعياري	61%	65%	38%	4B/2P	
	CSR.V.1	44	75	77	0/3	1/2
	CSR.V.2	33	50	74	1/5	0/3,5
	CSR.V.3	50	28	92	2/2	1/2,5
	CSR.VIO.4	54	81	81	2/3	0/1,5
	CSR.VIO.5	45	40	81	2/4	1/0,5
	CSR.H.6	50	25	37	2/4	2/0,5
	CSR.AS.7	50	40	80	0/2	1/0
	CSR.AS.8	73	34	96	0/4	4/0,5
	CSR.AS.9	33	33	100	0/3	2/1,5
	CISA.T.1	53	18	93	2/3	2/2,5
	CISA.T.2	83	5	91	1/4	0/1,5
	CISA.T.3	45	30	90	0/4	1/1,5
	CISA.T.4	33	37	58	1/4	0/5
	CHU.TS.1	40	0	100	3/1	1/1
	EHSP.TS.1	30	37	92	1/6	1/0,5
	المتوسط	47,73	35,53	82,8	/	/

معايير الورشاخ لعينة فرنسية أشكال الفعل نحو الآخر
 مؤشرات مضطربة أشكال الفعل نحو الذات

تظهر وظيفة الحدود النفسية عند المراهق المنحرف خائفة (مختلة). تشير مؤشرات الرورشاخ من خلال الجدول إلى وجود تباين ملحوظ جدا في المحددات الشكلية لدى أفراد مجموعة البحث، يبلغ متوسط نسبة الاستجابات الشكلية 47,73% مقابل 61% كمعيار مرجعي. وهي ذات الملاحظة التي نقف عليها بالنسبة للمحدد الشكلي الجيد (F+) الذي بلغ متوسطه 35,53% مقابل 65%، بالرغم من هذا نقف على وجود اختلاف في النسب أين نشهد ارتفاع لدى أفراد مجموعة البحث التي اختارت الفعل نحو الآخر الذيمن المرجح أنه يرجع للوضع القانوني المتواجدين به بالإضافة إلى طبيعة الفعل واتجاهه، وعلى العكس يشهد هذا المؤشر انخفاض لدى أفراد مجموعة البحث التي اختارت الجسم مسرحا للفعل وهو ما توافق مع نتائج دراسة Gamache (2010) التي اشارت إلى أن الفعل نحو الآخر يهدف إلى استعادة حدود واضحة بين الداخل/الخارج فهي تتميز بكونها أكثر مسامية وأقل تحديداً؛ بالإضافة إلى وجود نسب شديدة التباين لدى البعض (CHU.TS.1، CISA.T.2). تُظهر هذه الدينامية تمسك المبحوثين بالمحدد الشكلي مقابل أي بروز هومي بامكانه اطلعنا عن الواقع الداخلي الذي يدور حول سياق الفعل خصوصا مع محاولة فرض مستوى تشكيل جيد، هذه المحاولات تكشف عن صعوبة بالغة في المحافظة على حدود واضحة وهو ما تعكسه نسب ش الموسع الذي يشهد من جهته ارتفاع ملحوظ لدى أغلب المبحوثين (82,8% مقابل 38%). هذا النوع من محاولات الاحتواء الشكلي يهدف حسب Matha (2018) إلى الميل إلى التحكم قدر المستطاع في التدخلات الهومانية، لكنه يبقى فاشل، فالدفع الداخلي يؤدي إلى انحراف عمليات التكيف، بحيث يمكن قراءة آثار التجاوز التي تولدها الشحنة الهومانية في عدم التلائم بين التمثيلة والمدرک. وهو الأمر الذي برز لدى المبحوثين من خلال تقديم تمثيلات ذات حدود مخترقة، ضبابية، مجزأة غير قادرة على القيام بدورها المتمثل في المحافظة على وحدة وتكامل الذات بالإضافة إلى احتواء الاثارة الداخلية والخارجية داخل غلاف نفسي يضمن التسيير الحسن لها.

تقوم وظيفة الاحتواء التي تعتبر من مهام الغلاف النفسي بصورة مباشرة على نوعية الاحتواء التي يضمنها الغلاف الامومي الاولي والتفاعل معه، بالوقوف على طرق الاعتناء (handing, holding)؛ يشهد تاريخ المبحوثين دون استثناء خلل هذه الوظيفة التي تجسدت في معاشات صدمية وعاطفية في العلاقة المبكرة حسب Calagar (1981) يمكن وصفها بكونها عنيفة ومضطهدة، وتتنقل محتويات الرورشاخ من جهتها هذا الواقع (تبان سحابة حتى اللون تاع سحابة، هذي عقرب اها 100% عقرب jamais شفت هكذا، يبانو ارنوب زوج ماشي واحد هذا وهذا زي بعضاهم هذو يديه ارنوب واقف على رجليه الشكل تاعو وذنيه باين حتى la forme تاع وجهو ارنوب كي تمسيه تلقاي الشعر تاعو، هذا يبانلي راس كلب

وهذا يبانلي قرش، راس تاع كلب عندو راسو برك ما نعرف لاه بالاك مريض وزيد حال فمو، هذي شجرة لي في النص) المثل بالهومات المرتبطة بمحتويات حيوانية (A) خطرة أو مجزأة، نباتية(Bot) مفرغة من وظيفتها الحيوية.

الاختلاف الداخل/الخارج يظهر في القدرة على رسم حدود واضحة حيث تصر Chabert (1983) على المحددات الشكلية %F و %F+ لاقامة الحدود، وحدة المدرك بالإضافة إلى محتواه بإمكانها ان تعطينا نظرة عن هذا المستوى الثاني لسياق الفعل، يسيطر نمط الادراك الجزئي (Dd= 13,46% ، D=%51,6) على البروتوكولات مقابل تقلص ملحوظ في نسبة الاستجابات الكلية (G=%34,13) البسيطة، تأتي استجابات المبحوثين على البطاقة الخامسة (5 PL) بشكل مخيف، مقلق (خطاف تاع الليل خاطي خطاف خفاش، فراشة عندها قرون، ثاني حوت تاع لبحر تنحليها هذا وهذا الحوتة ما عندهاش لقرون ماتركبش، ياخي الخفاش وعل كي عاد اكل يخوف كي عاد عايش غير في الليل وهذا ذيلو، بانلي وحش ثاني كيما لآخر تحسيه وحش، نحلة)؛ ذات محتويات شائعة(Ban) لدى الأغلبية جاءت بعد سلسلة من الإجابات الجزئية لها دور دفاعي يتمثل في محاولة الاحتفاظ بوحدة الذات؛ مع البعض تمثيلات مجزأة (هنا كرعين تاع كلب Ad، مجاري بولية Anat) تشير إلى اضطراب في الهوية؛ تركز على التناظر، مُضطهدة(مصور نصف كلب كلب اكل يتخنزر ونص عبد منا وما عبد وكلب مع بعض، مرة خفاش تاع الليل ومرة فراشة)؛ شديدة المسامية تتفصح من خلال حركات حيوانية (خفاش فاتح جناحيه، فراشة محلولة كي شغل حابة تطير، وعل عصفور وحال جناحيه، فراشة جناحيها محلولين). وغير مستثمرة بطريقة جيدة يستخدم أمامها دفاعات من نوع التكوين رجعي (خطاف تاع الليل خاطي خطاف)، القمع (هذا ماكان، زوج عباد صاي، تبان بوروزو ما نعرف قلت برك، عقرب ولا ما فهمتهاش، تبانلي غراب ولا ما بانلي والو،)الكبت (هذي الحمراء فراشة صغيرة بصح، هنا برك وحيد القرن لباقي ما...، بانتلي قيطرة ومن مانعرف ما بانليش، زوج نمورا سبوعا ماشي نمورا، زوج فراخ ماشي فراخ تاع الجاج، وحش وهذا ما قدرت نتخيل،)، المرور إلى الفعل (الضحك بازدرء، وضع البطاقة بالمقلوب، الضحك بصوت مرتفع، حركة ابعاد البطاقة، تحريك البطاقة، دق على البطاقة بالابهام بايقاع سريع متكرر وقوي، الطرق على البطاقة ومحاولة تمزيقها، قلب البطاقة، حمل البطاقة وكأنه في وضعية السياقة، التخلص من البطاقة، تحريك الرأس، تقليد الحركات).

تتبعنا المؤشرات السابقة بالإضافة إلى المؤشر حاجز/اختراق عن طبيعة الحدود داخل/خارج واستثماراتها، هذه الأخيرة جاءت نتائجها في الجدول متباينة مع اتجاه الفعل نحو الذات، أين تبدو الحدود

مخترفة مع المبحوثين (CISA.T.1=2/3 ، CISA.T.2=1/4 ، CISA.T.4=1/4)، بدون حواجز (0/4)=
 (CISA.T.4)، أو شديدة المسامية (EHSP.TS.1=1/6)، الاستثناء الوحيد يظهر لدى المبحوث (3/1)=
 (CHU.TS.1) حيث تؤكد معطيات المقابلة على هذه الطبيعة (كون الجدة بديل جيد عن الام وهو ما سمح
 له بتشكيل حدود نوع ما مستقرة)؛ هذه النتائج تتماشى الاخرى تماما مع نمط الرجح الحميم TRI اين
 تسيطر الاستجابات اللونية على المحددات الحركية ما يكشف عن طبيعة الصراعات الداخلية حيث
 يستثمر القطب الحركي بدرجة ضعيفة ونكوصية (kan ، kob ، kp ، kbot) للدفاع ضد القطب الانفعالي
 والعاطفي المشحون بصراعات مصيرية (الاوديب، النقمصات، النرجسية) وراهنة (صدمة الفعل، الإحباط)
 وهو ما عبرت عنه Chabert (1998) بقولها: " تحتفظ الإجابات الشكلية F بمدلولها الدفاعي بحيث تُنَبِّت
 التمثيلات عن طريق تثبيط أي بروز للحركة النزوية" (p.97). مع المرور إلى الفعل نحو الآخر نقف
 على حدود مخترفة مع الفعل العنيف (CSR.VIO.4=2/3 ، CSR.VIO.5=2/4)، شديدة النفوذية مع فعل
 السرقة (CSR.V.2=1/5)؛ تتماشى هي الأخرى مع مؤشرات نمط الرجح الحميم مع بعض الاستثناءات
 التي يمكن أن ترجع مرة أخرى إلى طبيعة التواجد المؤقت والقانوني داخل المؤسسة، واتجاه الفعل.
 الاختلاف الذي يمكن الوقوف عليه بين أفراد المجموعتين يتعلق بانعدام الحواجز تماما مقابل تفاوت بسيط
 في نسب معامل الاختراق مع فعل الاعتداء الجنسي (0/2، 0/4، 0/3) يتناقض مع مؤشر الرجح الحميم
 (1/0، 4/0، 5/2) وهو مؤشر صريح عن طبيعة الحدود التي تميزت بعدم فعاليتها (حواجز محطمة
 مخترفة هوميا)، بالإمكان مقارنته مع الطبيعة العلائقية بين القائم بالفعل والضحية التي برزت من خلال
 التحليل الاجرامي في المقابلة (تبعية شديدة في العلاقة بالموضوع، قلق التخلي، نزوة السطوة، فضاء
 داخلي على شكل فراغ، إزاحة بجانب المثل الجنسي). حيث تفسر Chagnon (2000) هذا الأمر بكون
 المعتدين جنسيا وعند مستوى ماورائي يلاحظ في سياقات عائلية وتربوية مضطربة، خلل في الاطار
 العائلي الذي يتميز بفرط الاثارات المبكرة، وعدم كفاية الاستثمار النرجسي والموضوعي ، وهو ما يعطل
 قدرات الانا على ارضان الغياب. ويضيف Ciavaldini (2001) أن المواجهة مع صور أنثوية-أمومية هو
 ما يحدث حالة اللاتنظيم، هذه الصور غالبا ما تستحضر بكونها غير متسقة، مع حدود غامضة، كبقايا
 وجود في بعض الأحيان في حدود الملموس؛ ان الفعل نحو الاخر حسب Gamache (2010) يهدف إلى
 استعادة حدود واضحة بين الداخل/الخارج لتحقيق الشعور بالأمان والاكتمال النرجسي؛ ونستشهد على
 الأمر باجابات المبحوثين الثلاث:

المبحوث	الاستجابة...التحقيق	التنقيط
CSR.AS.7	R.1 تبايلي غراب ولا مابانلي ووالو خلاص...أنا قتلك غراب مانعرف استتاي	G kan- A

	شوفيه هاو بيان حال جنحيه(P) هذا من اللون تاعو بيان غراب		
D kp- Hd	هذي ماراني نشوف فيها والو الصراحة، نقولك فيها حاجة هذو بيانو اختي وخويا...من الشكل تاعهم بيانو ريسانهم شيا من صدرهم هذي اختي وهذا خويا ماعلاباليش لاه تخيلتهم هما بصح بانولي هكذا الوجه تاعهم متقابلين face a face تانت تقديري تعرفي وتقوليلي لاه بيانو هكذا وزيد لا انا شفتهم كيما هكذا.	R.7	
D/Dd K- H	هذي مايش مرا ولا خاطية، هذو كرعيها ومانعرف مابانلي والو (ها ها ها) شفت وجهها...صح انظن بانتي مرا في هذا برك الشكل تاعها مرا هازا يديها هكذا راسها ووجها وهذو من تحت بيانو برك كرعيها ماشي باينين مليح هكذا توال بعضاهم كيما يجمل واحد رجليه هكذا.	R.1	CSR.AS.8
DF+ Hd	هذو بيانو يدين وحدهم ماشي تاع لمرأ...هذو يدين صغار ماشي لاصقين في لمرأ وحدين خزين مانعرف تاعمن الشكل تاعهم يدين شوفي قولي الصبح الصباغ تاع اليمين	R.2	
DF- Ad	هذا بيانلي راس كلب هنا مافهمتش واشنهي... الشكل تاعو راس برك	R.15	
D kan- A Clob	هذا بيانلي قرش اكل يلق شويا... وهذي من ومن تبان قرش فمو محلول (P) هنا قدقد في زوج فامهم محلولين شفتيه في الفيلميكي يديروه ويتحل فمو كيفاه يجي	R.16	
Refus	مافهمتهاش (بيتسم)...مايبان فيها والو مظلمة وخلص كلش اكل فهمتيني عيشك	PL I	CSR.AS.9
D kan- Ad	مابانلي والو كيف كيف كامل مخطين هذي برك شبهتها اراس تاع كلب من ومن...صح كلب الشكل تاعو عندو راسو برك مانعرف لاه بالاك مريض وزايد حال فمو (P)	R.5	

تظهر إجابات المبحوثين على شكل جزئيات كبيرة (D) يغيب عنها الاتساق، مع حدود تارة غامضة وأخرى مخترقة يمكن الإشارة في هذه النقطة بالذات إلى استجابة المبحوث (CSR.AS.8): بيانلي طفل صغير عبد يعني... بيانولي زوج عباد بصح ناكذلك على الصغير يعني قل مني هكذا عرفتو من اللون تاعو جاي وردي لون الجلد تاعو كي عاد عريان بانلي هكذا (D F+ H/peau) التي تعكس محاولة لاحتواء الاثارة الناتجة عن استحضار تمثيلات مرتبطة بتجربة الفعل (الموضوع الاجرامي) بواسطة إجابة جلدية reponce peau. في الحقيقة هذا النوع من الاستجابات حسب Chabert (2007) يعبر عن المجهود المبذول من طرف الفرد لتمثيل جلد ثاني، غلاف إضافي مادي وملموس يأتي لسد الثغرات المحتملة للحدود النفسية. ثغرات تترجم في الواقع بالمرور إلى الفعل ضد الموضوع الاجرامي المتمثل لدى المبحوث في طفل في بداية المراهقة. مرة اخرى الحركات التي تتجسد من خلالها الجزئيات ذات طابع نكوصي مستخدمة لأغراض دفاعية ضد استحضار صور أمومية خطيرة ومهددة، لهذا تترافق بالشك، التردد،

الرفض، والبحث عن السند الخارجي(الباحثة). بالرغم من الاختلاف في طبيعة الفعل بالنسبة للمبحوث رقم (8) إلا أن المميزات السابقة تبقى مشتركة بينهما. وهو ما يؤكد بالنسبة لنا مرة أخرى أن بروز الموضوع الاجرامي من خلال استجابات الرورشاخ يتجسد بازاحة ثم اسقاطمقطع من سيناريو الفعل.

يمكن القول كذلك بأن التكاثر المزدوج للصرعات المرتبطة بعملية البلوغ (إعادة انعاش الاوديب، الاختلاف بين الجنسين، أو الجيلين، المحرمات)، التي لم تخضع أساسا للارصان لدى المراهقين القائمين بالفعل الجنسي، بالإضافة إلى توفر الظروف المساعدة على الاحتكاك بالموضوع الاجرامي (ظروف محيطية، سن وجنس الضحية، الطابع الشبقي لها) جعلت من هذا الأخير مكمل علائقييساعد على ترسيم الحدود بطريقة وهمية مؤقتة عن طريق المرور إلى الفعل؛ وقد جاءت آراء كل من Dejonghe & al (2007) بنفس التوجه أين أشاروا إلى أن القائم بالفعل الجنسي يعاني من إشكالية تتعلق بقلق الخصاء والهوية الجنسية معا، بحيث يتم استثمار هذه الأخيرة بطريقة دفاعية لتهدئة قلق التقرن، بالنسبة للهوية والهوية الجنسية فهما سينا الارصان، كذلك الاختلاف الذات/الآخر، ويشهد التكامل الجسدي على تحطم الحدود وبالنتيجة يعكس الفعل البحث عن إعادة الحماية النرجسية. وهو ما يصور حقيقة الواقع الداخلي الذي يميز المبحوثين الثلاث حيث يظهر من خلال البروتوكولات البروز المترادف للصرعات البلوغية (التقرن، الانفصال، ارصان الاوديب) والصرعات التي يعاد انعاشها بفضل تجربة الفعل (العلاقة بالموضوع الاجرامي-الضحية-، ارصان تجربة الفعل).

تؤكد عملية استقراء النتائج السابقة على هشاشة الحدود الداخل/الخارج التي لم تسمح بخصائصها السابقة للمراهق المنحرف بالمبادلات والاستثمارات الانفعالية والعلائقية بصورة صحيحة ومتوازنة وهو ما يؤكد على فرضية إشكالية الحدود باختلافات بين أفراد مجموعة البحث وبالأخص المعتدين جنسيا التي تسير توجه الطبيعة العلائقية بالموضوع كمستوى ثاني لتشكل السياق.

1-3- مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

تحرر العدوانية كنتيجة للدينامية السابقة (القلق وإشكالية الحدود) وتتخذ اتجاهها إما نحو الذات hotoagressivité (الإدمان والانتحار) أو نحو الآخر hétéroagressivité (الفعل الجنسي، القتل والسرقة). من خلال مؤشرات الرورشاخ المستوحاة من بروتوكولات أفراد مجموعة البحث يمكن الوقوف على هذا البعد.

جدول رقم 13: محددات الرورشاخ المرتبطة بمستوى العدوانية واتجاهها لدى أفراد مجموعة البحث.

العوامل					الرمز
TRI	FC<CF+C	DbI	F%	R	
		3%	61%	26	
1/2	1/1	-	44	9	CSR.V.1
0/3,5	0/3	-	33	12	CSR.V.2
1/2,5	½	1	50	14	CSR.V.3
0/1,5	1/1	-	54	11	CSR.VIO.4
1/0,5	1/0	-	45	11	CSR.VIO.5
2/0,5	1/0	-	50	10	CSR.H.6
1/0	0/0	1	50	26	CSR.AS.7
4/0,5	1/0	-	73	9	CSR.AS.8
2/1,5	0/1	-	33	15	CSR.AS.9
2/2,5	1/2	1	53	12	CISA.T.1
0/1,5	0/1	-	83	11	CISA.T.2
1/1,5	0/1	2	45	12	CISA.T.3
0/5	2/2	-	33	10	CISA.T.4
1/1	1/0	-	40	10	CHU.TS.1
1/0,5	1/0	1	30	13	EHSP.TS.1
-	-	-	47,73	12,73	المتوسط

معايير الرورشاخ لعينة فرنسية
 أشكال الفعل نحو الآخر
 مؤشرات مضطربة
 أشكال الفعل نحو الذات

نتائج هذا المستوى من خلال الجدول بالمقارنة مع المعايير متباينة بدرجة كبيرة مثلما سبق وقلنا، يظهر هذا التباين في عدد الاستجابات المنخفضة (R) وهو دليل على تقلص الفضاء الخيالي بسبب معاشات علائقية سابقة مرتبطة بعملية البلوغ وكذلك بتجربة الفعل لدى أغلبية المبحوثين جاءت على شكل محتويات غير خاضعة للاستقلاب (non métabolisées). المتوسط بالنسبة للمعيار الشكلي يبلغ 47,73% منخفض لدى أغلبية الحالات (13 مبحوث من مجموع 15)؛ تباين في المؤشر الدال على الاندفاعية (FC<CF+C) وكذلك الأمر بالنسبة لنمط الرجح الحميم TRI وهو المؤشر المرتبط بمعالجة القطبين الانفعالي والحركي، تباين يبرز داخل المجموعة الواحدة.

يشير Schaffer 1946 على ان النزوة العدوانية يجب أن تولد شدة داخلية حتى يتم التعبير عنها في استجابات الرورشاخ؛ وتؤكد Gamache 2010 من جهتها على أن غياب مؤشرات ليس دليلا على غيابها أو عدم سيطرتها على الفرد. تشهد استجابات المبحوثين على هذا التوجه، ويأتي التحليل الكمي والكيفي ليوضح هذا الواقع.

بعد ملاحظة مؤشرات الرورشاخ المرتبطة بالعدوانية وطرق تصنيفها، تسوقنا نتائج الجدول المتعلقة بالمبحوثين المرتكبين لفعل السرقة الى الوقوف على تجانس بين كل من المؤشر TRI و CF/CF+C سواء من الناحية الكمية أو ما يقابلها من تفسير كيفي. يتميز هؤلاء بنمط منبسط ($CSR V1=1/2$, $FC/CF+C$:)، يترافق بصعوبة تسيير التجارب العاطفية الانفعالية ($CSR V2=0/3,5$, $CSR V3=1/2,5$, $CSR V1=1/1$, $CSR V2:0/3$, $CSR V3:1/2$)، في ذات الوقت نقف على ضعف التحكم الادراكي ($F+<65\%$) لدى المبحوثين الثاني والثالث كل هذا يؤكد على وجود عدوانية واندفاعية في البروتوكولات، بالرغم من استخدام الكبت والقمع إلا أننا نلمح محاولات ترميز غير ناجحة (أحمر الصغير بيان فراشة كما تعود الطير وتفرضيلها جنحها...فراشة لونها صح شويا كي عادت حمرا طول، هذي الحمراء فراشة صغيرة بصح...جاية صغيرة في النص كلي محطوطة تحكيها وتحطيه في النص ما بين هذو في زوج دايرين بيها؛ أه هذي ماشي الرية الشكل واللون تاعها رية تاع العبد ياخي كي تحلي جسم انسان تشوفها لونها احمر، بيان انسان من الداخل هذا الأحمر لحم ولعظم). انفكاك نزوي يسيطر عليه بعد تدميري سادي موجه نحو الموضوع مع طغيان العمليات الأولية (غابة شاعلة فيها النار، غابة تتحرق شوفي النار فيها. ريسان تاع عباد وكرعيم عباد زوج كلي تحكي الراس وحدو تنحيه وتحطيه تقطعيه وتحطيه، جمجمة تاع عبد محلولة كاركاسة يعني لعظم برك تبان محلولة)؛ يمكن قراءة استجابات أخرى بالمقارنة مع المؤشرات التي طرحها Gacono (1990): AgC التي تشير الى استجابات عدوانية ذات محتويات خطيرة، شريرة ومضرة (بروزو لي يقرس ويصفر بزاف، تنين لي مالف نشوفو في الميكي وهذا لي من لقدام يخرج النار من فمو)، بالإضافة الى AgPot التي تحمل أفعال عنيفة ويتم ادراجها عندما تحمل الاستجابة فعل عنيف يستهدف الموضوع وهو مانقف عليه لدى المبحوثين (غابة وشاعلة فيها النار غابة تتحرق، تحكي الراس وحدو تنحيه وتحطيه تقطعيه وتحطيه، جمجمة محلولة). ويؤكد Meloy Gacono & (1994) أن هذه المؤشرات تستخدم لقياس أبعاد الاندفاعية، التنبؤ بالمرور الى الفعل أو بإمكانها ان ترافق هذا الأخير. بالمقابل تشير نتائج عملية التحليل المزدوج التي تم اعتمادها مع المقابلة (التحليل والتحقيق الاجرامي) الى ميل هؤلاء المبحوثين الى استخدام العدوانية والعنف لتحقيق الفعل، واختيار هؤلاء للتحطيم، السطو، النهب، التخريب. هذه الأفعال استخدمت لغرض التمويه بالنسبة للمبحوث CSR V1 حيث تنكشف الدوافع الشعورية اتجاه الضحية (الخال)؛ أو لتملك الموضوع الاجرامي -أشياء مادية- بالنسبة لـ CSR V2, CSR V3 ومع دوافع لاشعورية اتجاه الضحايا.

لهذه الأسباب تتحدد مكانة الموضوع الإجرامي في سياق الفعل من خلال الرورشاخ عند مستوى العدوانية التي اتخذت المواضيع الخارجية ودلالاتها مسرعا لها.

أما مع فعل الانتحار فنجد ان نمط الرجوع الحميم يميل نحو التضييق ($TRI : CHU.TS.1 = 1/0,5$;) مع سيطرة للمؤشر الشكلي في المعادلة ($FC/CF+C : 1/0$) دليل مرة أخرى على صعوبة تسيير التجارب الانفعالية والعاطفية، غياب الاندفاعية من جهة وتمركز العاطفة نحو الذات، تأتي الاستجابات من نوع AgC أي محتويات خيالية خطيرة مخيفة ومهددة (قناع خفت منو... أكحل تاع وحش يخوف؛ قرون تاع شيطان... وجهو ماراهوش واضح مليح كلي شبح شاعلة فيه النار)، عدوانية تستهدف الموضوع وتترافق بعاطفة الحزن AgPast (زوج قلوبا قاستهم لكحولا كانوا توال بعضاهم من بعد تفرقوا... كي قاستهم لكحولا... لا هذي شيطان فرق مابيناتهم ماراهوش حابلهم الخير حاجة تفرق القلوب؛ كلي شجرة وكل واحد راهو ينحي... دايرين بيها حبوا يخلصوها؛ شجرة فرغانة من الداخل؛ ورقة تاع شجرة وتحرفت). تجد هذه الاستجابات تفسيراً لها في طبيعة وسيرورة الفعل المرتكب الذي كان مسبوق بمحاولات انتحارية يرجع سببها الرئيسي الى تجارب علائقية سامة والبعض من تداعيات عمليات البلوغ، دفعت الى خلل في التعبير عن الحالة الانفعالية فكانت الطريقة الفمية (تناول الأدوية أو المواد الحارقة) فعل تدمير ذاتي بامتياز. وبالرغم من خطورة المحاولات الانتحارية إلا أنها تبقى كما يرى Sansone 2004 أفعال لا تهدف بصورة مباشرة إلى إلحاق الأذى بالذات أو الموت وإنما من أجل إعادة التوازن العاطفي.

بالنسبة لباقي أفراد مجموعة البحث (الاعتداء الجنسي، العنف، القتل، الإدمان) فلا توجد اختلافات بارزة في مؤشرات العدوانية في اختبار الرورشاخ بالرغم من تواتر بعض الاستجابات التي تتضمن اختلاف نوعي في اتجاه العدوانية بين المبحوثين الممثلين للفعل نحو الآخر والممثلين للفعل نحو الذات وكمثال على ذلك: (نص دار رايبة؛ راجل صغير لي راهو في النص تقولك بيان طفل صغير ماشي طفل jeune حاكمينو بيان ماقدرش يهرب في زوج شيوا شراهم يديرولو قشو ولا)، وأيضا (عقرب تبان مكسلينها تسما حالينها؛ تحكمي هيكل تاع انسان وتسليخه تنحي اللحم وتخلي لعظم؛ ريشة تاع شجرة لعنب كيما نشوفوها في الشجرة جايا خضرة بصح هذي لونها أكحل).

هذا ما يدفع إلى الاستنتاج بأن مستوى العدوانية يرتبط بصورة مباشرة ووثيقة بطبيعة العلاقة بين المراهق القائم بالفعل مع الموضوع الاجرامي.

جدول رقم 13: العلاقة بالباحثة خلال تمرير الاختبار

الرمز	الاستجداء	التعليقات خارج النطاق	أسئلة وملاحظات مباشرة	طلب السند	إقحام الباحثة في بلورة الإجابة
CSR.V.1	/	1	2	6	1
CSR.V.2	1	6	2	2	5
CSR.V.3	/	4	4	2	2
CSR.VIO.4	1	5	5	7	/
CSR.VIO.5	/	5	5	7	/
CSR.H.6	1	6	6	3	/
CSR.AS.7	/	2	2	3	3
CSR.AS.8	2	6	6	3	1
CSR.AS.9	/	3	3	2	/
CISA.T.1	/	4	4	3	4
CISA.T.2	/	5	5	2	3
CISA.T.3	/	4	4	1	3
CISA.T.4	/	3	3	2	/
CHU.TS.1	/	4	4	1	/
EHSP.TS.1	3	5	2	2	2

بالنسبة للجدول أعلاه فهو يعالج طبيعة العلاقة بالباحثة خلال جلسة تمرير الاختبار، تنقسم الالتماسات solisations الموجهة الى الباحثة الى أربعة نماذج كما هو موضح في الجدول، وقد تطرقت Léveillé (2001) إلى توضيح هذه النقطة وكيفية ارتباطها بالعدوانية خلال جلسة التمرير حيث ذكرت أن الافراد الميالين للفعل يظهرون التماسات تجاه الباحث عن طريق طرح الأسئلة، التعليقات، والانتقادات؛ وهي الطريقة المتاحة بالنسبة اليهم لتفعيل agissent نزواتهم وصراعاتهم في العلاقة بالآخر بسبب صعوبة اخضاعها للعقلنة. في خضم العلاقة بالباحثة يتم نقل النزوات العدوانية من العالم الداخلي باتجاه العالم الخارجي وتفرغها، هذه الاقتصادية العلائقية تفسر عدم وجود العدوانية في استجابات الشخص عن اختبار الرورشاخ. بالنسبة للطريقة الأولى المتمثلة في استجداء الباحثة بواسطة التعليقات خارج النطاق بمعنى خارج نطاق جلسة التمرير (ينظر باتجاه النافذة قائلاً كلي شي شكون راهو جاي سمعتي) يحتمل أن ترجع إلى انقطاع في عمليات التداعي، في هذا الجانب لا نلاحظ أي اختلافات بين المجموعتين حيث يغيب هذا النوع من الاستجداء لدي أغلب أفراد مجموعة البحث.

النمط المفضل والغالب على الاقتصادية العلائقية بالباحثة يسيطر عليه استجداء الباحثة بواسطة أسئلة وملاحظات مباشرة بالإضافة الى طلب السند، يبدو أن الافراد المرتكبين للفعل نحو الآخر أكثر ميلا لتفعيل نزواتهم العدوانية خلال جلسة التمرير، بالمقابل يظهر الافراد المرتكبين للفعل نحو الذات أقل ميلا نحو هذا النمط، يتضمن هذا النمط ملاحظات تدور حول الانتقاد اتجاه مادة الاختبار وجلسة التمرير لدى أفراد المجموعة الأولى (لاه موسية هكذا، واش هذا التسخير، واش نقدر نشوف شويها ماهوش normale، جامي شفت هكذا، لاه يعني جاي هكذا، جايين وحد الزبي، لاه مدايرة هكذا تعيف، ماني فاهم حاجة وزيد قلقني مخلطة، لونهم مايجبش) عادة ما ترافق الاستجابات ذات المحتويات العدوانية (وحش يخوف، حية، مص كلب ونص عبد يتخنزر يخوف) التي يصعب التحكم بها وبالتالي تبرر على

نحو ما الحاجة إلى التحكم الشبيهة على حد قول Mihura & al 2001 الية التقمص الاسقاطي حيث تسيطر الحاجة إلى التحكم في المحيط (الضحية) على العلاقة بالآخر، خاصة تتماشى مع وظيفة المرور إلى الفعل واتجاهه.

طلب السند كذلك يرافق لدى نفس المجموعة الاستجابات ذات المحتوى العدوانى (فهمتيني، نظن وصلك الميساج، شوفي معايا، راكي فاهمتني) ترتبط بتفعيلات سلوكية (هاكي هاكي، تحديد البقعة عل البطاقة، يضع البطاقة بالمقلوب، الضحك)، يفسر الباحثون من جهتهم هذا النمط بكون الوضعيات التي تتطلب الارصان الهوامي تهدد التوازن النرجسي وهو ما يدفع إلى تفرغ النزوات من خلال هذا المنفذ العلائقي المتاح في العلاقة بالباحثة.

أما بالنسبة للمجموعة الممثلة للفعل نحو الذات فقد أظهرت ميولا أقل لتفعيل النزوات العدوانية داخل جلسة التمرير، يظهر الانتقاد اتجاه مادة الاختبار في الاقتصادية الثلاثية (الباحثة-الاختبار-المبحوث) (ماعادش بيان مليح، هذي واعرة، يقلق، لونها مايعجبش)، ارتبط بأسئلة تكشف عن درجة من القلق الداخلي (مابقاش بزاف ونخلصوا، ياخي هذي هيا خدمتهم، واش تقولي انت، هذا واشنهو)، والتفعيل (يرمي البطاقة على الأرض، شويا تقلقت، تحريك البطاقة)، يمكن قراءتها من كمحاولة ارصان تجربة الفعل التي تتغذى على بعض العواطف الاكتئابية.

بهذا الشكل يمكن القول بأن سياق الفعل لدى المراهق الجانح من خلال اختبار الرورشاخ يتشكل بعيدا عن سببية خطية تربط بين مستويات اسقاطية ثلاث، ليس كمجرد مرحلة انتقالية بسبب تداخلات البلوغ والمراهقة، بل يشكل لدى البعض وضعية حقيقية تنتمي إلى إشكالية الانحراف؛ ومنه فهو ينقسم إلى مستويين: داخلي كامن يتضمن كل من الطبيعة العلائقية الموضوعية وإشكالية الحد (الداخل/الخارج)، ومستوى خارجي يتجسد بسبب خلل عمليات الترميز والارصان، اتخاذ قرار الفعل الذي يتضمن العدوانية (التدمير الذاتي، وعدوانية اتجاه الآخر)، اقتصادية الرغبة في التعدي تعري القوة النزوية التي تجاوزت الحدود الداخلية والخارجية. تتموضع الثنائية: العلاقة المبكرة_العلاقة الإجرامية ما يؤكد على فكرة الهوام الأصلي والهوام المضاد (Duez, 1996) (المشهد الأولي، الخساء، الإغراء) حيث يقدم الإنسان على ارتكاب الفعل بسبب اعتقاده باستعجالية الموقف الذي يتواجد فيه وحتمية اسقاط مايلعب على المستوى الداخلي نحو الخارج.

1-4- مناقشة نتائج الفرضية العامة:

نموذج سياق المرور إلى الفعل:

من خلال طرحنا لإشكالية البحث التي تدور حول سياقات المرور إلى الفعل عند المراهق الجانح اشرنا إلى مستويات السياق الثلاث، بالإضافة إلى ذلك طرحنا التساؤلات حول إمكانية وجود سياق واحد ممثل وموحد للفعل أو وجود العديد من السياقات كل منها واحد منها مرتبط بنوع من أنواع الفعل؛ من هذا المنطلق وبالنظر إلى نتائج البحث فإننا نقف على وجود سياقات مختلفة تغطي الدينامية الداخلية للمرور إلى الفعل بالاستناد إلى نتائج تحليل المقابلة بشقيها التحليلي والإجرامي، بالإضافة إلى تحليل الورشاش؛ تفسر بصورة مباشرة بطبيعة العلاقة بالموضوع الإجرامي، خصائص الحدود واتجاه العدوانية، يحتل الموضوع الإجرامي مكانة محورية في اختيار نوع الفعل ويرتبط به بصورة رمزية، وتتمثل في:

1. دينامية الفعل الإجرامي تتغذى على إرادة المبحوثين، هذا المتغير يسيطر على قرار القيام بالفعل بالنسبة لأغلب المراهقين الممثلين لمجموعة البحث ومع كل أشكال الفعل وهو ما يكشف عن إمكانية تبلور نواة نفسية إجرامية تتبأ عن مأل المستقبل الإجرامي وإشكالية العود. ونستثني من ذلك مبحوثين اثنين هما (CSR.VIO.5) مع العنف و (CSR.H.6) مع القتل. أين يختفي قرار الفعل بالنسبة لأول بسبب غياب الوعي (السكر) والثاني بسبب فجائية الفعل.
2. القائم بالفعل هو مراهق خاضع لتغيرات مرحلة البلوغ التي تطغى عليها الاستثمارات الجنسية والليدية، بالمقابل الفعل هو عبارة عن تركيبة نفس-إجرامية كامنة تحركت بفعل الاحتكاك بالمواضيع الخارجية التي يُسقط عليها بعض خصائص المواضيع الداخلية. ومن خلالها يتأكد أن حدوث الفعل الذي يأخذ اتجاه نحو الآخر لا يمكن أن يستثني وجود عامل خارجي يتمثل أساسا في الموضوع الإجرامي. وأن الفعل باتجاه الذات يتغذى على معاشات راهنة ناتجة عن الاحتكاك بالمواضيع الخارجية (الوالدين). وفي كلتا الحالتين يعتبر عامل مشترك.
3. عادة ما تسبق التفاعلات المرور إلى الفعل بعضها يرجع إلى مرحلة طفولية (مشاجرات، معارضة، انقطاع عن الدراسة)؛ والبعض الآخر يرجع إلى مرحلة سابقة للفعل (سراقات سابقة، عنف، تناول المخدرات، محاولة الانتحار). عادة ما يتم التنبؤ بالمستقبل الإجرامي للمراهق بوجودها كونها تدخل في تركيبة النواة المركزية للشخصية الإجرامية وهو الاختلاف الذي يميز بعض أفراد مجموعة البحث عن غيرهم وهو ما يؤكد على وجود سياقات مختلفة مرتبطة بأنواع الفعل سواء نحو الذات أو نحو الآخر.

4. صيرورة الفعل قائمة على الهجوم على الموضوع الإجرامي لغرض إعادة تحقيق نمط علائقي ينشط آليا بوجوده ويأخذ توجهات متعددة تتمثل في: التملك، التعويض، التدمير، الاختراق؛ الغاية منها ترميم تمثيل الموضوع الداخلي (تمثيل الذات، تمثيل الصور الوالدية بالأخص الأمومية).
5. الواقع الاسقاطي يحمل لنا هو الآخر دلالات عن الطبيعة العلائقية بالمواضيع، وبالتالي يكشف لنا نوعية إدراكالمثير المتمثل في بقعة الحبر. الذي يصب في محاولة ترميز معاش الفعل باسقاط محتويات دالة على الموضوع الإجرامي والعلاقة معه.
6. إزاحة الفعل من الفضاء النفسي نحو الفضاء الاسقاطي سمح بتجسيد السياق ضمن أبعاد ثلاثية اسقاطية تتخذ سمات مشتركة ظاهريا (العلاقة بالموضوع، طبيعة الحدود، العدوانية)، ومختلفة على المستوى الكامن (طبيعة العلاقة المراهق/الموضوع الإجرامي، الظروف الموقفية، طريقة تفاعل تلك السمات، مستوى الاشباع، لعبة: الارتباط-الانفكاك/نزوة الحياة-نزوة الموت).
7. انعكاسات الفعل تكشف عن صعوبات في عمليات الارصان، الترميز، العقلنة؛ تعطينا تفسير واضح لسيرورة الفعل ضمن جهاز التفكير من جهة، وتسمح لنا بقراءة وتحديد طبيعة ومحتوى التدخل الواجب توفيره.

نستخلص مما سبق أن الرورشاخ كأداة اسقاطية يسمح بإعادة معايشة تجربة الفعل وبالتالي يمكن الاستناد اليه كأداة تكشف عن سياق الفعل (الجنسي، القتل) في مجال علم النفس الإجرامي والاسقاطي.

2-نتائج البحث:

بغض النظر عن العديد من خصائص الدينامية النفسية الداخلية لأفراد مجموعة البحث التي برزت سواء في تحليل المقابلات أو في بروتوكولات الرورشاخ، والتي تماشت في أغلبها مع نتائج الكثير من الدراسات السابقة، نتطرق لنتائج البحث الحالي بالترتيب التالي:

1. قمنا بألقاء الضوء على التداعيات المرتبطة بالدينامية العلائقية المصاحبة لإجراءات البحث والتي تنطوي ضمن جلسات المقابلة وجلسة تمرير الاختبار، ديناميات علائقية مرتبطة بصورة مباشرة بإشكالية الفعل واتجاهه، تجلت هذه الأخيرة من خلال:

- خطاب المبحوثين الممثلين للفعل نحو الخارج يأتي بنوع من التناقض، يسوده التجنب والحرر بالنسبة للأسئلة التي تدور حول الرأي والتقدير. تأتي هذه الدينامية على مستوى الخطاب بسبب الوضعية القانونية المؤقتة اتجاه الفعل المرتكب، وضعية تعكس خلل عملية الارصان الذي يمس

تجربة الفعل، وتجنبه يعني محاولة لتأجيل الصراع إلى حين استدخال الانفعالات المصاحبة لتجربة الانفصال التي تترجم بالوضع داخل المركز. أما بالنسبة للمبجوثين الممثلين للفعل نحو الخارج فالخطاب يأتي بنوع من الخلط مع طغيان سيرورة التفريغ بسبب طبيعة المعاش النفسي الداخلي المؤلم، بالإضافة إلى قوة هوام التدمير عندما يكون الفرد نفسه موضوعا للفعل.

- صعوبة التعبير عن الانفعالات، تأتي على شكل لحظات صمت متكررة بالنسبة لطبيعة الخطاب الذي يحمل شحنة انفعالية شديدة، يلجأ المبجوثين للقمع répression مقابل معاشات صدمية تبدو من جهتها متجذرة في الحياة النفسية، غير خاضعة للترميز والارصان، غير مستدخلة، يقبع بسببها المراهق في السجل السلوكي.

- بالنسبة للعلاقة بالباحثة وتداعيات النقلة خلال المقابلة فهي تدور حول طبيعة علائقية تتعلق أحيانا بالرغبة في السيطرة مقابل المتعة (المبجوث CSR.V.1)، اسقاط للرغبات الانتقامية. نقلة موجبة تتجسد في اظهار مشاعر إيجابية تدور حول مفهوم الاحترام والتقدير، كذلك إشكالية البحث عن السند الخارجي. هذه الأخيرة ظهرت أيضا في جلسة تمرير الاختبار من خلال تبلور طلب المساعدة، بالإضافة إلى ديناميات علائقية أخرى تتمثل في دينامية السطوة بمحاولة اقحام الباحثة في بلورة الإجابة. الشك، القلق في تحريك البطاقة بكثرة، أسئلة وتعليقات تدور حول مادة الاختبار، الرفض.الدينامية العلائقية المباشرة مع الباحثة تدور في فلك المقايضة بالصراعات السابقة، أما غير المباشرة (بوجود الاختبار) فتدور حول إقامة غلاف نفسي يحوي التجاوز الذي سببه إعادة إنعاش تجربة الفعل.

- من جهتنا نقف على تخلي حقيقي عن وضعية الباحثة، يترافق بغياب الحياد العلمي في التعاطي مع مشكلة البحث، حدث هذا مع المبجوث (CSR.AS.9)، حيث طغى على دينامية المقابلة شحنات انفعالية شديدة تطلبت منا مشاركة وجدانية عالية متاحة فقط في وضعيات الفحص، ربما تمثل مرور إلى الفعل من جهتنا. الأمر الذي يعكس صعوبة العمل مع المراهق المنحرف إذا لم يكن الباحث المختص متسلح بأدوات عيادية جيدة تضمن خاصية الموضوعية وكذلك تضمن تكامله النفسي والتهديد الذي يتلقاه مقابل علاقة مشحونة بالصراعات والصدمات.

- أما بالنسبة لتلك المتعلقة مباشرة وصراحة بالموضوع الإجرامي فأشكالية الإحساس بالذنب تطغى على المشهد، تأتي على شكل غياب تام لمشاعر الذنب تصاحبه دفاعات من نوع التبرير، النفي، الكبت، والاسقاط (اسقاط مسؤولية الفعل على الضحية)؛ أو على شكل بروز طفيف لمشاعر الذنب ذات طابع أوديبى أخلاقي يعكس ركود أو تأخر في تبلور ركن الانا الأعلى (أنا أعلى جنيني)،

يتبعها دفاع من نوع العزل (عزل العاطفة عن التمثيلة). وتدور الثنائية مراهق منحرف-موضوع إجرامي(ضحية) ضمن أنماط علائقية تتمثل في: حب التملك، المتعة، الالتحام، الاقتحام، التعويض والمقاومة.

- إشكالية الانفصال/التفردن حاضرة بقوة في السجل الصراعي، تتميز بالاستمرارية والتعدي. تجد جذورها في متطلبات النمو خلال المراهقة وتمتد إلى سجل الفعل. بحيث يمكن فهم الفعل مع بعض الحالات كمحاولة للانفصال عن النماذج الوالدية وتحقيق الذات، بمعنى أنه يأخذ مدلول الرجوع إلى الفعل.

- وجود بعض الإشكاليات المرتبطة بدينامية عملية المراهقة: إشكالية الاوديب والقلق المترتب عنها، ارضان الوضعية الاكتئابية، الدينامية نشاط/فتور؛ تتداخل بصورة غير مباشرة مع دينامية الفعل المنحرف من ناحية التحقيق حيث تزوده بنشاط نزوي(البيدي/جنسي) يضمن حركية القوى المتفاعلة لحظة المرور إلى الفعل. بالإضافة إلى إعادة تنظيم الفضاء النفسي الداخلي من خلال الدفاعات من نوع الاستدخال والكبت والازاحة، وعمليات الترميز، الارضان والعقلنة، بالرغم من ضعفها الا أنها تضمن ربط التمثيلات السابقة، وخلق تمثيلات جديدة مرتبطة بتجارب راهنة يشكل الفعل أحدها، وبالتالي المساعدة على ارضان تجربة الفعل.

- وقفنا على وجود أشكال متعددة من القلق (الهجر، فقدان، الانفصال، الرفض، التدمير، الإبادة، الخفاء)، وجود متجاور مع بعضها البعض؛ يبقى قلق الانفصال نمط القلق السائد. ينعكس ذلك من خلال النتائج الكمية لاختبار الرورشاخ في وجود فقر في البروتوكولات ($\bar{R}=12$)، تؤيده نتائج كل من (Richelle & al(2007)، جدعوني (2011)، Bastin & Timist (1987). استجابات حركية قليلة (1,2)، منعدمة في بروتوكولات منها على حد سواء بالنسبة لأفراد البحث الممثلين لاتجاهي الفعل على حد سواء (نحو الذات ونحو الآخر). مؤشر حصر مرتفع في أغلبية البروتوكولات (X IA=27,8%)، يصل في البعض منها إلى 63%، وينعدم في بروتوكول واحد (حالة ادمان). يتجسد هذا الواقع الداخلي في جانب منه في إشكالية عدم اكتمال نضج البنية الداخلية للمراهقين؛ وفي جانب آخر وهو الأهم في صعوبات تتشكل من خلال ارتباط مزدوج كامن/ظاهر-بدائي/راهن، يرجع المستوى الأول: كامن/بدائي إلى الطابع السمي للعلاقات الأولية لدى المبحوثين، أطلقت عليه Cagler1981 مسمى أمراض العلاقة بالموضوع. مع معاش علائقي يدور حول إشكاليات الحرمان، العنف، الاضطهاد. أما المستوى الثاني: ظاهر/راهن فيرتبط بصورة مباشرة بالفعل

- وبجلسة تمرير الاختبار التي شكلت وضعية مواجهة بين الفعل وحقيقته بالأخص لدى أفراد مجموعة البحث الممثلين لاتجاه الفعل نحو الآخر؛ كذلك إلى الطبيعة العلائقية بالموضوع الاجرامي الذي انكشفت بعض خصائصه من خلال استجابات المبحوثين سنأتي على ذكره لاحقاً.
- أشكال الفعل التي وجدت لدى المبحوثين سواء تلك التي ترجع إلى المرور إلى الفعل، الرجوع إلى الفعل، أمراض الفعل تقوم على إشكالية علائقية مبكرة، تعود إلى الواجهة بفعل تغيرات البلوغ، أو جروحية سابقة في حياة المراهقين، كلها مرتبطة ارتباط وثيق بوضعية هجوم على الروابط الأولية بصورة مباشرة أو رمزية، عبر عنها (Villerbu & Pignol) (2007) بقولهما: « ليست الأفعال المنحرفة المباشرة أو غير المباشرة في مرحلة المراهقة سوى مظهر واحد من مظاهر لحالة المعاناة النفسية التي لا يمكن التعبير عنها الا بالهجوم على تمثيلات الرابط الاجتماعي، وظائفه، محتوياته، تصوراتها» (p.260)، يأخذ هذا الهجوم لدى المبحوثين صيغة الانفصال كدليل عن صراع مصيري بالنسبة للاستقلالية الذاتية، من ناحية الضبط يمكن احتواء هذه الاشكال. أو صيغة التدمير ضمن مسار سادي أو مازوشي يغذي طبيعة إجرامية تولدت عن وضعيات حرمان شديد في العلاقة بالروابط الأولية تتغذى على المحتوى الانتقامي لنزوة الموت، في هذه الحالة تتطلب تدخلات رديعية قوية أو علاجية طويلة المدى.
- من بين الخصائص التي وجدت لدى غالبية أفراد البحث شلل تقمصي يمس النماذج الوالدية الأولى، أحسن مثال على ذلك السارق غير العاطفي (CSR.V.1)، الذي برزت إشكالية العلاقة الامومية وتصحر المبادلات العاطفية. ضعف مستوى تكوين الأنا الأعلى وبالتالي صعوبة الامتثال للمعايير يظهر الفعل كتعبير عن هذا الخلل.
- وقفنا على طبيعة الغلاف النفسي الذي تميز بالهشاشة لدى كل أفراد مجموعة البحث دون استثناء، تتجسد هذه الأخيرة في غياب التمايز على مستوى الحدود داخل/خارج، ورد على شكل استثمار مفرط أو مسامية شديدة؛ وعليه الافتقار إلى مرونة المبادلات (استثمارات نرجسية/استثمارات موضوعية، الأنا/الآخر). يصبح المراهق المنحرف عرضة لان يتم اقتحامه من طرف المواضيع الخارجية (الموضوع الاجرامي)، أين يختفي الحاجز الذي يحمي من الاثارة المتولدة عن وضعيات وجودية صعبة يكون القرار فيها بالتضحية إما بالذات أو بالآخر.

ترتبط هذه الخاصية بالدينامية العلائقية داخل الفعل، بالتحديد فيما يتعلق بغياب تمايز الحدود والطبيعة العلائقية مع الموضوع الاجرامي التي أبرزها تحليل المقابلات. كذلك التي ظهرت مع فعل الاعتداء الجنسي لدى المبحوثين الثالث، مبحوث واحد مع فعل السرقة، وبالمثل لفعل الإدمان.

2. بالنسبة للبعد الاجرامي للفعل فقد برزت إشكالية العود (récidive)، قبل إجراءات البحث (السرقة، الاعتداء الجنسي، الانتحار) وبعدها (العنف، السرقة، الانتحار)؛ تتطلب التركيز على إجراءات التدخل، على التاريخ الفردي من جهة، تسمح بالتنبؤ بمستقبل الفعل (الاجرامي) وتكشف عن العوامل الداخلية التي يبدو انها في مرحلة تبلور اولي.

3. إلا أن أهم النتائج بالنسبة الينا تدور حول أهمية استخدام اختبار الرورشاخ في مجال الانحراف وبالتحديد حول إمكانية بروز الموضوع الاجرامي (مادي أو معنوي) من خلال استجابات المبحوث؛ للتذكير فان جل الدراسات التي تم الاطلاع عليها في مجال علم النفس الإجرامي، والتي تتبنى المقاربة التحليلية مع اختبار الرورشاخ؛ وتلك التي استخدمت في اثناء الشق النظري لم تتطرق أبدا لهذا الجانب، بل نجد أن البعض منها وقف على طبيعة العلاقة بالموضوع في الفعل الجنسي، في جريمة القتل، بالاعتماد على الأنماط العلائقية السابقة للفرد وباستخدام تحليل محتوى المقابلات للوقوف على العلاقة بالضحية كما واستعانت الدراسات باختبار الرورشاخ لكشف الدينامية الداخلية بصورة ثانوية Seninger 1986, 2007, Stumpel 2008, Laplante 2014, Heraut 1993, Carochelle 2000، وأخرى تطرقت للسياق العام للفعل بما في ذلك العوامل الخارجية (المحيط) والعوامل الداخلية (الجروحية أو الهشاشة) للقائم بالفعل (الفعل الجنسي-الضحية) (القتل-الضحية) من خلال الأنماط العلائقية السابقة باستخدام تحليل محتوى المقابلات أو اختبار الرورشاخ Moulin, Heurtevent 2011, 2003.

من جهة أخرى يصرح كل من Gaudriault et Baroth (1990) بأن استجابات العميل في اختبار الرورشاخ تتشكل من تمثيلات عن الذات وتمثيلات عن الموضوع، وأن العلاقة بين الذات ومواضيعها هي علاقة ذات منشأ نفسي؛ وعلى أساس هذا المنطلق تساءل حول إمكانية أن تكون تلك التمثيلات عبارة عن مواضيع نفسية، بالنظر إلى أن الرورشاخ يثير نشاط التمثيل وأكثر دقة تمثيلات تنتمي إلى مجال الخيال وبالتالي للا شعور؛ مرة أخرى حسبها هناك بطاقات رمزية تشير إلى الصور الوالدية (Phillips et Smith 1953، البطاقات VI و IIV، Myrian Orr 1958، البطاقات I و IIV و X)، بالإضافة إلى وجود استجابات من النوع الحركي تشير إلى طبيعة العلاقة بالموضوع Weinstock 1980 تظهر استجابات من نوع التملك اتجاه الموضوع في الاستجابات الحركية للحالات الحدية). حسب هذا الطرح يمكن ان نستنتج

وجود علاقة وثيقة بين المواضيع الداخلية والمواضيع التي تكشف عنها استجابات الورشاح أي مواضيع اسقاطية، وكذلك يمكن أن نربط هذا المعطى الأول بالاستجابات الحركية بحيث نستدل على الطبيعة العلائقية مع تلك المواضيع ونتأكد من ذلك انطلاقاً من نتائج تحليل المقابلة.

العديد من العوامل التي برزت في استجابات أفراد مجموعة البحث تجسد هذا الواقع، البعض منها استنتجناه من المعطيات الكمية، والبعض الآخر من خلال المعطيات الكيفية والعبارات التي شكلت الاستجابات، تبلورت في بطاقة واحدة، أو في سلسلة من البطاقات. المثالين البارزين اللذان يمكن اعتمادهما لإبراز المساهمة التي جاءت بها الدراسة الحالة كانتا مع المبحوثين (CSR.H.6) و(7): (CSR.AS.7):

- من ناحية ثانية ينبغي النظر إلى طبيعة الفعل (القتل) من زاوية الصدمة، وعليه مثلما اعتبر الورشاح سابقاً كمثير لإعادة معايشة الحدث الصدمي (Katsounari, 2005)، وأنه يمكنه كأداة أن يصبح عامل مفجر للصدمة (Bersoff, 1970)؛ فإن نتائج الورشاح المستخلصة من بروتوكول المبحوث (CSR.H.6) تكشف عن هذا الواقع حيث استطاعت المثيرات بخصائصها التشكيلية واستدعاءاتها الكامنة أن تحرر الهومات المشحونة بمحتويات مرتبطة بصورة مباشرة ورمزية بالفعل. تتضمن هذه الهومات تمثيلات عن الموضوع الاجرامي (الضحية)، التعليقات والحركات التي صاحبت تقديم الإجابة تساير هي الأخرى واقع الفعل، طبيعة الانفعالات المصاحبة الإحساس بالعجز الذي يظهر في حالات إعادة إنعاش الصدمة (عبد و خانقينو)، اعراض التفكك (محتويات مجزئة) (كاين 6 ريسان تاع عباد)، الإحساس بالذنب استخدام العزل (عينها مغطين غطاوهم النواظر).

- عند الوقوف على نتيجة المعيار حاجز/اختراق بالنسبة للمبحوثين (7): (CSR.AS.7)، (8): (CSR.AS.8)، (9): (CSR.AS.9) نلاحظ انعدام معامل الحاجز الذي يشير مباشرة إلى طبيعة الحدود الداخل/الخارج في ارتباطها مع الطبيعة العلائقية للموضوع الاجرامي التي برزت من خلال تحليل المقابلات والتي تميزت كما سبق القول بانعكاسية وتبعية شديدة للموضوع، مع المبحوث رقم (8) تتجسد هذه التبعية في حالة حاجة ملحة للموضوع الاجرامي الذي يشكل مكمل نرجسي لتحقيق نوع من الاحتواء للتكامل النرجسي، ولهذا يسعى المبحوث إلى التمسك باستجابة جلدية تتضمن محتويات عن الموضوع الاجرامي المنتل في طفل في بداية المراهقة. وهو ذات الواقع الذي عبرت عنه Moulin (2008) بقولها: "احداث الفعل المنحرف تولد وضعيات يجد الفرد نفسه خلالها في مواجهة أهمية الاخر الذي يشكل تهديد حقيقي بالنسبة لنرجسيته، وخطر الإصابة يكون محتمل اثناء الالتقاء بين واقعين معقدين: الفرد والوضعية" (p. 54). التوازن الداخلي للفرد في هذه المعادلة يكون مرتبط ارتباط وثيق بمتغير خارجي يتمثل في الموضوع الاجرامي الذي يتحقق من خلاله الفعل لهذا السبب يجد المراهق نفسه "في مواجهة هذا الاجتياح للعالم

الداخلي بواسطة تمثيلات العالم الخارجي، يتطلب الأمر الطرح نحو الخارج، التفرغ لما لا يمكن إخضاعه للارتباط، ولا يمكن احتواءه، دون إعطاء أهمية للضحية التي يحدث من خلالها التفرغ لان الهدف الأساسي في تلك اللحظة هو الحفاظ على الوحدة النفسية عن طريق تفرغ المحتوى الذي لا يمكن إرضائه" (Roustant, 2017, 21).

ومن منطلق أن الرورشاخ اختبار مؤهل للتقييم النفسي في الوسط العقابي كون غموض المثيرات يعمل على تثبيط أي محاولة للتأثير الإرادي في النتائج (Meloy & Gacono, 1998)، يمكن القول ان في استخدامه مع الفعل المنحرف شكل أداة مهمة: من جهة في الكشف عن خلل عملية الارصان المرتبطة بسيرورة الفعل حيث يصعب على المراهق المنحرف تسيير الصراع المتولد عن التواجد وجها لوجه مع الموضوع الاجرامي الذي يعيد الالتقاء به احياء معاشات علائقية سابقة؛ ومن جهة أخرى ساهم تطبيقه (بالإضافة إلى المقابلة العيادية البحثية) بانعاش وتفعيل هذه العملية التي ساعدت في إرضان تجربة الفعل على المستوى النفسي وكان من نتائجها بروز الموضوع الاجرامي بشكل واضح في بروتوكولات بعض المبحوثين. وبالتالي اثبت فعاليته البحثية والعلاجية في علم النفس الاجرامي الاسقاطي مرة أخرى.

خاتمة

خاتمة:

بالنسبة لإشكالية الانحراف لدى المراهق من وجهة نظر التحليل النفسي فقد حاولنا من خلال هذه الدراسة والتدخل المتواضع نقل واقعها الحقيقي كما عايشها المراهقين الممثلين لمجموعة البحث بكل صدق وأمانة. واقع عانينا منه على المستوى الشخصي حيث تدرجت معاناتنا منذ المشاعر الأولى التي أخذت صبغة التعاطف، الدهشة مع لحظات تدوين المعطيات الأولى؛ إلى درجة الصدمة مع تجلي الحقيقة الداخلية خلال عمليات التحليل. لتتقلنا هذه الأخيرة إلى مستوى المسؤولية التي وضعنا أمام واقع ابستمولوجي واجتماعي؛ حتمية علمية لمسايرة مستقبل هؤلاء المراهقين ربما تعكس جلسات الاسترجاع أو جلسات العلاج اللاحقة التي استفاد منها بعض أفراد مجموعة البحث هذه الحركية على مستوى المشاعر والفكر. ومسؤولية اجتماعية لأن الأمر يتعلق بوضعيات وجودية تتطلب البحث عن حلول مستعجلة ناجعة تستهدف مسار انحرافي في طور التبلور.

يشارك أفراد مجموعة البحث في جوانب مختلفة بالرغم من الاختلاف الذي يطغى على طبيعة الفعل واتجاهه بحيث أن جميعهم ينتمون إلى عالم علائقي مشحون بالمعاشات الصدمية، من جهة الام نقف على وجود حدي ينتقل من الحماية المفرطة إلى التصحر العاطفي في كلتا الحالتين يعاني المراهقون من حالة تعري نفسي بسبب تجريدهم من غلاف نفسي قادر على الاحتواء، يضمن المبادلات العاطفية والعلائقية بين الداخل/الخارج، ومن جهة الاب نقف على فقر النموذج التقمصي الذكوري في أغلب الحالات يجلب معه غياب الانا الأعلى، وان وجد فهو غير قادر على اداء مهامه. يترك المراهق في وضعية حدية. في صراع مع المعايير التي لا يستطيع إيجاد معنى لوجودها في ظل إشكالية التعدي التي تترافق عنده بالاندفاعية مُشكلة سجل سلوكي للعنف وللانحراف بامتياز. سجل يتبنى المبدأ القائل: "لا يمكن اخضاع الموضوع للموضوعية" بالأساس هناك إشكالية في العلاقة بالموضوع الاجرامي وبالتالي فكل ما يرتبط به من تمثيل، وارصان، وهومات واستثمارات وتوظيفات لا تتيح فعل تسوية.

أغلب المراهقين الخاضعين للبحث ينتمون إلى البنية الحدية. لهذا يسيطر قلق التخلي، الهجر، الانفصال على الطبيعة العلائقية سواء مع المواضيع الوالدية أو مع المواضيع التي يتحقق من خلالها الفعل. وهو ما يؤكد نتائج البحوث السابقة حول مدى ارتباط الانحراف بشخصيات سيكوباتية مضادة للمجتمع؛ يأخذ هذا الأخير شكلين اثنين: اما انه رجوع إلى الفعل يملك قيمة ومعنى رمزي في حياة

المراهق، أو مرور إلى الفعل يمكن أن يبنينا بالمستقبل الاجرامي. وفي الحالتين يمكن من خلالهما صياغة طبيعة التدخل المناسب لكل فرد من أفراد مجموعة البحث، تدخل يتماشى مع الخلفية العلائقية. بالموازاة مع إشكالية الانحراف لدى المراهق الممثل لمجموعة البحث في الدراسة الحالية والخصائص المشتركة بينهم، يشكل المرور إلى الفعل والدينامية النفسية الداخلية المرافقة لحدوثه معضلة كبيرة، تتجسد في الصعوبة البالغة في ارضان نموذج مفاهيمي واضح ودقيق يعكس بالدرجة الأولى التداخل بين ما هو كامن (شخصية القائم بالفعل) وما هو ظاهر (الضحية والظروف المحيطة) في تلك الدينامية، بعيدا عن نموذج تصنيفي، يتيح إقامة حدود بين علم النفس الإجرامي وعلم النفس المرضي، لأجل إعطاء الأهمية لكل عامل من العوامل في برامج التدخل.

بالإضافة إلى ذلك فإن إقامة حلقة وصل بين علم النفس وعلم الاجرام يتطلب التركيز على الشخص في وحدته وفردانيته. من هذا المنطلق تظهر صعوبة التعامل مع الفرد المراهق الذي يكون في الأساس في حالة بحث دائم ومضني عن فردانيته. قد يشكل هذا البحث أحد منافذ الفعل المنحرف، يربو المراهق أن يحمل له معنى للمعاناة الداخلية التي يختبرها وان يجد الصدى المناسب من المحيط الخارجي للمساعدة على تخطي هذه العقبة المرتبطة بحتمية عاملي النمو والنضج.

بهذه الأسباب يؤكد الباحثون على صعوبة هذه المرحلة بالنظر إلى التداخل الكبير الحاصل بين المتغيرات النفسية، الاجتماعية، البيئية؛ الماضية والحاضرة، وإعادة احياء صراعات سابقة عبر مجاري البلوغ بالإمكان ان يشكل انسداد في عملية النمو، لا يجد المراهق الحل سوى بتصريفه عن طريق المرور إلى الفعل. الذي يمكن أن يتخذ اتجاهين أساسيين: أولهما نحو الآخر؛ بالنسبة للمراهق يشكل الآخر في هذه المرحلة بالذات تهديد حقيقي للوجود وللتكامل النرجسي، عندما تدرك الاقتصادية العلائقية بهذا المفهوم يتم اختيار طبيعة الضرر الذي يمكن أن يمثل رمزيا نجاة حقيقية وعلى إثره كذلك يتحدد نوع الفعل بالتحديد (الاعتداء الجنسي، السرقة، القتل، العنف)؛ غالبا ما يتم الوقوف على طبيعة الانفعالات المصاحبة لهذا التفريغ للشحنة الداخلية سواء بصيغة الاشباع أو الألم (سادي/مازوشي)؛ وثانيها نحو الذات (الانتحار، الإدمان) أين تحاك لعبة الوجود بصورة مباشرة، يظهر الصراع بين الجوانب المشككة للذات، بالإمكان ألا يتم إدراكه من طرف المحيط الخارجي الا في حالاته المتقدمة، بعد أن يسيطر البعد المظلم لنزوة الموت المتمثل في التدمير الذاتي على الاقتصادية العلائقية بالجسم، التي تقوم أيضا على الرفض. لا يحتل الآخر في هذه الحالة مكانة صريحة وانما يتمثل عمله في شحن وتشكيل المعاشات العلائقية السابقة ضد الانا التي تطفو إلى السطح بفعل كل ما هو مراهقي بلوغي. في الحالتين لا يخضع قرار المرور إلى الفعل (الذات/الآخر) للتنفيذ الا بإخضاع كل الروابط العلائقية لما هو بلوغي.

هذا التمثيل الداخلي لا يمكن تصوره بهذا الوضوح والدقة الا بالاستعانة بالأدوات الاسقاطية فهي الوحيدة القادرة على صبر الاغوار العميقة في النفس؛ من هذا المنطلق نفترض أن الأشكال في تحديد مفهوم سياق المرور إلى بالفعل يبدأ فعليا في مراحل متقدمة من التاريخ الفردي ويتجاوز مجرد صيغة التفرغ الفوري وهي الفرضية التي يجب أن يلتقي عندها علم النفس الاسقاطي وعلم الاجرام التحليلي.

توصيات

ككل مهمة علمية أكاديمية تنتهي بتأملات نرجو أن تجد صداها لدى القائمين على اعداد برامج التكفل وإعادة الادماج الخاصة بفئة المراهقين المنحرفين. من بين التوصيات التي نخرج بها من هذه الدراسة:

- ضرورة إعادة النظر في القوانين المتعلقة بظروف وشروط الوضع للمراهق، إعادة النظر يجب أن تقوم على مراعاة جملة من المتغيرات المرتبطة بالشخص المراهق المنحرف، وفي ذات الوقت بطبيعة الفعل المرتكب.
- بالنسبة للشق الأول فانه يبدو من أنه من الضروري اعداد برامج تراعي ظروف الوضع الأولى، بحيث يتم ضمنها تطبيق اليات تدخل تضمن استهداف التأثيرات الأولية لعملية الوضع، هنا نشير مباشرة إلى استحداث خلايا تدخل مستعجلة تابعة اما للجهات القانونية، أو على مستوى المراكز والمؤسسات التي تستقبل المراهق. الهدف الأساسي من وراءها هو الادماج الاولي للمراهق؛ يجب أن تتضمن هذه الوحدات أو الخلايا فريق متعدد التخصصات: النفسية، العقلية، الاجتماعية، التربوية.
- بالنسبة للشق الثاني المتعلق بالفعل فانه من الاحسن كذلك استحداث مراكز وضع مؤقتة تتوفر على فضاءات مختلفة تسمح بالفصل بين المراهقين الأحداث حسب طبيعة الفعل المرتكب.
- إعادة النظر في البرامج الموجهة لإعادة التأهيل والادماج، وقد أثبتت البرامج المطبقة فقرها وعدم قدرتها على مواكبة التغيرات التي تمس الجوانب الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع.
- في الأساس تشمل برامج إعادة الادماج مجالات متعددة وتكون على درجة عالية من الفعالية، يجب أن تشكل بالنسبة للمجتمع ككل ولأسر المراهقين بديل جيد يستطيع من خلاله المراهق تحقيق ذاتيته التي افتقدها وتجاوز إشكالية الفعل والوصم الاجتماعي الذي انجر عنه.
- المشاريع يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ثلاث محطات رئيسية تتمثل في:

- التاريخ الشخصي للمراهق الذي يحمل العديد من المعاشات العلائقية الصدمية الذي لعب دور أساسي في ظهور الفعل، لذا يكون من الاحسن البحث في هذا الجانب عن الهشاشة التي يعانها المراهق عن طريق تفعيل دور المختصين القائمين على انجاز الخبرات النفسية.
 - التركيز على مرحلة الوضع الأولى وما سبقها من إجراءات التحقيق، تفعيل إجراءات الادمج الاولي بتقديم خدمات اجتماعية ونفسية وتهيئة فضاءات خاصة لضمان العملية.
 - الوصم الاجتماعي الذي يجلبه الفعل في هوية المراهق يشكل فجوة كبيرة في برامج التكفل، يبدأ تاريخ جديد يتم التعامل بها مع المراهق ويصعب تجاوزها من طرف القائمين على تطبيق البرامج، بإمكانها أن تكون مجرد صفة مؤقتة يمكن ان تفقد تثبيتها وبالتالي يجب البحث في هذا الواقع.
 - التركيز على مرحلة ما بعد الفعل وسبل إعادة الادمج المتاحة التي تتماشى مع خصوصية كل مراهق، بتفعيل سبل إعادة الادمج التعليمي، التكويني.
- البرامج الموجهة لهذه الفئة يجب أن تكون على درجة عالية من الفعالية، تتميز بالمرونة والسيولة في التطبيق وتخضع لمبدأ إعادة التجديد كلما تطلب الامر. كما يجب تدريب المتدخلين والاختصاصيين على آليات تطبيق تلك البرامج إلى ما بعد العقوبة.

المراجع المعتمدة

المراجع المعتمدة

: المراجع المعتمدة

- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين. (1969). *لسان العرب*. بيروت: دار بيروت للنشر.
 - أحمد، مختار عمر وآخرون. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. القاهرة: عالم الكتاب، ط1
 - ابو الروس، بسيوني. (1987). *جرائم السرقات*. الاسكندرية: دار المطبوعات للنشر.
 - البخاري، محمد بن اسماعيل. (1419هـ). *صحيح البخاري*. الرياض: بيت الافكار الدولية.
 - الجوهرى، أبي نصر اسماعيل. (2009). *الصاحح، تاج اللغة وصحاح العربية*. في محمد محمد تامر وآخرون (مراجعة). القاهرة: دار الحديث.
 - الرخاوي، يحيى. (2019). *الإنسان والتطور، الوظيفة الجنسية من التكاثر إلى التواصل*. شبكة العلوم النفسية، العدد
- <http://arabpsynet.com/Archives/OP/OP.Rak.Sexual.Function.htm>. 18
- الرشد من المصادر الرسمية للإجرام بكندا في صيف 2005: Droit7. Blogspot.com/2013/10blog_post_974. Htm. Le 19-03-2018 16:15.
 - الريامي، خوجة. (2006). *مفهوم القتل وإشكالياته الطّبعية، دراسة في فلسفة الأخلاق التطبيقية*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، ط1.
 - الطراونة، محمد ابراهيم. (2007، نوفمبر). دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في التخفيف من ظاهرة النشل. ندوة علمية: *حول ظاهرة النشل وآثارها الاجتماعية*. جامعة نايف للعلوم الامنية.
 - الطلحي، ردة بن ضيف الله. (1418هـ). *دلالة السياق. رسالة دكتوراه في علم اللغة المجلد 1*. جامعة أم القرى.
 - بن فارس، أحمد. (1979). *معجم مقاييس اللغة (المجلد ط1)*. دار الفكر .
 - تمام، حسان. (1993). *قرينة السياق*. القاهرة: دار العلوم مطبعة عبير للكتاب. ط1.
 - جعدوني، زهراء. (2011). *الاعتداء الجنسي، دراسة سيكوباتولوجية للتوظيف النفسي للمعتدي جنسي* (رسالة دكتوراه في علم النفس المرضي العيادي). جامعة وهران.
 - حسام الدين، كريم زكي. (2001). *أصول تراثية في اللسانيات الحديثة*. القاهرة: مكتبة النهضة العربية. ط3.
 - ساسي، سفيان. (2017). *جنوح الأحداث في المجتمع الجزائري*. مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، 9. 76-91.

- صيني، سعيد إسماعيل.(2010).*قواعد أساسية في البحث العلمي*. المدينة المنورة:مؤسسة الرسالة. ط2.
- فهمي، حسان فاضل سعيد. (2008). أثر التعرض للإساءة في مرحلة الطفولة على جنوح الأحداث. *مجلة الطفولة العربية*، 9(34)، 8-31.
- كاظم، سميرة عبد الحسين.(2007). أسباب السرقة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات في المدارس الابتدائية في مدينة المكلا. *مجلة البحوث التربوية والنفسية*، العدد 14 و15، 40-76.
- لابلاش وبنطاليس.(2008). *معجم مصطلحات التحليل النفسي*. في مصطفى حجازي (ترجمة)، بيروت:المنظمة العربية للترجمة.
- نصر الله، محمد. (2001). *النظرية السياقية ونظرية الحقول الدلالية*. مالانج، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية.
- نصر الدين، عاشور. (2006). *جريمة السرقة في ظل تعديلات قانون العقوبات*. العدد 5، 2006، 223-239.
- Ajurriaguerra, J. (1974). *Manuel de psychiatrie de l'enfant*. Paris, France : Masson. 2^{eme} ed.
- Ambrosi, A. (2003). L'évaluation de la dangerosité. de quels dangers s'agit- il?. In L.Villebru (Ed.), *Dangerosité et vulnérabilité en psycho-criminologie* (pp.61-83). Paris, France : Harmattan.
- Anzieu, D. (1995). *Le moi-peau*. Paris, France. Dunod.
- Anzieu, D., & al. (2013). *Les enveloppes psychiques*. Paris, France : Dunod. 3^{eme} ed.
- Arfouilloux, J C. (2001). Séparation et castration. *Revue française de psychanalyse*, 2(65), 477-487.
- Aulagnier-Castoriadis, P. (1975). La violence de l'interprétation, du pictogramme à l'énoncé. France : PUF, le fil rouge.
- Aulagnier, P. (1979). *Les destins du plaisir*. Paris, France : PUF.
- Azoulay, C., Emmanuelli, M. & al. (2007). Les données normatives françaises du Rorschach à l'adolescence et chez le jeune adulte. *Revue de psychologie clinique et projective*, 1(13), 271-409.
- Bagdy, G. J., Parket, J.D., Taylor, (1994). The Twenty-item Toronto alexithymie scale. *Psychosoma Res*, 38(1), 33-40.
- Balier, C. (1985). Réflexion sur le devenir des pulsions agressives. *Revue Française de Psychanalyse*, 49(2), 623-645.
- Balier, C. (2000). *Agressions sexuelles, pathologies, suivis thérapeutiques et judiciaires*. Paris, France : Masson.
- Balier, C. (2005). *La violence en abyme*. Paris, France : PUF.
- Balier, C. (2006). Nouveaux champs d'investigation, une psycho-criminologie psychanalytique. In : A. Green, *les voies nouvelles de la thérapeutique psychanalytique, le dedans et dehors* (pp.543-570). Paris, France : PUF.

- Baylé, F. J & col. (2003). Psychopathology and comorbidity of psychiatric disorders in patients with kleptomania. *American journal psychiatry*, 160, 1509-1513.
- Bazire, A., Proia-Lelouey, N., Johnston, G. (2018). Une méthode d'analyse de discours appliquée aux entretiens cliniques de recherche, l'analyse de discours à partir des procédés d'élaboration du discours du TAT, *Psychologie clinique et projective*, 1(24), 219 – 241.
- Bedin, V. (2009). Qu'est-ce-que l'adolescent ? Sciences Humaines Editions coll. Petite Bibliothèque.
- Belot, R A., DE Tychev, C. (2015). Mentalisation maternelle et développement somatique du bébé, une étude comparative au Rorschach. *Bulletin de psychologie*, 539(5), 367-389. DOI : [10.3917/bupsy.539.0367](https://doi.org/10.3917/bupsy.539.0367)
- Benezech, M., Benayoun, MD., Hachouf, S. (2001). Homicide sadique d'un homosexuel par un schizophrène. Considérations médico-légales sur les fantasmes pervers chez les psychotiques. *Annale Médec-Psychol*, 159, 363-369.
- Benyamin, M. (2013). *Le travail du préconscient à l'épreuve de l'adolescence : approches psychanalytique et psychosomatique*. Paris, France : PUF.
- Bergeret, J. (1984). *La violence fondamentale*. Paris : Dunod.
- Bergeret, J. (1990). *Les toxicomanes parmi les autres*. Paris, France : Odile Jacob.
- Bergeret, J. (1994). *La violence et la vie, la face cachée de l'Oedipe*. France : Bibliothèque scientifique Payot
- Bergeret, J. (1995). *Freud, la violence et la dépression*. Paris, France : PUF.
- Bergeret, J. (1998a). Actes de violence, réflexion générale. In F. Millaud (Ed.). *Le passage à l'acte, aspects clinique et psycho-dynamiques* (pp.9-14), Paris, France : Masson.
- Bergeret, J. (1998b). Le passage à l'acte de l'état limite. In F. Millaud (Ed.). *Le passage à l'acte. Aspects cliniques et psycho-dynamiques* (pp.113-117). Paris, France : Masson.
- Bergeret, J. (2009). Acte et violence, réflexion générale. In F. Millaud (Ed.). *Le passage à l'acte* (pp.3-8). Paris, France : Masson. 2^{ème} éd
- Bersoff, D.N. (1970). Rorschach correlates of traumatic neurosis of war. *Journal of Projective Techniques and Personality Assessment*, 34(3), 194-200.
- Bessoles, Ph. (2005a). Le crime adolescent, criminogènes et processus adolescent. *Adolescence*. Paris, France : Éd. Greupp, 1021-1040.
- Bessoles, Ph. (2005b). Agression sexuelle et fonction auto-calmante. *Topique*, 92(3), 127-140.
- Bessoles, Ph. (2006). Le complexe criminogène, contribution à une psychogenèse de la criminalité sexuelle. *Bulletin de Psychologie*, 481(1), 75-80.
- Bessoles, Ph. (2008). *Criminalité et Récidive*. Grenoble, France : Pug.
- Bessoles, Ph. (2011). Figures de l'emprise, propagande et fanatisme. *Topique*, 1(114), 136-155 : Esprit du temps.
- Bessoles, Ph. (2012). Récidive criminelle, figures de l'emprise et criminalité. *Revue française de psychanalyse*, 4(76), 1083-1102.
- Bienvenu, J P. (1995). La relation d'objet et la rencontre analytique. *TRANS, la Relation d'objet*, 06, 91-104.
- Bigex, R. (2014). Du traumatisme au passage à l'acte, le corps pour le seul témoin. *Recherches en psychanalyse*, 2(18), 142-149.

- Bion, W R. (1962). *Aux sources de l'expérience*. F. Robert (Trd.), Paris, France : PUF, 1979.
- Birot, E. (1993). Image du corps et fonctionnement mental de l'adolescent suicidant, vissicitudes de leurs liens. Bulletin de la société française du Rorschach et des méthodes projectives, *Adolescence*, 37, 57-59.
- Blancard-Laville, C. (1999). L'approche d'inspiration psychanalytique, enjeux théoriques et méthodologiques. *Revue Française de Pédagogie*, 127, 9-22.
- Blanchet, A & al. (1985). *L'entretien dans les sciences sociales*. Paris, France : Dunod.
- Bleger, J. (1966). Psychanalyse du cadre psychanalytique. In R. Kaës & al (Eds & Trans), *Crise, rupture et dépassement* (pp.255-274). Paris, France : Dunod. 1979.
- Bloch, H & al. (1999). Le grand dictionnaire de la psychologie. France : Larousse-Bordas. 1991.
- Blos, P. (1984). *Les adolescents, essai de psychanalyse*. Paris, France : SFOCK.
- Bonnot, O. (2009). *Etats dépressifs à l'adolescence, Adolescence, Traité de Médecine Akos*. Paris, France : Elsevier Masson SAS.
- Borges, L.M. (2006). *L'homicide commis dans une relation d'intimité : comparaisons selon le sexe des agresseurs* (Thèse de doctorat en psychologie). Université du Québec.
- Borion, S. (2011). *Du sujet de passage à l'acte délinquant chez les adolescents contemporains issus de population migrante, Quels sont les liens avec l'intégration des parents et l'intégration des jeunes (telles qu'elles sont perçues par les adolescents), le niveau d'estime de soi, l'anxiété ?* (Thèse de doctorat en psychologie clinique et pathologie). Université de Grenoble. France.
https://tel.archives_ouvertes.fr/tel_00724472.
- Boucher, L. (1998). Psychanalyse des comportements sexuels violents de Claude Balier. *Filigrane*, 1(7), 132-136.
- Boucher, M. (2013). Le Rôle du contexte dans le jugement de pertinence en situation de repérage d'information. *Documentations et bibliothèques*, 1(59), 5-16.
- Bouchet-Kervella, D. (1996). Pour une différenciation des conduites pédophiliques. *L'évolution Psychiatrique*, 1, 55-73.
- Bouchet-Kervella, D. (2001). Existe-t-il des caractéristiques cliniques et psychopathologiques des pédophiles extra-familiaux adultes ?. *Conférence de consensus psychopathologie de traitements des auteurs d'agression sexuelle* (pp.101-112). Paris, John Libby Euro text et Fédération Française de psychiatrie.
- Bowlby, J. (1978). *Attachement et perte, la séparation angoisse et colère*. Paris, France : PUF. Tome II.
- Braconnier, A (2006). Quarante quatre jeunes voleurs, leur personnalité et leur vie familiale. *La psychiatrie de l'Enfant*, 1 (49), 7-23.
- Braconnier, A. Marcelli, D. (1988). *Psychopathologie de l'adolescent*. Paris, France : Masson.
- Braconnier, A., Caron, P. (1999). *Nouveau Traité de psychiatrie de l'enfant et de l'adolescent*. Paris, France : PUF.
- Braconnier, A., Glose, B. (2008). Introduction au 3^{ème} congrès Bébés-Ados : Dépression du bébé, dépression de l'adolescent. Paris. *Le Carnet psy*, 23(1), 36-37.
- Brelet-Foulard, F. (2004). De Freud à Winnicott, plaidoyer pour l'agir. *Psychologie Clinique et Projective* : ERES, 1(10), 7-29.

- Brennan, S. (2012). *Statistique sur les tribunaux de la jeunesse de Canada 2010-2011*.
Récupéré de : <http://www.statcan.gc.ca/pub/85-002-x/2012001/article/11645-fra.htm>
- Brunet, L. (1999). L'expertise psycho-légale, balises méthodologiques et déontologique.
Québec : PUQ. *Adolescence*, 4(54), 1021-1040.
- Caïtucoli, D. (2005). Winnicott : voler, détruire, l'appel au secours ou la tendance antisociale. *Filigrane*, 1(14), 31-48.
- Calagar, H. (1981). La structure psychologique de l'adolescent toxicomane à travers le test de Rorschach. *Bulletin de la société française du Rorschach et des méthodes projectives*, les toxicomanes, 32, 59-73.
- Caligor, E., Clarkin, J. (2010). An object relations model of personality pathology. In F, Clarkin, P, Fonagy., G. O. Gabbard. (Éds.). *Psychodynamic psychotherapy for personality disorders: A clinical handbook*. Arlington (pp.3-35). Virginia: American Psychiatric Publishing.
- Campbell, D. L., Hale, R. (1991). Suicidal acts. In J, Holmes (Éds.). *Textbook of psychotherapy: psychiatric practice* (pp.287-306). London: Churchill Livingstone.
- Carpentier, J. (2009). *Adolescents auteurs d'abus sexuels, carrière criminelle et facteurs associés* (Thèse de Philosophie Doctor (PH. D) en criminologie). Université de Montréal, Canada.
- Carpentier, J., Proulx, J. (2012). *Une étude descriptive d'un échantillon d'adolescents auteurs d'abus sexuelle référés*. In M. Jacob & al (E.d.), *La délinquance sexuelle des mineurs approche cliniques* (pp.25-58). Montréal : Presse de l'université de Montréal.
- Ceccarelli, P-R. (1995). *La formation des sentiments d'identité sexuelle chez le transsexuel* (Thèse du doctorat de psychanalyse). Université Paris 8, France.
- Chabert C. et al. (1990) Evaluation des processus de changement au cours du traitement d'adolescents psychotiques, *La Psychiatrie de l'Enfant*, 33, 1, 189-285.
- Chabert, C. (1993). Narcissisme et relations d'objet à l'adolescence, apport des épreuves projectives. *Bulletin de la société du Rorschach et des méthodes projectives de langue française*, 37, 183-194.
- Chabert, C. (1998). *La psychologie à l'épreuve du Rorschach*. Paris, France : Dunod.
- Chabert, C. (2007). Perspectives psychopathologiques. In R, Roussillon & al (Ed.), *Manuel de psychologie et psychopathologie clinique générale* (pp.585-604), Paris, France : Masson.
- Chagnon, J-y. (2000). Les troubles narcissiques chez les agresseurs sexuels, *Psychologie clinique et projective*, 6, 265-278.
- Chagnon, J-y. (2004). A propos des aménagements narcissico-pervers chez certains auteurs d'agressions sexuelles, étude de deux protocoles de Rorschach. *Psychologie clinique et projective*, 10(1), 147-186.
- Chagnon, J-E. (2005). Aux marges de la psychose, la perversité sexuelle. *Bulletin de psychologie*, 480(6), 663-670.
- Chagnon, J-E. (2014). Agressions sexuelles et dépendance à l'adolescence. *Agora*, Vol XVIII, 85-98.
- Chan Po Woo, Ph. (2009). *Prise en charge d'un patient état limite, de la pathologie du lien à la relation thérapeutique* (Travail de fin d'études, Diplôme d'Etat Infirmier). Institut de formation en soins infirmiers Charles Perrens. Bordeaux, France.

- Cherond, S. (2010). <http://www.tsa-algerie.com/divers/la-police-dévoile-les-chiffres-de-la-delinquance-des-mineurs-en-2010-15557.htm>
- Chartier, J-P. (2011). *Les adolescents difficiles, psychanalyse et éducation spécialisée*. Paris, DUNOD.
- Chevalier, Ch. (2014). *Introduction de soins et subjectivation chez l'auteur de violence sexuelle, approche clinique* (thèse de doctorat en psychologie). Université de Poitiers, France.
- Chevalier, V., Deschamp, D. (1997). *Le déplacement des jeunes délinquants sexuels en IPPJ, état des lieux et perspectives* (Mémoire de fin d'étude). Bruxelles, Belgique.
- Ciavaldini, A. (1999). *Psychopathologie des agresseurs sexuels*. Paris, France : Masson.
- Ciavaldini, A. (2001). *Psychopathologie des agresseurs sexuels*, Paris : Masson.
- Ciavaldini, A. (2006). La pédophilie, figure de la dépression primaire. *Revue Française de psychanalyse*, 1(70), 177-195.
- Ciccone, A. (2001). Enveloppe psychique et fonction contenante, modèles et pratiques. *Cahiers de psychologie clinique*, 2(17), 81-102.
- Clarkin, J. F., Yeaman, F., Kernberg, O. f. (2006). *Psychotherapy for borderline personality, focusing object relation*. Washington Dc: American psychiatric publishing.
- Cochez, F. (1999). *Psychiatrie et classifications des homicides* (thèse médecine). Université de Bordeaux, France.
- Corraze, J. (1998). Le moi peu ou le merveilleux psychanalytique. *Evaluation psychomotrices*, 40(10), 59-87.
- Coutanceau, R. (1992). Psychanalyse et criminologie. *Psychanalyse*, 45, 87-93.
- Cupa, D. (2006). *Psychanalyse de destructivité*. Paris, France : Collection pluriels de la psyché.
- Davis, G. E., Leitenberg, H. (1987). Adolescents sex offenders. *Psychological bulletin*, 101, 471-427.
- De Abreu E Silva, R. (2004). *La délinquance juvénile et la question de l'objet* (Thèse de doctorat en psychologie pathologique). Université de Paris 13, France.
- Debray, R. (1991). Réflexions actuelles sur le développement psychique des bébés et le point de vue psychosomatique. *Revue française de psychosomatique*, 1, 41-57.
- Dechaud-Februs, M & al. (1994). *Les destins du corps*. France : ERES.
- De Greef, E. (1952). *Les indices de l'état dangereux, premier cours international de criminologie*. Paris, France : PUF.
- Dejonghe, M & al. (2007). Apport du test de Rorschach dans l'évaluation diagnostique et pronostique d'adolescent auteurs d'infraction à caractère sexuel. *Psychologie clinique et projective*, 13, 347-369.
- De Tuche, C. (2000). La mentalisation : approche théorique et clinique projective à travers le test de Rorschach. *Bulletin de psychologie*, 4(448), 469-480.
- Devernay, M., Viaux-Savelon, S. (2014). Développement neuropsychique, de l'adolescent : les étapes à connaître. *Réalités pédiatriques*, 187, 1-7.
- Diguier, L., & al. (2006). *Personality organization diagnostic form, II: Manual for scoring*. University Laval. Retrieved from <https://constellation.uqac.ca/4837/1/manuel-PODF-31janvier05.pdf>

- Dorais, M. (1997). *Ça arrive aussi aux garçons*. Montréal, Canada : VLB.
- Dozois, J. (1994). Adolescent et agression sexuelle, Bilan d'une recherche. *Criminologie*, 27(2), 71-85.
- - Dozot, J-P & al. (2000). *Le paradoxe du passage à l'acte, l'agressivité n'est pas violence*. *Hop De jour psychiatr*, 2, 115-128.
<https://orbi.uliege.be/.../paradoxe%20du%20passage%20a%20l%27acte%20l%27agres>
- Drilot, G. (2014). Alexithymie et pensée opératoire. *Hermès la Revue*, 68(1), 73-81.
- Edoa-Mbatsogo, H-C. (2015). *L'accès violent dans la psychose chez l'adulte, étude psychopathologique au Cameroun* (thèse de doctorat). Université de Lausanne, Suisse
- Emmanuelli, M., Azoulay, C. (2001). *Les épreuves projectives à l'adolescence. Approche psychanalytique*, Paris, Dunod.
- Ey, H. (2006). *Etudes psychiatriques*. Vol 1, Tomes 1 et 2, Perpignan : CREHEY.
- Farges, F., Farges, S. (2002). Alexithymie et substance psychoactive. *Revue critique de la littérature. Psychotropes*, 8(02), 47-74.
- Favre, C. (2014). *Les émotions dans les agirs violents : approche psychanalytique* (thèse de doctorat de 4 cliniques). Université Paris Descartes, France.
- Fehrenbach, T., & al. (1986). Adolescents sex offenders, offender and offence characteristics. *American journal of orthopsychiatry*, 56, 225-233.
- Ferrari, P. (2001). *Actualités en psychiatrie de l'enfant et de l'adolescent*. Paris, France : Flammarion.
- Ferruta, A. (2009). Tensions entre théorie et technique dans l'utilisation clinique du concept d'identification à l'agresseur. *Revue Française de Psychanalyse*, 1(73), 57-67.
- Ficher, P. (1999). Male perpetrators of violence against women: an attachment perspective. *Journal of applied psychoanalyzes studies*, 1(7), 7-27.
- Fide, G. (2005). Pulsions d'agression, de la mise en acte à la représentation. *Imaginaire et inconsciente*, 16(2), 77-87.
- Figueredo, A., & al. (2000). A Brunswikian evolutionary developmental theory of adolescent sex offending. *Behavioral Sciences and the Law*, 18, 309-329.
- Fisher, S., Cleveland, S. (1958). *Body image and personality*. D, Van Nostand (Ed.): Company Inc.
- Fonagy, P. (1996, Novembre). *Le rôle de la mentalisation dans l'attachement, dans le développement affectif, et dans le trouble de la personnalité état-limite*. Communication présentée au colloque du Vaucresson, France.
- Fonagy, P., Bateman, A. W. (2007). Mentalizing and borderline personality disorder. *Journal of Mental health*, 16, 83-101.
- Freud, S. (1933). *Conférence 32, Angoisse et vie pulsionnelle*. In : nouvelles conférences d'introduction à la psychanalyse. Paris, France : Gallimard (1981), 111-149.
- Freud, S., Freud, A. (2001). *Complete psychological works of Sigmund Freud*. New York: Random House.
- Freud, S. (2002). *Inhibition, symptôme et angoisse*. Paris, France : PUF, 5^{ème} éd, 1993.
- Freud, S. (2017). *Pulsions et destins de pulsions*. Francoual, H (Trd.). Collection Freud en poche, Paris, France : Editions In PRESS. 1915
- Gamache, G. (2010). *Etude des caractéristiques intrapsychiques d'individus présentant une organisation limite de la personnalité selon la direction du passage à l'acte* (thèse de doctorat en psychologie, profil intervention). Université de Trois-Rivières. Canada.

- Gaudriault, P ; Baroth, J. (1990, Juillet). La représentation de l'objet dans le Rorschach. *13 Congrès International du Rorschach et des Méthodes Projectives*. Paris, France.
- Gibello, B. (2001). Les origines de la pensée, essai pour une tresse de la pensée en trois brins. *Neuropsychiatrie de l'enfant et l'adolescent*, 49, 48-52.
- Gilbert, S. (2006, Juin). *La recherche qualitative d'orientation psychanalytique : L'exemple de l'itinérance des jeunes adultes*. Conférence présentée au 1er Colloque international sur la Recherche qualitative : Bilan et prospective. Université Paul Valéry, Montpellier III. Les actes, 3, 274-286.
- GLowacz, F., Born, M. (2017). *Psychologie de la délinquance*. Bruxelles, Belgique : de Boeck Supérieure, 4^{ème} éd.
- Gobbard, G. D. (2005). *Psychodynamic psychiatry in clinical practice*. Washington DC: American psychiatric publishing. (4ed).
- Goldberg, J., Givre, P. (2004). Des subjectivations à l'adolescence. In P, Gutton & P, Bouret, S. *la naissance du pubertaire* (pp.125-151). Paris, France : Dunod.
- Gordon, R. (2003). La pulsion de mort et son rapport avec le soi. *Cahier jungien de psychanalyse*, 107 (2), 67-84.
- Gourlaouën-Couton, S. (2005). Traitement de la pulsion sexuelle et représentations masculine et féminines chez des hommes incarcérés pour viol. *Psychologie clinique et projective*, 11(1), 105-135.
- Gourmont, Ch. (2010). *Les adolescents recevant des services au centre jeunesse de la Montérégie en vertu de la loi sur le système de justice pénal pour adolescents, profil délictuel et caractéristiques du passage à l'acte violent* (Mémoire de grade de maîtrise et arts en psychoéducation). Université de Sherbrooke, Canada.
- Green, A. (1971). La déliaison. *Littérature*, 3, 33-52.
- Green, A. (1975). La sexualité et son économie. *Revue Française de psychanalyse*, 05-06, 905-918.
- Green, A. (1995). *La causalité psychique*. Paris, France : O. Jacob.
- Green, A. (2000). *La diachronie en psychanalyse*. Paris, France : Editions de Minuit
- Green, A. (2007). *Narcissisme de vie et Narcissisme de mort*. Paris, France : Editions de Minuit.
- Grumberger, B. (1971). *Le narcissisme*. Paris, France : Payot.
- Guénette, R. (2010). *Évaluation d'une intervention destinée aux enfants victimes d'agression sexuelle* (Mémoire de maîtrise en sexologie). Université du Québec, Montréal.
- Guilband, O., Corcos, M., Speranza, M. (2003). *L'alexithymie*. Paris, France : Dunod.
- Gutton, Ph. (2012). Violence par et dans l'adolescence. In J, Ain. *Violence chaudes, violences froides* (pp.103-113). Toulouse, France : ERES.
- Guzzo, P. (2008). *Evolution des angoisses et des mécanismes de décence chez un enfant après une année de psychothérapie psychanalytique* (Thèse de doctorat). Université de Québec à Montréal, Canada
- Haie, B., Douville, O. (2007). Le mathème du fantasme à l'adolescence. *Psychologie française*, 52, 123-136.
- Hall, G. C. N., Hirschman, R. (1991). Toward a theory of sexual aggression, a quadripartite model. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 59(5), 662-669.

- Hasevoets, Y-H. (2011). Transgressivité sexuelle et vulnérabilité psychique de certains adolescents au risque de la stigmatisation. *L'Evolution Psychiatrique*, 66 (3), 399-420.
- Haza, M., Kellet, P-H. (2005). Starifications chez l'adolescent suicidaire, une tentative pour penser ?. *Adolescent*, 53(3) : l'esprit du temps, 733-742.
- Hendin, H., Maltsberger, J., Lipschitz, A., Haas, P., Kyle, J. (2011). Recognizing and responding to a suicide crisis. *Suicide and life-threatening behavior*. 31(2), 115-128. <https://doi.org/10.1521/suli.31.2.115.21515>
- Heraut, J-H. (1993). Une nouvelle approche diagnostic et pronostique du fonctionnement psychologique de la personne délinquante ou criminelle à partir du Rorschach : l'étude des rapports entre violence, inhibition et socialisation banale. *Analise Psicológica*, 1(X), 115-128.
- Heurtevent, A. (2011). *Pour une approche globale et intégrée du phénomène sériel appliquée à une situation criminelle spécifique, le néonaticide* (Doctorat en psychologie). Université Rennes 2, France. <https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00648951>.
- Hirschelman, A. (2014). Les processus psychiques autour de l'homicide. In R, Coutanceau & J, Smith, *Violence aux personnes* (136-161). Paris, France : Dunod.
- Hoffmann, C. (2012). L'agir adolescent. *Le Bachelier*, France : ères.
- Houssier, F. (1998). *Le recours à l'acte à l'adolescence, fonction de la limite entre monde interne et monde externe* (thèse de doctorat en psychologie). Université Paris7, France.
- Houssier, F. (2001). Le traumatisme au regard des pathologies de l'acte : expérience de l'indicible. In F, Marty & coll. *Figures et traitement du traumatisme* (pp.59-81). Paris, France : Dunod.
- Houzel, D. (1994). Enveloppe familiale et fonction contenante. In D, Anzieu & al. *L'activité de la pensée, Emergence et troubles* (pp.27-40). Paris, France : Dunod.
- Houzel, D & al. (2000). *Dictionnaire psychopathologique de l'enfant et l'adolescent*. Paris, France : PUF.
- Hunter, J. A., Figueredo, A. J., Malamuth, N. M., & Becker, J. V. (2004). Developmental pathways in youth sexual aggression and delinquency: risk factors and mediators. *Journal of Family Violence*, 19, 233-242.
- Husain, O. (1991). Sélection de l'échantillon en recherche projective : pour une défense du groupe unique à faible visibilité groupale. *Bulletin de psychologie*, 44(402), 465-468.
- Jacquet, M., Corbeau, S. (2004). Mémoire corporelle et représentation de soi chez l'alcoolique investigation projective au Rorschach. *Psychologie Clinique et Projective*, 10(1) : ERES, 249- 274.
- Jeammet, Ph. (1993). Introduction, les tests projectifs à l'adolescence, point de vue d'un clinicien. *Bulletin de la société française du Rorschach et des méthodes projectifs*, 37, 3-6.
- Jeammet, Ph. (1995). Psychologie des conduites de dépendance et addiction à l'adolescence. *Clinique Méditerranéennes*, 47/48, 155-175.
- Jeammet, Ph. (1997). La violence comme réponse à une menace sur l'identité. *Filigrane*, 1(6), 11-19.
- Jeammet, Ph. (2004). *Adolescence*. Paris, France : La Découverte.
- Jeammet, Ph. (2005a). Adolescence et dépendance. *Psychotropes*, 11(3), 9-30.

- Jeammet, Ph. (2005b). L'excitation : un concept séduisant mais trompeur, pour une critique du point de vue économique en psychanalyse. *Revue française de psychanalyse*, IXIX (1), 103-120.
- Jeammet, Ph. (2006). Du bébé à l'adolescence, les chemins de la destructivité. *Le Carnet Psy*, 112(8), 21-29.
- Jeammet, Ph. (2009). *Paradoxes et dépendance à l'adolescent*. Bruxelles, Belgique : Yapaka.
- Jeanneau, Ph. (1999). La honte puissance originale de la passivité. *Revue française de psychanalyse*, 63, 1607-1611.
- Jeanneau, A., Rufo, M. (1998). Clinique de la dépression de l'adolescence. *Bulletin de psychologie*, 481(7), 2006, 409(7), 30-40.
<http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.694.1279&rep=rep1&type=pdf>.
- Joulain, P., Marnette, C. (2010). Emprise, Pulsion, Possession. *Cahiers Jungiens de psychanalyse*, 131(1), 73-95.
- Kaës, R. (1979). Introduction à l'analyse transitionnelle, In R, Kaës & al. *Crise, rupture et dépassement, analyse transitionnelle en psychanalyse individuelle et groupale* (pp.1-83). Paris, France : Dunod.
- Kassel, J. D., Wardle, M., Roberts, J. E. (2007). Adult attachment security and college student substance use. *Addictive Behaviors*, 6(132), 1164-1176.
- Katsounari, I.D. (2005). *A Methodological Review of MMPI and Rorschach Findings Assessing Combat-Related PTSD in Vietnam Veterans*. (Doctorat thésis). The Chicago School of Professional Psychology.
- Kelly, T. M., Kenedy, D. B., Hamant, R. J. (2003). Evaluation of an individualized treatment program for adolescent shoplifters. *Adolescence*, 152(38), 725-733.
- Kernberg, O. F. (1984). *Severe personality disorders, psychotherapy strategies*. New Haven: Yale University press.
- Kernberg, O. F. (1992). *Aggression in personality disorders and perversions*, New Haven: Yale University Press.
- Kernberg, O-F. (1997). *Les troubles limites de la personnalité*. Paris, Franc : Dunod.
- Kernberg, O. F. (2003). Borderline personality disorder and borderline organization, psychopathology and psychotherapy. In J, Jeffrey & W, Magnativa. (Eds). *Handbook of personality disorders, theory and practice* (pp.92-119). New-Jersey: Wiley Hoboken.
- Khemiri, K. A., Derivois, D. (2011). L'addiction à l'adolescence, entre affect et cognition, Symbolisation, inhibition cognitive et alexithymie. *Drogues, Santé et Société*, 2(10), 15-50.
- Klinteberg, B., Andersson, T., Magnusson, D., Stattin, H. (1993). Hyperactive behavior in childhood as related to subsequent alcohol problems and violent offending, a longitudinal study of male subjects. *Personality and individual differences*, 15, 381-388.
- Kim, M. S., Derivois, D. (2013). Enjeux psychiques de l'entretien clinique de recherche en contexte interculturel. *L'encéphale*, 39, 360-366.

- Kinable, J. (1998). Transgression et passage à l'acte psychopathique. In P, Joukheere. *Passage à l'acte* (pp.105-145). Bruxelles, Belgique : De Boeck université.
- Knight, R. A., Sims-Knight, J. E. (2003). The developmental antecedents of sexual coercion against women: Testing alternative hypotheses with structural equation modeling. *Annals of the New York Academy of Sciences*, 989, 72-85.
- Kohut, H. (1971). *Le soi, la psychanalyse des transferts narcissiques*. Paris, France : PUF.
- Lacan, J. (1962-1963). *Le séminaire, livre X. l'angoisse*. Paris, France : Le Seuil, 2004.
- Lacan, J. (1994). *Le séminaire, livre Iv, La relation d'objet*. Paris, France : Le Seuil.
- Lacan, J. (1966). *D'une question préliminaire à tout traitement possible de la psychose*. Paris, France : Seuil.
- Lachal, C. (2005). Suicide Boubers, Transgressions à l'adolescent et de l'acte à l'élaboration, l'élaboration. *Champ psychosomatique*, 2(38), l'esprit du temps, 51- 73.
- Ladame, F. (1981). *Les tentatives de suicide des adolescents*. Paris : Masson.
- Laffont, I., Servant, B. (2012). Crime ou ravissement. *Revue Française de psychanalyse*, 76(04), 1119-1134.
- Lafortune, D. (2006). La délinquance sexuelle à la lumière des épreuves projectives. In Ph, Thierry. *L'évaluation diagnostique des agresseurs sexuels* (pp.69-110). Liège, Belgique : Mardaga.
- Lane, R.D., Schwartz, G. E. (1987). Levels of emotional awareness, a cognitive developmental theory and its application to psychopathology. *Psychiatry*, 144, 133-143.
- Laplante, M. E. (2014). *L'acting out envers autrui et envers les objets, évaluation de l'impulsivité et de la relation d'objets* (Thèse de doctorat en psychologie). Université du Québec à Trois Rivières. Canada.
- Larochelle, S. (2000). *Relations d'objet et organisation de la personnalité, étude comparative d'un groupe de participants présentant des conduites pédophiliques et d'un groupe de comparaison* (Mémoire du grade de maîtrise en psychologie). Université Laval, Canada
- Lauru, D. (2004). *Passage à l'acte amoureux*. In D, Lauru & al. *L'agir adolescent* (pp.57-72), Toulouse, France : ERES.
- Laviolette, L. (1999). *Les caractéristiques intrapsychiques des sujets présentant un trouble de la personnalité limite en fonction du passage à l'acte suicidaire* (Mémoire de la maîtrise en psychologie), Université du Québec. Québec.
- Leclair, S. (1971). *Démasquer le réel, un essai sur l'objet en psychanalyse*. Paris, France : PUF.
- Leenaars, A., D, Leo., Diekstra, D., & al. (1997). Consultations for research in suicidology. *Archives of suicide research*, 3, 139-51.
- LeGoff, I. (2010). *Passage à l'acte et angoisse paroxystique, interrogation psychocriminologique* (Thèse de doctorat). Université de Rennes 2, France.
- Lemitre, S & al. (2006). Troubles des conduites sexuelles à l'adolescence, clinique, théorie et dispositif psychothérapeutique. *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence*, 54, 183-188. DOI : 10.1016/j.neurenf.2006.04.001.
- *Le petit Larousse illustré* (2014). France : Edition Larousse.
- Lesourd, S. (1998). Les objets des adolescents, In : *Agora, débats/jeunesses*, Jeunes et modalité urbaine, 13, 97-107.

- Léveillé, S. (2011). Etude comparative d'individus limites avec et sans passages à l'acte Hétéro-agressifs quant aux indices de mentalisation au Rorschach. *Revue Québécoise de psychologie*, 3(22), 53-65.
- Léveillé, S., Lefebvre, L. (2008). Homicide familial : affects, relations interpersonnelles et perception de soi (narcissisme). *Revue Québécoise de Psychologie*, 29(2), 65-84.
- Le Samedy, M. (2013). *Déterminants psychologiques des processus d'instauration de la dépendance Alcoolique et cannabique à l'adolescence, Etude des interactions des facteurs de personnalité, d'estime de soi et de difficultés interpersonnelles* (Thèse de doctorat). Université Française Rabelais de Tours, France.
- Loruttu, L., Sanna, N. M., Nivoli, G. (1998). Le passage à l'acte du schizophrène. In F, Millaud. *Le passage à l'acte, aspects cliniques et psychodynamiques* (pp.111-117), Paris : Masson.
- Lounis, E. (2014). *Criminologie et délinquance sexuelles*. France : Négrefont.
- Lyasse-Sanchez, S. (2002). *L'agressivité en clinique de l'étiopathologie de la chimiothérapie* (Thèse de docteur en médecine). Université Henri-Poincaré, France.
- Malandain, G. (2017). *Réflexion sur l'image du voleur au XIX siècle*. Publications de la Sorbonne. Récupéré de <http://www.publications-sorbonne.fr/fr/livre/?GCOI=28405100896240>
- Marshall, W. L., Barbaree, H. E. (1990). An integrated theory of the etiology of sexual offending. In W. L, Marshall., D.R, Laws., H.E, (dir.). *Handbook of sexual assault, Issues, theories, and treatment of the offenders* (257-275). New York: Plenum.
- Meloy, R. J. (1988). Violent and homicidal behavior in primitive states. *Journal of the American Academy of psychoanalysis*, 16(3), 381-398.
- Meloy, R. J. (1992). *Violent attachments*. London: Aronson.
- Moeller, S & al (2001). Psychiatric aspects of impulsivity. *The journal of psychiatry*, 158 (11), 1783-1793.
- Moffit, T. E. (1993). Adolescent limited and life-course-persistent antisocial behavior, development taxonomy. *Psychological Review*, 100(4), 674-701.
- Marty, F. (2001). Les parents face au risque de la violence des enfants et des Adolescents. *Le Carnet Psy*, Mensuel 35, 64, 25-33.
- Marty, F. (2009). La violence comme expression du mal-être à l'adolescence. *Adolescence*, 70(4), 1007-1017.
- Marty, F. (2012). Violence du fantasme incestueux à l'adolescence et traumatisme pubertaire. *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence*, 60, 345-349.
- Masquelier-Savatier, Ch. (1997). Les mécanismes d'urgence. *Revue Gestalt-thérapie*, 11, SFG, 59-85.
- Matha, C. (2018). *Les attaques du corps à l'adolescence, approche psychanalytique en clinique projective*. Paris, France : Dunod.
- Mazoyer, A. V. (2012). Perte d'objet et menace d'effondrement dans la psychopathologie de l'adolescence. *L'Evaluation psychiatrique*, 77(01), 53-66.
- McDougall, J. (1982). Alexithémia : a psychoanalytical vieux point. *psychother psychosom*, 38 (14), 81-90.
- McDougall, J. (1992). Corps et langage ; du langage du soma aux paroles de l'esprit. *Revue Française de Psychosomatique*, 2, 69-95.

- McDaugall, J. (2001). L'économie psychique de l'addiction. In V, Marinov & al. *Addictions, anorexie et fragilités narcissiques* (pp.102-116). Paris, France : PUF.
- Mekaoui, L. (2007). Place et Evolution du concept d'alexitymie dans les troubles psychosomatiques. *La lettre du psychiatre*, vol III (5-6). 96-99.
- Mellier, D. (2005). La fonction contenante, une Revue de la littérature. *Perspectives Psy*, 44(44), 303-310. <https://www.edimark.fr/Front/frontpost/getfiles/13291.pdf>
- Meloy, J. R., & Gacono, C. B. (1998). The internal world of the psychopath. Dans T. Million, E. Simonsen, & R. L. Davis (Éds.), *Psychopathy: Antisocial, criminal, and violent behavior* (pp .95-109). New York: The Guilford Press.
- Miel, C. (2002). L'indentification projective dans la toxicomanie. *Evolution psychiatrique*, 67, 326-336.
- Millaud, F. & al. (1992). Un inventaire pour l'évaluation de la dangerosité des patients psychiatriques. *Revue Canadienne de psychiatrie*, 9(37), 608-615.
- Millaud, F. (2009). *Le passage à l'acte*. Paris, France : Elsevier Masson.
- Moiyauze, M. (2001). Psychanalyse de « l'objet », « l'objet drogue », « l'objet alcool ». *Le Carnet*, 61(1), 17-22.
- Molinier, P. (2002). Féminité sociale et construction de l'identité sexuelle : perspectives théoriques et cliniques en psycho-dynamique du travail. *L'Orientation Scolaire et Professionnelle*, 31(4), 565-580.
- Moreau, A. (1997). Pour une apologie de la transgression ? Esquisse d'une typologie. *Kernos*, 10, 97-110.
- Morel, G. (2004). Le suicide est il un acte ?. *Savoir et Clinique*, 5(2) : ERES, 11-18.
- Moron, P. (1979). *Le suicide*. Paris, France : PUF.
- Muchielli, A. (2006, Juin). *Les processus intellectuels fondamentaux sous-jacents aux techniques et méthodes qualitatives*, Conférence présentée au 1er Colloque international, Recherche qualitative : Bilan et prospective. Montpellier, Les actes, 3, 27-29.
- Munier, V. (2004). Quelques réflexions autour du Tabou et du suicide. *Cahiers de psychologie clinique*, 1 (22) : De Boeck Supérieur, 171-184.
- M'Uzan, M. (1968). *De l'art à la mort*. France : Gallimard, 1977.
- Neau, F. (2005). Masculin maniaque?. *Psychologie Clinique et Projective*, 11, 35-78.
- Nicolaidis, G. (2009). Freud et Empédocle, pulsion de vie et pulsion de mort, amitié et discorde. *Revue française de psychanalyse*, 4(73), 1037-1054.
- Onanga M, CH. N. (2008). *Approche ethnologique et psychopathologique de la clinique du passage à l'acte* (Thèse de Doctorat en psychologie clinique). Université de Poitiers, France.
- O'Neill, R. M. (2005). Body Image, Body Boundary, and the Barrier and Penetration Rorschach Scoring System. In R. F, Bornstein & J. M, Masling (Éds). *Scoring the Rorschach: Seven Validated Systems* (pp.159-189). Mahwah: Lawrence Erlbaum.
- ONUDC. (2011). Office des Nations Unies contre la drogue et le crime. Etude Mondiale sur l'homicide, tendances, contextes, données. Récupéré de https://www.unodc.org/documents/data-and-analysis/statistics/Homicide/BOOK_Etude_mondiale_sur_lhomicide_2011_ebook.pdf
- Packer, J. D., A, Taylor. G. J., Bagby, R. M. (1998). Alexithymia relationship with ego defense and coping styles. *Compr Psychiatry*, 39, 91-98.

- Paillé, P., Mucchielli, A. (2005). *L'analyse qualitative en sciences humaines et sociale*. Paris, France : Armand Colin.
- Pavard, B., Karsenty. L. (1997). Différents niveaux d'analyse du contexte dans l'étude ergonomique de travail collectif. *Réseaux*, la coopération dans les situations de travail, 85(15), 73-99.
- Pedinielli, J. L. (1994). Corps et dépendance, Point de vue psycho-dynamique. In D, Bailly & J.L, Venisse. *Dépendance et conduite de dépendance* (pp.111-125). France : Masson.
- Pilon, S. (2015). *Propension aux fantaisies sexuelles déviantes chez les agresseurs sexuels : l'influence des antécédents de victimisation sexuelle subie* (Mémoire de la maîtrise en sexologie). Université de Québec, Québec.
- Pirolot, G. (1997). *Les passions du corps, la psyché dans les addictions et les maladies auto-immunes*. Paris, France : PUF.
- Pirolot, G. (2014). Alexithymia et pensée opératoire. *Hermès La Revue*, 68(1), 73-81.
- Pirolot, G., Pedinielli, J. L. (2005). *Les perversions*. Paris, France : Armand Colin.
- Pommier, G. (2006). Le désir «de» l'enfant et son avatar pédophile. *La clinique Lacanienne*, 10(1), 53-63.
- Proulx, J., St-yevs, M., Guay, P.J., Ouimet, M. (1999). Les agresseurs sexuels de femmes scénarios délictuels et troubles de la personnalité. In J, Proulx., Cusson, M., Ouimet, M. *les violences criminelles* (pp.157-185). Québec : les Press de l'Université Laval.
- Proulx, J., Beauregard, E. (2013). Les processus de passage à l'acte des agresseurs sexuels de femmes extrafamiliaux. In M, Cusson & al. *Traité des violences criminelles* (pp.141-186). Québec : Hurtubise.
- Quentric, E. (2014). *Idéaux du Moi et transgressions délictuelles à l'adolescent* (Thèse de Doctorat psychologie clinique). Université Paris V. France.
- Racamier, C. (1968). Agression et jalousie, deux singuliers visages de la dépression. *L'Evaluation psychiatrique*, 32, 291-304.
- Raoult, P.A. (2006). Clinique et psychopathologie du passage à l'acte. *Bulletin de psychologie*, 1(481), 7-16.
- Raoult, P. A., Labrune, L. (2014). *La honte à l'adolescence, de l'affect au lien social*. Paris, France : Press.
- Rausch de traubenberg, N. (1994). Le Rorschach, lieu d'interaction entre le percept et le fantasme. *Bulletin de la société française du Rorschach et des méthodes projectives*, 38, 123-136.
- Ravit, M. (2004). Le viol ou l'autre comme empreinte de soi. *Psychologie Clinique et Projective*, 10(1), 209-227.
- Raynaud, D. (2006). Contexte est il un concept pertinent de l'explication sociologique ?. *Année Sociologique*, PUF, 56, 309-330.
- Robert, P. (2000). *Le petit Robert, Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française*. Paris, France : Dictionnaire le Robert.
- Roghe, G. (2015). *Corps et antagonisme pulsionnel en psychanalyse, contribution à une psychanalyse de l'entre* (Doctorat de psychologie). Université Paris 7, France.
- Rosenfeld, H. A. (1961). De la toxicomanie. *Revue Française psychanalyse*, 25, 885-889.
- Roman, P. (1999). *Agonie, clivage, et symbolisation*. Paris, France : PUF.

- Roman, P. (2000). Clinique du clivage en méthode projective, violence et perte à l'adolescence. *Psychologie clinique et projective*, vol 6, Organisation et désorganisation psychiques chez l'enfant, 127-187.
- Roman, P. (2001). L'objet médium malléable et la conscience de soi. *l'Autre*, 2 (2), 241-254.
- Roman, P. (2003). Les aménagements pseudo : figures paradoxales de la résolution de la crise adolescente. *Psychothérapie*, 3(23), 139-147.
- Roman, P. (2004). La violence sexuelle et le processus adolescent, dynamiques des aménagements psychiques, des auteurs victime de violence sexuelle, l'apport des méthodes projectives. *Psychologie Clinique et Projective*, 10(1), 113-146.
- Roman, P. (2010). Pour introduire la question du langage du corps et de l'acte. In B, Glose & R, Roussillon. *La naissance de l'objet* (pp.177-189). Paris, PUF.
- Roman, P. (2017). Traces traumatiques et figures projectives des catastrophes de symbolisation. *Bulletin de Psychologie*, 4(550), 265-273.
- Roman, P. & al. (2007). *Manuel de psychologie et de psychopathologie clinique générale*. France : Elsevier-Masson.
- Roman, P. (2008). *Le feu et l'entre-je (u)*. Paris, France : PUF.
- Roustant, J-Ph. (2017). Psychologie du regard et de l'acte dans la clinique du sujet incarcéré (Thèse de doctorat Psychologie spécialité Neuropsychologie et psychopathologie). Université Valéry-Montpellier. <https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-01668580/document>
- Roussillon, R. (1999). Traumatisme primaire, clivage et liaison primaires non symboliques. In J-Y Chagnon(dir.), *45 commentaires de textes en psychopathologie psychanalytique, Agonie, clivage et symbolisation* (9-34), Paris : PUF.
- Roussillon, R. (2001). L'objet, l'expérience de satisfaction et l'intelligibilité. *Revue française de psychanalyse*, 4 (65), 1379-1387.
- Ruesch, J., Prestwood, A. R. (1961). Interaction processes and Personal Codifications. *J. Personality*, 18, 391-430.
- Sabourin, P. (2009). L'identification à l'agresseur chez l'enfant victime. *Enfance & Psy*, 45(4), 50-59.
- Samai-Haddadi, D. (2009). L'investissement des limites dans les maladies somatiques, illustration clinique. *Revue Sciences Humaines*, A (31), 5-20.
- Saint – Martin, C., Chabrol, H. (2008). Contributions des traits psychopathiques dans un échantillon de garçons adolescents scolaires. *L'Encéphale*, (36), 155-158, 2010.
- Schmidt, R., Lachini, A., George, R. W. M., Koller, J. (2015). Integrating a Suicideprevention program into a school mental health system: a case example from a rural school district. *Children & schools*, 37(1), 18-26.
- Schultz, L., Diwo, R., de Tychev, C. (2015). L'élaboration de l'agressivité a l'adolescence, étude structurale comparée basée sur le test de Rorschach. *L'Encéphale*, 41, 295-301.
- Segal, H. (1957). Notes sur la formation du symbole. *Guignard, F (trd.)*. In *RFP*, 34(04), 685- 696, 1970.
- Séguin, M., Terra, J.L. (2004). *Formation à l'intervention de crise suicidaire : manuel du formateur*. Paris : Ministère de la Santé et de la Protection sociale, Direction générale de la Santé.
- Senninger, J-L (1986). Personnalité schizoïde et actes criminels. *Act Psy*, 1, 23-28.

- Senninger, J-L. (2007). Notions de dangerosité en psychiatrie médico-légale, *EMC-Psychiatrie*. Paris, France : Elsevier Masson SAS.
- Senninger, J-L., Fantaa, V. (1999). *Psychopathologie de maladies dangereuse*. Paris, France : Dunod.
- Sifneos, P. E. (1973). The prevalence of “alexithymic” characteristics in psychosomatic patient. *Psychotherapy and psychosomatics*, 22(2), 255-262.
-
- Sioui, B. (2007). *Trajectoires de vie d'adolescents tenus responsables d'agression sexuelle* (Thèse de Doctorat). Université de Laval, Québec.
- Spengler, F. & al. (2000). *Dictionnaire des fantasmes, perversions et autres pratiques de l'amour*. Paris, France : Blanche.
- Stumpel, V. (2008). *Approche différentielle de la structure de personnalité des auteurs d'agressions sexuelles sur des mineurs : Comparaison de sujets structurés sur le mode pervers et de sujets ayant des traits pervers* (Thèse de doctorat en psychologie). Université Nancy 2, France.
- Summers, F. (1994). *Object relations theories and psychopathology, a comprehensive text*. London: the analytic press.
- Taylor, G. J., Doody, K., Newman, A. (1990). Alexithymie characteristics' in patients with psychoactive substance dependence. *American Journal of Psychiatry*, 26(147), 470-474.
- Terra, J. L., Seguin, M. (2008). *Evaluation du potentiel suicidaire, comment intervenir pour prévenir*. Paris, France : Elsevier.
- Timist, M., Bastin, P. (1985, Mars). L'agressivité à travers le test de Rorschach. In : Acte du colloque de la société Française du Rorschach et des méthodes projectives, Nice, *Psychologie médicale*, 1987, 19(4), 495-504.
- Tisseron, S. (1992). *La honte, psychanalyse d'un lien social*. Paris, France: Dunod.
- Troisi, A., Pasini, A., Saracco, M., Palletta, G. (1998). Psychiatric symptoms in male cannabis users not using other illicit drugs. *Addiction*, 4(93), 487-492.
- Tyrode, Y., Albernhe, Th. (1995). *Psychiatrie légale, sociale, hospitalière, expertale*. Paris, France : Ellipses.
- Urdang, L. (1991). *The Oxford Thesaurus an A-Z dictionary of synonyms*. Oxford, Royaume-Uni: Clarendon Press.
- Vandevoorde, J. (2013). Mise en évidence de trois états psychologique pré-passage à l'acte chez 32 patients hospitalisés pour tentative de suicide. *L'encéphale*, 39, 265-270.
- Vandevoorde, J., Andronikof, A., Baudoin, T., Baudoin, E., Januel, A. (2012). Reconstitution et modélisation de processus suicidaire chez le suicidant. *L'Evolution psychiatrique*, 77, 352-372.
- Vincent, J. (2013). *Les troubles du contrôle des impulsions en droit pénal Canadien* (Mémoire de maîtrise en droit). Université de Montréal. Montréal.
- Vigel, C & al (2008). The relationship between functional and dysfunctional impulsivity and aggression across different samples. *The Spanish journal of psychology*, II, 480-487.
- Vigneron, E & al. (2006). Le passage à l'acte chez une personnalité limite, l'agir comme acte de parole. *L'Information Psychiatrique*, 82, 139-144.
- Villerbu, L.M ; Pignol, P. (2007). *Traumatismes psychiques*. Paris : Elsevier Masson.

- Vion, M. (1995). Quel contexte pour le traitement du discours ?. *L'Année Psychologique*, 1(95), 131-163.
- Voyenne, C. (2009, Avril). XXXII Conférence d'introduction à la psychanalyse, Angoisse et vie pulsionnelle. Paris, France : Gallimard.
- Webster, H. (1952). *La Taboue étude sociologique*. In J, Marty (trd.), Paris, France: Payot. 1998.
- Widlocher, D. (1997). d'un préliminaire, le fait criminel est il un fait psychopathologique. In T, Albernhu. *Criminologie et Psychiatrie* (pp.20-29), Paris, France : Ellipses.
- Winnicott, D. W. (1962). Vues personnelles sur l'apport de Mélanie Klein. In J, - kalmanovitch (trd.), *Processus de maturation chez l'enfant : développement affectif et environnement* (pp.139-150). Paris, France : Payot. 1970.
- Yeamans, F. E., Clarkin, J. f., Kerenberg, O. F. (2002). *A primer of transference focused psychotherapy for the borderline patient*. New Jersey: Fason Aronson.
- Zaltzman, N. (1998). *De la guérison psychanalytique*. Paris, France : PUF, Collection Epitres.
- Zeiller, B., Couraud, S. (1994). Adolescents criminels : aspects psychopathologiques. *Droit et Société*, 27, 365-374.
- Zemmermann, G & al. (2007). Qualité psychométrique de la version française de TAS-20 et prévalence de l'alexithymie chez 264 adolescents tous- venants. *Encéphale*, 33, 941-946.
- Ziolkovski, M., Gruss, T., Rybakovski, J.K. (1995). Does alexithymia in male alcoholics constitute a negative factor for maintaining abstinence?. *Psychotherapy Psychosomatics*, 63, 169-173.

الملاحق

الملحق رقم 1:

اللوائح والمواد الخاصة بقانون الأحداث

لتوضيح المعيار القانوني المعتمد في الدراسة الحالية سنستند إلى كل من:

- قانون الاجراءات الجزائية الجزائري.
- قانون حماية الطفل، الجريدة الرسمية الجزائرية.
- قانون العقوبات الجزائري.

المعيار القانوني الذي يتم التعامل به في حالات المراهق الجانح ينهل من:

- قانون الاجراءات الجزائية الجزائري.
- قانون حماية الطفل، الجريدة الرسمية الجزائرية.
- قانون العقوبات الجزائري.

تجدر الإشارة إلى أن محتوى المواد القانونية المعتمدة في كل من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري وقانون العقوبات تصب في قانون حماية الطفولة وعليه سنتطرق بصورة مباشرة لهذه المواد:

قانون رقم 15-12 مؤرخ في 28 رمضان عام 1436 الموافق 15 يوليو سنة 2015، يتعلق بحماية الطفل. مؤرخ في 28 رمضان عام 1436 الموافق 15 يوليو سنة 2015، يتعلق بحماية الطفل

إن رئيس الجمهورية،

-بناء على الدستور، لاسيما المواد 34 و35 و53 و54 و58 و59 و63 و65 و119 و122 و125/2 و126 و132 منه،

-وبمقتضى اتفاقية حقوق الطفل التي وافقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 20 نوفمبر سنة 1989 والمصادق عليها مع تصريحات تفسيرية بموجب المرسوم الرئاسي رقم 92-461 المؤرخ في 24 جمادى الثانية عام 1413 الموافق 19 ديسمبر سنة 1992،

-وبمقتضى الميثاق الإفريقي لحقوق الطفل ورفاهيته، المعتمد بأديس أبابا في يوليو سنة 1990 والمصادق عليه بموجب المرسوم الرئاسي رقم 03-242 المؤرخ في 8 جمادى الأولى عام 1424 الموافق 8 يوليو سنة 2003،

-وبمقتضى البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الإباحية، المعتمد بنيويورك في 25 مايو سنة 2000 والمصادق عليه بموجب المرسوم الرئاسي رقم 06-299 المؤرخ في 9 شعبان عام 1427 الموافق 2 سبتمبر سنة 2006،

-وبمقتضى البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة المعتمدة بنيويورك في 25 مايو سنة 2000 والمصادق عليه بموجب المرسوم الرئاسي رقم 06-300 المؤرخ في 9 شعبان عام 1427 الموافق 2 سبتمبر سنة 2006،

- وبمقتضى اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة المعتمدة من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة في 13 ديسمبر سنة 2006 والمصادق عليها بالمرسوم الرئاسي رقم 09-188 المؤرخ في 17 جمادى الأولى عام 1430 الموافق 12 مايو سنة 2009،
- وبمقتضى القانون العضوي رقم 05-11 المؤرخ في 10 جمادى الثانية عام 1426 الموافق 17 يوليو سنة 2005 والمتعلق بالتنظيم القضائي،
- وبمقتضى القانون العضوي رقم 12-05 المؤرخ في 18 صفر عام 1433 الموافق 12 يناير سنة 2012 والمتعلق بالإعلام،
- وبمقتضى الأمر رقم 66-155 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق 8 يونيو سنة 1966 والمتضمن قانون الإجراءات الجزائية، المعدل والمتمم، - وبمقتضى الأمر رقم 66-156 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق 8 يونيو سنة 1966 والمتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم،
- وبمقتضى الأمر رقم 70-20 المؤرخ في 13 ذي الحجة 1389 الموافق 19 فبراير سنة 1970 والمتعلق بالحالة المدنية، المعدل والمتمم،
- وبمقتضى الأمر رقم 70-86 المؤرخ في 17 شوال عام 1389 الموافق 15 ديسمبر سنة 1970 والمتضمن قانون الجنسية الجزائرية، المعدل والمتمم،
- وبمقتضى الأمر رقم 71-57 المؤرخ في 14 جمادى الثانية عام 1391 الموافق 5 غشت سنة 1971 والمتعلق بالمساعدة القضائية، المعدل والمتمم،
- وبمقتضى الأمر رقم 72-03 المؤرخ في 25 ذي الحجة عام 1391 الموافق 10 فبراير سنة 1972 والمتعلق بحماية الطفولة والمراهقة، - وبمقتضى الأمر رقم 75-58 المؤرخ في 20 رمضان عام 1395 الموافق 26 سبتمبر سنة 1975 والمتضمن القانون المدني، المعدل والمتمم،
- وبمقتضى الأمر رقم 75-64 المؤرخ في 20 رمضان عام 1395 الموافق 26 سبتمبر سنة 1975 والمتضمن إحداث المؤسسات والمصالح المكلفة بحماية الطفولة والمراهقة،
- وبمقتضى القانون رقم 81-07 المؤرخ في 14 شعبان عام 1401 الموافق 27 يونيو سنة 1981 والمتعلق بالتمهين، المعدل والمتمم، - وبمقتضى القانون رقم 83-11 المؤرخ في 21 رمضان عام 1403 الموافق 2 يوليو سنة 1983 والمتعلق بالتأمينات الاجتماعية، المعدل والمتمم،
- وبمقتضى القانون رقم 83-13 المؤرخ في 21 رمضان عام 1403 الموافق 2 يوليو سنة 1983 والمتعلق بحوادث العمل والأمراض المهنية، المعدل والمتمم، - وبمقتضى القانون رقم 84-11 المؤرخ في 9 رمضان عام 1404 الموافق 9 يونيو سنة 1984 والمتضمن قانون الأسرة، المعدل والمتمم،

- وبمقتضى القانون رقم 85-05 المؤرخ في 26 جمادى الأولى عام 1405 الموافق 16 فبراير سنة 1985 والمتعلق بحماية الصحة وترقيتها، المعدل والمتمم،
- وبمقتضى القانون رقم 88-07 المؤرخ في 7 جمادى الثانية عام 1408 الموافق 26 يناير سنة 1988 والمتعلق بالوقاية الصحية والأمن وطب العمل،
- وبمقتضى القانون رقم 90-11 المؤرخ في 26 رمضان عام 1410 الموافق 21 أبريل سنة 1990 والمتعلق بعلاقات العمل، المعدل والمتمم، - وبمقتضى القانون رقم 02-09 المؤرخ في 25 صفر عام 1423 الموافق 8 مايو سنة 2002 والمتعلق بترقية الأشخاص المعوقين وحمايتهم،
- وبمقتضى القانون رقم 05-04 المؤرخ في 27 ذي الحجة عام 1425 الموافق 6 فبراير سنة 2005 والمتضمن قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين،
- وبمقتضى القانون رقم 08-04 المؤرخ في 15 محرم عام 1429 الموافق 23 يناير سنة 2008 والمتضمن القانون التوجيهي للتربية الوطنية،
- وبمقتضى القانون رقم 08-09 المؤرخ في 18 صفر عام 1429 الموافق 25 فبراير سنة 2008 والمتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية،
- وبمقتضى القانون رقم 11-10 المؤرخ في 20 رجب عام 1432 الموافق 22 يونيو سنة 2011 والمتعلق بالبلدية،
- وبمقتضى القانون رقم 12-06 المؤرخ في 18 صفر عام 1433 الموافق 12 يناير سنة 2012 والمتعلق بالجمعيات،
- وبمقتضى القانون رقم 12-07 المؤرخ في 28 ربيع الأول عام 1433 الموافق 21 فبراير سنة 2012 والمتعلق بالولاية، -وبمقتضى القانون رقم 13-05 المؤرخ في 14 رمضان عام 1434 الموافق 23 يوليو سنة 2013 والمتعلق بتنظيم الأنشطة البدنية والرياضية وتطويرها،
- وبمقتضى القانون رقم 14-04 المؤرخ في 24 ربيع الثاني عام 1435 الموافق 24 فبراير سنة 2014 والمتعلق بالنشاط السمعي البصري،
- وبعد رأي مجلس الدولة،
- وبعد مصادقة البرلمان، يصدر القانون الآتي نصه:
- الباب الأول:**

أحكام عامة

المادة 1: يهدف هذا القانون إلى تحديد قواعد وآليات حماية الطفل.

المادة 2: يقصد في مفهوم هذا القانون بما يأتي: "الطفل": كل شخص لم يبلغ الثامنة عشر (18) سنة كاملة، يفيد مصطلح "حدث" نفس المعنى، "سن الرشد الجزائري": بلوغ ثمانية عشرة (18) سنة كاملة. تكون العبرة في تحديد سن الرشد الجزائري بسن الطفل الجانح يوم ارتكاب الجريمة.

المادة 9: للطفل المتهم بارتكاب أو محاولة ارتكاب جريمة الحق في محاكمة عادلة.

الباب الثالث: القواعد الخاصة بالأطفال الجانحين

الفصل الأول: في التحري الأولي والتحقيق والحكم

القسم الأول: في التحري الأولي

المادة 48: لا يمكن أن يكون محل توقيف للنظر، الطفل الذي يقل سنه عن ثلاث عشرة (13) سنة المشتبه في ارتكابه أو محاولة ارتكابه الجريمة.

المادة 49: إذا دعت مقتضيات التحري الأولي ضابط الشرطة القضائية أن يوقف للنظر الطفل الذي يبلغ سنه ثلاث عشرة (13) سنة على الأقل ويشتبه أنه ارتكب أو حاول ارتكاب جريمة، عليه أن يطلع فورا وكيل الجمهورية ويقدم له تقريرا عن دواعي التوقيف للنظر.

لا يمكن أن تتجاوز مدة التوقيف للنظر أربعاً وعشرين (24) ساعة، ولا يتم إلا في الجرح التي تشكل إخلالا ظاهرا بالنظام العام وتلك التي يكون الحد الأقصى للعقوبة المقررة فيها يفوق خمس (5) سنوات حبسا وفي الجنايات. يتم تمديد التوقيف للنظر وفقا للشروط والكيفيات المنصوص عليها في قانون الإجراءات الجزائية وفي هذا القانون.

كل تمديد للتوقيف للنظر لا يمكن أن يتجاوز أربعاً وعشرين (24) ساعة في كل مرة. إن انتهاك الأحكام المتعلقة بآجال التوقيف للنظر، كما هو مبين في الفقرات السابقة، يعرض ضابط الشرطة القضائية للعقوبات المقررة للحبس التعسفي.

المادة 50: يجب على ضابط الشرطة القضائية، بمجرد توقيف طفل للنظر، إخطار ممثله الشرعي بكل الوسائل، وأن يضع تحت تصرف الطفل كل وسيلة تمكنه من الاتصال فورا بأسرته ومحاميه وتلقي زيارتها له وزيارة محام وفقا لأحكام قانون الإجراءات الجزائية، وكذا إعلام الطفل بحقه في طلب فحص طبي أثناء التوقيف للنظر.

المادة 51: يجب على ضابط الشرطة القضائية إخبار الطفل الموقوف للنظر بالحقوق المذكورة في المادتين 50 و54 من هذا القانون ويشار إلى ذلك في محضر سماعه.

يجب إجراء فحص طبي للطفل الموقوف للنظر، عند بداية ونهاية مدة التوقيف للنظر، من قبل طبيب يمارس نشاطه في دائرة اختصاص المجلس القضائي، ويعينه الممثل الشرعي للطفل، وإذا تعذر ذلك يعينه ضابط الشرطة القضائية.

ويمكن وكيل الجمهورية، سواء من تلقاء نفسه أو بناء على طلب من الطفل أو ممثله الشرعي أو محاميه، أن يندب طبيبا لفحص الطفل في أي لحظة أثناء التوقيف للنظر.

يجب أن ترفق شهادات الفحص الطبي بملف الإجراءات تحت طائلة البطلان.

المادة 52: يجب على ضابط الشرطة القضائية أن يدون في محضر سماع كل طفل موقوف للنظر، مدة سماعه وفترات الراحة التي تخللت ذلك واليوم والساعة الذين أطلق سراحه فيهما، أو قدم فيهما أمام القاضي المختص وكذا الأسباب التي استدعت توقيف الطفل للنظر.

ويجب أن يوقع على هامش هذا المحضر، بعد تلاوته عليهما، الطفل وممثله الشرعي أو يشار فيه إلى امتناعهما عن ذلك.

ويجب أن تقيّد هذه البيانات في سجل خاص ترقم وتختتم صفحاته ويوقع عليه من طرف وكيل الجمهورية، ويجب أن يمكّن على مستوى كل مركز للشرطة القضائية يحتمل أن يستقبل طفلا موقوفا للنظر.

يجب أن يتم التوقيف للنظر في أماكن لائقة تراعي احترام كرامة الإنسان وخصوصيات الطفل واحتياجاته وأن تكون مستقلة عن تلك المخصصة للبالغين، تحت مسؤولية ضابط الشرطة القضائية.

يجب على وكيل الجمهورية وقاضي الأحداث المختصين إقليميا زيارة هذه الأماكن دوريا وعلى الأقل مرة واحدة كل شهر.

المادة 53: تقيّد البيانات والتأشيريات المنصوص عليها في المادة 52 من هذا القانون في سجلات الإقرارات لدى الهيئات أو المصالح التي يلزم فيها ضباط الشرطة القضائية بمسكها. وتتسخ البيانات وحدها في المحضر الذي يرسل إلى السلطة القضائية.

المادة 54: إن حضور المحامي أثناء التوقيف للنظر لمساعدة الطفل المشتبه فيه ارتكاب أو محاولة ارتكاب جريمة، وجوبي. وإذا لم يكن للطفل محام، يعلم ضابط الشرطة القضائية فورا وكيل الجمهورية المختص لاتخاذ الإجراءات المناسبة لتعيين محام له وفقا للتشريع الساري المفعول. غير أنه، وبعد الحصول على إذن من وكيل الجمهورية، يمكن الشروع في سماع الطفل الموقوف بعد مضي ساعتين من

بداية التوقيف للنظر حتى وإن لم يحضر محاميه وفي حالة وصوله متأخرا تستمر إجراءات السماع في حضوره.

إذا كان سن المشتبه فيه ما بين 16 و18 سنة وكانت الأفعال المنسوبة إليه ذات صلة بجرائم الإرهاب والتخريب أو المتاجرة بالمخدرات أو بجرائم مرتكبة في إطار جماعة إجرامية منظمة وكان من الضروري سماعه فورا لجمع أدلة أو الحفاظ عليها أو للوقاية من وقوع اعتداء وشيك على الأشخاص، يمكن سماع الطفل وفقا لأحكام المادة 55 من هذا القانون دون حضور محام وبعد الحصول على إذن من وكيل الجمهورية.

المادة 55: لا يمكن لضابط الشرطة القضائية أن يقوم بسماع الطفل إلا بحضور ممثله الشرعي إذا كان معروفا.

القسم الثاني: في التحقيق

المادة 56: لا يكون محلا للمتابعة الجزائية الطفل الذي لم يكمل العشرة (10) سنوات. يتحمل الممثل الشرعي للطفل المسؤولية المدنية عن الضرر الذي لحق بالغير.

المادة 57: لا يكون الطفل الذي يتراوح سنه من عشر (10) سنوات إلى أقل من ثلاث عشرة (13) سنة عند تاريخ ارتكابه الجريمة إلا محل تدابير الحماية والتهديب.

المادة 58: يمنع وضع الطفل الذي يتراوح سنه من عشر (10) سنوات إلى أقل من ثلاث عشرة (13) سنة في مؤسسة عقابية ولو بصفة مؤقتة. ويمنع وضع الطفل البالغ من العمر ثلاث عشرة (13) سنة إلى ثماني عشرة (18) سنة في مؤسسة عقابية ولو بصفة مؤقتة، إلا إذا كان هذا الإجراء ضروريا واستحال اتخاذ أي إجراء آخر.

وفي هذه الحالة، يوضع الطفل بمركز لإعادة التربية وإدماج الأحداث أو بجناح خاص بالأحداث في المؤسسات العقابية عند الاقتضاء.

المادة 59: يوجد في كل محكمة قسم للأحداث، يختص بالنظر في الجناح والمخالفات التي يرتكبها الأطفال.

ويختص قسم الأحداث الذي يوجد بمقر المجلس القضائي بالنظر في الجنايات التي يرتكبها الأطفال.

المادة 60: يحدد الاختصاص الإقليمي لقسم الأحداث بالمحكمة التي ارتكبت الجريمة بدائرة اختصاصها أو التي بها محل إقامة أو سكن الطفل أو ممثله الشرعي أو محكمة المكان الذي عثر فيه على الطفل أو المكان الذي وضع فيه.

المادة 61: يعين في كل محكمة تقع بمقر المجلس القضائي قاض للأحداث أو أكثر، بقرار من وزير العدل، حافظ الأختام، لمدة ثلاث (3) سنوات.

أما في المحاكم الأخرى، فإن قضاة الأحداث يعينون بموجب أمر من رئيس المجلس القضائي لمدة ثلاث (3) سنوات. يختار قضاة الأحداث من بين القضاة الذين لهم رتبة نائب رئيس محكمة على الأقل. يعين في كل محكمة قاضي تحقيق أو أكثر، بموجب أمر لرئيس المجلس القضائي، يكلفون بالتحقيق في الجنايات المرتكبة من قبل الأطفال.

المادة 62: يمارس وكيل الجمهورية الدعوى العمومية لمتابعة الجرائم التي يرتكبها الأطفال. إذا كان مع الطفل فاعلون أصليون أو شركاء بالغون، يقوم وكيل الجمهورية بفصل الملفين ورفع ملف الطفل إلى قاضي الأحداث في حال ارتكاب جنحة مع إمكانية تبادل وثائق التحقيق بين قاضي التحقيق وقاضي الأحداث وإلى قاضي التحقيق المكلف بالأحداث في حالة ارتكاب جنائية.

المادة 63: يمكن كل من يدعي إصابته بضرر ناجم عن جريمة ارتكبها طفل أن يدعي مدنيا أمام قسم الأحداث.

وإذا كان المدعي المدني قد تدخل لضم دعواه المدنية إلى الدعوى التي تباشرها النيابة العامة فإن ادعاءه يكون أمام قاضي الأحداث أو قاضي التحقيق المكلف بالأحداث أو قسم الأحداث.

أما المدعي المدني الذي يقوم بدور المبادرة في تحريك الدعوى العمومية فلا يجوز له الإدعاء مدنيا إلا أمام قاضي التحقيق المكلف بالأحداث بالمحكمة التي يقيم بدائرة اختصاصها الطفل.

المادة 64: يكون التحقيق إجباريا في الجنح والجنايات المرتكبة من قبل الطفل ويكون جوازيا في المخالفات.

لا تطبق إجراءات التلبس على الجرائم التي يرتكبها الطفل.

المادة 65: دون الإخلال بأحكام المادة 64 أعلاه، تطبق على المخالفات المرتكبة من طرف الطفل قواعد الاستدعاء المباشر أمام قسم الأحداث.

المادة 66: البحث الاجتماعي إجباري في الجنايات والجنح المرتكبة من قبل الطفل ويكون جوازيا في المخالفات.

المادة 67: إن حضور محام لمساعدة الطفل وجوبي في جميع مراحل المتابعة والتحقيق والمحاكمة. وإذا لم يقيم الطفل أو ممثله الشرعي بتعيين محام، يعين له قاضي الأحداث محاميا من تلقاء نفسه أو يعهد ذلك إلى نقيب المحامين.

في حالة التعيين التلقائي، يختار المحامي من قائمة تعدها شهريا نقابة المحامين وفقا للشروط والكيفيات المحددة في التشريع والتنظيم المعمول بهما.

المادة 68: يخطر قاضي الأحداث الطفل وممثله الشرعي بالمتابعة.

يقوم قاضي الأحداث بإجراء التحريات اللازمة للوصول إلى إظهار الحقيقة وللتعرف على شخصية الطفل وتقرير الوسائل الكفيلة بتربيته.

ويجري قاضي الأحداث بنفسه أو يعهد إلى مصالح الوسط المفتوح، بإجراء بحث اجتماعي تجمع فيه كل المعلومات عن الحالة المادية والمعنوية للأسرة، وعن طباع الطفل وسوابقه وعن مواظبته في الدراسة وسلوكه فيها وعن الظروف التي عاش وتربى فيها. ويأمر قاضي الأحداث بإجراء فحص طبي ونفساني وعقلي إن لزم الأمر.

المادة 69: يمارس قاضي الأحداث أثناء التحقيق جميع صلاحيات قاضي التحقيق المنصوص عليها في قانون الإجراءات الجزائية.

المادة 70: يمكن قاضي الأحداث أو قاضي التحقيق المكلف بالأحداث اتخاذ تدبير واحد أو أكثر من التدابير المؤقتة الآتية:

- تسليم الطفل إلى ممثله الشرعي أو إلى شخص أو عائلة جديرين بالثقة،

- وضعه في مؤسسة معتمدة مكلفة بمساعدة الطفولة،

- وضعه في مركز متخصص في حماية الطفولة الجانحة. ويمكنها، عند الاقتضاء، الأمر بوضع الطفل تحت نظام الحرية المراقبة، وتكليف مصالح الوسط المفتوح بتنفيذ ذلك.

تكون التدابير المؤقتة قابلة للمراجعة والتغيير.

المادة 71: يمكن قاضي الأحداث أن يأمر بالرقابة القضائية وفقا لأحكام قانون الإجراءات الجزائية، إذا كانت الأفعال المنسوبة للطفل قد تعرضه إلى عقوبة الحبس.

المادة 72: لا يمكن وضع الطفل رهن الحبس المؤقت إلا استثناء وإذا لم تكن التدابير المؤقتة المنصوص عليها في المادة 70 أعلاه كافية، وفي هذه الحالة يتم الحبس المؤقت وفقا للأحكام المنصوص عليها في

المادتين 123 و 123 مكرر من قانون الإجراءات الجزائية وأحكام هذا القانون.

لا يمكن وضع الطفل الذي يقل سنه عن ثلاث عشرة (13) سنة رهن الحبس المؤقت.

المادة 73: لا يمكن في مواد الجرح، إذا كان الحد الأقصى للعقوبة المقررة في القانون هو الحبس أقل من ثلاث (3) سنوات أو يساويها، إيداع الطفل الذي يتجاوز سنه ثلاث عشرة (13) سنة رهن الحبس المؤقت.

وإذا كان الحد الأقصى للعقوبة المقررة قانونا هو الحبس أكثر من ثلاث (3) سنوات، فإنه لا يمكن إيداع الطفل الذي يبلغ سن ثلاث عشرة (13) سنة إلى أقل من ست عشرة سنة رهن الحبس المؤقت إلا في الجرح التي تشكل إخلالا خطيرا وظاهرا بالنظام العام أو عندما يكون هذا الحبس ضروريا لحماية الطفل ولمدة شهرين (2) غير قابلة للتجديد. ولا يجوز إيداع الطفل الذي يبلغ سن ست عشرة (16) سنة إلى أقل من ثماني عشرة (18) سنة، رهن الحبس المؤقت إلا لمدة شهرين (2) قابلة للتجديد مرة واحدة.

المادة 74: يتم تمديد الحبس المؤقت في الجرح وفقا لأحكام قانون الإجراءات الجزائية للمدة المقررة في المادة 73 أعلاه.

المادة 75: مدة الحبس المؤقت في مادة الجنايات شهران (2)، قابلة للتمديد وفقا للشروط والكيفيات المنصوص عليها في قانون الإجراءات الجزائية.

كل تمديد للحبس المؤقت لا يمكن أن يتجاوز شهرين (2) في كل مرة.

المادة 76: تطبق على الأوامر التي يصدرها قاضي الأحداث أو قاضي التحقيق المكلف بالأحداث أحكام المواد من 170 إلى 173 من قانون الإجراءات الجزائية.

غير أنه إذا تعلق الأمر بالتدابير المؤقتة المنصوص عليها في المادة 70 من هذا القانون، فإن مهلة الاستئناف تحدد بعشرة (10) أيام.

ويجوز أن يرفع الاستئناف من الطفل أو محاميه أو ممثله الشرعي أمام غرفة الأحداث بالمجلس القضائي.

المادة 77: إذا تبين لقاضي الأحداث أن الإجراءات قد تم استكمالها، يرسل الملف، بعد ترقيمه من طرف كاتب التحقيق، إلى وكيل الجمهورية الذي يتعين عليه تقديم طلباته خلال أجل لا يتجاوز خمسة (5) أيام من تاريخ إرسال الملف.

المادة 78: إذا رأى قاضي الأحداث أو قاضي التحقيق المكلف بالأحداث أن الوقائع لا تكوّن أي جريمة أو أنه لا توجد دلائل كافية ضد الطفل أصدر أمرا بألا وجه للمتابعة ضمن الشروط المنصوص عليها في المادة 163 من قانون الإجراءات الجزائية.

المادة 79: إذا رأى قاضي الأحداث أن الوقائع تكوّن مخالفة أو جنحة، أصدر أمرا بالإحالة أمام قسم الأحداث.

إذا رأى قاضي التحقيق المكلف بالأحداث أن الوقائع تكون جنائية، أصدر أمرا بالإحالة أمام قسم الأحداث لمقر المجلس القضائي المختص.

القسم الثالث: في الحكم أمام قسم الأحداث

المادة 80: يتشكل قسم الأحداث من قاضي الأحداث رئيسا، ومن مساعدين محلفين اثنين. (2)

يقوم وكيل الجمهورية أو أحد مساعديه بمهام النيابة. يعاون قسم الأحداث بالجلسة أمين ضبط. يعين المساعدون المحلفون الأصليون والاحتياطيون لمدة ثلاث (3) سنوات بأمر من رئيس المجلس القضائي المختص، ويختارون من بين الأشخاص الذين يتجاوز عمرهم ثلاثين (30) عاما والمتمتعين بالجنسية الجزائرية والمعروفين باهتمامهم وتخصصهم في شؤون الأطفال. ويختار المساعدون المحلفون من قائمة معدة من قبل لجنة تجتمع لدى المجلس القضائي، تمدد تشكيلتها وكيفية عملها بقرار من وزير العدل، حافظ الأختام.

يؤدي المساعدون المحلفون أمام المحكمة قبل الشروع في ممارسة مهامهم اليمينية الآتية: "أقسم بالله العلي العظيم أن أخلص في أداء مهنتي وأن أكتف سر المداورات والله على ما أقول شهيد."

المادة 81: تطبق على المخالفات والجنح والجنايات المرتكبة من قبل الطفل إجراءات المحاكمة المنصوص عليها في هذا القانون.

المادة 82: تتم المرافعات أمام قسم الأحداث في جلسة سرية. يفصل قسم الأحداث بعد سماع الطفل وممثله الشرعي والضحايا والشهود وبعد مرافعة النيابة العامة والمحامي، ويجوز له سماع الفاعلين الأصليين في الجريمة أو الشركاء البالغين على سبيل الاستدلال.

ويمكن قسم الأحداث، إعفاء الطفل من حضور الجلسة إذا اقتضت مصلحته ذلك، وفي هذه الحالة، ينوب عنه ممثله الشرعي بحضور المحامي ويعتبر الحكم حضوريا. ويمكن الرئيس أن يأمر في كل وقت بانسحاب الطفل في كل المرافعات أو في جزء منها.

وإذا تبين أن الجريمة التي ينظرها قسم الأحداث بوصفها جنحة تكون في الحقيقة جنائية فيجب على قسم الأحداث غير المحكمة الموجودة بمقر المجلس القضائي أن يحيلها لهذه المحكمة الأخيرة، وفي هذه

الحالة فإنه يجوز لقسم الأحداث هذا، قبل البت فيها، أن يأمر بإجراء تحقيق تكميلي ويندب لهذا الغرض قاضي التحقيق المكلف بالأحداث.

المادة 83: يفصل قسم الأحداث في كل قضية على حدة في غير حضور باقي المتهمين.

ولا يسمح بحضور المرافعات إلا للممثل الشرعي للطفل ولأقاربه إلى الدرجة الثانية ولشهود القضية والضحايا والقضاة وأعضاء النقابة الوطنية للمحامين، وعند الاقتضاء، ممثلي الجمعيات والهيئات المهمة بشؤون الأطفال ومندوبي حماية الطفولة المعنيين بالقضية.

المادة 84: إذا أظهرت المرافعات أن الوقائع موضوع المتابعة لا تشكل أية جريمة أو أنها غير ثابتة أو غير مسندة إلى الطفل، قضى قسم الأحداث ببراءته. أما إذا أظهرت المرافعات إدانته قضى قسم الأحداث بتدابير الحماية والتهديب أو بالعقوبات السالبة للحرية أو بالغرامة وفقا للكيفيات المنصوص عليها في هذا القانون. ويمكن أن يكون الحكم القاضي بتدابير الحماية والتهديب مشمولاً بالنفاذ المعجل رغم المعارضة أو الاستئناف.

المادة 85: دون الإخلال بأحكام المادة 86 أدناه، لا يمكن في مواد الجنايات أو الجنح أن يتخذ ضد الطفل إلا تدبير واحد أو أكثر من تدابير الحماية والتهديب الآتي بيانها:

- تسليمه لممثله الشرعي أو لشخص أو عائلة جديرين بالثقة،

- وضعه في مؤسسة معتمدة مكلفة بمساعدة الطفولة،

- وضعه في مدرسة داخلية صالحة لإيواء الأطفال في سن الدراسة،

- وضعه في مركز متخصص في حماية الأطفال الجانحين. ويمكن قاضي الأحداث، عند الاقتضاء، أن يضع الطفل تحت نظام الحرية المراقبة وتكليف مصالح الوسط المفتوح بالقيام به، ويكون هذا النظام قابلاً للإلغاء في أي وقت.

ويتعين، في جميع الأحوال، أن يكون الحكم بالتدابير المذكورة آنفاً لمدة محددة لا تتجاوز التاريخ الذي يبلغ فيه الطفل سن الرشد الجزائي. يتعين على قسم الأحداث عندما يقضي بتسليم الطفل إلى شخص أو عائلة جديرين بالثقة، أن يحدد الإعانات المالية اللازمة لرعايته وفقاً للأحكام المنصوص عليها في هذا القانون.

المادة 86: يمكن جهة الحكم بصفة استثنائية بالنسبة للطفل البالغ من العمر من ثلاث عشرة (13) سنة إلى ثماني عشرة (18) سنة، أن تستبدل أو تستكمل التدابير المنصوص عليها في المادة 85 أعلاه،

بعقوبة الغرامة أو الحبس وفقا للكيفيات المحددة في المادة 50 من قانون العقوبات، على أن تسبب ذلك في الحكم.

المادة 87: يمكن قسم الأحداث، إذا كانت المخالفة ثابتة، أن يقضي بتوبيخ الطفل أو الحكم عليه بعقوبة الغرامة وفقا لأحكام المادة 51 من قانون العقوبات. غير أنه لا يمكن أن يتخذ في حق الطفل الذي يتراوح عمره من عشر (10) سنوات إلى أقل من ثلاث عشرة (13) سنة سوى التوبيخ وإن اقتضت مصلحته ذلك، وضعه تحت نظام الحرية المراقبة وفقا لأحكام هذا القانون.

المادة 88: تقام الدعوى المدنية ضد الطفل مع إدخال ممثله الشرعي.

وإذا وجد في قضية واحدة متهمون بالغون وآخرون أطفال وأراد المدعي المدني مباشرة الدعوى المدنية في مواجهة الجميع، رفعت الدعوى المدنية أمام الجهة القضائية الجزائية التي يعهد إليها بمحاكمة البالغين، وفي هذه الحالة لا يحضر الأطفال في المرافعات وإنما يحضر نيابة عنهم في الجلسة ممثلوهم الشرعيون. ويجوز إرجاء الفصل في الدعوى المدنية إلى أن يصدر حكم نهائي بإدانة الطفل.

المادة 89: ينطق بالحكم الصادر في الجرائم المرتكبة من قبل الطفل في جلسة علنية.

المادة 90: يجوز الطعن في الحكم الصادر في الجرح والجنايات المرتكبة من قبل الطفل بالمعارضة والاستئناف.

يجوز استئناف الحكم الصادر في المخالفات المرتكبة من قبل الطفل أمام غرفة الأحداث بالمجلس وفقا لأحكام المادة 416 من قانون الإجراءات الجزائية، كما يجوز الطعن فيه بالمعارضة.

تطبق على التخلف عن الحضور والمعارضة الأحكام المنصوص عليها في المواد من 407 إلى 415 من قانون الإجراءات الجزائية. ويجوز رفع المعارضة والاستئناف من الطفل أو ممثله الشرعي أو محاميه، دون الإخلال بأحكام المادة 417 من قانون الإجراءات الجزائية.

القسم الرابع: في غرفة الأحداث للمجلس القضائي

المادة 91: توجد بكل مجلس قضائي غرفة للأحداث. تتشكل غرفة الأحداث من رئيس ومستشارين اثنين (2)، يعينون بموجب أمر من رئيس المجلس القضائي من بين قضاة المجلس المعروفين باهتمامهم بالطفولة و/أو الذين مارسوا كقضاة للأحداث.

يحضر الجلسات ممثل بالنيابة العامة وأمين ضبط.

المادة 92: تفصل غرفة الأحداث وفقا للأشكال المحددة في المواد من 81 إلى 89 من هذا القانون.

المادة 93: يخول رئيس غرفة الأحداث في حالة الاستئناف كافة السلطات المخولة لقاضي الأحداث بمقتضى المواد من 67 إلى 71 من هذا القانون.

المادة 94: تطبق على استئناف أوامر قاضي الأحداث وأحكام قسم الأحداث، الصادرة في المخالفات والجنح والجنايات المرتكبة من قبل الأطفال، الأحكام منصوص عليها في المواد من 417 إلى 428 من قانون الإجراءات الجزائية.

المادة 95: يمكن الطعن بالنقض في الأحكام والقرارات النهائية الصادرة عن الجهات القضائية للأحداث. ولا يكون للطعن بالنقض أثر موقف إلا بالنسبة لأحكام الإدانة الجزائية التي يقضى بها تطبيقاً لأحكام المادة 50 من قانون العقوبات.

القسم الخامس: في تغيير ومراجعة تدابير مراقبة وحماية الأحداث

المادة 96: يمكن قاضي الأحداث تغيير أو مراجعة تدابير الحماية والتهديب في أي وقت بناء على طلب النيابة العامة أو بناء على تقرير مصالح الوسط المفتوح أو من تلقاء نفسه، مهما كانت الجهة القضائية التي أمرت بها. غير أنه، يتعين على قاضي الأحداث أن يرفع الأمر لقسم الأحداث إذا كان هناك محل لاتخاذ تدبير من تدابير الوضع في شأن الطفل الذي سلم لممثله الشرعي أو لشخص أو عائلة جديرين بالثقة.

المادة 97: يجوز للممثل الشرعي تقديم طلب إرجاع الطفل إلى رعايته إذا مضت على تنفيذ الحكم الذي قضى بتسليم الطفل أو وضعه خارج أسرته ستة (6) أشهر على الأقل، وذلك بعد إثبات أهليته لتربية الطفل وثبوت تحسن سلوك هذا الأخير. كما يمكن الطفل أن يطلب إرجاعه إلى رعاية ممثله الشرعي. يؤخذ بعين الاعتبار سن الطفل عند تغيير التدبير أو مراجعته.

وفي حالة رفض الطلب، لا يمكن تجديده إلا بعد انقضاء ثلاثة (3) أشهر من تاريخ الرفض. المادة 98: يكون مختصاً إقليمياً بالفصل في جميع المسائل العارضة وطلبات تغيير التدابير المتخذة في شأن الطفل:

-قاضي الأحداث أو قسم الأحداث الذي فصل في النزاع أصلاً،

-قاضي الأحداث أو قسم الأحداث الذي يقع بدائرة اختصاصه موطن الممثل الشرعي للطفل أو موطن صاحب العمل أو المركز الذي وضع الطفل فيه بأمر من القضاء وذلك بتقويض من قاضي الأحداث أو قسم الأحداث الذي فصل أصلاً في النزاع،

-قاضي الأحداث أو قسم الأحداث الذي يقع بدائرة اختصاصه مكان وضع الطفل أو حبسه وذلك بتقويض من قاضي الأحداث أو قسم الأحداث الذي فصل أصلاً في النزاع. غير أنه، إذا كانت القضية

تقتضي السرعة، يمكن قاضي الأحداث الذي يقع في دائرة اختصاصه مكان وضع الطفل أو حبسه أن يأمر باتخاذ التدابير المؤقتة المناسبة.

المادة 99: يجوز شمول الأحكام الصادرة في شأن المسائل العارضة أو طلبات تغيير التدابير المتعلقة بالحرية المراقبة أو بالوضع أو بالتسليم، بالنفاذ المعجل رغم المعارضة أو الاستئناف ويرفع الاستئناف إلى غرفة الأحداث بالمجلس القضائي.

الفصل الثاني: في مرحلة التنفيذ

القسم الأول: في الحرية المراقبة

المادة 100: في كل الأحوال التي يتقرر فيها نظام الحرية المراقبة، يخطر الطفل وممثله الشرعي بطبيعة هذا التدبير والغرض منه والالتزامات التي يفرضها.

المادة 101: يتم تنفيذ الحرية المراقبة للطفل بدائرة اختصاص المحكمة التي أمرت بها أو محكمة موطن الطفل، من قبل مندوبين دائمين ومندوبين متطوعين. يتولى المندوبون الدائمون، تحت سلطة قاضي الأحداث، إدارة وتنظيم عمل المندوبين المتطوعين، ويباشرون أيضا مراقبة الأطفال الذين عهد إليهم القاضي برعايتهم شخصيا.

المادة 102: يختار المندوبون الدائمون من بين المربين المتخصصين في شؤون الطفولة.

يعين قاضي الأحداث المندوبين المتطوعين من بين الأشخاص الذين يبلغ عمرهم إحدى وعشرين (21) سنة على الأقل، الذين يكونون جديرين بالثقة وأهلا للقيام بإرشاد الأطفال. تحدد شروط وكيفيات تطبيق هذه المادة، عند الاقتضاء، عن طريق التنظيم.

المادة 103: يقوم المندوبون الدائمون أو المندوبون المتطوعون، في إطار نظام الحرية المراقبة بمهمة مراقبة الظروف المادية والمعنوية للطفل وصحته وتربيته وحسن استخدامه لأوقات فراغه.

ويقدمون تقريرا مفصلا عن مهمتهم لقاضي الأحداث كل ثلاثة (3) أشهر. كما يقدمون له تقريرا فوريا كلما ساء سلوك الطفل أو تعرض لخطر معنوي أو بدني وعن كل إيذاء يقع عليه، وكذلك في الحالات التي يتعرضون فيها لصعوبات تعرقل أداءهم لمهامهم، وبصفة عامة في كل حادثة أو حالة تستدعي إجراء تعديل في التدبير المتخذ من طرف قاضي الأحداث.

المادة 104: في حالة وفاة الطفل أو مرضه مرضا خطيرا أو تغيير محل إقامته أو غيابه بغير إذن، يتعين على ممثله الشرعي أو صاحب العمل أن يخطر قاضي الأحداث فورا.

المادة 105: تدفع مصاريف انتقال المندوبين المكلفين برقابة الأطفال من مصاريف القضاء الجزائي.

القسم الثاني: في تنفيذ الأحكام والقرارات

المادة 106: تقيّد الأحكام والقرارات الصادرة عن الجهات القضائية الخاصة بالأحداث في سجل خاص يمسكه كاتب الجلسة.

المادة 107: تقيّد الأحكام والقرارات الصادرة عن الجهات القضائية الخاصة بالأحداث والمتضمنة تدابير الحماية والتهديب وكذلك تلك المتضمنة العقوبات المحكوم بها ضد الأطفال الجانحين في صحيفة السوابق القضائية، غير أنه لا يشار إليها إلا في القسيمة رقم 2 المسلمة للجهات القضائية.

المادة 108: إذا أعطى صاحب الشأن ضمانات أكيدة على أنه قد صلح حاله جاز لقسم الأحداث، بعد انقضاء مهلة ثلاث (3) سنوات اعتباراً من يوم انقضاء مدة تدبير الحماية والتهديب، أن يأمر بناء على عريضة مقدمة من صاحب الشأن أو من النيابة العامة أو من تلقاء نفسه بإلغاء القسيمة رقم 1 المنوه بها عن التدبير.

وتختص بالنظر في ذلك كل من المحكمة التي طرحت أمامها المتابعة أصلاً أو محكمة الموطن الحالي للمعني أو مكان ميلاده، ولا يخضع الأمر الصادر عنها لأي طريق من طرق الطعن. وإذا صدر الأمر بالإلغاء أُلغيت القسيمة رقم 1 المتعلقة بذلك التدبير.

المادة 109: تلغى بقوة القانون من صحيفة السوابق القضائية العقوبات التي نفذت على الطفل الجانح وكذا التدابير المتخذة في شأنه بمجرد بلوغه سن الرشد الجزائي.

الفصل الثالث: في الوساطة

المادة 110: يمكن إجراء الوساطة في كل وقت من تاريخ ارتكاب الطفل للمخالفة أو الجنحة وقبل تحريك الدعوى العمومية.

. لا يمكن إجراء الوساطة في الجنايات.

. إن اللجوء إلى الوساطة يوقف تقادم الدعوى العمومية ابتداءً من تاريخ إصدار وكيل الجمهورية لمقرر إجراء الوساطة.

المادة 111: يقوم وكيل الجمهورية بإجراء الوساطة بنفسه أو يكلف بذلك أحد مساعديه أو أحد ضباط الشرطة القضائية. تتم الوساطة بطلب من الطفل أو ممثله الشرعي أو محاميه أو تلقائياً من قبل وكيل الجمهورية.

. إذا قرر وكيل الجمهورية اللجوء إلى الوساطة، يستدعي الطفل وممثله الشرعي والضحية أو ذوي حقوقها ويستطلع رأي كل منهم.

المادة 112: يحرر اتفاق الوساطة في محضر يوقعه الوسيط وبقية الأطراف وتسلم نسخة منه إلى كل طرف.

إذا تمت الوساطة من قبل ضابط الشرطة القضائية، فإنه يتعين عليه أن يرفع محضر الوساطة إلى وكيل الجمهورية لاعتماده بالتأشير عليه.

المادة 113: يعتبر محضر الوساطة الذي يتضمن تقديم تعويض للضحية أو ذوي حقوقها سندا تنفيذيا ويمهر بالصيغة التنفيذية طبقا لأحكام قانون الإجراءات المدنية والإدارية.

المادة 114: يمكن أن يتضمن محضر الوساطة تعهد الطفل، تحت ضمان ممثله الشرعي، بتنفيذ التزام واحد أو أكثر من الالتزامات الآتية في الأجل المحدد في الاتفاق:

- إجراء مراقبة طبية أو الخضوع لعلاج، - متابعة الدراسة أو تكوين متخصص،

- عدم الاتصال بأي شخص قد يسهل عودة الطفل للإجرام. يسهر وكيل الجمهورية على مراقبة تنفيذ الطفل لهذه الالتزامات.

المادة 115: إن تنفيذ محضر الوساطة ينهي المتابعة الجزائية. في حالة عدم تنفيذ التزامات الوساطة في الأجل المحدد في الاتفاق، يبادر وكيل الجمهورية بمتابعة الطفل

الباب الرابع:

الفصل الثالث: حماية الطفل داخل مراكز إعادة التربية وإدماج الأحداث

المادة 128: يتم إيداع الطفل المحكوم عليه بعقوبة سالبة للحرية في مراكز إعادة تربية وإدماج الأحداث أو عند اللزوم في الأجنحة المخصصة للأحداث بالمؤسسات العقابية.

المادة 129: يجب اختيار الموظفين العاملين مع الأطفال داخل المراكز والأجنحة المذكورة في المادة 128 أعلاه، على أساس الكفاءة والخبرة، ويجب أن يتلقوا تكوينًا خاصًا بكيفية التعامل مع الطفل داخل هذه المراكز.

المادة 130: يخطر الطفل وجوبًا بحقوقه وواجباته داخل المراكز أو الأجنحة المذكورة في هذا الفصل فور دخوله إليها.

المادة 131: يجب أن يستفيد الطفل المودع داخل مركز إعادة تربية وإدماج الأحداث وفي الأجنحة المخصصة للأحداث بالمؤسسات العقابية من الترتيبات التي تستهدف تحضير عودته إلى حياة الأسرة والمجتمع، وأن يتلقى من أجل ذلك برامج التعليم والتكوين والتربية والأنشطة الرياضية والترفيهية التي تتناسب مع سنه وجنسه وشخصيته.

المادة 132: تخضع مراكز إعادة التربية وإدماج الأحداث والأجنحة المخصصة للأحداث بالمؤسسات العقابية، لأحكام قانون تنظيم السجون وإعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين
حرر بالجزائر في 28 رمضان عام 1436 الموافق 15 يوليو سنة 2015..

الملحق رقم 2:

معايير تقدير الاستجابات عاجز/اختراق

معايير تقدير الاستجابات حاجز/اختراق لكل من (Ficher 1970)

(O'Neil, 2005) Cleveland: ترجمة خاصة من طرف الباحثة.

قدم Ficher (1970) طريقة لتقدير الاستجابات من النوع حاجز/اختراق، حيث تتضمن الاستجابات من النوع حاجز 7 مجموعات، وتتضمن الاستجابات من النوع اختراق 6 مجموعات، وتأتي كالتالي:

• بالنسبة لتقدير الاستجابات من النوع حاجز لدينا:

1- كل استجابة ترجع إلى قطعة ملابس، سواء منفردة أو ملبوسه. هذه المجموعة تتضمن: المجوهرات، الاكسيسوارات مثل: الأقراط، السوار، الرموش الصناعية، الشعر المستعار، وكل ما يتضمن حماية للجسم أو التمويه (مثل: الدرع، ضمادات، خوذة، تنكر، غطاء الأنف، قناع، جبس Plâtre، حجاب). وكذلك الأشياء المربوطة بالجسم مثل: جهاز السمع، أجنحة، أسطوانة هواء، نظارات، زعانف، أدوات الزحف).

2- كل استجابة ترجع إلى مبنى أو بنية محددة الشكل مثل: قوس، سياج، منزل، مترو، جسر، شرفة، برج، نفق)، بالإضافة إلى المدركات التي ترجع إلى المركبات التي لها القدرة على الاحتواء مثل: المصعد، السيارات، الطائرة، القارب، الدراجة، رافعة التزليج، القطار.

3- كل استجابة ترجع إلى أشياء حاوية مثل: الكرة، علبة، قارورة، قفص، كرسي، غلاف، شبكة، سرير، كتاب، عش، محمصة الخبز، بئر، حقيبة، كوب، فتحة، زجاج. وحتى الأشياء الحية التي تملك خاصية الاحتواء مثل: الحمل، المرأة الحامل، الكنغر. والأشياء التي تستعمل كغطاء مثل: البضائع على ظهر الحمار، بطانية، الطحالب، جلد الدب، السجاد، غطاء الطاولة، والأشياء التي تخفي مثل: شاشة، شاشة دخان، ستائر، شيء خلف الشجرة.

4- كل كائن حي (باستثناء الإنسان) والذي يتم وصفه بأنه يملك سطح خاص مثل: مغطى بالريش، صلبة، رطبة، مخطط، ذو شعر، استجابات ترجع إلى اللون لا يتم حسابها، الكثير من الحيوانات التي تملك جلد خاص يتم ضمها وتقديرها إذا كان وجودها يتعدى الرأس فقط مثل: التمساح، القندس، الحرياء، الماعز، فرس النهر، أسد، السحلية، الضريان، الأغنام، الطاووس، البطريق، الفقمة، وحيد القرن، الفهد، الحمار الوحشي.

5- كل مخلوق يملك بنية حامية مثل: الصبار، الحلزون، سرطان البحر، حشرة القشرة، السلاحف.

6- أي إشارة إلى تشكيلات جغرافية أو طبيعية تملك خصائص التحديد والاحتواء مثل: قبو، مسار داخل غابة، بحيرة، واد، نهر، بركان.

• مجموعة التقدير الخاصة بالاستجابات اختراق:

- 1- كل إجابة ترجع إلى الاختراق: ضرر، تدمير شيء أو شخص حي مثلا، حيوان يتعرض للضرب، تشريح، عمارة مفجرة، جرح، سرطان، سترة بالية جدا، ندبه، جسم مفتوح، قلع الأسنان، زهرة مريضة، حشرة سحق، شخص بذراع مبتورة، شخص مغتال، شخص يقتل، مريض، جرح، قرعه، منشار يقطع الخشب، منزل قديم متدهور.
- 2- كل استجابة ترجع إلى فتح أو شق للجسم أو حركة تتضمن الفتح مثل: الولادة، شرب، الشرح، فم، المشي، الأكل، العض، البصق، التبرز، الأنف (بشكل منفصل)، إخراج اللسان، فرج، القيء.
- 3- كل رجوع إلى مدركات تتضمن التحايل والهروب من الحدود المعتادة للجسم والأشياء مثل: المقطع العرضي للجسم، داخل الجسم، الأشعة X، السكانير، ملابس شفافة، النظر من خلال.
- 4- كل رجوع إلى عملية دخول أو خروج من البنية أو وسائل مستعملة مثل: نوافذ، دخان يخرج من أنبوب أو مدخنة، باب، نظام خروج السيارة.
- 5- كل رجوع إلى الحوادث الطبيعية التي تتضمن دخول المادة وخروجها أو طرحها مثل: الحمم البركانية، حرارة، خروج النفط من الأرض.
- 6- كل مدرك غير محدد أو تغيب عنه الحدود مثل: شبح، فكر، ظل.

الملحق رقم 3:

نسخ عن الطلبات (التصريح باجراء بحث ميداني) مؤشر
عليها بالموافقة والمقدمة للمصالح الإدارية المسؤولة عن
المؤسسات والمراكز التي أجريت بها الدراسة



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الصحة و السكان و إصلاح المستشفيات

المركز الإستشفائي الجامعي - سطيف
الرقم : ٤٣٤ / م.م.ب / م.ف.ت.ت / 17

تعليمة مطليةة

بناءا على المراسلة الواردة من طرف رئيس كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة محمد لمين دباغين و المتضمنة السماح للطالبة : بومعزة فتيحة ، بإجراء فترة تربية تطبيقية.

و بناءا على موافقة المدير العام ، الطبيب رئيس مصلحة الإستعجالات الجراحية

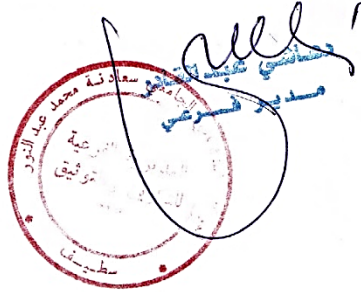
يسمح للمعني بإجراء التريض المذكور أعلاه ابتداء من: 02 / 11 / 2017 إلى غاية: 02 / 02 / 2018 على

مستوى مصلحة الإستعجالات الجراحية.

ملاحظة : على المعني(ة) بالأمر احترام النظام الداخلي للمؤسسة.

سطيف في: -----

٤ / المدير العام



الإرسال :

- * رئيسة مصلحة الإستعجالات الجراحية للتكفل.
- * المعني(ة) للتفويض.
- * الملف + المحفوظات.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الصحة و السكان و إصلاح المستشفيات

المركز الإستشفائي الجامعي - سطيف
الرقم : 408 / م.م.ب/ م.ف.ت.ت/ 17

تعليمة مصالحة

بناء على المراسلة الواردة من طرف رئيس كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة فرحات محمد لمين دباغين سطيف ، و المتضمنة السماح للطلبة : بومعزة فتيحة بإجراء فترة تربصية تطبيقية.

و بناء على موافقة المدير العام ، الطبيب رئيس مصلحة الإستعجالات الطبية الجراحية.

يسمح للمعنية بإجراء التربص المذكور أعلاه ابتداء من: 27/07/2017 إلى غاية: 27/10/2017 على

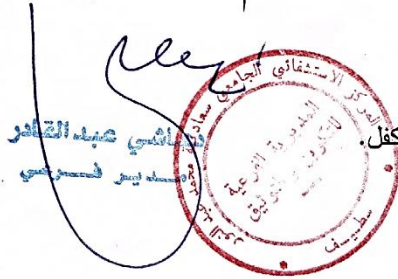
مستوى مصلحة الإستعجالات الطبية الجراحية.

ملاحظة : على المعني(ة) بالأمر احترام النظام الداخلي للمؤسسة.

26 JUL. 2017

----- سطيف في:

رؤ المدير العام



الإرسال :

* الطبيب رئيس مصلحة الإستعجالات الطبية الجراحية للتكفل.

* المعني(ة) للتنفيذ.

* الملف + المحفوظات.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Sétif 2
Faculté des Sciences Humaines et Sociales



جامعة سطيف 2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الباحثة: بومعزة فتيحة
أستاذة بجامعة محمد لمين
دباغين سطيف

إلى السيد: رئيس مصلحة الطب العقلي
سطيف

الموضوع: طلب الموافقة على إجراء بحث ميداني

لسي عظيم الشرف أن أتقدم إلى سيادتكم المحترمة بطلبي
المتمثل أعلاه.

أحيطكم علما بأنني بصدد انجاز بحث دكتوراه علوم، تخصص علم النفس
العيادي، حول الانتحار والإدمان لدى المراهق، لذا نرجو من سيادتكم السماح باستكمال
الإجراءات التطبيقية للبحث على مستوى مؤسستكم.

في انتظار ردكم بالقبول، أتفضل بتقديم فائق الاحترام
والتقدير.

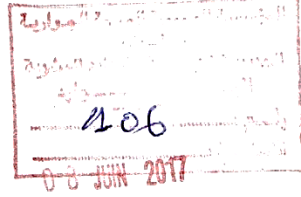


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Mohamed Lamine Debaghine
SETIF 2
Faculté des Sciences Humaines et Sociales



جامعة محمد لمين دباغين
سطيف 2
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية



الباحثة: بومعزة فتيحة
أستاذة بجامعة محمد لمين دباغين سطيف

إلى السيد: مدير المؤسسة العمومية للصحة الجوارية
- حشمي- سطيف

الموضوع: طلب الموافقة بإجراء بحث ميداني

لي عظيم الشرف أن أتقدم إلى سيادتكم المحترمة بطلبي
التمثل أعلاه.

أحيطكم علما بأنني بصدد انجاز بحث دكتوراه علوم، تخصص علم النفس
العيادي، حول إدمان المراهق، لذا نرجو منكم السماح باستكمال الإجراءات التطبيقية
بمركز مكافحة الإدمان والمخدرات بالمؤسسة العمومية للصحة الجوارية بلير .

في انتظار ردكم بالقبول، أنفضل بتقديم فائق الاحترام
والتقدير.

إمضاء
مدير المؤسسة الجوارية للصحة العمومية
المدير المؤسسة العمومية
للصحة الجوارية
بلير
المدير
-01-
دلالة سطيف

إمضاء
عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
عبد الكلية
الكلية
فهد نصر الدين خراف

A DE TAIDI (CCTSA)
Pour le suivi

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Mohamed Lamine Debaghine
SETIF 2
Faculté des Sciences Humaines et Sociales



جامعة محمد لمين دباغين
سطيف 2
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

ورد في1.9..SEP..2017.....
رقم146.....

الباحثة: بومعزة فتيحة
أستاذة بجامعة محمد لمين دباغين سطيف

إلى السيد: مدير مديرية النشاط الاجتماعي- سطيف

الموضوع: طلب الموافقة بإجراء بحث ميداني

لي عظيم الشرف أن أتقدم إلى سيادتكم المحترمة بطلبي
المتمثل أعلاه.

أحيطكم علما بأنني بصدد انجاز بحث دكتوراه علوم، تخصص علم النفس
العيادي، حول انحراف الأحداث، لذا نرجو منكم السماح باستكمال الإجراءات
التطبيقية بمركز إعادة التربية عبد الواحد خزناجي بسطيف.

في انتظار ردكم بالقبول، أنفضل بتقديم فائق الاحترام
والتقدير.

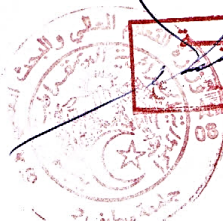
مدير مديرية النشاط الاجتماعي- سطيف



تمسود 22 ماي 2017
1810

امضاء
عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

أ.د. ميلود سبيح



جامعة محمد لمين دباغين
سطيف 2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مدير مديرية النشاط الاجتماعي- سطيف

الملحق رقم 4:

صيغة الموافقة المستنيرة

صيغة الموافقة المستنيرة

الموافقة من أجل المشاركة في البحث

تحتوي صيغة الموافقة المستنيرة التالية مجموعة من المحاور التي تتضمن محتوى البحث، اهدافه والاجراءات التطبيقية التي يتعين عليك المشاركة بها؛ سيتم عرض هذه المحاور بتسلسل معين حتى يتسنى لك باعتبارك أحد أفراد مجموعة البحث الاطلاع على محتواها كاملا مع منحك كامل الحرية لقراءتها، الاستفسار حول أي محور من محاورها، طلب التوضيح، أوحتى الرفض. بعد انتهاء هذه الخطوة التوضيحية التي تعتبر شرط أساسي لاستكمال إجراءات البحث؛ نرجو منك التكرم بالامضاء في صيغة الموافقة المرفقة المخصصة لك. شكرا.

عنوان البحث:

سياقات المرور إلى الفعل من خلال الرورشاخ عند المراهق الجانح. تتجز هذه الدراسة في إطار التحضير لأطروحة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة دكتوراه علوم تخصص علم النفس العيادي، بقسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا. جامعة سطيف -2- الجزائر.

الباحثة: بومعزة فتيحة (أستاذة مساعدة بقسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا. جامعة سطيف -2-، وبإشراف أ. حدادي- سامعي دليلة. بروفيسور بقسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، ومديرة مخبر القياس النفسي بجامعة بوزريعة. الجزائر).

1. أهداف الدراسة: هدف هذه الدراسة هو تحديد فهم شامل حول السياقات التي تمثل طبيعة المرور إلى الفعل عند المراهق المنحرف، من خلال هذه الدراسة تم تحديد أشكال الفعل التي سيتم تطبيق الادوات البحثية معها وتتمثل هذه الاشكال في: السرقة، القتل والعنف، الاعتداء الجنسي، الانتحار، الإدمان على المخدرات بأنواعها.

بالإضافة إلى هذا الهدف الأساسي:

- تحديد الاختلاف في السياقات بين المرور إلى الفعل نحو الذات (الداخل) والمرور إلى الفعل نحو الآخر (الخارج).
- التعرف على خصوصية المراهق المنحرف في المجتمع المحلي ان وجدت.

- تقديم فهم متكامل عن الجوانب النفسية التي تميز المراهق المنحرف.
- مساعدة القائمين على المراهق من خلال من نتائج البحث في بناء برامج التدخل والتكفل الامثل والأنجع.

2. المشاركة في البحث:

- عدد المشاركين في البحث 15 مراهق، من جنس ذكر، وسنهم ما بين 15 و 23 سنة تقريبا.
- مشاركتك في هذا البحث تتمثل في:

1. مقابلة عيادية بحثية (نصف موجهة): اجراء 04 مقابلات تتضمن كل واحدة منها

الاجراءات التالية:

. المقابلة التمهيدية: ليس لها وقت محدد، الهدف الضمني منها هو التعرف على الباحثة وربط علاقة تتيح العمل فيما بعد في جو من الثقة والتفهم. أما الهدف الصريح لها فهو تمرير صيغة الموافقة المستنيرة، سواء أكانت مع المراهق مباشرة (إذا تعدى سنة 18 سنة) أو مع ولي الأمر وبحضور المراهق (إذا لم يتعدى 18 سنة). يتم خلالها شرح اجراءات البحث بالتفصيل، الاجابة على تساؤلات المبحوثين، اعطاء التوضيحات الكافية حول طبيعة المشاركة (الاجراء، الاداة، المدة، الهدف). كما يتم فيها التوقيع على الصيغة للسماح باستكمال الاجراءات اللاحقة.

. مقابلتين نصف موجهتين: لهما وقت محدد تقريبا (ساعة ونصف لكل مقابلة)، يتم تناول أربع محاور رئيسية: التاريخ الشخصي (العلائقي، التعليمي، الصدمي، العمل، اوقات الفراغ)؛ المرور إلى الفعل (سوابق الفعل، المرور إلى الفعل، بعد الفعل)؛ المحور الثالث البنية التي يتواجد بها (العلاقات، العقوبة)؛ المحور الرابع تقييم الفعل. بترتيب معين وباستخدام صيغ محددة أثناء طرح الاسئلة مع السماح للمبحوث بالتصرف بحرية والتنقل بين الخبرات حسب مايراه مناسباً.

. مقابلة نصف موجهة: (مقابلة الاسترجاع Entretien de restitution) ليس لها وقت محدد لان الهدف منها هو تقديم بعض التوضيحات عن النتائج الأولية للبحث في محاولة لتفادي القطيعة المفاجئة مع المراهق، وتقديم نوع من المساعدة حول الاحتمالات المتاحة مستقبلا (العلاج، التكفل).

2. جلسة تمرير اختبار الرورشاخ:

ليس لها وقت محدد، يتم فيها تطبيق اختبار نفسي (اختبار الرورشاخ) وهو اختبار للشخصية، يتكون من 10 بطاقات تحتوي على بقع حبر بعضها ملون وبعضها بالأسود والأبيض. يحتاج تطبيق هذا الاختبار إلى ساعة زمنية لضبط الوقت والى أوراق لتسجيل الاستجابات.

- في حالة موافقتك فان ذلك يعني:

. الموافقة على الولوج إلى الملفات الموجودة على مستوى المؤسسة. بالنسبة للمؤسسات ذات الطابع العلاجي والوقائي فانه يسمح للباحة بالاطلاع على كل الملفات والاوراق المتعلقة بالفحوصات التي أجريت داخل المؤسسة أو خارجها، طبيعة العلاج الدوائي، التشخيص المتخصص. أما بالنسبة للمراكز التي تخضع للضبط الاجتماعي فانه يسمح للباحة بالاطلاع على الملف البيداغوجي، القانوني، الطبي والعلاجي.

. كل المعلومات الشخصية المتحصل عليها من صيغة الموافقة المستنيرة، من المقابلات النصف موجهة، والاختبار والملفات التي تتواجد على مستوى المؤسسة أو المركز هي معلومات تخضع لمبدأ السرية، ويتم تسجيل أسماء مستعارة (على تقارير البحث) أو استعمال ترميز code. حفاظا على كرامة المبحوث وعملا بأخلاقيات البحث العلمي.

3. مبدأ السرية:

باستثناء بعض وضعيات البحث، كل المعلومات التي يتم التصريح بها من طرفكم تخضع لمبدأ السرية، كل مشارك في البحث سوف يتم استبدال معلوماته الشخصية برمز خاص، فقط الباحثة لديها قائمة المشاركين والترميز المرافق لها.

- كل المعلومات المستوحاة سوف يتم حفظها لدى الباحثة، ولا يتم الاطلاع عليها إلا في وضعيات:

. **وضعية البحث:** خلال الاطلاع على نتائج البحث التي سوف يتم نشرها في الاطروحة التي تعدها الباحثة وبإشراف البروفيسور حدادي- سامعي دليلة. والهيئة العلمية المسؤولة عن انجاز البحث وهي جامعة سطيف-2- بما في ذلك لجنة المداولات والمناقشة.
. من المحتمل أن المؤسسات التي سمحت بإجراءات البحث التطبيقية بما في ذلك المؤسسة التي يخضع لها المراهق، المؤسسات القانونية، أو مراكز المتابعة. تطلب الاطلاع على نتائج البحث بصورة سرية جدا(محكمة الأحداث، مراكز إعادة التربية). حيث لن تكون هناك أي معلومات شخصية تدل على المشاركين، ولن يتم التعرف على أي مشارك حتى في حالة نشر نتائج البحث.
. فقط وفي حالة ما تم استخراج معلومات تدل على وجود شخص في حالة خطر أو تهديد (حالة انتحار)، يستوجب على الباحثة التصريح بالخطر أو التهديد نحو الأشخاص أو إخبار السلطات المعنية.

4. الفوائد والعائدات:

بالمشاركة في هذا البحث، يمكنكم المساهمة في تقدم المعارف حول سياقات المرور إلى الفعل المنحرف لدى المراهق. مشاركتكم في البحث يمكن أن تسمح بإعطاء الفرصة للتعرف على أنفسكم أكثر من خلال المقابلة الخاصة بتقديم التوضيحات حول النتائج الأولية للبحث، وأيضاً باحتمال سردكم لتجاربك الشخصية يسمح بتجاوز بعض الذكريات أو التجارب الأليمة. إذا ما حدث هذا لا تتردد في الحديث مع الباحثة التي بإمكانها توجيهك نحو المختصين (من اختيارك) من أجل معالجة المشكلة.

- تتيح المشاركة في البحث إجراء مقابلة نصف موجهة الهدف منها هو توضيح بعض نتائج البحث بالإضافة إلى السماح بإمكانية توجيهكم إلى الاحتمالات المتاحة للتكفل والعلاج مستقبلاً.
- أما بالنسبة للجوانب المادية المرتبطة بمشاركتكم في البحث الحالي فلن يكون هناك أي عائد مادي مقابل ذلك.

- حق الانسحاب:

- مشاركتك في البحث هي طوعية (سواء تمت المشاركة أو لا)، ولن يكون لها أي أثر على سير تواجذك في المؤسسة. ولك كامل الحرية في الانسحاب في أي وقت، بتصريح لفظي، ودون تقديم أي تبرير. يمكنكم اطلاع الباحثة، وفي حالة انسحابكم كل المعلومات التي تم استيفائها يتم إتلافها والتخلص منها.
- شكراً لمنحكم الوقت للقراءة والاطلاع على هذه الصيغة، شكراً كذلك لطلبكم توضيحات واستفسارات معمقة وشاملة حول طبيعة المشاركة. وشكراً لمنحكم الموافقة على استكمال إجراءات الدراسة الحالية.

الموافقة الخاصة بالمراهق

أصرح بالاطلاع على الوثيقة السابقة التي تلقيت منها نسخة، تتضمن الهدف من الدراسة الحالية. الإجراءات، العائدات، والاخلاقيات المرتبطة بها. وكانت لدي فرصة للتحدث عن مشاركتي فيها، وكذا الوقت الكافي للتفكير في موافقتي، أشارك بحرية في هذا البحث. واعلم أنني أملك كامل الحرية للانسحاب في أي وقت ودون تقديم مبررات حول قراري.

إمضاء المشارك: ----- التاريخ -----

الاسم: ----- اللقب: -----

الترميز أو الاسم المستعار: -----

الاطلاع على الملفات بالمؤسسة: اسمح للباحثة بالاطلاع على ملفي المتواجد بالمؤسسة وتسجيل المعلومات المشار إليها في الصيغة.

إمضاء المشارك: ----- التاريخ -----

إمضاء الباحثة: ----- التاريخ -----

تصريح الباحثة المسؤولة عن البحث

أصرح بتوضيح هدف البحث، طبيعته، الإجراءات، العائدات، الأخلاقيات المرتبطة به. والإجابة حسب قدراتي المعرفية على الأسئلة المطروحة من طرف المشاركين.

الإمضاء: ----- التاريخ: -----

الاسم: ----- اللقب: -----

صيغة الموافقة المستنيرة الموجهة للولي

ندعوكم إلى الموافقة على مشاركة ابنكم في البحث المعنون بـ: سياقات المرور إلى الفعل من خلال الرورشاخ عند المراهق المنحرف. بحث مسجل في إطار انجاز أطروحة دكتوراه علوم تخصص علم النفس العيادي. من طرف الهيئة العلمية لجامعة محمد لمين دباغين سطيف-2-

تجدون هذه الصيغة كل المعلومات المرتبطة بالبحث وبالتفصيل، مع منحكم الحق في الاستفسار، طلب توضيح أو حتى الرفض حول تلك المعلومات. حتى يتسنى لكم ابداء موافقتكم الطوعية لمشاركة ابنكم في البحث الحالي وذلك عن طريق امضاء النسخة المخصصة لكم. شكرًا

صيغة الموافقة

أنا (الاسم واللقب:.....) الممضي أسفله أوافق وبحرية تامة على مشاركة ابني (الاسم واللقب:) في إجراءات البحث المعنون بـ: سياقات المرور إلى الفعل من خلال الرورشاخ عند المراهق المنحرف. واستوعب جيدا بأن: - هذا البحث يهدف الى:

. التعرف على هدف هذه الدراسة هو تحديد فهم شامل حول السياقات التي تمثل طبيعة المرور إلى الفعل عند المراهق المنحرف، من خلال هذه الدراسة تم تحديد أشكال الفعل التي سيتم تطبيق الادوات البحثية معها وتتمثل هذه الاشكال في: السرقة، القتل والعنف، الاعتداء الجنسي، الانتحار، الإدمان على المخدرات بأنواعها.

. تحديد الاختلاف في السياقات بين المرور إلى الفعل نحو الذات (الداخل) والمرور إلى الفعل نحو الآخر (الخارج).

. التعرف على خصوصية المراهق المنحرف في المجتمع المحلي ان وجدت.

. تقديم فهم متكامل عن الجوانب النفسية التي تميز المراهق المنحرف.

. الاضافة العلمية إلى الرصيد المعرفي حول انحراف المراهق.

. مساعدة القائمين على المراهق من خلال من نتائج البحث في بناء برامج التدخل والتكفل الامثل والانجع.

- تتمثل إجراءات هذا البحث في:

. المشاركة في اجراء 4 مقابلات عيادية (نصف موجهة) مدة اثنان منها ساعة ونصف، يتم خلالها طرح مجموعة من الاسئلة التي تصب في أربع محاور رئيسية: التاريخ الشخصي، المرور إلى الفعل، التواجد داخل المؤسسة أو المركز، النظرة المستقبلية)

. كما يتم تطبيق اختبار نفسي (اختبار الرورشاخ)، هو اختبار للشخصية يتكون من 10 بطاقات، يتم الاستعانة بالساعة لتحديد الوقت. وأوراق لتسجيل الاستجابات.

. بإمكان ابنكم الانسحاب من المشاركة في أي لحظة ودون تقديم أي مبررات أو التزام؛ وتحديدا فيما يتعلق بتواجده داخل المركز أو المؤسسة حول المتابعة التي يخضع لها.

. تتمثل عائدات هذه المشاركة في حصول المراهق على فرصة للتعبير عن مشكلاته بكل حرية وكذا التعرف على بعض جوانب شخصيته انطلاقا من النتائج الأولية للمقابلات وللاختبار. كما يمكن أن تشكل بالنسبة له مساعدة نفسية للمشكلات التي يعاني منها. أما بالنسبة للعائد المادي فليس هناك أي مقابل مادي عن هذه المشاركة.

. فيما يتعلق بالطابع السري للمعلومات المستوحاة (من الولي أو المراهق) فإنه سيتم معالجتها بطريقة جد سرية وأكثر تحديدا لن يظهر الاسم، حيث تستخدم رموز خاصة في كل أداة من أدوات البحث المطبقة. فقط الباحثة يمكنها الوصول إلى القائمة. ولا يمكن مناقشة النتائج الا من طرف الباحثة، الاستاذة المشرفة، ويمكن للمتدخلين أو المتابعين لحالة المراهق وبطلب منهم فقط الاطلاع عليها.

. يمكن تقديم تقرير شفوي عن نتائج البحث للمتدخلين او المتابعين لحالة المراهق. وهم من جهتهم عليهم احترام مبدأ السرية. كما ان نتائج البحث سوف يتم عرضها خلال اجراءات مناقشة بحث الدكتوراه بحضور لجنة المناقشة أو الهيئة العلمية للجامعة.

- هذا البحث يتم انجازه من طرف الباحثة: بومعزة فتيحة، طالبة دكتوراه وأستاذة مساعدة بقسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا. جامعة محمد لمين دباغين سطيف-2-. وبإشراف البروفيسور: حدادي-سامعي دليلة، جامعة بوزريعة- الجزائر العاصمة-.

- لأجل استكمال إجراءات البحث. يجب الحصول على موافقتكم مكتوبة وكذلك الأمر بالنسبة لموافقة ابنكم. شكرًا... في حالة الموافقة على منحي الفرصة لاستكمال الاجراءات التطبيقية المرتبطة بالدراسة الحالية.

- الموافقة بعد الاطلاع والامضاء بتاريخ:

- من طرف: (اسم ولقب الولي الشرعي أو من ينوب عنه)

- الامضاء:

- المراهق: (الاسم واللقب)

- الامضاء:

الملحق رقم 5:

معايير الرورشاخ المستخلصة من عينة فرنسية للمراهقين
والشباب من 13 إلى 24 سنة

معايير الرورشاخ المستخلصة من عينة فرنسية للمراهقين والشباب من

13 إلى 24 سنة

(Azoulay. C ; et autres, 2007, P.408)

R	26				
G%	43	F%	61	H%	16
D%	44	F% élargi	38	H% élargi	20
Dd%	10				
Dbl%	3	F+%	65	A%	44
(Dbl I% ^a)	9	F+% élargi	66	A% élargi	47
RC	35				
الشائعات					
البطاقة I: فراشة أو خفاش (كلية). قناع (كلية).					
البطاقة III: شخصين (كلية).					
البطاقة IV: فراشة أو ربطة فراشة (في الجزء الاحمر الوسط)					
البطاقة V: فراشة أو خفاش (كلية)					
البطاقة VI: جلد حيوان (كلية)					
البطاقة VIII: حيوانين (الجزئين الجانبين)					
البطاقة X: رأس انسان (جزئية في الوسط)، عنكبوت على الجهتين (الجزء الأزرق الجانبي)					